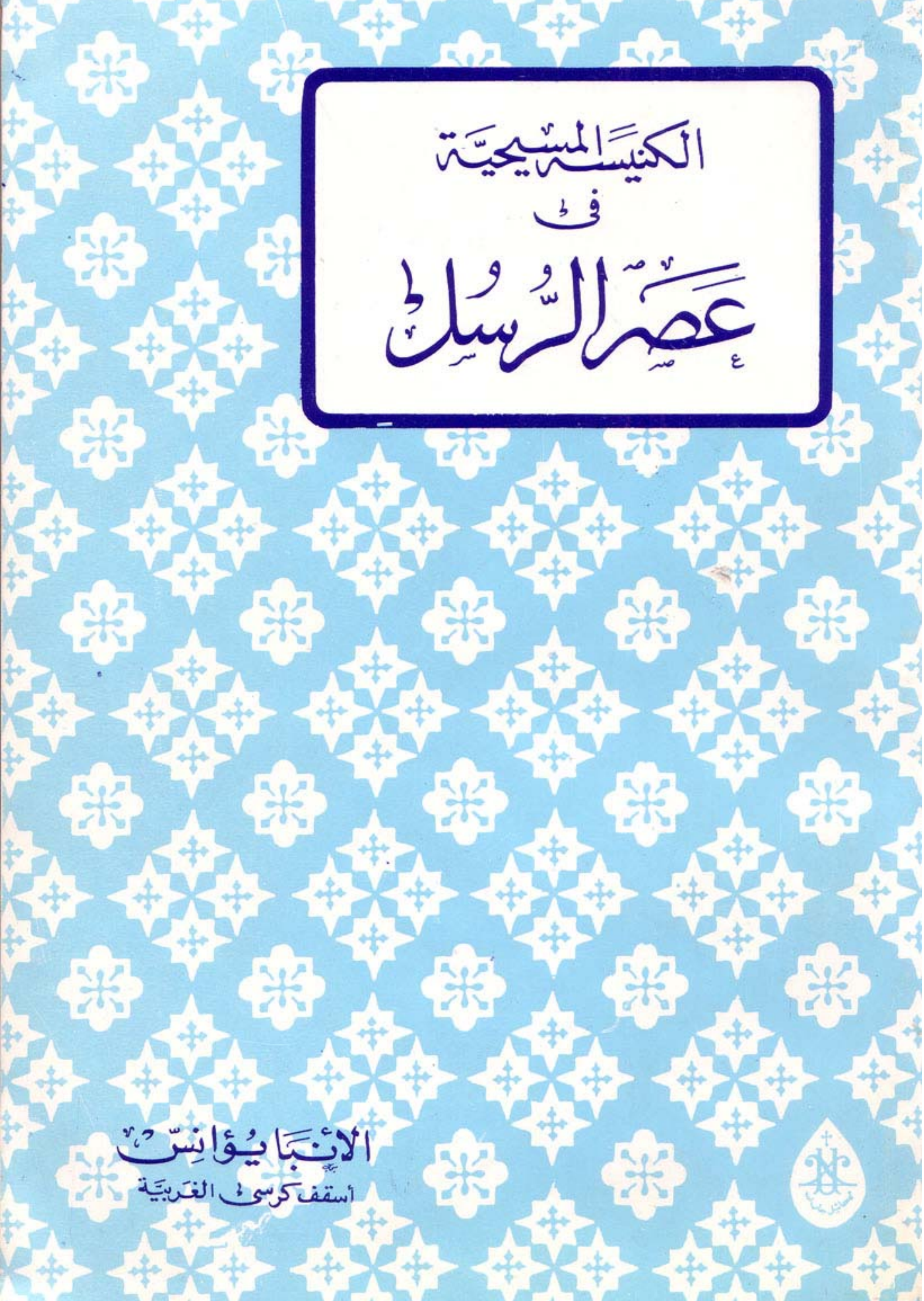



الكنيسة المسيحية
في
عصر الرسل
الأنبا يؤانس
أسقف كرسي الغربية


الكنيسة المسيحية
في
عصر الرسل


لنيافة الأنبا يؤأنس

الكتاب : الكنيسة المسيحية فى عصر الرسل .
المؤلف : نيافة الأنبا يوأنس ــ أسقف الغربية .
الطبعة : الثالثة ــ مايو ١٩٨٧ م .
المطبعة : الأنبا رويس (الأوفست) ــ العباسية - القاهرة .
رقم الإيداع بدار الكتب : ٤٨٣٩ / ١٩٧٠ م .

مقـــدمـة

هذا الكتاب الذى يؤرخ لكنيسة الرسل ، إنما يروى لنا قصة المسيحية الأولى : نشأتها وانتشارها ، عقائدها وإيمانها ، طقوسها وممارساتها ، روحانيتها وتراثها ، دستورها وأبطالها ... ونحن إذا أردنا أن نتعرف على المسيحية تعرفاً دقيقاً وسليماً ، فعلينا بتلك الحقبة المبكرة من تاريخها ، نعكف عليها وندرسها ... فكنيسة الرسل هى الكنيسة الأم لكل كنائس العالم ، والعصر الرسولى هو النبع الأصلى للمسيحية فى صفائها ... وحياة هذه الكنيسة وإيمانها ، وعقائدها وممارساتها وطقوسها ومبادئها ، وكل ما يتعلق بها ، هى ما يجب أن تتمسك به كل كنيسة مسيحية ... ومن هنا كانت خطورة وأهمية هذا البحث الذى يضمه هذا الكتاب ...

ونحن فى معالجتنا للموضوع ، لم نتعرض لكنيسة بالذات ، إنما تحدثنا عن الكنيسة المسيحية عامة ... كان هناك هدف نسعى إليه منذ بداية العمل حتى نهايته ، ألاَ وهو البحث العلمى الخالص لوجه الحقيقة ، ولا شىء سواها ... **ومن هنا فإن هذا الكتاب يصلح كتاباً للجميع ،** من كل كنيسة ومذهب وطائفة ، حتى لو إصطدم أحد فيه برأى أو تعليم يخالف ما تعتنقه الكنيسة أو الطائفة التى ينتمى إليها ... **ويزكى الكتاب فى عموميته ما راعيناه فى مادته وأسلوبه . فهو يجمع بين الدراسة العلمية الأصيلة ، وبساطة العرض والأسلوب ، مع الابتعاد ــ قدر الطاقة ــ عن التعقيدات التى غالباً ما تتسم بها دراسة كل قديم ...** وهكذا جاء الكتاب ، كتاباً للجميع ... لطالب اللاهوت ولكل باحث عن الحقيقة ...

ويزيد من أهمية البحث ، ما تعانيه المسيحية من إنقسام وفرقة ، يظهران فى تعدد الكنائس والمذاهب فى نطاق المسيحية بصورة مذهلة ومخجلة فى آن معاً ، وانحراف الكثير منها فى الإيمان أو مبادىء المسيحية الأصيلة ... ولا علاج لهذه الحالة المحزنة التى وصل إليها العالم المسيحى ، إلاَّ بالإلتجاء إلى الكنيسة الأولى ،

الكنيسة الأم ، كنيسة الرسل ، **والتطلع إليها كمثل أعلى فى كل شىء ، ودراسة** كل ما يتعلق بها ، للأخذ به وتطبيقه والسير على نهجه .

ما أحوج كنائس المسيحية ومذاهبها إلى مراجعة مبادئها ــ بحسب الحالة ــ فى مجالات الإيمان والعقيدة والروحيات ... نحن جميعاً ــ وبلا أدنى إستثناء ــ بحاجة إلى العودة إلى ما كانت عليه الكنيسة الأولى من حرارة الإيمان وبساطة الحياة ، والغيرة الملتهبة على خلاص النفس ، والشركة القوية مع الرب ، والعمل الدائب فى الكرازة ... ويوم تفعل الكنائس والمذاهب المسيحية ذلك بروح المحبة والرغبة الخالصة فى أحقاق الحق ، تزول الفرقة وتنعدم الإنقسامات ، وتستريح أحشاء ربنا يسوع وقديسيه ... **نعم ، إن هذا هو السبيل السوى والإلهى لتحقيق إرادة الرب فى أن يصبح الجميع واحد** ...

وقد راعينا فى تصنيف الكتاب ــ على قدر ما إستطعنا ــ أن نعرض للملامح الرئيسية لكنيسة الرسل : فى التاريخ والكرازة والخدمة والإيمان والعقيدة والطقس والأسفار المقدسة وغيرها ... وكان هدفنا من ذلك أن تكتمل الصورة حتى ما تظهر بوضوح . لكن ليس معنى ذلك أن جميع هذه النقاط استوفيت بحثاً ... لأننا لو فعلنا ذلك لاحتاج الأمر إلى موسوعة ، تخرجنا عن دائرة التاريخ ، والكتاب من الناحية الموضوعية كتاب تاريخى بالدرجة الأولى . فنحن فى تعرضنا للعقيدة والطقس مثلاً ، أنما نؤرخ لهما ، ولا نبحث فيهما بحثاً موضوعياً خاصاً . **ومن هنا نقول ، أن الكتاب عرض لمواضيع بحاجة إلى مزيد من البحث ،** كموضوع الطقوس وممارسات العبادة فى كنيسة الرسل الذى عرضنا له فى الباب الخامس من الكتاب ... ليت الرب يحرك قلوب بعض الباحثين الغيورين ، حتى ما يوفوا هذه النقاط حقها .

ولا أنسى أن أذكر ، أن هذا الكتاب هو ثمرة أمنية عزيزة طالما إشتهيتها ... كانت تلك الأمنية ــ ومازالت ــ أن أحيا فى جو الكنيسة الأولى ، وهى بعد بكر ، تشيع فيها روح القداسة والإيمان والبساطة والغيرة والحب ، قبل أن تدخل إليها روح العالم ، وتتسلل إليها أساليبه الزمنية ... وبقدر ما كانت الأمنية

عزيزة ملحة ، بقدر ما كان البحث ممتعاً ، وإن كان فى نفس الوقت شاقاً مضنياً ... ومشقة البحث كانت فى المصادر التاريخية الأصيلة التى كان علىَّ أن أعتمد عليها . فما كان يصلح أن أعتمد على التآليف والمصنفات الحديثة ، بل على الكتابات الأولى ، حتى ما يأتى البحث أصيلاً فى مادته ، أكاديمياً فى أسلوبه ومنهجه ...

وإن كانت تلك الأمنية قد تحققت بنعمة الله ، وأثمرت هذا الكتاب ، فثمة أمنية أخرى أسأل الرب أن يحققها بنعمته ، ويمتعنى برؤياها والحياة فيها ... تلك هى أن تعود الكنيسة إلى بساطتها الأولى وعمق روحانيتها ، وأن تفطن إلى غنى مواهبها وكنوزها وقوة مؤسسها ، القائم فى وسطها دائماً ، وتعكف على رسالتها السامية ومسئوليتها الخطرة فى الكرازة والرعاية ...

وبعد ، فإنى أقدم هذا الكتاب لكل النفوس المحبة التى تنشد الحق ... أقدمه لطلبة اللاهوت ولكل العاملين فى حقول الخدمة الكنسية ... أقدمه لهم جميعاً للدراسة ، وليس لمجرد القراءة . فتاريخ الكنيسة فى تلك الفترة المبكرة — إلى جانب أهميته القصوى — صفحة مشرقة ، يلذ للمؤمنين — كنيسة وشعباً وأفراداً — أن يتطلعوا إليها ، ويسعوا دائبين لاسترجاعها .

أقدم الشكر خالصاً للرب أولاً ، الذى طالما لمست بصورة حسية قاطعة ، معونته وإرشاد روحه لضعفى أثناء تصنيف هذا الكتاب ، فجاء فى صورته الحالية ، أول كتاب فى المكتبة العربية يعالج موضوع كنيسة الرسل بصورة أكاديمية ، وفى دقة وسلامة وإسهاب ...

أتقدم بالشكر لأبينا الحبر الطوباوى الأنبا ثاوفيلس أسقف ورئيس دير السريان العامر لتشجيعه لى ، وتهيئة الجو المناسب فى الدير للبحث والتأليف ، فضلاً عن مكتبة الدير الكبيرة التى أصبحت بفضله تضم مجموعات من الكتب القيمة التى إعتمدت عليها فى تصنيف الكتاب .

وأتقدم بالشكر أيضاً لحبيبنا الحبر المبارك الأنبا شنوده أسقف التعليم الدينى ، الذى تفضل وباشر إخراج الكتاب وطبعه ونشره ، وقرره مرجعاً للدراسة فى

الكلية الإكليريكية ... **ولا يفوتنى أن أشكر الإخوة الأحباء «أصدقاء الكلية الإكليريكية»** لأتعابهم الكثيرة فى طباعة الكتاب وتوزيعه، وأيضاً كل الذين تعبوا معى فى نساخة الكتاب قبل تقديمه للطبع، والذين آزرونى بصلواتهم ...

إذ أضع هذا الكتاب بين يدى الرب ــ رأس الكنيسة ومؤسسها وراعى رعاتها الأعظم ــ أسأله أن يتقبل هذه التقدمة المتواضعة ويشتمها رائحة سرور ورضى، ويشرق بوجهه علينا فنخلص، ويعيننى على الإنتهاء من الكتاب الثانى الخاص بكنيسة الرسل، وهو عبارة عن تأملات فى حياة تلك الكنيسة ... أسأل روح الله القدوس الذى يرشدنا إلى كل الحق، أن يرافق كلمات هذا الكتاب، ليصير بركة لكل مَنْ يقرأه ... بشفاعة أمنا العذراء الطاهرة مريم، ومصاف الرسل الأبرار وكل الكارزين، مع سحابة الشهود القديسين ... ولإلهنا كل مجد دائماً آمين.

شنوده السريانى

برية شيهيت المقدسة فى :

١٧ من مارس سنة ١٩٧١ م
٨ من برمهات سنة ١٦٨٧ ش

تذكار شهادة القديس متياس الرسول

تقـــديم

هذا الكتاب النفيس ، لا يحتاج منى أن أقدمه لك أيها القارىء العزيز. إنه يقدم ذاته ، دون أن يشير إليه أحد ، تكفيه مادته الدسمة ، واسم مؤلفه المعروف الباحث المؤرخ القمص شنوده السريانى ، الذى أتحفنا من قبل بكتابه السابق « الاستشهاد فى المسيحية ». وهكذا فتح هذا الأب المبارك باباً رحباً فى الكتابة المفصلة عن تاريخ الكنيسة ، وقد كانت كتبنا فى التاريخ قليلة ومجملة ...

وحسب الترتيب التاريخى ، كان يجب أن يصلك هذا الكتاب قبل كتاب « الاستشهاد فى المسيحية » . ولكنه تأخر عنه قليلاً بسبب الجهد الكبير الذى بذله مؤلفه لاستكمال مادته فى أجمل وأوسع نطاق ممكن . وبودى لو تتم هذه الحلقات من تاريخ الكنيسة ، لأن كثيرين بدأوا فى كتاب التاريخ الكنسى حتى إذا ما إستوفوا عصور القديسين الأول ، وقفوا عند القرن الخامس أو السادس .

ولقد قرأت هذا الكتاب الذى يمثل الحلقة الأولى من تاريخ كنيستنا الجامعة الرسولية ، فوجدته كتاباً كاملاً شاملاً لعصر الرسل ، لا تحتاج معه أن تقرأ غيره. إنه خلاصة قراءات كثيرة ، وبحوث عدة ، يغنيك عن عشرات من الكتب تناولت هذا الموضوع ...

إنه يعطيك صورة واضحة عن الكنيسة فى عصر آبائنا الرسل ، وفى عصر تلاميذهم الذين إصطلح على تسميتهم بالآباء الرسوليين Apostolic Fathers صورة متكاملة تشمل كل شيء : التاريخ ، والحياة ، والعقيدة ، والإيمان ، والعبادة ، والحياة الروحية ... إنها صورة ... ليست مجرد أحداث ، بل هى حياة ...

وإن عرفنا أهمية عصر الرسل والآباء الرسوليين ، أدركنا أهمية هذا الكتاب. إن عصر الرسل هو المرجع الأساسى لنا فى كل شيء ... إنه يعطينا صورة

للكنيسة كما تسلمها الرسل من السيد المسيح نفسه، صورة للكنيسة فى أكمل أوضاعها، وفى قمة روحياتها ... على أساس التقليد السليم الطاهر. إن استوعبنا هذه الصور، نستطيع أن ندرك الأصيل والدخيل فى كل نواحى حياتنا الكنسية. ودراسة هذه الفترة تقوى إيماننا، إذ ندرك أن جوهر إيمان الكنيسة ونظامها، هو نفسه كما كان منذ البدء. كما تسلمه الرسل من المسيح له المجد، وكما سلمه الرسل لخلفائهم القديسين.

وهذا الكتاب ــ ككل الكتابات التاريخية للقمص شنوده ــ هو كتاب حى .. فيه روح، وفيه طريقة البحث العلمى، الذى يبحث عن الحقائق، ويناقش المعلومات، ولا يقدم لك إلاَّ النقى الثابت منها ...

إننى أهنىء المكتبة القبطية بهذا السفر النفيس، وبهذه المعلومات القيمة التى أضيفت إلى ذخيرتنا التاريخية باللغة العربية. ولقد تقرر هذا الكتاب لدراسته فى الكلية الإكليريكية.

إذ نهنىء المؤلف العزيز بهذا المجهود الكبير الذى بذله حتى أوصل إلينا بحوثه الدقيقة بأسلوبه الشيق، إنما نأمل أيضاً أن يتابع هذه الحلقات التاريخية، وبخاصة لأن كتّابنا فى التاريخ قليلون ...

وفى هذه المناسبة لا يفوتنا أن نشكر دير السريان العامر وأسقفه المحبوب صاحب النيافة الأنبا ثاوفيلس الذى زود مكتبة الدير بكافة المراجع العلمية التى يعتمد عليها الباحث، كما نشكر الأبناء الأعزاء أعضاء لجنة أصدقاء الكلية الإكليريكية على مجهودهم المخلص فى إخراج هذا الكتاب.

ونطلب للمؤلف مزيداً من النعمة الإلهية، ونطلب لكنيستنا أن تثبت فى هذه الصورة المشرقة التى لعصر الرسل.

لإلهنا كل مجد وكرامة فى كنيسته المقدسة.

سبت لعازر

١٠ أبريل ١٩٧١ ــ ٢ برموده ١٦٨٧

شنوده

مقدمة الطبعة الثانية

منذ نفاذ الطبعة الأولى لهذا الكتاب عقب صدوره فى سنة ١٩٧١ بفترة وجيزة ، أخذ كثيرون يطالبون باعادة طبعه كمرجع أساسى بالعربية لتاريخ الكنيسة المسيحية الجامعة فى عصرها المبكر. لكن أعباء خدمة الأسقفية المتزايدة التى سمح الرب أن توضع علينا بعد عدة شهور من صدور الطبعة الأولى ، جعل من المتعذر تنفيذ هذا العمل ... لكن الحاجة تزايدت وصارت ملحة ، خاصة بعد نمو الوعى الدراسى اللاهوتى ، وصار لكنيستنا سبع كليات لاهوتية . كان لابد من التغلب على كل الصعاب مهما بلغت لاعادة طبع الكتاب .

كان بودى أن أضيف جديداً إلى مادة هذا الكتاب فى طبعته الثانية . فالبحث العلمى التاريخى لا يتوقف . وهناك حفريات واكتشافات أثرية تتم ، وأبحاث تاريخية تنشر ، مما يلقى مزيداً من الضوء على تلك الفترة المبكرة من تاريخ الكنيسة الأولى ، الذى يكتنفه كثير من الغموض . ومرة أخرى تحول أعباء الخدمة التى تتزايد كل يوم دون تحقيق هذه الأمنية المحببة إلى النفس . على أنى أرجو بنعمة الرب أن أتوفر على ذلك فى الطبعة الثالثة إن أحب الرب وعشنا . لكن ليس معنى ذلك أن الكتاب بوضعه الحالى ينقصه شىء فهو كتاب كامل متكامل فى مادته . لكنها الأمانة فى البحث والطموح العلمى الذى يأبى أن يتوقف عند حد معين .

ولا شك أن قيمة هذا الكتاب والحاجة إليه تتزايد يوماً بعد يوم ، خاصة بعد نشاط الجهود المسكونية من أجل الوحدة المسيحية . لكن وحدة الكنيسة لن تكون وحدة رئاسية ، بل وحدة فى الإيمان . وهذا الكتاب الذى يقدم لنا تاريخاً لكنيسة الرسل ــ الكنيسة الأم لكل الكنائس المسيحية فى العالم ، بكل أصالتها الإيمانية والروحية ــ لا شك أنه يساعد على دفع جهود الوحدة

المسيحية إلى الأمام . ومدى النجاح الذى يمكن أن تحققه هذه الجهود يرتبط بمدى إيمان القائمين بهذه الدعوة والمتحمسين لها بصورة الكنيسة المسيحية الأولى ، وبمدى توفر النيات والمقاصد السليمة ، سلاماً وبنياناً لكنيسة الله المقدسة ، الكائنة من أقاصى المسكونة إلى أقاصيها .

أقدم الشكر إلى الأبوين المحبوبين القس صرابامون عزيز والقس ويصا سامى كاهنى الكنيسة المرقسية الكبرى بالقاهرة ، اللذين تعبا فى تقديم الكتاب إلى المطبعة وأشرفا على الطباعة . كما أطلب نياحاً لنفس أبننا العزيز الأستاذ إشعياء ميخائيل برناب الذى رحل إلى المجد الأبدى ، وكان ثالثاً لهما فى هذه الخدمة .

وإذ أضع هذا الكتاب بين يدى إلهنا الصالح ، أسأله أن يجعله سبب بركة لكل مَنْ يدرسونه ، ثباتاً فى الإيمان وتدعيما للحياة الروحية المقدسة ، من أجل نشر كلمة الله ونعمة الإيمان .

وبركة آبائنا الرسل الذين حملوا الإيمان المقدس إلينا تكون معنا وتؤازرنا ، ونعمة الرب تشملنا ، ولعظمته الشكر دائماً .

يـــوأنس

بنعمة الله أسقف الغربية

١٢ من يوليو سنة ١٩٧٧ م
٥ من أبيب سنة ١٦٩٣ ش
تذكار إستشهاد الرسولين بطرس وبولس

مقدمة الطبعة الثالثة

صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب أوائل سنة ١٩٧١ تزّينها المقدمة الرائعة ــ التى أعتزّبها ــ والتى دبّجتها يراع قداسة البابا شنوده الثالث حفظه الله ، حينما كان أسقفاً للتعليم . وصدرت طبعته الثانية حوالى منتصف سنة ١٩٧٧ ، أى منذ نحو عشر سنوات . ومنذ نفاذ الطبعة الثانية توالت الطلبات لإصدار طبعة ثالثة ، باعتبار هذا الكتاب المرجع الأساسى فى العربية لأهم عصر من عصور الكنيسة وهو عصر الرسل .

وقد تمنيت فى مقدمة الطبعة الثانية أن أضيف جديداً إلى مادة الكتاب ، فالبحث العلمى التاريخى لا يتوقف . وكانت تمنعنى عن تحقيق هذه الأمنية العلمية ، أعباء الأسقفية والرعاية ، بالإضافة إلى ظروف الصحية الصعبة التى إجتزتها منذ أواخر سنة ١٩٨٢ ، وتخللتها عملية جراحية أجريت لى فى القلب فى أكتوبر سنة ١٩٨٥ ... هذه الظروف الصحية مازالت تلازمنى حتى الآن . وإنى أشكر الله الذى أهّلنى لحمل صليب المرض ... إنها محبة من الله ألمس فيها يده ومعونته كما أعلنها لرسوله بولس « قوتى فى الضعف تكمل » . وكل ما أطلبه من كل قارىء للكتاب أن يرفع صلاة عنى .

وعلى الرغم من هذه الظروف مجتمعة ، تمكنت من أن أضيف لهذه الطبعة الثالثة مادة جديدة للكتاب فى نحو ستين صفحة من صفحاته ... على أن هذه ليست نهاية المطاف . ورجاؤنا فى الرب عظيم فى أن يعين ضعفنا ... إنى أَعِدْ الإخوة والأبناء الدارسين والباحثين فى حقل تاريخ الكنيسة باضافات جديدة كثيرة أخرى فى الطبعة الرابعة إن أمدّ الله فى حياتى وأعطانى القوة على ذلك .

إنها شهوة مقدسة إشتهيتها ، أن أبحث بالذات فى تاريخ هذه الفترة المبكرة من حياة المجتمع المسيحى الأول ، لأرى الصورة الحقيقية لكنيسة المسيح كما سلّمها لرسله القديسين .

وأود أن ألفت النظر إلى أن هذا الكتاب ليس تاريخاً علمياً جافاً ، لكنه فى كل بحث من أبحاثه راعينا أن يكون مملّحاً بملح الروح من أجل الاستفادة الروحية وخلاص نفس كل مَنْ يقرأه ويدرس فيه . ففكرة الكتاب أساساً هى العودة إلى مثاليات المجتمع المسيحى الأول حينما كان مجتمع قديسين .

أضع هذه الطبعة الجديدة بين يدى إلهنا الصالح ، لا لكى يكون سبباً فى إضافات جديدة فى المعرفة العقلانية لقارئيه ، بل على وجه الخصوص إنهاضاً وإنعاشاً روحياً لهم وبركة لكنيستنا كلها .

وبركة آبائنا الرسل والكارزين القديسين الأوائل الذين أناروا المسكونة بتعاليم مخلصنا الصالح بفضل غيرتهم المقدسة ، تعمل فينا وتدفعنا لكل عمل صالح .

ونعمة ربنا يسوع تعمل معنا وفينا وبنا ولعظمته تعالى الشكر دائماً ،



٩ من مايـو سنة ١٩٨٧ م
أول بشنس سنة ١٧٠٣ ش
تذكار ميلاد أمنا العذراء مريم والدة الإله .

أهم مراجع الكتاب

١ - **الكتاب المقدس** بلغات وترجمات وطبعات مختلفة .

٢ - الصادق الأمين فى أخبار القديسين ــ جزءان (القاهرة ١٩١٣) .

٣ - سنكسار الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ــ جزءان (القاهرة ١٩٣٥) .

٤ - **مكسيموس مظلوم** : الكنز الثمين فى أخبار القديسين ــ ثلاثة أجزاء (بيروت ١٨٦٦) .

٥ - **بطرس فرماج اليسوعى** : مروج الأخيار فى تراجم الأبرار (بيروت ١٨٨٠) .

٦ - **الأرشمندريت ميشيل عساف** : سنكسار الروم الكاثوليك ــ ١٣ جزء (حريصه ــ لبنان) .

٧ - اللقان والسجدة (طبعة ثانية ١٩٥٧) .

٨ - الأسقف **إيسيذوروس** : الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة (القاهرة ١٩٢٣) .

٩ - **أغناطيوس أفرام الأول** برصوم (البطريرك) : الدرر النفيسة فى مختصر تاريخ الكنيسة (حمص ١٩٤٠) .

١٠ - **سويريوس يعقوب توما** : تاريخ الكنيسة السريانية الأنطاكية ــ الجزء الأول (بيروت ١٩٥٣) .

١١ - الكنيسة الأرمنية ــ نشرة رسمية لبطريركية الأرمن فى انطلياس (بيروت ١٩٣٦) .

١٢ - تاريخ سوريا جـ ٢ مجلد ٣ .

١٣ - **سليم سليمان** : مختصر تاريخ الأمة القبطية .

١٤ - **شحادة خورى ونقولا خورى** : خلاصة تاريخ كنيسة أورشليم الأرثوذكسية (القدس ١٩٢٥) .

١٥ ـ **الخورى عيسى أسعد** : الطرفة النقية من تاريخ الكنيسة المسيحية (حمص ١٩٢٢) .

١٦ ـ **موسهيم** : تاريخ الكنيسة المسيحية القديمة والحديثة (بيروت ١٨٧٥) ـ وهو ترجمة عربية للأصل الألمانى الذى طبع فى ألمانيا سنة ١٧٥٥ .

١٧ ـ **الأنبا أغريغوريوس** : مذكرات لطلبة الكلية الإكليريكية عن الأ بيونية .

١٨ ـ **الأنبا شنوده** : ناظر الإله الإنجيلى مرقس الرسول (القاهرة ١٩٦٨) .

١٩ ـ **القمص شنوده السريانى** : الإستشهاد فى المسيحية (القاهرة ١٩٦٩) .

٢٠ ـ **كيرلس مقار** : الوضع الإلهى فى تأسيس الكنيسة (القاهرة ١٩٢٥) .

٢١ ـ **أسد رستم** : كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى جـ ١ (بيروت ١٩٥٨) .

٢٢ ـ **أسد رستم** : نحن وروما والفاتيكان (بيروت ١٩٥٩) .

٢٣ ـ **أسد رستم** : آباء الكنيسة فى القرون الثلاثة الأولى (١٩٦٢) .

٢٤ ـ **أسعد منصور** : مرشد الطلاب إلى جغرافية الكتاب (١٩٠٥) .

25 - Josephus (Flavius), The Antiquities of the Jews.

The Wars of the Jews.

26 — 30 - The Writings of the Ante-Nicene Fathers (Vols. 1,3,4,7,10)

— Ancient Liturgies.

— St. Clement of Rome, Epistle to the Corinthians.

— St. Ignatius, Epistle to the Ephesians, Magnesians, Trallians, Romans, Philadelphians, Smyrneans and to Polycarp.

— St. Polycarp, Epistle to the Philippians.

— Barnabas, Epistle.

— Papias, Fragments from his book "The Oracles of the Lord".

— Justin Martyr, The First Apology; Dialogue with Trypho the Jew.

— Irenaeus, Against Heresies.

— The Teaching of the Twelve Apostles (Didache).

— Constitutions of the Holy Apostles.

— Writings of Tertullian.

— Writings of Origen.

31 — 35 - The Writings of the Post Nicene Fathers.

(first series) Vols. 11, 12, 13.

— St. John Chrysostom:

Homilies on the Acts of the Apostles.

Homilies on first and second Corinthians, Galatians. Philippians, Timothy and Titus.

(Series Two, Vols. 1, 3.)

— Eusebius of Caesarea, The Church History.

— St. Jerome, Lives of Illustrious Men.

Letters.

— Refinus, A Commentary on the Apostle's Creed.

36 — 43 - Smith, Dictionary of the Bible, 4 Volumes (London 1893).

Dictionary of Christian Biography, 4 Volumes (London 1887).

44 — 45 - Hastings (James),

Encyclopaedia of Religion and Ethics, 13 Volumes (Edinburgh 1908).

Dictionary of the Bible (Edinburg 1954).

46 - Schaff (Philip), Dictionary of Biblical, Historical, Doctrinal and Practical Theology (Edinburgh 1883).

47 - Young (Robert), Analytical Concordance to the Bible (twenty second edition).

48 - Vaughan, The Church of the First Days, Vol. I, (London 1865).

49 - Rawson Lumby, The History of the Creeds (Cambridge 1873).

50 - E. De Pressensé; The Early Years of Christianity, Vol. I, (London 1880)

51 - Pére Marin de Boylesve, Le Pape et l'Eglise (Paris 1888).

52 - Charles Gore, The Incarnation of the Son of God (New York 1891).

53 - Fisher, The Beginnings of Christianity (New York 1897).

54 - James Thomas, The First Christian Generation.

55 - Salmon (George), A Historical Introduction to the Study of the Books of the New Testament (London 1899).

57 - Kelly (Herbert), A History of the Church of Christ, Vol. I, (London 1901).

58 - Hilprecht, Exploration in Bible Lands (Edinburgh 1903).

59 - Exell (Joseph), The Biblical Illustrator - The Revelation (London 1907).

60 - Roland Allen, Missionary Methods, St. Paul or Ours (London 1912).

61 - Berkhof, New Testament Introduction (Michigan 1915).

62 - Paterson Smyth, The Story of St. Paul's Life and Letters.

63 - Hill (W.B.), The Apostolic Age (London 1922).

64 — 65 - Canon Sell, Jewish Sects (Madras 1927).

The Talmud, Mishnah and Midrash (Madras 1928).

66 - The History of Christianity in the Light of Modern knowledge (collective work) (London 1929).

67 - Torrance (Thomas); The Doctrine of Grace in the Apostolic Fathers (London 1948).

68 - F.E. Vokes, The Riddle of the Didaché (London 1948).

69 - Karl Kautsky, Foundations of Christianity (New York 1953).

70 - Joseph Angus; The Bible Handbook.

71 — 72 - Latourette, A History of the Expansion of Christianity, Vol. I, (London 1953).

A History of Christianity (New York 1953).

73 — 74 - Harnack (Adolf), The Mission and expansion of Christianity in the first three centuries (New York 1962).

History of Dogma.

75 - Schaff (Philip), History of the Christian Church Vol. I, (Michigan 1955).

76 - Carrington (Philip), The Early Christian Church, Vol. I, (Cambridge 1957).

77 - Gibbon (Edward), The Triumph of Christendom in the Roman Empire (being the Chapters 15-20 of the History of the Decline and fall of the Roman Empire) (New York 1958).

78 — 79 - Weiss (Johannes), Earliest Christianity, Vol. 1,2 (New York 1959).

80 — 81 - Daniélou (Jean), The Bible and the Liturgy (London 1960).

The Christian Centuries, Vol. I, (London 1964).

82 - G. Vermes, The Dead Sea Scrolls (Britain 1962).

83 — 85 - Wuest (Kenneth), The Pastoral Epistles in the Greek New Testament.

First Peter in the Greek New Testament.

Studies in the Greek Text of 2 Peter; 1, 2, 3 John and Jude.

86 - Austin Farrer, The Revelation of St. John the Divine (Oxford 1964).

87 - Lebreton et Zeiller, L'Eglise Primitive (Paris 1964).

88 - Wright and Fuller, The Book of the Acts of God (Britain 1965).

89 - Annie Jaubert, Les Premiers Chrétiens (Paris 1967).

90 - J. Bartholomew, The Oxford Advanced Atlas (Oxford 1942).

91 - Wright and Filson, The Westminster Historical Atlas to the Bible (Philadelphia 1945).

92 - May, Oxford Bible Atlas (London 1962).

محتويات الكتاب

صفحة

الباب الرابع

الباب الخامس

الباب السادس

الباب السابع

الباب الأول



لماذا ندرس تاريخ الكنيسة ؟

قبل أن نخوض فى بحث تاريخ الكنيسة فى عصرها الرسولى ، نتوقف قليلاً لنعرف الإجابة على هذا السؤال . ومنه سيتضح أن دراسة تاريخ الكنيسة ليست دراسة جافة كما يتصورها البعض ، بل إنها تفتح آفاقاً ، تعيننا فى العمل على مجد الله ، وخلاص نفوسنا .... ونجمل إجابة السؤال فيما يلى :

١ ـ إننا بدراستنا لتاريخ الكنيسة المسيحية ، إنما ندرس موضوع ملكوت الله على الأرض ... قيام هذا الملكوت واتساعه من أجل مجد الله وخلاص البشر...

٢ ـ فتاريخ الكنيسة إذن هو الوصف الأمين لأصل وامتداد هذا الملكوت ... ويهدف إلى أن يعيد إلى الأذهان ، ويجسم بالكلمات تطور هذا الملكوت الخارجى والداخلى حتى وقتنا الحاضر ... إنه والحال هذه ، تفسير مستمر لمثل رب المجد عن حبة الخردل ، والخميرة التى خمرت العجين كله (مت ١٣ : ٣١-٣٣) ... فمثل حبة الخردل يظهر مدى وكيفية إنتشار المسيحية فى العالم ، بينما مثل الخميرة يظهر فعالية المسيحية القوية فى تقديس الحياة الداخلية ...

٣ ـ وثمة ناحية أخرى يظهرها تاريخ الكنيسة ويؤكدها لنا ... انه يظهر الله دائماً أقوى من كل قوى الشر ، وأن مملكة النور تكشف وتخجل دائماً مملكة الظلمة ، وأن الأسد الخارج من سبط يهوذا قد سحق ، ويسحق دائماً رأس الحية ... انه يؤكد كل يوم الدرس الذى قدمه لنا حادث صلب المسيح وقيامته ، فى الباطل الذى قد ينتصر على الحق وقتياً ، والحق الذى لابد وأن يظفر نهائياً ...

٤ ـ هكذا يصبح تاريخ الكنيسة أفضل تفسير للمسيحية ذاتها ، لأنه يبين التطور الأدبى والدينى للجنس البشرى ، والخطة الإلهية للفداء . كما أنه يستمد قيمته وأهميته باعتباره المدخل لحالة المسيحية الآن ، والمرشد للعمل الناجح فى كرمها ... فالحاضر هو ثمر الماضى وأساس المستقبل .

٥ - وتاريخ الكنيسة ليس مجرد فصول لمعرفة أخبار السلف ... وحقائقه ليست مجرد عظام بالية . بل أنه يشتمل على حقائق حية ، ومبادىء وقوانين لإرشادنا ... ومَنْ يدرس تاريخ الكنيسة ، فإنما يدرس المسيحية ذاتها فى كل أوجهها ، والطبيعة البشرة تحت سلطانها .

٦ - وتاريخ الكنيسة له قيمة كبرى لكل مسيحى كمستودع للتحذير والتشجيع والتعزية والنصح ... إنه فلسفة الحقائق ، والمسيحية مقدمة لنا فى أمثلة حية ... وإذا كان بولس الرسول فى رسالته إلى العبرانيين يصف فى فصاحة بالغة سحابة الشهود المحيطة بنا — والتى تتألف من شخصيات بعض أبرار العهد القديم ، بقصد تشجيع المؤمنين (عب ١١ ، ١٢ : ١) ، فنحن بدراستنا لتاريخ الكنيسة المسيحية إنما نضع أمامنا — ولنفس الغرض — سحابة أكبر تضم الرسل والإنجيليين والشهداء والمعترفين والآباء القديسين والنساك المتعبدين ، جمهور المؤمنين الصديقين فى كل عصر وأمة ولغة منذ نشأة الكنيسة إلى وقتنا الحاضر ... هؤلاء هم أبطال الإيمان والحب المسيحى ... رسالة المسيح الحية ، نور العالم وملح الأرض . ولا يمكن بطبيعة الحال أن نتعزى بإيمانهم ، ونتشجع بمثالهم ، ما لم ندرس أفكارهم وحياتهم وأعمالهم وجهاداتهم . بذلك فقط نحذو حذوهم ، وبنعمة الله ننضم إلى صفوفهم ...

أهمية دراسة تاريخ العصر الرسولى :

إذا كنا قد رأينا مدى أهيمة دراسة تاريخ الكنيسة بصفة عامة ، **فلاشك أن للعصر الرسولى أهيمة خاصة نجملها فيما يلى** (١) :

١ - للعصر الرسولى أهمية خاصة من كل النواحى المتعلقة بالمسيحية كديانة ، ومن ثم فقد إهتم الباحثون بدراسة تاريخه . ومصدر هذه الأهيمة ، هو أن حياة السيد المسيح هى النبع الأصلى للديانة المسيحية ، وتبعاً لذلك **فقد إعتبر العصر الرسولى المصدر الأصيل للكنيسة المسيحية ، كمجتمع منظم منفصل ومتميز**

(1) Schaff; Vol 1, pp. 198, 199.

عن مجتمع اليهود ... وفضلاً عن ذلك **فانه عصر الروح القدس ، عصر الإلهام والتشريع لكل العصور التى تلته ، والنافذة التى نطل منها على المسيحية الأصيلة فى مبادئها ، القوية فى إيمانها ، الإلهية فى كيانها ...**

٢ ـ **يقدم لنا صورة أمينة لحيوية المسيحية وفعاليتها ونقاوتها** ... ففيه نقرأ **كيف** إستطاعت المسيحية ــ بقوة فائقة للطبيعة ، وبعلامات وعجائب وإثباتات غير **مألوفة** لروح العصر ــ أن تجدد الخليقة الساقطة سواء اليهود أو الوثنيين ، **بطريقة** تدريجية وتفاعل هادىء .

٣ ـ **يقدم لنا إثباتاً قوياً واضحاً على أن المسيحية كديانة ، إنما هى عمل إلهى فائق للطبيعة** ... فعلى الرغم من أن الكنيسة فى سعيها الحثيث لنشر رسالتها فى تاريخها المبكر ، كانت كالطفل الذى يحبو على الشوك ... وعلى الرغم من أنها ــ فى تلك الفترة العصيبة من تاريخها ــ كانت بلا سند من قوة زمنية ، **فقد** إستطاعت ــ بقوة مؤسسها الذى وعدها أن أبواب الجحيم لن تقوى عليها ــ أن تثبت أمام جماعات اليهود بمكرهم وتعصبهم ، وجحافل الوثنيين بملوكهم وحكامهم ... إنه أمر يدعو للدهشة ، أنه فى خلال قرون قليلة من مولدها ، إستطاعت المسيحية أن تنال ولاء غالبية شعوب الإمبراطورية الرومانية فى كل العالم القديم . بل أن الدولة نفسها سعت للتحالف معها ... لقد بدت المسيحية متواضعة فى مظهرها الخارجى ، لكنها كانت يقظة لأصلها الإلهى . لم يكن لها ذهب ولا فضة ، لكنها كانت غنية فى مواهبها وقواتها الفائقة للطبيعة ... قوية فى الإيمان ، حارة فى الحب ، فرحة فى الرجاء ... لقد فرضت نفسها على مسرح التاريخ كالحق الوحيد ، والدين الكامل لكل شعوب الأرض .

٤ ـ وثمة أمر بالغ الأهمية بالنسبة لدراسة تاريخ العصر الرسولى . فلقد كان السيد المسيح يحدث تلاميذه أحاديث كثيرة ، وصنع قدامهم آيات عظيمة لم تدون فى الإنجيل (يو٢٠ : ٣٠) . كما أنه بعد قيامته المجيدة كان يظهر لهم مدة أربعين يوماً يحدثهم عن الأمور المختصة بملكوت الله (أع١ : ٣) ، ولم يدون كاتبو الأناجيل هذه الأحاديث . **أضف إلى هذا أن التعليم المسيحى فى عصر الرسل**

قدم للناس شفوياً — وهو ما يعرف باسم التقليد ... ودراسة ذلك العصر تطلعنا على هذه التقاليد ، وكل ما سلمه الرسل شفاهاً ...

٥ - يضاف إلى هذا كله ، أن **العصر الرسولى يقدم لنا نماذج لشخصيات مسيحية عملاقة ،** وخاصة فى ميدان الخدمة والتبشير ... شخصيات إستنارت عقولهم بالروح القدس . وتأيدوا بقوة فى الإنسان الباطن . ولا شك أن فى هذا خير حافز على العمل والجهاد ...

المصادر التاريخية الأصيلة للعصر الرسولى :

ويمكن إجمال هذه المصادر القديمة الأصيلة فيما يلى (٢) :

١ - **أسفار العهد الجديد المقدسة جميعها بصفة عامة ، وسفر أعمال الرسل بصفة خاصة** ... فبينما يمدنا سفر الأعمال بمعلومات عن تاريخ الكنيسة الخارجى ، فإن رسائل الرسل تسجل تاريخها من الداخل . لكن إعتمادنا الكبير من غير شك فى دراسة تاريخ الكنيسة فى العصر الرسولى — وبخاصة فى الفترة الأولى — يعتمد على سفر أعمال الرسل ، بل انه يعتبر المصدر الرئيسى للنصف الأول من العصر الرسولى .

٢ - **كتابات التعليم والقوانين المنسوبة للرسل مثل** كتاب « تعليم الرسل الاثنى عشر » المعروفة باسم Didache وكتاب الدسقولية Didascalia .

٣ - **كتابات الآباء الرسوليين ،** ويقصد بهم تلاميذ الرسل ، من أمثالهم الآباء القديسين كليمنضس الرومانى وهرماس وبابياس وأغناطيوس وبوليكاربوس .

٤ - **كتابات الأبوكريفا** (غير القانونية) — ويدخل تحت هذا الاسم كتابات كثيرة غير قانونية كتبت فى وقت متأخر قليلاً أو كثيراً عن العصر الرسولى ،

---

(2) Schaff, Vol. 1, pp. 187-189; Carrington, Vol. 1, pp. 13-15.

ونسبت للرسل ، وتحوى رسائل ورؤى وأعمال ... وهذا ــ وإن كانت الكنيسة ترفضها كأسفار قانونية ــ لكن يمكن الإستعانة بها من الناحية التاريخية ، فى إمدادنا بصورة عن ذلك العصر .

٥ - **المصادر اليهودية** ، وأهمها كتابات فيلو Philo الفيلسوف اليهودى الاسكندرى ، و يوسيفوس المؤرخ اليهودى الذى عاصر خراب أورشليم ، فى كتابيه الشهيرين « آثار اليهود » و « حروب اليهود » ... كما يمدنا كتاب « المشنا » Mishna الذى يجمع تعاليم معلمى اليهود فى القرن الأول ، بصور ومعلومات عن عدد الرسل وطريقة تعليمهم ونظام الكنيسة الأولى والعبادة فيها .

٦ - **الكتّاب والمؤرخون اللاتين الوثنيون** من أمثال تاكيتوس Tacitus وسوتونيوس Suetonius و بلينى Pliny .

٧ - **كتابات آباء القرن الثانى** (الجيل التالى لتلاميذ الرسل) ، من أمثال يوستينوس الشهيد وإيريناوس وهيجيسبوس Hegesippus الذى فقد كتابه ، لكن هناك إقتباسات منه فيما كتبه إيرنياوس و يوسابيوس وإبيفانيوس .

٨ - **المؤرخون الكنسيون** ، وأشهرهم يوسابيوس القيصرى الذى كتب تاريخاً للكنيسة فى عشر كتب ، من تجسد الكلمة حتى سنة ٣٢٤ ، العمل الذى لأجله نال لقب [أبو التاريخ الكنسى] .

٩ - **المخلفات الأثرية** أينما وجدت سواء كانت فى أماكنها الأصلية أو المتاحف المختلفة . واليوم بفضل العديد من الإكتشافات أمكن إضافة معلومات أخرى عن تلك الفترة المبكرة من تاريخ المسيحية . ومن هذه مخطوطات البحر الميت ، وكذا إكتشافات نجع حمادى خصوصاً ما يسمى إنجيل توما وهو من كتب الأبوكريفا .

ما المقصود بالعصر الرسولى ؟

إصطلح على إطلاق تسمية « **العصر الرسولى** » على الفترة الزمنية التى عاش فيها رسل ربنا يسوع المسيح ، وكرزوا فيها بالإيمان المسيحى . ويشغل هذا العصر نحو سبعين عاماً ، من وقت تأسيس الكنيسة المسيحية فى يوم الخمسين سنة ٣٠ م ، إلى نياحة القديس يوحنا الإنجيلى الرسول حوالى سنة ١٠٠ م ، وهو أكثر مَنْ عمّر من الرسل ...





قبل أن نخوض فى تاريخ العصر الرسولى لنتعرف على معالمه ، نحتاج إلى وقفة ، لنلقى نظرة على العالم الذى ولدت فيه الكنيسة المسيحية ... فهذا العالم هو الذى تعاملت معه الكنيسة وتفاعلت وتصارعت ... من الناحية الدينية كان العالم ينقسم إلى قسمين متميزين : يهود ووثنيين (٣) . أما من الناحية السياسية فنجد الإمبراطورية الرومانية كوحدة كبيرة متماسكة منظمة ، شغلت ممتلكاتها أجزاء كبيرة من العالم القديم .

لذا سنتكلم عن اليهود بأحوالهم وطوائفهم وأنظمتهم ، ثم عن العالم الوثنى بفساده ورذائله ، وأخيراً نلقى نظرة على الإمبراطورية الرومانية ...



١ ـ حالتهم السياسية :

منذ أن دخل القائد الرومانى بومبى أورشليم ظافراً سنة ٦٣ ق . م ، صار اليهود خاضعين سياسياً للرومان الوثنيين . أقام بومبى حاكماً يهودياً على البلاد تحت إشراف ممثل روما ... وكان هذا عاملاً قوياً فى إشتعال رجاء اليهود فى المسيا المخلص ، لكن بمفهوم مادى ، فتطلعوا إلى منقذ سياسى يعيد مملكة داود ، على مستوى مجد عالمى .

---

(٣) يعبر القديس بولس عن ذلك بالقول : يهود وأمم ، ختان وغرلة ، يهود ووثنيين ..

٢ ـ حالتهم الاقتصادية والاجتماعية :

كانت سيئة للغاية ... والأمثلة التى ساقها الرب يسوع ــ وإن كان قد قصد بها معانى روحية ــ لكنها تصور لنا هذه الحالة خير تمثيل ... فمثل صديق نصف الليل (لو١١ : ٥-٧) ، والدرهم المفقود (لو١٥ : ٨، ٩) . ووصفه للفقراء فى مثل العشاء والمدعوين (لو١٤ : ٢١، ٢٣) والعمال البطالين فى السوق طوال اليوم فى مثل الفعلة وصاحب الكرم (مت ٢٠ : ١-٧) إنما تعكس لنا صورة حية نابضة عن حالة الطبقة الكادحة فى المجتمع اليهودى إبان قيام الكنيسة المسيحية ... يقابل هذه الطبقة المعدمة ، فئة من كبار الملاك الأثرياء الذين لم يكن لهم سوى زيادة ثرواتهم ، غير مبالين بالفقراء . وقد صور الرب هذا التناقض الصارخ بين الفريقين فى مثل الغنى الذى أخصبت كورته ولم يفكر إلاَّ فى ذاته وفى كنز ثروته (لو١٢ : ٦-٢١) .

أضف إلى هذا ، الضرائب التى أثقلت كاهل الشعب ... فمن ضرائب كانت تجبى لحساب روما يجمعها العشارون بقسوة وإذلال وظلم ، إلى ضرائب دينية متنوعة . كان عليهم تقديمها إلى الهيكل وإلاَّ إتهموا بالخروج على الناموس ...

من أجل ذلك كله ساءت أحوال اليهود الإقتصادية وانتشرت البطالة ، واضطر البعض إلى إحتراف السرقة والإجرام . وكانوا يتخذون من طرق فلسطين الجبلية المقفرة مسرحاً لجرائمهم ... ولعل المثل الذى قدمه المسيح عن الإنسان الذى كان مسافراً من اورشليم إلى أريحا ووقع بين اللصوص فعروه وجرحوه وتركوه بين حى وميت (لو١٠ : ٣٠) ، إنما يصور هذه الحالة أيضاً .

٣ ـ حالتهم الدينية والأدبية :

كان اليهود من الناحية الأدبية يفضلون الأمميين [٤] الوثنيين بكثير ...

(٤) « الأمم » لقب أطلقه اليهود على الشعوب الوثنية ، على نحو ما أطلق الرومان لقب « برابرة » على غير الرومان ، وكما أطلق العرب لقب « أعجمى » على غير العربى .

لكنهم تحت مظهر الطاعة الشديدة لناموسهم ، كانوا يخفون فساداً مريعاً . وقد دعوا فى العهد الجديد « أولاد الأفاعى » (مت ٣ : ٧) ، « أولاد إبليس » (يو٨ : ٤٤) ، « قساة الرقاب وغير المختونين بالقلوب والآذان » (أع ٧ : ٥١) . و يوسيفوس مؤرخهم ، الذى كان يهمه أن يظهر مواطنيه لليونان والرومان فى صورة مشرقة ، يصفهم فى القرن الأول ، بأنهم شعب فاسد شرير ، إستحقوا بعدل العقاب المخيف فى خراب أورشليم .

أما من الناحية الدينية ، فقد تمسكوا بحرفية الناموس وبتقاليدهم دون أن يفهموا روح الشريعة أو يعرفوا قوتها ... كانوا يتحفظون تحفظ الخوف من الوثنيين ، ولذا فقد نالوا إحتقارهم كأعداء للجنس البشرى ... ومع ذلك **فقد** إستطاعوا بكفاحهم وحصافتهم ، أن يجمعوا ثروات طائلة ، **وأن تكون لهم مكانة فى** بعض المدن الكبيرة فى الإمبراطورية الرومانية (٥) .

وعلى الرغم من تمسكهم بالناموس الذى يمنعهم من الإتصال بالأمم الأخرى فإنهم تحت ضغط الظروف السياسية التى مروا بها إنتشروا فى العالم أجمع حتى أنه فى خلال العصر الرسولى ، كان لا يخلو إقليم فى الإمبراطورية الرومانية كلها من وجود جالياً يهودية (٦) .

وتبعاً لهذا الإختلاط بالأمم ، أصبحت لغة فلسطين ـــ التى توالى عليها حكم الأجانب خاصة بعد فتح الاسكندر الأكبر (٧) ـــ يجهلها كثير من اليهود . وصارت اليونانية مألوفة ومتداولة كاللغة الآرامية فى مدن اليهودية .

---

(5) Schaff, Vol. 1, pp. 63, 64.

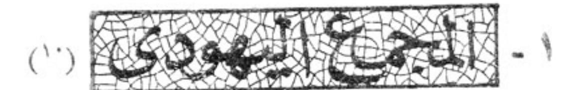
(٦) عبر عن ذلك القديس يعقوب فى مجمع أورشليم حينما قال « لأن موسى منذ أجيال قديمة ، **له فى كل مدينة** مَنْ يكرز به ، إذ يقرأ فى المجامع كل سبت » (أع ١٥ : ٢١) .

(٧) خضعت بلاد اليهودية منذ سنة ٣٣٠ ق . م إلى سنة ١٦٧ ق . م للحكم الاغريقى (الاسكندر الأكبر والبطالمة والسلوقيين) . ثم قامت ثورات المكابيين (١٦٧ ـــ ١٤١ ق . م) لأجل الاستقلال القومى . ثم أسس المكابيون دولة دينية (١٤١ ـــ ٦٣ ق . م) . ومنذ سنة ٦٣ ق . م خضعت للحكم الرومانى بعد أن دخلها القائد بومبى ظافراً .

ومنذ القرن الأول قبل الميلاد ، خرج اليهود عن مألوفهم ، وتحولت اليهودية من ديانة متحوصلة إلى ديانة كارزة ، لها إرساليات تعمل ، الأمر الذى أشار إليه السيد المسيح بقوله للكتبة والفريسيين : « تطوفون البحر والبر لتكسبوا دخيلاً واحداً » (مت ٢٣ : ١٥) ... وعلى الرغم من هذه الجهود ، فقد كان عدد المتهودين ضئيلاً . وفضل الوثنيون ـــ ممَنْ أعجبوا بأدبيات اليهود ـــ أن يظلوا على الهامش « كخائفى الله » (٨) ، لأنهم لم يكونوا مستعدين للخضوع لقيود الناموس الطقسى الشديد (٩) ... وكان هؤلاء يحضرون المجامع اليهودية كموعوظين ... ولعل مما ساعد على حركة الإنضمام هذه ، الترجمة السبعينية للعهد القديم من العبرية إلى اليونانية التى تمت فى عهد وبرغبة بطليموس الثانى ملك مصر (٢٨٥ ـــ ٢٤٦ ق . م) لمنفعة شعبه من اليهود الذين كانوا يجهلون العبرية .

* * *

والآن نعرض للمجامع اليهودية التى يتردد ذكرها كثيراً فى أسفار العهد الجديد ، وكان لها أثر كبير فى تلك الفترة المبكرة من تاريخ الكنيسة ، ثم نعرض لبعض الطوائف والمفاهيم اليهودية :

١ -  (١٠)

كان هو المركز المحلى لحياة اليهود الدينية والاجتماعية ... كان مدرسة ومعبداً وحارساً لكل تراثهم . وقد إزدادت أهميته بعد خراب هيكل أورشليم سنة ٧٠ م ... بدأت المجامع اليهودية تاريخياً من وقت السبى وعزرا ، وإن كان اليهود يحاولون إرجاعها إلى مدارس الأنبياء ، بل إلى زمان البطاركة الأولين . وفى العصر الرسولى كان المجمع قد إكتمل نظامه واستخدمه اليهود كقاعدة للتعليم الشعبى ...

(٨) انظر : أع ١٣ : ٤٣ ، ٥٠ ؛ ١٦ : ١٤ ؛ ١٧ : ٤ ، ١٧ ؛ ١٨ : ٧ .

(9) The book of the Acts of God, pp. 228, 229.

(10) Schaff, Vol 1, pp. 456-460.

وكلمة مجمع Synagogue ككلمة كنيسة ، تعنى الشعب والبناء ، حيث يجتمع الشعب للعبادة العامة . كان لكل مدينة مهما صغرت مجمع ، أو على الأقل مكان للصلاة فى منزل خاص أو فى الهواء الطلق . وكان المكان يختار عادة قرب نهر أو شاطىء بحر لتسهيل الغسلات الطقسية . وقد صور سفر الأعمال إنتشار المجامع اليهودية بقوله : « لأن موسى منذ أجيال قديمة له فى كل مدينة مَنْ يكرز به ، إذ يُقرأ فى المجامع كل سبت » (أع ١٥ : ٢١) ...

ووفقاً للتقليد اليهودى ، كان يكفى وجود عشرة رجال فى مكان ما ليؤسسوا إجتماعاً دينياً ... وإقامة مجمع ، كانت تعد عملاً صالحاً يذكر بالخير (لو ٧ : ٥) ... هكذا إنتشرت المجامع اليهودية فى أماكن كثيرة . وكان هناك عديد منها فى المدن الكبيرة كالاسكندرية وروما . أما أورشليم وحدها فكان بها نحو أربعمائة مجمعاً للطوائف المختلفة واليونانيين من الأقطار الأخرى (أع ٦ : ٩) .

وصـــف البنـــاء :

كان عبارة عن بهو فسيح قائم الزوايا ، ليس له طراز معمارى خاص . أما ترتيباته من الداخل فتشبه إلى حد ما خيمة الإجتماع والهيكل . كانت فيه مقاعد ، خصصت المرتفعة منها للشيوخ والأعضاء الموسرين (مت ٢٣ : ٦ ؛ يع ٢ : ٢ ، ٣) وكان فيه منبر أو ما يشبه المنجلية للقراءة ، وتابوت خشبى أو مقصورة لحفظ الكتب المقدسة ، وكانت تسمى Copheret أو كرسى الرحمة أو هارون .. وهذه تقابل قدس الأقداس فى خيمة الإجتماع والهيكل . وكان هناك ضوء مقدس يحتفظ به مشتعلاً دائماً ، رمزاً للناموس المقدس ، ويقابل الضوء الذى كان موجوداً فى الهيكل ... ويوجد صندوقان للعطاء موضوعان بجوار الباب كما كان الحال فى الهيكل ، أحدهما لفقراء أورشليم [11] ، والآخر للإحسانات المحلية ... كانت لا توجد زخارف للتزيين ـــ ما عدا النباتات ـــ لأن الوصية الثانية من الوصايا العشر تنهى

---

(١١) لقد نهج القديس بولس نفس هذا النهج حينما كان يجمع من كنائس الأمم صدقات لفقراء أورشليم المسيحيين .

بشدة عن الصورة كشيء وثنى . وكان البناء يقام على أعلى بقعة فى المنطقة . ولم يكن مسموحاً لأى منزل أن يتجاوز فى إرتفاع المجمع . وفى حالة عدم وجود أرض مرتفعة لإقامة المجمع عليها ، كان يثبت عمود خشبى طويل فى سقف البناء ، لكيما يجعله ظاهراً .

التنظـــيم :

كان لكل مجمع رئيس (١٢) ، وعدد من الشيوخ Zekenim مساوين له فى الرتبة ، وقارىء ومترجم . وقد بدىء فى إستخدام المترجم عقب العودة من السبى البابلى ليترجم الدروس من العبرية إلى الكلدانية أو الآرامية ، أو اليونانية أو اللغات الوطنية الأخرى . كما كان لكل مجمع شخص أو أكثر يرسلون فى مهام بسيطة تحتاج إلى إنتقال ، ويدعون « مبعوثين » sheliach وقندلفت chazzan أو خادم للخدمات اليدوية البسيطة (لو٤ : ٢٠) . كما كان يوجد خدام لجمع الصدقات وكانوا يسمون gabae zedaka ومهمتهم جمع الصدقات ... وكان المجمع عبارة عن هيئة قضاء دينية ، لها السلطة أن تطرد وأن توقع عقوبات على المذنبين ، قد تصل إلى الجلد (١٣) ... كان بكل مجمع عشرة رجال أثرياء يحضرون كل خدماته ويمثلون الشعب . وكان كل مجمع مستقلاً داخلياً ، لكنه فى نفس الوقت ، كان على صلة منتظمة بالمجامع الأخرى .

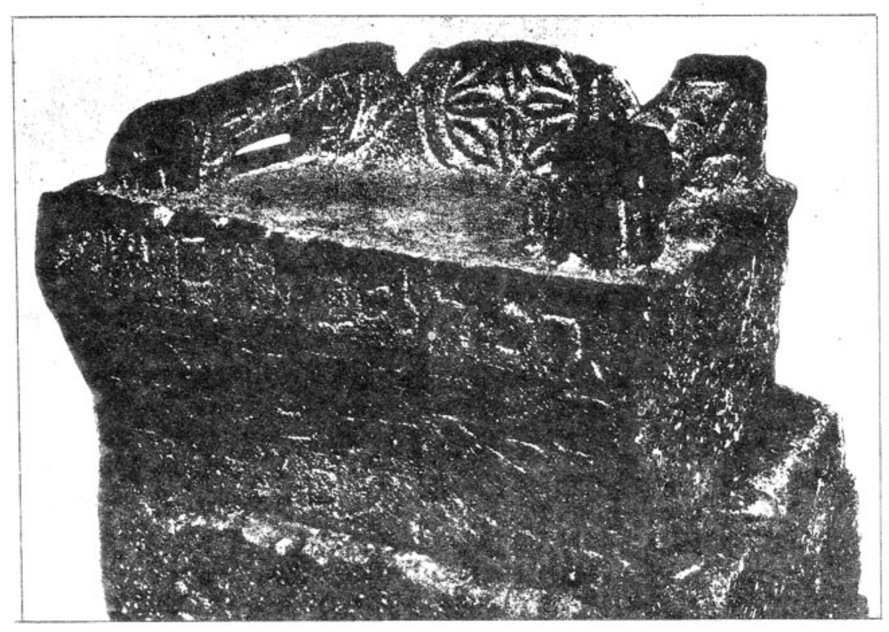
العبـــادة :

كانت بسيطة لكنها طويلة ، وتتميز بها ثلاثة عناصر : عنصر تعبدى ، وعنصر تعليمى ، وعنصر طقسى ... كما إشتملت على صلوات وأناشيد وقراءات وشرح للأسفار المقدسة ، وطقس الختان ، وغسلات طقسية .

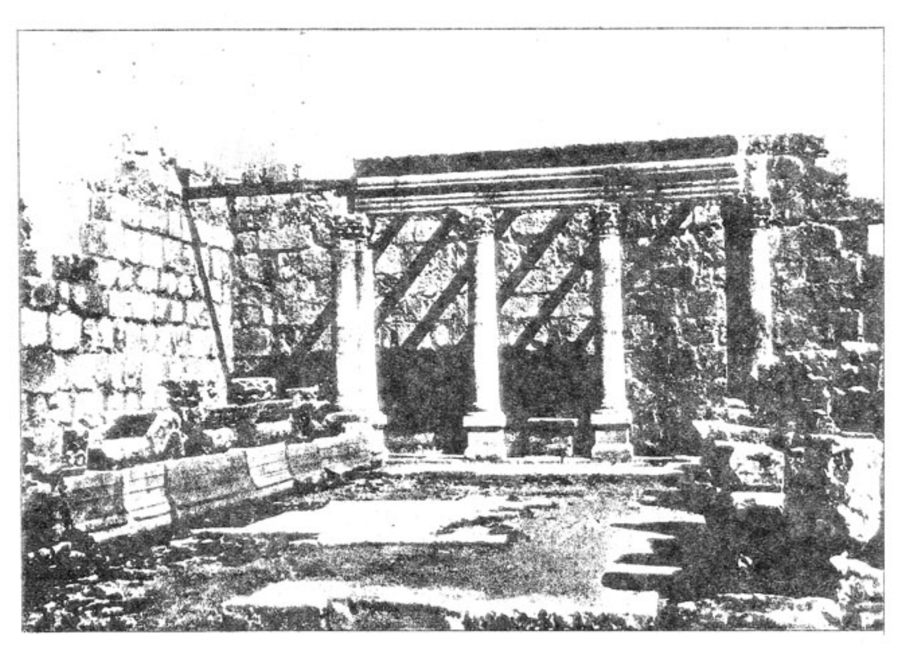
---

(١٢) مر ٥ : ٣٦ ، ٣٨ ؛ لو ٨ : ٤٩ ؛ ١٣ : ١٤ ؛ أع ١٨ : ٨ ، ١٧ .

(١٣) مت ١٠ : ١٧ ؛ لو ١٢ : ١١ ؛ يو ٩ : ٣٤ ؛ أع ٢٢ : ١٩ .



كرسى موسى ــ حيث يجلس المعلمون فى المجمع اليهودى
« على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون » (مت ٢٣ : ٢)



بقايا مجمع يهودى فى كفر ناحوم يرجع إلى القرن الثالث الميلادى

أما الذبائح الدموية فكانت قاصرة على الهيكل بأورشليم، وبطلت بخرابه وهدمه ... كانت الصلوات والأناشيد تؤخذ أساساً من المزامير. وكانت الصلاة الإفتتاحية تتألف من بركتين افتتاحيتين، إحداهما قراءة الوصايا العشر، والثانية قراءة بعض أجزاء من أسفار موسى الخمسة (١٤) ... يتلو ذلك الثمانى عشرة صلاة والبركات، وكان يتلوها قارىء، ويجاوبه الشعب «آمين» ... وهذه إحدى الصلوات :

« إمنحنا سلاماً وسعادة وبركة ونعمة ورحمة، وترأف علينا وعلى شعبك إسرائيل. باركنا كلنا يا أبانا متحدين بنور رضاك. لأنه فى نور رضاك أيها الرب إلهنا أنت أعطيتنا ناموس الحياة والرأفة والعدل والبركة والحنو والحياة والسلام. ليتك تبارك شعبك إسرائيل بالسلام ».

كان الجزء التعليمى والوعظى من العبادة مؤسساً على الأسفار اليهودية .. كان يُقرأ درس من الناموس وآخر من الأنبياء، و يتبعهما تفسير وعظة باللغة الآرامية الوطنية أو اليونانية. وتختم الخدمة بالبركة، ويجاوب الشعب «آمين». وحيث أنه لم يكن هناك ممارسات كهنوتية خارج هيكل أورشليم، لذا كان يمكن لأى يهودى مسن أن يقف و يقرأ الدروس و يتقدم الصلاة ويخاطب المجتمعين .. وقد انتهز السيد المسيح ورسله فرصة هذا الامتياز الديمقراطى، ليبشروا بالإنجيل الذى فيه تم ما جاء بالناموس والأنبياء (١٥).

كانت أيام الخدمة العامة هى السبت والاثنين والخميس. وساعات الصلاة هى الثالثة والسادسة والتاسعة بالتوقيت العبرى (١٦) .. وكان يفصل بين الرجال والنساء حائط منخفض أو ستار. كان الرجال يجلسون فى ناحية والنساء فى ناحية أخرى كما هو الحال فى كنائسنا اليوم. وكان الناس يتجهون فى الصلاة نحو أورشليم.

---

(١٤) هى : تث ٦ : ٤ - ٩ ؛ ١١ : ١٣ - ٢١ ؛ عد ١٥ : ٣٧ - ٤١ .

(١٥) لو ٤ : ١٧ - ٢٠ ؛ يو ١٨ : ٢٠ ؛ أع ١٣ : ٥ ، ١٥ ، ٤٤ ؛ ١٤ : ١ ؛ ١٧ : ٢ - ٤ .

(١٦) يقابلها التاسعة صباحاً والثانية عشر ظهراً والثالثة بعد الظهر بتوقيتنا الحالى.

٢ - الطوائف اليهودية

صاحب نشأة الكنيسة المسيحية وجود عدة طوائف يهودية . ولقد أظهرت دراسة تاريخ الكنيسة الأولى فى أورشليم مدى تعقيد العالم اليهودى الذى كانت تنمو فيه الكنيسة المسيحية . وسنقصر حديثنا على الطوائف اليهودية الثلاث البارزة : الفريسيين والصدوقيين والأسينيين .

الفريســـيون :

الفريسيون Perushim ، أى المفرزون ــ الذين أفرزوا أنفسهم عن الأمم وكل عوائدهم ــ هم إمتداد لجماعة الحسيديين (الأتقياء) الذين ظهروا فى زمان المكابيين [١٧] ... كان لهم شأن كبير فى زمان السيد المسيح ورسله . اتخذوا لأنفسهم طريقاً ضيقة فى العبادة ، حتى أن القديس بولس الذى عاش قبل تنصره فريسياً يقول عن نفسه : « إنى حسب مذهب عبادتنا الأضيق عشت فريسياً » (أع ٢٦ : ٥) .

يمكن القول إن رسالة الفريسيين كانت رسالة دينية خالصة ، لكن إهتمامهم بالدين لم يمنعهم من خوض غمار السياسة فى بعض الأحيان .. وصفهم

---

(١٧) هؤلاء الحسيديون كانوا ضد النفوذ الهيلينى (الأغريقى) الذى أخذ يتسرب وقتذاك إلى اليهودية بواسطة السلطات الاغريقية ومَنْ مال إليهم . ومن ثم فقد إتحد هؤلاء الحسيديون فى بادىء أمرهم مع المكابيين فى ثورتهم ، وساندوهم لأنهم رأوا فيها محاولة جريئة للحفاظ على الناموس المقدس (مكابيين الأول ٢ : ٤٢-٤٤) . وكان المكابيون يؤلفون جماعة سياسية ، تتطلع إلى قيام دولة دينية يهودية . لكن ما لبث الحسيديون أن انفصلوا عن المكابيين لكسرهم السبت بالحرب فيه (مكابيين الأول ٢ : ٤١) ، ولاخذهم رئاسة الكهنوت التى كانت وقفاً على نسل هارون ... لكن ما لبث الحسيديون أن اختفوا من مسرح الأحداث ، لكن مبادئهم وغيرتهم ظلت غير منسية .. وهكذا مهدوا لظهور جماعة الفريسيين ــ انظر :

Sell, Samaritan and other Jewish Sects, pp. 30-32.

يوسيفوس بأنهم أقوياء جداً ، فخورون بحفظهم لناموس آبائهم بكل دقة ، وبأن الله يحبهم ... كانوا هم — وليس الكتبة — هم مصدر السلطة فى المجمع اليهودى ، حتى أن السيد المسيح قال : **« على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون »** (مت ٢٣ : ٢) . لكنهم إشتهروا بريائهم ، حتى صارت الفريسية علماً على الرياء (انظر متى ٢٣) .

غالباً ما يقترن اسم الفريسيين بالكتبة فى الأناجيل ، فمَنْ هم هؤلاء الكتبة ؟

لم يكن هؤلاء الكتبة طائفة دينية ، لكنهم كانوا أرباب حرفة علمية لها شأنها فى المجتمع اليهودى ... ويبدو أن ظهورهم كجماعة لها كيانها يرجع إلى عصر مبكر كما نستنتج من سفر أخبار الأيام (١أى ٢ : ٥٥) . عرفوا بعد زمان عزرا باسم السفريم Sopherim من كلمة Sopher ومعناها مؤلف أو شخص يعلم كتاب الناموس [١٨] ...

كان الكتبة إذن مع الفريسيين هم معلمو الناموس ... وكانت لهم مكانة عظيمة بين الشعب . إستشهد أحد مقدميهم ويدعى اليعازر لأنه رفض كسر الشريعة (مكابيين الثانى ٦ : ١٨ ، ١٩) . كانوا دائماً على ود مع الفريسيين ، بل كانوا أكثر الشيع اليهودية إتحاداً [١٩] .

الصــــــدوقيون :

ترجع تسميتهم — حسب أرجح الآراء — إلى « صادوق » رئيس الكهنة ، الذى أقامه سليمان ملك إسرائيل (١مل ٢ : ٣٥) . ويشير النبى حزقيال إلى « أبناء صادوق » ، ويصفهم بأنهم أهل لخدمتهم ، ويوثق بهم فى واجباتهم .. **لا نعرف على وجه التحديد زمان قيام هذه الطائفة ، لكن يرجح أنه كان فى**

(١٨) كلمة sepher بالعبرية معناها كتاب ، وهى نفس الكلمة المستخدمة فى العربية « سفر » .

(19) L'Eglise primitive, p. 45.

زمان حكم أنطيوخوس ابيفانس Antiochus Epiphanes ملك السلوقين بسوريا ، الذى أخضع لحكمه بلاد اليهودية ، حيث بدأ الصراع بين اليهودية والهيلينية .. كان التثقف بالثقافة الهيلينية (الأغريقية) الجديدة ، هو الطريق الممهد للثروة والجاه السياسى والترقى فى المناصب ...

وقد إعتنق كثير من القادة الدينيين وأتباعهم وجهات النظر والعوائد الاغريقية ، وتشبعوا بالروح العالمية (٢٠) . ولعل هذا ما أشار إليه سفر المكابيين بقوله : « فى تلك الأيام خرج من إسرائيل أبناء منافقون . فأغروا كثيرين قائلين ، هلم نعقد عهداً مع الأمم حولنا ، فانا منذ إنفصلنا عنهم لحقتنا شرور كثيرة » (مكابيين الأول ١ : ١٢) .

كان الصدوقيون يمثلون أرستقراطية الكهنوت ، الذين أمسكوا بمقاليد السلطة فى الشئون اليهودية ابان سيطرة الفرس ثم خلفاء الاسكندر (البطالمة والسلوقيين) . وقد تمتعوا بنفوذ مطلق فى الهيكل ، وبالتالى فى أورشليم وكل اليهودية ... كانت تصل إلى أيديهم كل الضرائب التى تجبى باسم الهيكل ، سواء من اليهود المقيمين أو من يهود الشتات ، فضلاً عن نصيبهم من الذبائح والعشور وضريبة الدرهمين (مت ١٧ : ٢٤) .

وهكذا أثرى الصدوقيون ثراء عريضاً (٢١) ، وترتب على ذلك إهمالهم للشئون الدينية وانصرافهم إلى العالميات .. وكانت نتيجة ذلك أن انتقلت قيادة الشعب الحقيقية إلى الفريسيين والكتبة .

لم يكن ما ذكرناه هو السبب الوحيد لعداء الصدوقيين والفريسيين الشديد ، بل هناك سبب آخر يتصل بإيمانهم ... لقد كانت للصدوقيين

---

(20) Sell, Samaritan and other jewish sects, pp. 58, 59.

(٢١) كانت هناك مخازن ضخمة ملحقة بالهيكل اليهودى لخزن كميات كبيرة من البضائع فضلاً عن الذهب والفضة ، لذا كانت تعين لها حراسة قوية ، خوفاً من الناهبين . وشخص واحد يدعى مرقس كراسوس Crassus نهب منه ما يوازى اثنى عشر مليوناً من الدولارات ذهباً وفضة . أنظر : Josephus, Antiquities, 14.7; Karl Kautsky, Foundations of Christianity, p. 229.

جزء من سفر إشعياء من مخلفات الاسينيين

إنحرافات عقيدية تتلخص فى الآتى :

+ كانوا يعارضون الناموس غير المكتوب ، الذى إعتبره الفريسيون مقدساً وأنه إنحدر إليهم عن موسى . ورفضوا قبول أية تشريعات غير واردة فى ناموس موسى [٢٢] .

+ كانوا لا يؤمنون بعقيدة القيامة من الأموات (أع ٢٣ : ١ - ٩) .

+ أنكروا الملائكة والأرواح (أع ٢٣ : ٨) .

وكان من نتيجة ذلك أن فقد هؤلاء الصدوقيون سيطرتهم على الشعب . وبعد خراب أورشليم والهيكل ، فقدوا كلية نفوذهم السياسى ...

الأســـــينيون :

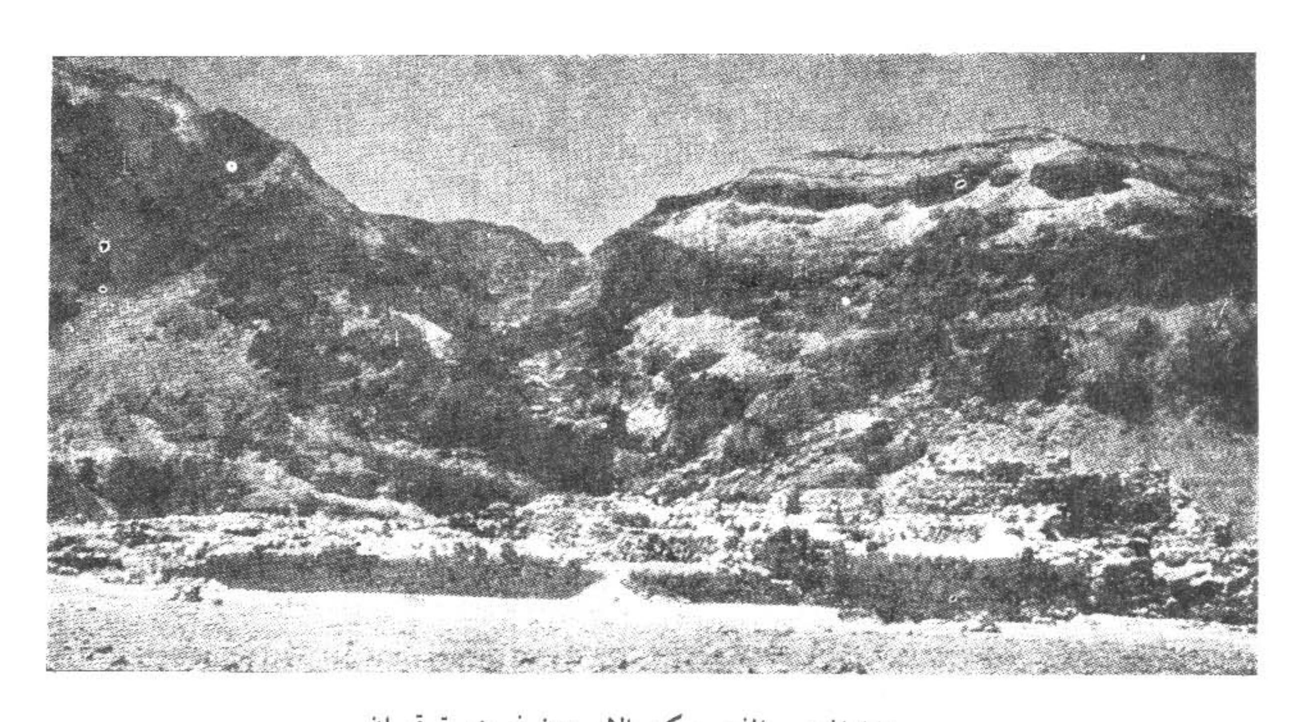
لم يرد ذكر الاسينيين Essenes فى أسفار العهد الجديد . لكن المكتشفات الأخيرة أظهرت لنا تأثيرهم القوى على الحياة الدينية فى المجتمع اليهودى فى ذلك العصر . بل قيل إن بعض تلاميذ السيد المسيح كانوا من أتباعهم ، وأن يوحنا المعمدان كان أحد أفراد جماعتهم ...

ألف الأسينيون جماعة يهودية عاصرت ظهور السيد المسيح بالجسد ، وكانت مزدهرة فى القرن السابق للميلاد ، واستمرت حتى خراب أورشليم سنة ٧٠ م ... وإن كان المؤرخون القدامى قد ذكروهم باقتضاب كبير ، لكن بفضل ما عُثِرَ عليه فى مغارات قمران Qumran عند الشاطىء الغربى للبحر الميت جنوبى أريحا ، أصبح لدينا وفرة من المعلومات عنهم .

لقد أطلق الكتّاب القدامى على هذه المجموعة اسم « الأسينيين » ، وهى تسمية تعنى على الأرجح « الأتقياء » . أما هم فقد أسموا أنفسهم ـــ حسبما ورد

---

(٢٢) أدخل اليهود بعد عودتهم من السبى بعض عادات وتقاليد غير مدونة فى الناموس المكتوب . ونسب الفريسيون هذا التقليد الشفوى إلى موسى . وقالوا إن موسى فى سيناء أخذ من الله ناموساً شفوياً إلى جانب الناموس المكتوب .



بقايا الموضع الذى سكنه الاسينيون فى خربة قمران

فى مخلفاتهم المكتشفة ــ « الجماعة » أو « جماعة الله » أو « جماعة العهد الدائم » .

أما عن عقائدهم وطقوسهم وأسلوب معيشتهم (٢٣) ، فهى عقائد يهودية خالصة أساسها ناموس موسى والأنبياء ، لكن على غير ما أوله الفريسيون والصدوقيون . **وكانوا ثائرين على الشكليات فى الدين ...**

كانت جماعة الأسينيين تمثل طائفة سرية مغلقة ... كانوا يقللون من شأن المرأة . وكانوا يمثلون جماعة إشتراكية على أشد ما تكون الاشتراكية ، إذ لم يكن لأى من أعضاء الجماعة ملك خاص ، وكانت الأعمال تورع عليهم توزيعاً عادلاً .

٣ - مفاهيم يهودية

وإتماماً للفائدة نتناول بالشرح بعض المفاهيم اليهودية التى ترتبط بموضوع دراستنا عن العصر الرسولى . كالسنهدرين وهو مجلس اليهود الأعلى ، و يهود الشتات ، والدخلاء المتعبدين واليونانيين .

السنهدرين (٢٤) :

وهو مجلس اليهود الأعلى الذى حوكم أمامه السيد المسيح ورسله .. وترجع التسمية فى أصلها اللغوى إلى الكلمة Sunhedrion واستخدمت فى الآرامية بمعنى محفل . واستناداً إلى ما جاء فى المشنا اليهودى ، فإن البعض يرجع قيام السنهدرين إلى زمان موسى ، حين عين سبعين من شيوخ إسرائيل لمعاونته (عد ١١ : ١٦ ، ١٧) . والبعض يرجعه إلى زمان يهوشافاط (٢ أى ١٩ : ٨) ... **لكن يبدو أنه لم يكن له وجود إلاّ فى مرحلة ما بعد السبى . وقد تشكل على أرجح الآراء حوالى سنة ١٩٠ ق . م .**

---

(23) Vermes, The Dead sea Scrolls.

(٢٤) و يكتب بالنون Sanhedrin أو بالميم Sanhedrim ــ انظر : Sell, Samaritan and other jewish sects, pp. 83-85.

كان مجلساً أرستقراطياً ، يضم سبعين أو اثنين وسبعين عضواً . وكان يتألف من ثلاث فئات :

الكهنة (أو رؤساء الأربعة والعشرين فرقة الكهنوتية) ، والشيوخ (أو رؤساء الأسباط) ، والكتبة . وكان الشيوخ يمثلون الأرستقراطية العلمانية ، وينتمون مثل الكهنة إلى شيعة الصدوقيين (٢٥) ... وكان رئيس هذا المجلس يختار على أساس نشاطه وحكمته ، وغالباً ما كان هو رئيس الكهنة . وكان يسمى بالعبرية ab-beth-din أى أب بيت العدالة (٢٦) .

وفى إنعقاد هذا المجلس كان يجلس عن يمين الرئيس ، نائب رئيس أول وعن يساره نائب رئيس ثان . أما بقى الأعضاء فكانوا يجلسون فى شكل نصف دائرى ، حتى ما يرى كل عضو الآخرين ...

أما عن مكان إنعقاده ، فبناء على ما جاء فى التلمود ، فإنه كان ينعقد فى حرم الهيكل . لكن هناك رأياً آخر يقول إنه كان ينعقد فى الجانب الشرقى لجبل صهيون على مقربة من الهيكل .

أما عن سلطات هذا المجلس فقد إختلفت من زمان إلى آخر بحسب الظروف والأحوال السياسية ، التى كان يمر بها اليهود .

وفى العصر الرسولى كانت سلطاته محدودة إلى حد ما . كان مايزال يحتفظ بسلطة الحكم بالاعدام دون قوة التنفيذ ، التى كانت من إختصاص الوالى الرومانى .

---

(٢٥) كان رؤساء الكتبة من الفريسيين . ومعنى ذلك أن الفريسيين كانوا ممثلين فى هذا المجلس الأعلى ـــ انظر : L'Eglise Primitive, p.45.

(26) Carrington, Vol. 1, p. 14.

يهـــود الشـــتات (٢٧) :

وهم اليهود الذين عاشوا خارج فلسطين ، لسبب أو لآخر ... إما لعدم عودة بعض أسلافهم من السبى إلى أرضهم ، وإما نتيجة حمل بعض الفاتحين الغزاة المتأخرين لبعض آخر منهم إلى الخارج ، وإما بسبب الهجرة إلى بعض المدن الجديدة ، نتيجة إغراء مؤسسيها ، لعلمهم أن اليهود مواطنون نافعون ... ومهما يكن من أمر ، فالنتيجة أن اليهود عاشوا فى أغلب المقاطعات الرومانية ، فى كل حوض البحر المتوسط ، وشرقاً فيما وراء سوريا . وكانوا بأعداد ضخمة فى بلاد ما بين النهرين وبابل وميديا . حتى أن يوسيفوس المؤرخ اليهودى يقول : [لا يوجد شعب فى العالم لا يضم جزء منا] . ويقول الجغرافى سترابو Strabo : [ليس من السهل أن تجد بقعة فى العالم لم تستقبل هذا الجنس (اليهود)] . **وقد عاشوا فى المدن ، مؤلفين جاليات متميزة ، ومتمتعين ببعض الإمتيازات الخاصة التى أحرزوها بطرق مختلفة** ... وعلى الرغم من أن روما حرمت الديانات الشرقية ، لكنها استثنت الديانة اليهودية (٢٨) ، وصرحت لاتباعها أن يضموا أتباعاً جدداً ، وأن يمارسوا شرعهم المقدس ، الذى كان بمثابة قانونهم الدينى والمدنى والجنائى ... وهذا يفسر كيف أعطى رؤساء الكهنة سلطاناً لشاول الطرسوسى أن يقبض على أى يهودى متنصر فى دمشق ، ويسوقه إلى أورشليم ليحاكم (أع ٩ : ٢) .

الدخلاء والمتعبدون (٢٩) :

كان ليهود الشتات رسالة بين الأمم الوثنية ، إتماماً لوصية الرب « اعترفوا للرب يا بنى إسرائيل ، وسبحوه أمام جميع الأمم . فإنه فرقكم بين الأمم الذين يجهلونه ، لكى تخبروا بمعجزاته ، وتعرفوهم أن لا إله قادر على كل شىء سواه »

---

(27) Hill; pp. 56-59.

(٢٨) أصدر مجلس الشيوخ الرومانى فى (سنة ١٣٩ — ١٣٨ ق . م) قرارا بحماية اليهود ، أرسل إلى إنحاء الدولة .. انظر : Harnack, The Mission ... p. 2 .

(29) Smith; Dictionary of the Bible, Vol. 3, pp. 940, 941; Hill, pp. 56-59; L'Eglise Primitive, p. 60.

(طوبيا ١٣ : ٣ ، ٤) ... ومن هنا فقد طافوا البحر والبر ليكسبوا دخيلاً واحداً (مت ٢٣ : ١٥) . وهكذا ، فقد كان كل يهودى — بحسب تعبير القديس بولس — يثق أنه قائد العميان ونور للذين فى الظلمة ، ومهذب للأغبياء ، ومعلم للأطفال (رو ٢ : ١٩ ، ٢٠) .

كان اليهودى بين جيرانه الوثنيين يتمتع بمهارة تثير عليه كراهيتهم .. كما أنه كان موضع سخريتهم بسبب الأمور التى تنفرد بها ديانته (٣٠) **، كما كان مكروهاً للأصرار على الوقوف بمعزل عن بقية الجنس البشر ... لكن على الرغم من ذلك ، فقد إستطاعت اليهودية فى كل عصر أن تجذب إليها بعض المفكرين ، الذين راقتهم عقيدتها التوحيدية وسمو شريعتها الأدبية بالمقارنة مع خرافات الوثنية وفساد أدبياتها** ... ومن أمثلة هؤلاء بعض قواد المائة الذين أحبوا اليهودية والشعب اليهودى وبنوا لهم مجامع (لو ٧ : ٥) ..

لقد رحبت اليهودية بأمثال هؤلاء وقدمت لهم كتابها المقدس باللغة اليونانية (الترجمة السبعينية) ، وسمحت لهم فى بعض الأحيان بحضور خدمات المجمع (انظر أع ١٣ : ٤٢) ... كان بعض هؤلاء المعجبين باليهودية يخطون الخطوة الأخيرة نحو إنضمامهم لليهودية ، فيختتنون ، وكان يطلق عليهم إسم **« الدخلاء »** ، و يوضعون فى وضع يقارب اليهود بالمولد . والبعض الآخر كانوا يقبلون حقائق الديانة اليهودية الكبرى ، لكنهم كانوا يرفضون حمل نير الناموس اليهودى بما فيه من قيود دائمة ، وعزلة لا مفر منها ... وقد سمح لهؤلاء بحضور المجمع وبالاختلاط بأصدقائهم من اليهود ، مقابل امتناعهم عن بعض الأطعمة والممارسات التى يمتنع عنها اليهود (٣١) . كما كانوا يصومون و يقدمون صدقات كأكثر اليهود تدقيقاً (أع ١٠ : ٢ ، ٣) ... **ودعى هؤلاء باسم « المتعبدين » أو « خائفى الله » .**

---

(٣٠) كالختان وحفظ السبت وعدم أكل الخنزير وبعض المأكولات ، ورفض الأوثان ... إلخ .

(٣١) يغلب علىَّ الظن أن تلك القيود كانت هى نفس القيود التى فرضت فى العهد القديم على الغريب الذى يقيم بين بنى إسرائيل (انظر لاويين ١٧ ، ١٨) .

وكثيراً ما نقرأ فى سفر أعمال الرسل عن الدخلاء والمتعبدين (٣٢) ... كانوا يحجون إلى أورشليم لزيارة الهيكل فى الأعياد الكبيرة (أع ٢ : ١٠) .. وكان لهم مكان مخصص فى الهيكل عُرف باسم « دار الأمم » ... **بين هؤلاء المتعبدين، وجدت المسيحية ــ وقد طرحت عنها نير اليهودية الثقيل ــ سامعيها المستعدين، إذ وجدوا فيها أفضل وأسمى مما جذبهم نحو اليهودية، وبلا قيود أو معوقات ...**

اليونانيـــــون (٣٣) :

كثيراً ما نلتقى فى سفر أعمال الرسل بهذه التسمية « اليونانيين » ..
فمَنْ هم هؤلاء اليونانيون أو كما يسمون الهيلينيين ؟

هم يهود الشتات الذين عاشوا خارج فلسطين، وتكلموا اليونانية .. كانت جماعات كبيرة من هؤلاء اليونانيين يسكنون أورشليم ــ وكانت لهم طرق معيشتهم الخاصة، والتى وجدت طريقها إلى يهود أورشليم .

ونستطيع أن نفهم مما ورد فى (أع ٦ : ٩) . أن بين المجامع العديدة التى كانت فى أورشليم، وجدت مجامع خاصة باليونانيين ... بعضها كان خاص بيهود القيروان والاسكندرية، وبعضها كان خاصاً بأهل كيليكية واقليم آسيا ... وهكذا . ومن المحتمل أن كلمة مجمع المذكورة فى (أع ٦ : ٩) لا تعنى مجرد البناء، بل قد تعنى أن هؤلاء اليهود الذين تكلموا اليونانية، إتحدوا فى جماعات قومية ... وتجمع هذه الجماعات فى مجامع مستقلة، يعنى أن اللغة اليونانية كانت هى المستخدمة بينهم . وقد توقع الجمع فى الهيكل أن يخاطبهم بولس باليونانية، فلما خاطبهم بالعبرية إندهشوا

---

(٣٢) انظر : أع ١٣ : ٤٢ ، ٤٣ ، ٥٠ ؛ ١٧ : ٤ ؛ ١٨ : ٧ .

(33) Schaff, Vol. 1. p. 87; Weiss pp. 165-167; De Pressensé, Vol. 1.p. 54; Hill, p. 56; L'Eglise Primitive, p. 56.

« وأعطوا سكوتاً أحرى » (أع ٢٢ : ٢) . والشمامسة السبعة الذين أقامهم الرسل ، حملوا أسماء يونانية ... وكان ستة منهم يهوداً بالمولد ، والسابع — وهو نيقولاوس — كان دخيلاً أنطاكياً ، أى أنه ولد أممياً .

وقد فقد هؤلاء اليونانيون بعضاً من مميزاتهم اليهودية ، نتيجة حياتهم فى الأقاليم الأخرى خارج بلاد اليهودية ... ومن هنا فقد كان يهود فلسطين يحتقرون هؤلاء اليهود اليونانيون ، نتيجة إثارة الفريسيين لكبريائهم القومى ... فكانوا ينظرون إليهم على أنهم أدنى منهم دينياً ، نتيجة إختلاطهم بالأمم الوثنية ... بل إعتادوا أن يضعوهم فى مرتبة طلائع الوثنية ... بين هؤلاء اليونانيين وجدت الكنيسة الأولى أكثر المهتدين إستعداداً لقبول الإيمان ...

العالم الوثنى

امتزجت الوثنية بالرذيلة ... حتى الديانة الاغريقية — وهى نتاج عقول مبدعة — كانت مليئة بالشر والفساد ... **والحق أن الوثنية — بصفة عامة — كان ينقصها الإدراك الحقيقى لمعنى الخطية وبالتالى لمفهوم القداسة** [٣٤] .

ونكتفى هنا بإلقاء بعض الضوء على الحالة الفكرية ، والحالة الأدبية فى العالم الوثنى ...

١ ـ الحالة الفكرية :

لم تكن الفلسفة فى القرن الأول الميلادى حدثاً جديداً بل كان وراءها تاريخ طويل معقد . وكانت قد قطعت مراحل عدة فى أبحاثها النظرية ... وكان لدى

(34) Schaff, Vol. 1, pp. 72, 73.

الأغريق القدماء منذ زمن سحيق عبادات وثقافات لم تشبع العقول الباحثة ، فلجأت إلى تفكير جديد ، وإلى أساليب من البحث والاستقراء ، لعلها تبلغ الحق الذى تنشده ...

كان بعض الفلاسفة الأولين ملحدين ، لكن أكثرهم آمن بوجود إله فى مكان ما ، أو حتى آلهة كثيرة ... على أنهم لم يعبأوا بما قد تحدثه معرفة ذلك الإله أو تلك الآلهة فى أخلاق الناس وحياتهم العملية ... وسخر الفلاسفة من القول بالوحى والإلهام ... وحاولوا بالمشاهدة والتأمل ، وبالعقل والفكر ، أن يستكشفوا دخائل طبيعة الإنسان والكون المحيط به . ومن هؤلاء الفلاسفة المفكرين ، برز جهابذة العقل الذى ابتكروا الآراء الجديدة ، وجمعوا حولهم طوائف من التلاميذ والاتباع . وهكذا ظهرت « **مدارس** » الفكر المختلفة .

أخذ الرومان — سادة العالم وقتداك — فلسفهتم عن الأغريق . لكنهم لم يقبلوها كما هى ، بل أحدثوا فيها تعديلات وتحويرات حسبما إستحسنت ملكاتهم العقلية وقواهم الفكرية ، فأضافوا إليها وحذفوا منها ما أرادوا ... فقد كان الرومانى عملياً فى تفكيره ، لا خيالياً . فأخذ من الفلسفة الأغريقية ما وجد فيه عوناً له فى حياته العملية ، وتوطيداً لسلطانه وسيادته ...

وقد ذاعت فلسفات متنوعة فى القرن الأول المسيحى منها : الفلسفة الرواقية ، والأبيقورية ، وفلسفة المشائين أتباع أرسطو ، والفيثاغورية ، والأفلاطونية ، والكلبية Cynicism وهى فلسفة ديوجينس (٣٥) ... على أن **أهم تلك المدارس الفلسفية شأناً فى فجر المسيحية ، كانت الأبيقورية والرواقية** (٣٦) .

الفلسفة الأبيقورية :

جاهرت الأبيقورية بنزعتها المادية وإلحادها الصريح بمعاداة الدين ،

(35) Latourette; A History of christianity, pp. 26, 27.

(٣٦) ذكرهما القديس لوقا فى سفر أعمال الرسل ، وتقابل بولس الرسول مع فلاسفتهما فى أثينا (أع ١٧ : ١٨) .

وتهجمت على قدسيته ، لأنها إعتبرت إلتماس الأمان مثلها الأعلى . فأدى بها هذا النظر إلى أن التوقف عن الاعتقاد فى الدين ، أدعى للأمان من الإيمان به . ومن ثم يصبح الإيمان بالدين خطية ، بل أضحى عند بعضهم مبعث كل شر ...

حاول أبيقور أن يجتث الدين من أساسه ، فاعتبر الخوف هو الباعث الرئيسى على الإيمان ، فعمل على تحرير العقل البشرى من هذا الخوف ، لينحل ما ترتب عليه من آثار ..! ومضى فى نزعاته المادية ، مؤكداً خلو الكون من كل حكم إلهى (٣٧) ... وقد نادت الأبيقورية بأن الآلهة تستمتع بنعيمها ، وتعيش بمعزل عن الناس ... لا تعبأ بأمورهم ، ولا تعنى بحياتهم . لذا لا يليق بالبشر أن يرهبوا تلك الآلهة ... كما رفضت الأبيقورية القول بالعناية الإلهية ... على أن الفلسفة الأبيقورية كما مارسها الرومان ، كانت عقيدة سلبية ، إذ خلت من كل رجاء فى الخلود ، ومن كل دافع من دوافع الخير ، وكان شعارها : [لنأكل ونشرب ونطرب ، فغداً نموت] (٣٨) .

الفلسفة الرواقية :

كانت الفلسفة الرواقية لدى الرومان فى مستوى أرقى من الأغريق ، ولم تكن مجرد فلسفة بل غدت ديناً اعترف بإله واحد ، روح إلهى ، منه تصدر كل الأشياء ، وإليه مصيرها ... وتؤمن الرواقية أن بكل إنسان شعاعة من الطبيعة الإلهية . ومهمة الإنسان أن يصون هذه الشعاعة ، ويضرم نارها لتبقى مشتعلة منيرة ... وتؤمن أن أعظم هبة وهبها الإنسان هى العقل . ومن ثم فإنه يحق للبشر أن يكونوا أبناء الله ... وقد ألهبت هذه الفكرة نفوس الرواقيين ، وأمدتهم بعزاء وهدى فى حياتهم اليومية ... وكانت الرواقية عقيدة الأقوياء وأصفياء النفوس ، الذين مالوا بطبعهم إلى الخير ، وإلى كل المعنويات الطيبة الجميلة ... كما أكدت كثيراً على ضبط

---

(٣٧) توفيق الطويل ، قصة النزاع بين الدين والفلسفة ص ٧٢ ، ٧٣ .

(٣٨) أشار القديس بولس إلى ذلك فى (١ كو ١٥ : ٣٢) .

النفس وترويضها وتنمية الحياة الداخلية ، أو الحياة المتناسقة كما يدعوها فيلسوفهم الأول زينون ... **ولعل نواحي السمو في فلسفتهم ترجع إلى أن الفكرة المحورية عندهم هي الحياة بمقتضى الطبيعة. والطبيعة في اعتقادهم هي « اللوغوس » أو العقل الكوني. وفي رأيهم أن العقل الإنساني ليس سوى جزء من هذا العقل الكوني ...**

★ ★ ★

لقد جاء أولئك المفكرون بأفضل ما لديهم ، لكن لم تخرج جهودهم عن نطاق التفكير النظري ، ولم تقو نظرياتهم على مغالبة الحياة وعثراتها ... وثمة أمر هام يجب الإشارة إليه ، وهو أن الفلسفة لم تكن يوماً لعامة الناس ، الذين لم تقو مداركهم العقلية على تفهمها ... وهكذا فشلت نظريات أولئك الفلاسفة المفكرون عن إمتلاك عامة الناس ، ولم تمس إلاَّ عقول المفكرين والمثقفين وحدهم. هكذا وجدت المسيحية تربة حقل العالم مستعدة ، لتزرع فيها زرعها الجيد ، فأتى بثمر كثير...

٢ ـ الحالة الأدبية :

لعل خير وصف يمكن أن توصف به أدبيات العالم الوثني إبان ظهور المسيحية ، هو ما دونه القديس بولس إجمالاً في رسالته إلى مؤمني رومية ، وفيه يصف فساد العبادة والأخلاق (رو١ : ١٨-٣٢) ... **أما تفسير كلام الرسول المجمل ، فيمكن تبيانه بالنظر إلى النقاط التالية :**

(أ) الفساد المتصل بالعبادة [٣٩] :

لم يقف الأمر بين الوثنيين عند حد عبادة الأصنام ، وابدال مجد الله الذي لا

(39) Fisher; Beginnings of christianity, p. 198.

يفنى بشبه صورة الإنسان الذى يفنى والطيور والدواب والزحافات (رو١ : ٢٣) ، بل تعداه إلى شرور أخرى ... **لقد شاع بين بعض الشعوب القديمة طقس تقديم الذبائح الآدمية إرضاء للآلهة** ... فكان الصوريون والقرطاجنيون يلقون بأطفالهم فى النار كتقدمة للإله مولك Moloch (٤٠) . وفى غاليا (بفرنسا) كان الكهنة يذبحون الضحايا الآدمية ... وما لبثوا أن استبشعوا هذه الوحشية ، **وأبطلها** مجلس الشيوخ الرومانى بقرار أصدره سنة ٩٥ ق . م . لكن بلينى الأكبر فى القرن الأول الميلادى ، يرون لنا أن أمثال هذه الضحايا البشرية ، كانت ماتزال تقدم فى أيامه **!!**

وليس هذا فحسب ، بل أن طقوس الديانة الوثنية إمتزجت بالدعارة . بل أن العهارة كانت جزء من الخدمة الدينية عند البابليين وبعض الشعوب السامية وغيرها **!!** وكانت هذه الرذيلة جزء من عبادة أفروديت Aphrodite آلهة الجمال عند الأغريق فى معبدها فى كورنثوس . كما اتسمت أعياد بعض الآلهة بالاحتفالات التهتكية التى يندى لها الجبين ولا يليق وصفها ... ومن هنا نفهم سبب الإشارة إلى التهتك والدعارة وأنواع الشذود الجنسى التى ذكرها بولس الرسول فى أول رسالته إلى كنيسة رومية ـــ تلك الرسالة التى أنفذها من كورنثوس ، والشر ماثل أمام عينيه **!!**

والرومان ـــ على الرغم من تقديرهم المبكر للحشمة واللياقة ـــ أباحوا طقوساً مخالفة لذلك . وقصص الأساطير التى إستخدمت لإثارة الميول الدنيئة ، مثلت فى صور وتماثيل ، وزادت من شدة تيار الفساد ، الذى حطم حواجز العفة ... **ولا عجب ، فقد كانت الآلهة الوثنية فى الشعوب الراقية ، بشراً ولها أجسام وحواس** ... يولدون لكن لا يموتون ، يأكلون ويشربون ، ينامون ويستيقظون ويسافرون ويخوضون غمار المعارك ... يتزوجون ويتناسلون ، وحياتهم مملوءة غيرة ومشاجرات وحسداً وغضباً وكراهية وشهوة .

---

(٤٠) انظر : لا ١٨ : ٢١ ؛ ٢٠ : ٢ - ٤ ؛ ١ مل ١١ : ٧ ؛ ٢ مل ٢٣ : ١٠ .

(ب) وأد الأطفال [41] :

يرجع الفضل فى الإحساس الحالى بالكيان الإنسانى ، وحرمة الحياة الإنسانية إلى المسيحية ... فمن الأمور التى كان القانون القديم يقرها حق الوالدين فى إبادة أطفالهم ، الذين يظن أنهم غير صالحين للتربية ... فى بلاد اليونان كان مثل هؤلاء الأطفال ، أما يقتلون للفقر ، أو يتركون حتى يهلكون جوعاً ...

ومما يثير الدهشة أن مفكرى الاغريق وفلاسفتهم لم يكونوا — فى هذا الأمر — أفضل من سائر الناس ... فلقد أقر **أرسطو** عادة تعريض الأطفال للموت ، إذا أريد منع إزدياد عدد السكان . وكان يوصى بالإجهاض كشىء بديل ، إذا وجدت أية موانع . **وأفلاطون فى جمهوريته** اعتقد أن الأطفال المولودين من آباء أشرار ، والأطفال غير الشرعيين ، وأطفال الوالدين المسنين ، يجب إبادتهم بتركهم عرايا ، إذ لا يجب أن يثقل على الدولة بهم ... **أما الرومان** فكان لديهم قانون يمنع وأد الأطفال ، لكنه لم يكن نافذاً . و يروى لنا المؤرخ الوثنى سوتونيوس Suetonius فى القرن الأول الميلادى ، كيف عُرّض للموت أطفال كثيرون مولودون حديثاً ، بقصد تكريم جرمانيكوس Germanicus . أما الإجهاض الذى أباحه أرسطو وأفلاطون للأغريق ، فقد كان شيئاً مألوفاً لدى الرومان ، تخلصاً من مخاض الولادة ، وتعب تنشئة الأطفال ..!!

(جـ) مكانة المرأة [42] :

ربما لا يوجد تناقض صارخ أكثر من وضع المرأة فى الوثنية ومكانتها فى المسيحية ... كان وضعها فى الوثنية محتقراً .. كانت خادمة الرجل ، وليست

---

(41) Fisher; Beginnings of christianity, pp. 206 - 208.

(42) Schaff; Dictionary of Biblical, Historical ... Theology, Vol. 3, p. 2548; Fisher; Beginnings of christianity, pp. 199 - 202.

نظيره وشريكة حياته .. لم يفهم العالم القديم طبيعة الزواج الروحية، ونظر إلى المرأة على أنها للمتعة الجسدية فقط !!

كانت وجهة النظر التى سيطرت على أفلاطون ــ فيما يختص بالنساء ــ أن الهدف الأول من العلاقة الزوجية، هو تكوين مواطنين أقوياء فى البنية، ذوى عقل سليم، حتى أنه جعل مجتمع الزوجات إحدى مميزات الجمهورية المثالية ...

كان للمثقفين فى اليونان صديقات ومحظيات من العاهرات. وفى روما شاع الفساد، حتى قال المعاصرون، أن فضيلة الأنثى لا وجود لها فى روما ... أما الزيجات فكانت لا تستمر طويلاً، نتيجة كثرة حالات الطلاق بصورة مزعجة، حتى أن **سينكا Senica فى القرن الأول الميلادى يقول :** [أما النساء فلا يحسبن الزمان بعدد القناصل، بل بعدد أزواجهن] **!!** وفى نفس الوقت إستشرى الفساد الأخلاقى والزنا والدعارة، حتى غدا المجتمع الرومانى المعاصر بالوعة فساد ...

وثمة ظاهرة واضحة ميزت ذلك العصر، وهى **إحجام الرجال عن الزواج،** لأنهم فضلوا المتعة الطائشة على رابطة الزيجة ... وقد فشلت جهود أوغسطس قيصر للنهوض بالزواج، بإصدار تشريعات قانونية، تقدم بموجبها مساعدات مالية لمَنْ يتزوجون **!!** وفى حالات الزيجات، كان الأطفال قليلى العدد فقد فضل الوالدون ــ لأسباب مالية ــ أن يظلوا بلا أطفال تقريباً ...

وكان المثل الأعلى للفساد فى المجتمع الرومانى، هو الأسرة الإمبراطورية الحاكمة. يكفى ما دونه المؤرخ المعاصر تاكيتوس عن الشرور الخيالية التى كانت تفعلها ميسالينا Messalina زوجة كلوديوس الأول، لنعلم إلى أى درك من الخلاعة والفجور والتهتك والدنس، هبطت سيدة روما الأولى ... وقد كان هذا الفساد منتشراً فى الأقاليم كما فى العاصمة ...

(د) الشذوذ الجنسى (٤٣) :

الشذوذ الجنسى الذى صوّره بولس الرسول فى الأصحاح الأول من رسالته -إلى رومية ، كان متفشياً بين الاغريق ، وانتقل إلى الرومان عن طريقهم. **ومن العجيب أنه يندر أن نلتقى بفيلسوف أو مفكر يونانى يندد بهذه الرذيلة ، ويدين هذه العلاقة غير الطبيعية** ... أما نتيجة هذه الخطية — حسبما لاحظ أفلاطون وبلوتارك — فهى تنفير الرجال من الزواج ، وقلة عدد سكان بلاد اليونان ، بالإضافة إلى تحطيم الشعب أدبياً .

وفى روما ، ترعرعت هذ الخطية ، وتلوث بها كثيرون من رجال السياسة والقضاة وقادة الجيش ، بل والأباطرة انفسهم (مثل يوليوس قيصر) ... أما معظم الضحايا فكانوا من العبيد .. على أن الأمر لم يكن قاصراً على العبيد ، بل كان متفشياً بين الغلمان الأحرار أيضاً ... والقصص التى تروى عن رجل كيوليوس قيصر واستمرائه هذه الرذيلة ، تصوّر لنا إلى أى حدٍّ وصل هؤلاء الناس فى مضمار الرذيلة والدنس والإنحلال الأخلاقى .

(هـ) الـــــرق (٤٤) :

كان الرق أحد دعامات الوثنية الأساسية ، وجثم كلعنة على كل الشعوب ، يستوى فى ذلك الشعوب المختلفة والمتحضرة كالاغريق والرومان ... كانت أعداد العبيد أضخم من المولودين أحراراً والمعتقين . ويقدر المؤرخ جيبون Gibbon عدد العبيد تحت حكم كلوديوس قيصر بما لا يقل عن نصف إجمالى سكان الإمبراطورية الرومانية — أى نحو ستين مليوناً !!

لقد أيد أعظم فلاسفة العالم القديم نظام الرق ، كنظام طبيعى وضرورى . وأعلن أرسطو أن جميع البرابرة (غير المتحضرين) عبيد بالمولد ، وأنهم

---

(43) Fisher, The Beginnings of christianity pp. 205, 206.

(44) Schaff, Vol, 1, pp. 445, 446.

لا يصلحون لشيء سوى الطاعة . وفى القانون الرومانى ، ليس للعبيد كيان فى الحكومة ، ولا اسم ، ولا لقب ، ولا سجلات ... ليس لهم حق الزواج ، ولا حماية لهم ممَنْ يريد أن يرتكب معهم الفحشاء ... **كانوا ــ كما يصفهم أحد الكتّاب [فى حالة أسوأ بكثير من الماشية]** ...

لقد طرد كاتو Cato ــ عضو الشيوخ الرومانى الشهير ــ عبيده من البيت والوطن بعد أن طعنوا فى السن . وهدريان الذى يعتبر من أكثر الأ باطرة الرومان عدلاً ، قلع عن عمد عين أحد عبيده بقلمه !! كانوا ينظرون للعبد أنه بلا ضمير ... لذا إن دعى للشهادة فى أى أمر ، كان لابد وأن يعذب مقدماً حتى ما يستنطقوه الحق .. قد تؤخذ منه زوجته لتصبح محظية سيده ، أو لتصير عاهرة ، دون أن يكون له حق الاعتراض !!!

أما الإماء ، فكان الموت شراً أهون من العار الذى لصق بهن دائماً ... **كان الرق يغذى العهارة والفسق فى كل صورهما** .. كان للسيد الحرية المطلقة فى أن يبيع أَمَتَه وبناتها الصغار اللائى أنجبتهن منه إلاَّ إذا تفضل ورأى الإبقاء عليهن . **وكان القانون لا يحمى الأمة من الدنس** . لم يكن لها حرية الإختيار فى الدنس بالنسبة لسيدها ، بل كان يمكنه أن يُعيرها ــ لنفس الغرض الشرير لمَنْ يشاء ... **كانت المرأة الحرة هى وحدها التى يكفل القانون حماية شرفها ، لأن القانون لم يكن يحمى سوى الأحرار ... أما العبيد فلم** يكونوا فى نظر الرومان ، سوى جسد فقط (٤٥) !!

(و) الرفاهية والإسراف والترفيه (٤٦) :

تميز هذا العصر بترفه وإسراف الموسرين والأشراف والتدبير لحياة الجسد . وحرصت الطبقات الراقية على إقتناء الحلى والمجوهرات والتحف الفنية ، وإقامة

(45) De Pressensé, Vol, 1, p. 425.

(46) Fisher; The beginnings of christianity; pp. 202-205, 211-220.

البيوت الفخمة ، والتفنن فى كل ضروب البذخ .. **كما تميز أعضاؤها بالشراهة فى تناول الأطعمة** ... ويروى لنا شيشرون وصف مقابلته مع يوليوس قيصر فى منزله الريفى وكيف أنه تعاطى مقيئاً قبيل موعد الطعام ، حتى ما يكون أكثر قابلية لتناول أكبر قدر من الأطعمة **!!** لم تكن هذه حادثة فريدة ، بل كانت عادة يتبعها المترفون من الرومان ... وكانت موائد العشاء تمتد إلى ساعة متأخرة من الليل ــ وكانت تمتزج بالسكر والعهارة .

وإلى جانب نواحى البذخ المختلفة ، قامت وسائل الترفيه .. وكانت وسائل الترفيه شيئاً أساسياً فى حياة الرومان ، وتقف جنباً إلى جنب مع الخبز الضرورى لقيام الحياة ... وكان السيرك فى عهد يوليوس قيصر به مقاعد تتسع لمائة وخمسين ألفاً ، أضاف إليها تيطس مقاعد لمائة ألف أخرى ... ومن المناظر التى ألفها الرومان وكانت تلذ لهم ، المصارعات الدموية سواء بين البشر أو بينهم وبين الوحوش المفترسة . كانت مثل هذه المصارعات الدموية أكبر دليل على مدى الإحساس الأدبى لدى مجتمع ذلك العصر ، الذى كان يقبل على هذه الألعاب بسرور متزايد ... **ونحن نعجب كيف كان ممكناً لرجال ونساء أن يستمتعوا بمناظر الألم والموت ، تلك التى مجرد ذكرها يثير فى النفس نوازع الفزع ...!!**

الامبراطورية الرومانية [٤٧]

كانت ميزة للمسيحية المبكرة أنها ظهرت فى وقت كانت فيه بلاد اليهودية خاضعة للإمبراطورية الرومانية القوية المنظمة ، التى كانت تعتبر بصفة عامة إمبراطورية عادلة ... ولا يمكن التكهن بمستقبل المسيحية فى فلسطين ، لو كانت السلطات اليهودية تتمتع وقتئذ بحرية التصرف المطلق ... فالسلطات الرومانية هى التى مكنت بولس الرسول من السفر آمناً فى البر والبحار ، ليبشر بالإيمان الجديد فى

(47) The History of christianity in Light of Modern Knowledge, pp. 3 - 19.

بلاد سوريا وآسيا الصغرى وعبر البحار فى اليونان وإيطاليا وأسبانيا ... **لذا من الأفضل أن نلقى ضوءاً سريعاً على هذه الامبراطورية فى القرن الأول الميلادى ، فذلك يعيننا على فهم الكثير من مسئوليات وتصرفات السلطات الرومانية التى نقرأ عنها فى الأناجيل وسفر أعمال الرسل ...**

إمتـــــدادها :

كانت الإمبراطورية الرومانية تمتد إمتداداً واسعاً وتضم ممتلكات فى قارات العالم القديم الثلاث المعروفة وقتذاك . كانت تضم داخل حدودها ، ما يُعرف الآن باسم هولندا وبلجيكا وفرنسا وأسبانيا والبرتغال وسويسرا وجنوبى النمسا وإيطاليا ، وكل شبه جزيرة البلقان ، وآسيا الصغرى وسوريا وفلسطين ومصر وليبيا وتونس والجزائر والمغرب ، والنصف الجنوبى من الجزيرة البريطانية . وكان البحر المتوسط يعتبر بحيرة رومانية .

ولاياتـــــها :

باستثناء بعض الحالات الخاصة ، فعلى الرغم من إتساع ممتلكات الامبراطورية ، فإنها **كانت تتكون من ولايات يحكمها ولاة فرضتهم السلطة المركزية فى العاصمة روما ، ويخضعون للقانون الرومانى وأنظمة الضرائب الرومانية .** كان من الطبيعى ـــ والحال هذه ـــ أن ينضوى تحت لواء الامبراطورية مجموعات ضخمة من السكان فى بقاع شاسعة ، يختلفون فى طبائعهم ودياناتهم ، ولا تتساوى حضارتهم وثقافتهم ...

كان نصف الامبراطورية الشرقى يقوم أساساً من اليونانيين ، أو من الشرقيين الذين تأثروا بالحضارة الهيلينية ، وتأقلموا معها ... وكان كثير من بلاد هذا الشرق لا يقل حضارة وعلماً عن روما ، بل كان البعض ـــ مثل الاسكندرية وأثينا ـــ يفوقها فى هذا الشأن ... وبالإضافة إلى الاسكندرية

وأثينا ، وجدت فى الشرق مراكز ثقافية هامة أخرى مثل أنطاكية وطرسوس وأزمير. أما فى الغرب فلم يوجد سوى مرسيليا ... كانت الحضارة الأغريقية هى المسيطرة ، ولم تجد اللاتينية طريقها إلى الشرق . كان الرومان يحكمون هذا الشرق عسكرياً فقط ، لكن لم يكن ممكناً أن يتحول سكانه إلى رومان . أما فى الغرب فقد إختلف الموقف ، لأن الرومان تعاملوا مع شعوب أقل منهم حضارة وثقافة ، فاستطاعوا أن يفرضوا عليهم لغتهم وحضارتهم ، و يصبغوهم بالصبغة الرومانية .

حكومة الولايات :

كانت الولايات ـــ سواء شرقية أو غربية ـــ تلتزم ببعض المبادىء العامة من القانون والنظام الرومانى ، لكنها لم تكن جميعها خاضعة لنظام موحد ... فقد وجدت الحكومة الرومانية أن من الحكمة فى بعض الحالات أن تترك شعباً وتقاليده وأنظمته وعبادته ، طالما لا تتعارض هذه مع مصالح الدولة ... وكان يحدث دائماً عند بداية ضم ولاية جديدة إلى الامبراطورية ، أن تحضر بعثة مؤلفة من عشرة أعضاء من مجلس الشيوخ الرومانى ، للاستفسار ودراسة كل الظروف وأحوال هذه الولاية ... وبعد الدراسة اللازمة للنظم القائمة القانونية والمالية والإدارة المدنية ، ومواردها وسكانها ، كانت توضع خطة أو دستور للولاية تحدد صورة حكومتها المقبلة ، بما يتلاءم مع النظام الرومانى الامبراطورى ، ويحدد قدرتها وطريقة إسهامها فى ميزانية الامبراطورية .

كان المتبع أن أراضى البلاد المهزومة تصبح ملكاً للمنتصر . لكنها أبقيت فى أيدى أصحابها مقابل جزية يدفعها الأهالى إما مالاً أو منتجات . أما المناجم فكانت تنتقل ملكيتها للامبراطورية ... وإلى جانب ضريبة الأرض ، دفعت الشعوب المقهورة « جزية الأفراد » ... وكان تكييف هذه الأنواع المختلفة من الضرائب يتطلب إحصاء منظماً . فإذا قرأنا فى إنجيل لوقا أنه فى وقت ميلاد السيد المسيح « صدر أمر من أوغسطس قيصر بأن تكتتب كل المسكونة » (لو٢ : ١) نفهم أن هذا الإجراء كان من أجل الضرائب ...

السلام الرومانى Pax Romana :

كانت الامبراطورية الرومانية فى القرن الأول الميلادى فى حالة سلمية مستقرة بصفة عامة ... كانت الطرق مأمونة ، والبحار خالية تقريباً من القراصنة . وكان السفر عبر الامبراطورية أمراً ميسوراً ، نتيجة للطرق الممتازة التى شقها الرومان عبر الامبراطورية ، التى كانت تمتد ممهدة من مركز إلى آخر . واستطاعت الحكومة ــ عبر خطوط المواصلات هذه ــ أن تمد إشرافها الدقيق على الولايات الخاضعة لها ، وترسل عند الضرورة إمدادات حربية لقواتها المرابطة ... هذه الطرق ، وهذا السلام إستفاد منه الرسل والمبشرون فى تنقلاتهم ورحلاتهم التبشيرية عبر الامبراطورية .

حقوق المواطنة الرومانية :

حقوق المواطنة الرومانية (٤٨) ، أو كما يسمونها « الرعوية الرومانية » ، كان لا يتمتع بها سوى الأحرار . وبموجبها كان حاملها يتمتع ببعض الامتيازات وفى مقدمتها حماية القوانين له ، وعدم الضبط بالقيود أو السجن بدون محاكمة رسمية (أع ٢٢ : ٢٩) ، وعدم الجلد (أع ١٦ : ٣٧) ، وحق المثول والتقاضى أمام محكمة قيصر بروما (أع ٢٥ : ١١) ... وكانت هذه الرعوية الرومانية ، يحصل عليها إما بالشراء (أع ٢٢ : ٢٨) ، أو بالخدمة العسكرية ، أو بموجب منحة من الدولة . وكان هذا الامتياز الذى يتمتع به شخص ينتقل إلى أولاده أيضاً كما فى حالة القديس بولس الرسول (أع ٢٢ : ٢٨) .

---

(48) Smith, Dictionary of the Bible, Vol. 1, Part 1. p. 612.



١ ـ بين القيامة والصعود :

أهم ما يميز مدة الأربعين يوماً بين قيامة السيد المسيح وصعوده ، ظهوراته لتلاميذ ... ولقد كان لتلك الظهورات آثار هامة :

لقد أكدت لهم حقيقة قيامته من بين الأموات بما لا يدع مجال لأى شك (أع ١ : ٣) ، ورفعت من معنويات الرسل ، وملأت قلوبهم فرحاً وعزاء (يو٢٠ : ٢٠) ... كما أن تلك الفترة كانت بمثابة فترة تمهيدية لأعمال الخدمة والكرازة فى المستقبل القريب ، لقن فيها السيد المسيح تلاميذه كثيراً من المعلومات التى ما كانوا يحتملونها قبل ذلك (يو١٦ : ٢٥ ؛ أع ١ : ٣) ... ويؤكد ذلك أن تلك اللقاءات لم تكن مجرد ظهورات خاطفة ، بل إمتدت واستطالت . ومن أمثلتها الرحلة التى صحب الرب فيها تلميذى عمواس بعد ظهر يوم أحد القيامة ، وقطع المسافة من أورشليم إلى عمواس ، وهى ستون غلوة أى نحو سبعة أميال ، وتستغرق أكثر من ساعتين مشياً على الأقدام . وخلال هذه الرحلة « إبتدأ من موسى ، ومن جميع الأنبياء ، يفسر لهما الأمور المختصة به فى جميع الكتب » (لو٢٤ : ١٣-٢٧) ... وأيضاً الظهور الثالث الذى أظهر فيه ذاته لتلاميذه عند بحر طبرية ، ومكث فيه معهم من الصباح حتى ما بعد الغذاء (يو٢١ : ٤-١٥) .

٢ ـ بين الصعود ويوم الخمسين :

بعد أن إرتفع السيد المسيح عن تلاميذه عند جبل الزيتون ، وصعد إلى السماء ، رجعوا إلى أورشليم بفرح عظيم (لو٢٤ : ٥٢) ... وكان فرحهم لأنه صعد إلى الآب (يو١٤ : ٢٨) ، ولأنه سيأتى ثانية (أع ١ : ١١) ... **وفى أورشليم اجتمعوا**

فى العلية التى كانت فى بيت أم مار مرقس الكاروز .. وهناك كانوا يواظبون بنفس واحدة على الصلاة والطلبة مع نساء مؤمنات ، فى مقدمتهن مريم العذراء ...

لقد أوصاهم الرب أن يذهبوا إلى العالم أجمع ، ويكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها ، لكنه فى نفس الوقت أمرهم بالبقاء فى أورشليم ، إنتظاراً لموعد الآب (الروح القدس) ... بل لقد حذرهم من مبارحتها قبل أن يلبسوا قوة من الأعالى (لو٢٤ : ٤٩ ؛ أع١ : ٤) ...

وفى هذه الفترة ، كان لابد أن يختاروا تلميذاً خلفاً ليهوذا الخائن ... واشترطوا أن يكون أحد الذين اجتمعوا معهم كل الزمان منذ معمودية يوحنا إلى ذلك الوقت ، حتى يشهد معهم بقيامة الرب المجيدة ، التى ستصبح حجر الأساس فى العمل الكرازى الجديد كما سنرى ... فصلوا وطلبوا إلى الرب أن يظهر إختياره لأحد اثنين : يسطس أو متياس ... ثم ألقوا قرعة [٤٩] فوقعت على متياس (أع١ : ١٥-٢٦) ، فصار واحداً من الاثنى عشر

٣ - يوم الخمسين :

فى اليوم الخمسين لقيامة السيد المسيح ، وفى الساعة الثالثة بالتوقيت العبرى (التاسعة صباحاً بتوقيتنا) ، أثناء إحتفالات اليهود فى أورشليم بأحد أعيادهم الكبرى — وهو عيد الخمسين — حل الروح القدس على الرسل والتلاميذ — جميع الموجودين بالعلية — بينما كانوا مجتمعين بها بنفس واحدة ، إذ صار بغتة من السماء صوت كما من هبوب ريح عاصفة ، وملأ كل البيت حيث كانوا جالسين ... وظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنها من نار واستقرت على كل واحد منهم ، وامتلأ الجميع من الروح القدس (أع٢ : ١-٤) .

---

(٤٩) هذه هى المرة الوحيدة التى ذكر فيها إستخدام القرعة فى العهد الجديد .

لقد إختار الرب هذه المناسبة عند اليهود موعداً لمولد كنيسته ، حيث تتم رموز وإشارات ... لذا يحسن أن نقف قليلاً لنعرف شيئاً عن هذا العيد عند اليهود ...

كان لهذا العيد اليهودى ثلاث تسميات : عيد الحصاد (خر٢٣ : ١٦) ، **وعيد أوائل الثمار** (عد٢٨ : ٢٦) ، **وعيد الأسابيع** (تث١٦ : ٩ ، ١٠ ؛ لا ٢٣ : ١٥) . **وأطلق عليه عيد الخمسين لأنه يقع فى اليوم الخمسين بعد الفصح اليهودى** ... كان هذا العيد من حيث تسميته بعيد الأسابيع ، يبدأ مباشرة بعد عيد الفصح ، بتقديم أول حزمة من حصاد الشعير ، و ينتهى فى عيد الخمسين بتقديم أول رغيفين من حصاد القمح . وكان يُحتفل بعيد الخمسين يوماً واحداً . وهو من أعياد اليهود الثلاثة الكبرى السنوية (٥٠) ، التى كان على جميع ذكور بنى إسرائيل أن يظهروا فيها أمام الرب إلههم (تث١٦) .

كان هذا العيد عن اليهود عيد فرح وبهجة . وكان يقع فى ألطف فصول السنة . ولذا كان يجذب أعداداً ضخمة من اليهود الزائرين من البلاد والأقاليم الأخرى إلى أورشليم . و يصف يوسيفوس المؤرخ اليهودى هذا العيد و يتكلم عن عشرات الآلاف الذين كانوا يجتمعون حول الهيكل فى هذه المناسبة (٥١) ... وكان عدد كبير من اليهود الوافدين من بلاد بعيدة إلى أورشليم لحضور عيد الفصح ، يبقون فيها حتى يحضروا هذا العيد أيضاً .

كان عيد الخمسين إذن ـــ بحسب ما جاء فى الكتب المقدسة ـــ هو عيد الحصاد أو عيد أوائل الثمار أو عيد الأسابيع ... لكنه كان أيضاً ـــ طبقاً لتقليد الربيين فى التلمود ـــ **هو عيد الاحتفال السنوى بتذكار تسلم الشريعة فى**

---

(٥٠) الأول عيد الفصح (عيد الفطير) ، والثانى عيد الحصاد (الخمسين) حيث يقدمون فيه أبكار غلاتهم التى يزرعونها فى الحقل ، والثالث عيد المظال وهو عيد الجمع فى نهاية السنة عندما يجمعون غلاتهم من الحقل .

(51) Josephus; Antiquities, 14 13.4.

سيناء ... فقد قيل أن موسى استلم الشريعة فوق جبل سيناء ، فى اليوم الخمسين لخروج بنى إسرائيل من مصر . ومن هنا جاءت تسميته بالعبرية « **عيد البهجة بالناموس** » . كانت هناك عادة يهودية قديمة حرص اليهود عليها فى العصر الرسولى ... كانوا يقضون الليلة السابقة لعيد الخمسين فى تقديم الشكر لله من أجل عطية الناموس (٥٢) ...

٤ ـ العيد التأسيسى للكنيسة :

لا شك أن الله الذى يتمم كل أموره بحكمة ، إختار مناسبة هذا العيد اليهودى ليجعل منه عيداً لمولد الكنيسة ، فأرسل روحه القدوس بقوة على رسله وتلاميذه ، وأسس كنيسته على الأرض ... **كانت فرصة هذا العيد اليهودى أكثر ملاءمة لتأسيس الكنيسة المسيحية من عدة وجوه ، بالنظر للمدلولات اليهودية للعيد** ...

لقد كانوا يحتلفون به كعيد لحصاد المزروعات ، فأضحى عيداً لحصاد الزرع الجيد الذى هو بنو الملكوت (مت١٣ : ٣٨) ... وكانوا يحتفلون به كعيد لأوائل الثمار الزراعية ، فغدا فى المسيحية عيداً لأوائل الثمار الخلاصية ، حين إنضم إلى الكنيسة فى ذلك اليوم ثلاثة آلاف نفس (٥٣) .. هذا بالإضافة إلى ثمار الروح القدس التى تكلم عنها الرسول (غل٥ : ٢٢) ... ثم أنهم كانوا يحتفلون به كتذكار لإعطائهم الشريعة المكتوبة على لوحين من حجر ، فأصبح عيداً للروح القدس ،

---

(٥٢) مازال اليهود حتى الآن يحرصون على هذه العادة ، فيزينون بيوتهم و يتزينون هم أيضاً تعبيراً عن إبتهاجهم بأعطائهم الشريعة ــ انظر : Schaff, Vol. 1, pp. 225 - 227 .

(٥٣) يقول القديس يوحنا الذهبى فمه [ما هو عيد الخمسين ؟ هو الوقت الذى يعمل فيه المنجل للحصاد . لقد كمل الزمان لأن يوضع منجل الكلمة . لأنه كما أن المنجل حاد ، كذلك انحدر الروح القدس . « ارفعوا أعينكم وانظروا الحقول ، إنها قد ابيضت للحصاد » . وأيضاً « الحصاد كثير والفعلة قليلون » . وكأوائل ثمار هذا الحصاد ، أخذ هو طبيعتنا وحملها إلى العلا . قدم ذاته أولاً بالمنجل] . انظر : John Chrysostom Homilies on the Acts, Hom. 4

روح الحياة ، الذى كتبت به وصايا الله (٥٤) ــ لا فى ألواح حجرية ، كما حدث فى القديم ، بل فى ألواح قلب لحمية (٢ كو٣ : ٣) .

وثمة نظرية أخرى ... فالعدد خمسين يشير إلى العفو والصفح ... ففى العهد القديم ، كانت تقدس السنة الخمسون ، ويعفى المدينون من ديونهم ، ويحرر العبيد « وتقدسون السنة الخمسين ، وتنادون بالعتق فى الأرض لجميع سكانها . تكون لكم يوبيلاً ، وترجعون كل إلى ملكه ، وتعودون كل إلى عشيرته » (لا ٢٥ : ١٠) كانت هذه السنة تبدأ بيوم الكفارة ، حين يضربون بالبوق إيذاناً ببدء سنة اليوبيل ... فالعدد ٥٠ إذن كان ينطر إليه كرمز للعفو عن الديون ...

يقول **فيلو الفيلسوف اليهودى** عن عيد الخمسين [اليوم الخمسين بعد نهاية سبعة أسابيع ، العدد المقدس للعفو والصفح] ... **وكليمنضس الاسكندرى** يرى فى العدد خمسين الصفح عن الخطايا ، ويضرب كمثل أبعاد فلك نوح ، فقد كان عرضه خمسين ذراعاً . ويقول كليمنضس أنه إستقى هذا الرأى من تقليد قديم (٥٥) ... **والعلامة أوريجينوس** ــ فى مقالاته على سفر التكوين ــ يفسر أبعاد الفلك بطريقة رمزية فيقول : [عرض الفلك خمسون ، وهو العدد الذى يدل على الغفران والصفح ، وحسب الناموس ، كان هناك زمان للمسامحة فى الديون كل خمسين سنة] (٥٦) . ويقول فى تفسيره لإنجيل متى (٥٧) [العدد خمسون يتضمن الغفران بناء على سر اليوبيل الذى كان يقع كل خمسين سنة . أو العيد الذى يقع فى يوم

---

(٥٤) فى صلوات السجدة التى ترفعها كنيستنا فى الساعة التاسعة (الثالثة بعد الظهر) يوم عيد الخمسين (العنصرة) ، يقول فى مقدمة السجدة الأولى : « فى عيد الخمسين بعد الفصح أعطى الله الشريعة لموسى » ... والنبوة التى تقرأ فى هذه السجدة الأولى تتناول موضوع تسليم الشريعة لبنى إسرائيل . وفى نبوة السجدة الثانية تذكير بحفظ هذه الوصايا ... وفى نبوة السجدة الثالثة يتكلم عن الثلاثة أعياد الكبرى فى إسرائيل وهى الفصح والخمسين والمظال . (انظر كتاب اللقان والسجدة) .

(55) Stromata, 6.11.

(56) Hom. Gen., 11.5.

(57) Hom. Matt., 11.3.

الخمسين] (٥٨) .

ثم أن عيد الخمسين اليهودى ، كان أكثر ملاءمة لتأسيس الكنيسة ، من جهة الجماهير التى كانت تحضره . فقائمة الشعوب التى أوردها القديس لوقا فى (أع ٢ : ٨-١١) ، كانت على وجه التقريب تشمل أنحاء الامبراطورية الرومانية التى كانت بدورها تضم معظم العالم القديم المعروف وقتذاك ... والغرباء الذين ذكرهم لوقا كشهود للحادث الكبير ، كانوا تقريباً يمثلون كل الأقاليم التى غرست فيها المسيحية فيما بعد بواسطة كرازة الرسل ... ومما لا شك فيه أن أولئك الذين آمنوا فى يوم الخمسين ، حملوا إيمانهم الجديد إلى إخوتهم ، قبل أن يصل إليهم الرسل فى كرازتهم . وهذا يوضح لنا وجود مسيحيين فى دمشق قبل إيمان بولس (أع ٩ : ٢) ، ووجود عدد كبير من المؤمنين فى روما ، قبل أن يكتب لها بولس رسالته بوقت كبير (رو ١ : ٨) .

كان إعطاء الشريعة فى سيناء مصحوباً برعود وبروق وسحاب ثقيل على الجبل ، وصوت بوق شديد جداً ، إرتعد منه كل الشعب الذى كان فى المحلة (٥٩) ... لذا لا نعجب إن جاءت كنيسة العهد الجديد إلى الوجود أيضاً بعلامات عجيبة ملأت المشاهدين دهشة وحيرة (أع ٢ : ٦ ، ٧) .

لقد صاحب حلول الروح القدس على الرسل والتلاميذ مظاهر ثلاثة : صوت كما من هبوب ريح عاصفة ، وظهور ألسنة منقسمة كأنها من نار استقرت على كل واحد منهم (٦٠) ، والتكلم بألسنة أخرى ... والريح فى كتاب العهد القديم نراها رمزاً للقوة الروحية الخلاقة (٦١) ، ورمزاً للعمل غير المنظور (يو ٣ : ٨) ، والحرية السامية التى للروح القدس «حيث روح الرب هناك

---

(58) Jean Daniélou, The Bible and the Liturgy, pp. 324 - 326.

(٥٩) خر ١٩ : ١٦ ؛ عب ١٢ : ١٨ ، ١٩ .

(٦٠) فى تقاليد اليهود القديمة ، أنه ظهرت ألسنة من نار فى أول عيد خمسين احتفلوا به بعد خروجهم من مصر — انظر Smith, Dictionary of the Bible, Vol. 3, p. 1556 (footnote) .

(٦١) انظر : تك ١ : ٢ ؛ ١ مل ١٩ : ١١ ؛ مز ١٠٤ : ٣ ، ٤ ؛ حزقيال ٣٧ : ١ - ١٤ .

حرية » (٢كو٣ : ١٧) ... والنار كانت معروفة لدى بنى إسرائيل . فقد حل الله على جبل سيناء بالنار (خر١٩ : ١٨) ، وهى تكتنف مجد الله (حزقيال ١ : ٤) . وهى تشير إلى عمل التطهير الذى للروح القدس (إش٦ : ٦ ، ٧) ... والتكلم بألسنة (٦٢) هو تصويب لما حدث قديماً عند برج بابل حينما بلبل الرب لسان هؤلاء الأشرار (تك١١ : ١-٩) . يقول أحد الآباء : [إن الكنيسة فى تواضعها ، تعيد وحدة اللغة التى كسرتها قبلاً الكبرياء] (٦٣) **ومهما يكن من أمر، فإن حلول الروح القدس على التلاميذ فى ذلك اليوم وصيرورتهم هيكل لله ومسكن لروحه ، لهو أكبر معجزة فى حياة البشر الداخلية ، لأنهم به نالوا طبيعة جديدة عوضاً عن الطبيعة القديمة التى أفسدتها الخطية والإثم .**

٥ ـ عظة بطرس :

وعظة بطرس التى ألقاها فى يوم الخمسين (أع ٢ : ١٤ ـ ٣٦) ، هى عظة بسيطة ، لكن روح الله الذى كان يصحب كلماتها ، نخس قلوب السامعين ... فلما سألوا الرسل عما ينبغى أن يعملوه ، أجابوهم : « توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا ، فتقبلوا عطية الروح القدس » ... وهكذا إنضم إلى الكنيسة فى ذلك اليوم ثلاثة آلاف نفس ...

أما عن موضوع العظة ، فباستثناء الربط الذى ربط به القديس بطرس أحداث تلك الساعة بنبوءة يوئيل النبى ، نجد أن هدف العظة الكبير ، هو إثبات أن يسوع الناصرى الذى قتله اليهود ظلماً وقام من الأموات ، هو عينه المسيا الذى تنبأ عنه داود ، وجاء من نسله حسب الجسد . لكن التركيز الأكبر فى العظة كان على قيامة الرب يسوع من بين الأموات (أع ٢ : ٢٤ ، ٢٧ ، ٣١ ، ٣٢) .

---

(٦٢) عالجنا موضوع التكلم بألسنة بالتفصيل فى الفصل الخاص بالمواهب الروحية .

(٦٣) فى تقاليد اليهود القديمة أن كل كلمة خرجت من فم الله فوق جبل سيناء ، كانت تنقسم إلى السبعين لغة التى لبنى البشر فى ذلك الوقت ، وأن صدى صوت الله كان يسمعه كل إنسان بلغته ـــ انظر : Smith; Dictionary of the Bible, Vol. 3, p. 1556 (footnote) .

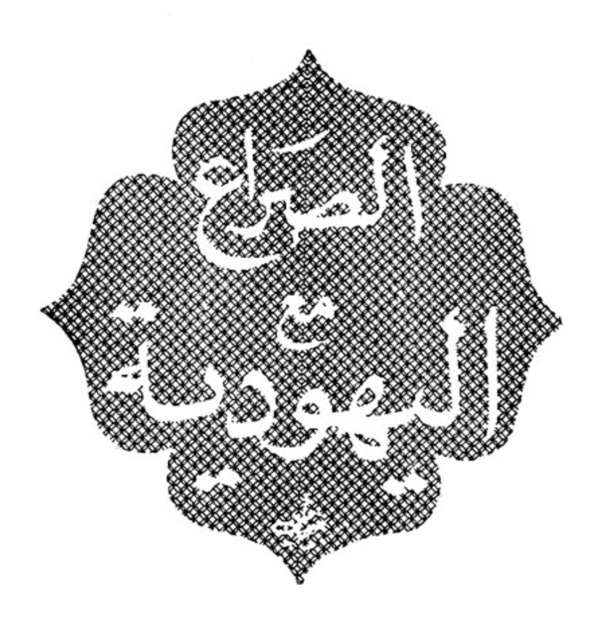
٦ ـ أثر يوم الخمسين :

« وامتلأ الجميع من الروح القدس » (أع ٢ : ٤) ... هذه هى الأعجوبة الحقيقية الداخلية ، ومحور ما حدث فى يوم الخمسين ... ونلاحظ أن الروح القدس لم يحل على الرسل وحدهم ، بل على كل التلاميذ (كل المؤمنين) المجتمعين فى العلية منتظرين موعد الآب ، وكان عددهم مائة وعشرين [٦٤] (أع ١ : ١٥) ... كان ما حدث فى يوم الخمسين هو الوحى العظيم الذى أعانهم فيما بعد ليصبحوا معلمين ملهمين ذوى سلطان للإنجيل ، سواء باللسان أو القلم ... وما كان غامضاً صار الآن واضحاً مفهوماً لهم ... لقد كشف لهم الروح القدس عن حقيقة الفادى وعمله على ضوء قيامته المجدية ، وملك على عقولهم وقلوبهم ...



(٦٤) يقول القديس يوحنا الذهبى فمه [هل حل الروح القدس على الإثنى عشر فقط ؟ كلا ، بل على المائة وعشرين ، وإلاَّ لما استشهد بطرس بما قاله يوئيل النبى (يوئيل ٢ : ٢٨ ، ٢٩) ـــ انظر Homily 4 on the Acts.

الباب الثانى



+ كنيسة أورشليم .
+ مؤامرات اليهود واضطهاداتهم .
+ بركات الاضطهاد وثماره .
+ الكنيسة خارج أورشليم .
  دمشق ـــ أنطاكية .
+ حركة التهود .
+ خراب أورشليم وهيكلها وأثره على
  الكنيسة المسيحية .



ولدت الكنيسة يوم الخمسين بأورشليم ، ولذا عُدّت كنيسة أورشليم هى الكنيسة الأم لليهود المتنصرين ، بل للعالم المسيحى كله فيما بعد ...

ونستطيع أن نتصور الحياة التى كانت تحياها تلك الجماعة المسيحية الناشئة ... كانوا قلة فى عددهم ، خصوصاً بعد أن عاد شهود يوم الخمسين الذين آمنوا إلى أوطانهم ... كانت الحياة ، وكل شىء ، داخل هذه الجماعة الجديدة ، يجرى فى بساطة ، حتى أن القديس لوقا حينما يصور تلك الفترة المبكرة يقول عن المؤمنين أنهم كانوا « يكسرون الخبز فى البيوت ، ويتناولون الطعام بابتهاج وبساطة قلب » (أع ٢ : ٤٦) .

لكن ، ومع ذلك ، كانت هذه الكنيسة الناشئة تنمو داخلياً وخارجياً على أيدى الرسل ... وهنا نذكر القديس بطرس ، الذى كان له ــ بحكم سنه وخبرته وحماسه الفطرى ــ دور قيادى فى تلك الفترة المبكرة من حياة الكنيسة . ساعد الرسل عدد من الكهنة القسوس وسبعة شمامسة للعناية بالفقراء والمرضى ... وكان روح الله يعمل ــ لا فى الرسل وحدهم بل فى جميع التلاميذ أى المؤمنين ، **فقفز** عدد المؤمنين من ثلاثة آلاف إلى خمسة آلاف (أع ٤ : ٤) ... **أما عوامل النمو فكانت الكرازة بالإنجيل وعمل المعجزات باسم الرب يسوع ، وحياة المؤمنين العجيبة فى إيمانها وحبها وكل فضيلة** (١) .

كان المؤمنون ــ بقيادة الرسل ــ يصعدون إلى الهيكل للعبادة ، كما كان يفعل معلمهم ... أما اجتماعات العبادة الخاصة ، فعقدوها فى البيوت (أع ٢ : ٤٦ ؛

---

(١) سيأتى الكلام عن ذلك بالتفصيل .

٥ : ٤٢) . كما واظبوا على تناول عشاء الرب ... وفى كل ذلك كان يجمعهم إحساس بأنهم جماعة واحدة ، وأعضاء جسد واحد رأسه المسيح ... **وقد لازموا الهيكل وعبادته ، وتمموا الناموس القديم ، بقدر ما سمحت لهم حياتهم الجديدة ، وإيمانهم الجديد ...**

وعظات القديس بطرس للشعب إمتازت بالبساطة والاقناع ، أما خطبه أمام السنهدرين (٢) ، فلم تكن دفاعية بقدر ما كانت تبشيرية ، ومفعمة حماساً وغيرة وقوة وإقناعاً وحكمة ... ولا شك أن ذلك كله كان من عمل روح الله الذى جعل من التلميذ الرعديد ، شاهداً صنديداً يشهد أمام مجلس اليهود الأعلى و يقول : « إن كان حقاً أمام الله أن نسمع لكم أكثر من الله فاحكموا ، لأننا نحن لا يمكننا أن لا نتكلم بما رأينا وسمعنا ... ينبغى أن يُطاع الله أكثر من الناس » (أع ٤ : ١٩ ، ٢٠ ؛ ٥ : ٢٩) .

هكذا كانت يد الله القوية واضحة فى الخدمة ، فكان « مؤمنون ينضمون للرب أكثر . جماهير من رجال ونساء » (أع ٥ : ١٤) ... وكانت « كلمة الله تنمو ، وعدد التلاميذ يتكاثر جداً فى أورشليم ، وجمهور كثير من الكهنة يطيعون الإيمان » (أع ٦ : ٧) ... كان الرب هو العامل فيهم وبهم ، وهكذا ... « كان الرب كل يوم يضم إلى الكنيسة الذين يخلصون » (أع ٢ : ٤٧) . **أما نتيجة هذا التوفيق والنجاح فى الخدمة ، فكانت سلسلة طويلة ومريرة من المؤامرات والاضطهادات ، مرت بها الكنيسة والمؤمنون ...**



مؤامرات اليهود :

تظهر أسفار العهد الجديد ، مسلك اليهود الدنىء فى الوشاية والمؤامرات

(٢) أع ٣ : ١٢ — ؛ ٥ : ٢٩ — ؛ ١٠ : ٣٤ —

وإثارة الجماهير ضد الكنيسة المسيحية الناشئة، حينما كانت تعوزهم الفرصة للفتك بالمسيحين والتنكيل بهم ... هذه هى خبرة المسيحيين بهم .

فلما رأوا العالم كله قد ذهب وراء المسيح، حرض رؤساؤهم الجموع أمام بيلاطس الوالى الرومانى ليصلب المسيح ويطلق باراباس اللص (مت ٢٧ : ٢٠) . ولما حنقوا على إستفانوس وعلى الله، وهيجوا الشعب، وأقاموا شهوداً كذبة ضده (أع ٦ : ٩-١٤) ... وإذ إمتلأوا غيظاً من القديس بولس، سعوا لدى والى الحارث الملك فى دمشق، فأحكم مراقبة أبواب المدينة نهاراً وليلاً بقصد القبض عليه وقتله [٣] ...

وفى أنطاكية بيسيدية — بعد أن آمن كثيرون بسبب كرازة بولس وبرنابا — حرك اليهود النساء المتعبدات الشريفات ووجوه المدينة ضد الرسولين وأخرجوهما من تخومهم (أع ١٣ : ٥٠) ... وفى تسالونيكى تقدم اليهود إلى الوالى بوشاية ضد المسيحيين قائلين أنهم يعملون ضد أحكام قيصر لأنهم يؤمنون بملك آخر يسوع (أع ١٧ : ٦-٨) ... وفى أيقونية هيجوا المدينة كلها ضد بولس وبرنابا، وكادوا يفتكون بهما لولا أنهما هربا (أع ١٤ : ١-٦) ... وفى مدينة لسترة نجحوا فى إثارة الناس ضد بولس فرجموه رجماً عنيفاً حتى ظن أنه مات، بعد أن كانوا معجبين به جداً وقالوا إنه إله (أع ١٤ : ٨-١٩) ...

والقديس بولس الذى ذاق منهم الأمرين أجاد فى وصفهم حينما قال : « اليهود الذين قتلوا الرب يسوع وأنبياءهم، واضطهدونا نحن . وهم غير مرضين لله، واضداد لجميع الناس ... قد أدركهم الغضب إلى النهاية » (١ تس ٢ : ١٥، ١٦) .

الإضطهادات الأولى :

كان لا مفر من الصدام بين المسيحية واليهودية ... ولم يكن أمام الكنيسة

(٣) أع ٩ : ٢٣ - ٢٥ ؛ ٢ كو ١١ : ٣٢، ٣٣ .

الناشئة إلاَّ الباب الضيق أن تلجه، والطريق الكرب أن تسلكه ... طريق الضيق والاضطهاد ... كان البادىء بالاضطهاد هم جماعة الصدوقيين (أع ٤ : ١ ؛ ٥ : ١٧) ... ولعل ما أثارهم هو كرازة الرسل بقيامة الرب يسوع من بين الأموات (أع ٤ : ٢)، بينما هم ينكرون القيامة من الأموات ... كان ذلك عقب المعجزة التى تمجد بها الرب بشفاء المقعد من بطن أمه، الذى كان له أكثر من أربعين سنة مقعداً، وكان يجلس عند باب الهيكل يسأل صدقة ... لقد قبضوا على بطرس و يوحنا وأودعوهما السجن إلى الغد ... وما لبثوا أن هالتهم كثرة الآيات والعجائب التى كانت تجرى على أيدى الرسل فأمسكوا بالرسل جميعاً والقوهم فى الحبس. لكن ملاك الرب فتح أبواب السجن ليلاً وأطلقهم. وفى الصباح شوهدوا فى الهيكل يعلمون (أع ٥ : ١٢-٢٠). وفى هذه المرة فكروا جدياً فى التخلص منهم، لولا تدخل المعلم الفريسى غمالائيل، الذى كان متزناً، فاكتفوا بجلدهم واطلاقهم بعد أن أوصوهم أن لا يبشروا باسم الرب يسوع ... أما الرسل «فذهبوا فرحين لأنهم حسبوا مستأهلين أن يهانوا من أجل اسمه» (أع ٥ : ٣٣-٤١).

أول شهيد :

كان المنتظر أن يصبح اليهود اليونانيون، عنصراً تقدمياً متحرراً، إزاء نظرة الازدراء التى كان ينظر بها إليهم يهود فلسطين. لكن حادث مقتل إستفانوس أول شهيد مسيحى يعكس لنا صورة أخرى عنهم.

كان إستفانوس أحد الشمامسة السبعة رجلاً مملوءاً إيماناً وقوة، وكان يصنع عجائب وآيات عظيمة فى الشعب (أع ٦ : ٨). وقد أثارت شخصيته ومعجزاته حسد ومقاومة مواطنيه من اليونانيين ... لقد أسقط فى يدهم، إذ «لم يقدروا أن يقاوموا الحكمة والروح الذى كان يتكلم به» (أع ٦ : ١٠) ... فما كان منهم إلاَّ أن لجأوا إلى أسلوب الدس والإثارة كما هى عادتهم «فخطفوه وأتوا به إلى المجمع» (أع ٦ : ١١، ١٢).

قدم إستفانوس فى احتجاجه صورة تاريخية عريضة، حينما استعرض

تاريخ هذا الشعب، مظهراً به صلاح الله وجحود اليهود ... وهكذا حول **إستفانوس** دفاعه إلى إتهام جرىء ... ثم لخص إستفانوس الفترة الأخيرة من تاريخ أمته اليهودية وأشار إلى بناء الهيكل ... ولم يتفوه بشىء ضده، بل اعتبره نعمة من الله لبيت داود ... لكنه هاجم المادية الشنيعة التى ظهرت فى هذا الهيكل.

كانت كلمات إستفانوس نارية مقنعة تحمل معها الدليل والبرهان، لكنها وقفت عند آذان سامعيه، ولم تجد سبيلاً إلى قلوبهم القاسية ... وحسناً ختم اسطفانوس دفاعه بهذه الكلمات القوية «يا قساة الرقاب، وغير المختونين بالقلوب والآذان. أنتم دائماً تقاومون الروح القدس، كما كان آباؤكم كذلك أنتم. أى الأنبياء لم يضطهده آباؤكم. وقد قتلوا الذين سبقوا فأنبأوا بمجىء البار، الذى أنتم الآن صرتم مسلميه وقاتليه. الذين أخذتم الناموس بترتيب ملائكة ولم تحفظوه» (أع ٧: ٥١-٥٣).

وما أن وصل إستفانوس إلى هذه الفقرة من خطابه، حتى هاج سامعوه وثاروا بعنف شديد، وأخرجوه خارج المدينة ورجموه ... وقيل إن إستشهاده الرائع حدث سنة ٣٦ أو سنة ٣٧ ... كان وجهه يتلألأ بنور سماوى، ورأى رؤيا سماوية ... رأى مجد الله، والرب يسوع قائماً عن يمين العظمة ... **لقد أسلم روحه الطاهرة وهو يصلى من أجل قاتليه، أن لا يقيم الرب عليهم خطية قتله، متشبهاً بسيده الذى طلب الغفران لصالبيه. كان حادث مقتل إستفانوس سبباً فى تحالف الفريسيين مع الصدوقيين، من أجل هدف خبيث مشترك، هو القضاء على الجماعة المسيحية الناشئة، على نحو ما صار هيرودس وبيلاطس صديقين بسبب صلب الرب يسوع ..!!**

وثمة ملاحظة نسوقها ... يورد سفر أعمال الرسل خطاب **استفانوس** الذى يعتبر أطول خطاب سجله هذا السفر. ومن المرجح أن المعلومات الواردة فيه، استمدها كاتب السفر من **بولس الرسول، الذى لم ينس كلمات إستفانوس القوية، ولا وجهه الذى أضاء كوجه ملاك، بينما كان هو راضياً بقتله، ويحرس ثياب الراجمين !!**

شهيد آخر:

تعطف الامبراطور الرومانى كاليجولا Galigula (٣٧ - ٤١ م) على نديمه هيرودس أغريباس (وهو حفيد هيرودس الكبير) فى سنة ٣٧ ، وأقامه ملكاً ، وولاه على كورة تراخونيتس فى أقصى شمال فلسطين . ثم ولاه على مقاطعة الجليل وبلا Pella وتوابعها فى شرقى الأردن ... وفى سنة ٤١ وسع الامبراطور كلوديوس (٤١ - ٥٤ م) اختصاصات هيرودس ، فولاه السامرة واليهودية بالإضافة إلى ما تقدم ... **وكان هيرودس أغريباس قد إشتهر بتهتكه أثناء إقامته بروما . فلما صار ملكاً على كل بلاد فلسطين ، أراد أن يتودد إلى رجال الدين من اليهود ويسترضيهم (٤) ، فأثار إضطهاداً على المسيحيين ، وقبض على قوم منهم ، من بينهم الرسول يعقوب بن زبدى وقتله بحد السيف سنة ٤٤** (أع ١٢ : ١ ، ٢) .

كان القديس يعقوب هو أول مَنْ إستشهد من الرسل ... ويروى يوسابيوس المؤرخ ـــ إستناداً إلى كليمنضس الاسكندرى ـــ قصة إستشهاده فيقول إن الشخص الذى قاد الرسول يعقوب إلى المحاكمة تأثر عندما رأى شجاعته وثباته ، وأعلن إيمانه بالمسيح ، واقتيد كلاهما إلى الخارج . وفى الطريق توسل ذلك الشخص إلى الرسول أن يسامحه ... أما يعقوب ، فبعد تفكير قصير ، قال : [سلام معك] وقبله . وما لبث أن قطعت رأساهما بحد السيف فى آن واحد (٥) .

سجن بطرس :

لم تقنع نفس هيرودس أغريباس المفعمة رياء بقتل أحد رسل المسيح ، بل إذ رأى أن ذلك يرضى اليهود عاد فقبض على بطرس أيضاً ، وطرحه فى السجن ووضع عليه حراسة قوية ، وكان ينوى أن يقتله بعد الفصح ، كتقدمة

---

(4) Lietzmann; A History of the Early Church, p. 177.

(5) Eusebius, H.E., 2.9.

مرضية لليهود ... كان ذلك فى ربيع سنة ٤٤ ... **لكن الله أرسل ملاكه وفتح أبواب السجن وأطلق بطرس** ...

لقد أفرد القديس لوقا اصحاحاً بأكمله لهذا الموضوع (أع ١٢) ... وليس لغير سبب ، أرشد روح الله لوقا ليسجل لنا هذه القصة بالتفصيل .. **فهذا الفصل يسجل عمل الله مع الكنيسة ، كما أنه يسجل بحروف من نور روح الكنيسة الأولى وحياتها ، ومفاهيمها الروحية ، وعظم إيمانها** ... ففى الوقت الذى كان بطرس مسجوناً ، كانت الكنيسة تصلى بلجاجة وبلا إنقطاع إلى الله لأجله ... لقد حل ملاك الله بطرس من القيود الحديدية التى كان مقيداً بها ، وفتح أبواب السجن الضخمة أمامه ... ولما بلغ إلى حيث كان المؤمنون مجتمعين ــ وكان ذلك ليلاً ــ وجدهم يصلون . وكان وصول بطرس إليهم سالماً ، هو إجابة الله العاجلة لصلواتهم .

قصاص الله العادل :

بعد قتل يعقوب بن زبدى ، وسجن بطرس ، ما لبث أن مات هيرودس أغريباس ميتة شنيعة ... ذهب إلى قيصرية ليفصل فى بعض الخلافات التى فشبت بين سكان صور وصيدا ، ويستعرض بعض الألعاب إحتفاء بشفاء الامبراطور كلوديوس ... وفى قيصرية إستقبل بحماس بالغ ... ظهر فى اليوم التالى أثناء الاحتفال يرتدى حلة فضية ، كانت تنكسر عليه أشعة الشمس معطية إنعكاسات ضوئية ، أثارت أعجاب العامة ... وما لبث المتملقون أن تمادوا فى إعجابهم وملقهم فدعوه إلهاً ... **وفى نفس اللحظة يظهر الله إقتداره ، إذ « ضربه ملاك الرب ، وصار الدود يأكله ومات ، لأنه لم يعط المجد لله »** (أع ١٢ : ٢٠-٢٣) ... وقد ذكر يوسيفوس المؤرخ اليهودى المعاصر ، أنه وهو يموت كان يردد فى تعجب « أنا الإله على وشك الموت . لقد قبض الموت على من دعاه الناس خالداً ! » (٦) .

---

(6) Josephus: Antiquities, 19.8.2.

ولا شك أن هذا الحادث طبع تأثيراً قوياً فى الكنيسة التى رأت فى الله حاميها ... فالقديس لوقا بعد أن سجل النقمة الإلهية بهلاك هيرودس والخلاص من شره ، يذكر فى عبارة قصيرة معانى كثيرة ، ما أحرانا أن نقف أمامها للتأمل والتعزية والاستفادة ... قال : « وأما كلمة الله فكانت تنمو وتزيد » (أع ١٢ : ٢٤) .

رسول آخر يستشهد :

إن حوادث القتل والتعذيب والسجن لم تشف غليل اليهود من إخوتهم الذين آمنوا بالمسيح ، بل أنهم استمرأوا ذلك ، ومضوا فيه ... **ففى سنة ٦٢ قام حنان رئيس كهنة اليهود ــ وكان صدوقياً متعصباً ــ وقدم الرسول يعقوب الصغير أسقف أورشليم ــ المعروف باسم أخى الرب ــ إلى المحاكمة أمام السنهدرين ، وحكم عليه بالموت بحجة إرتكابه تعديات ضد الناموس ... ونفذ فيه حكم الموت رجماً بالحجارة** ... هذا ، على الرغم من الشهادة الحسنة التى نالها القديس يعقوب من جميع اليهود بسبب قداسته وتقواه ، حتى أن يوسيفوس المؤرخ اليهودى يسجل أن خراب أورشليم كان إنتقاماً إلهياً لمقتل ذلك البار(٧) .

بركات الاضطهاد وثماره

ظلت طاقات الرسل والتلاميذ متجمعة فى أورشليم ، ولم يفجرها سوى الاضطهاد ... كان مقتل إستفانوس نذير اضطهاد كبير شامل ، تخطى حدود أورشليم ذاتها « فتشتت الجميع فى كور اليهودية والسامرة ما عدا الرسل » (أع ٨ : ١ ؛ ٢٦ : ١٠ ، ١١) ... لقد أطلق مقتل شهيد المسيحية الأول ، كل العداوة الكامنة المتراكمة ضد المسيحيين ... و يبدو أن شاول الطرسوسى (القديس بولس) قاد عامة اليهود فى نفس اليوم من بيت إلى بيت ، يجر المؤمنين الخائفين ــ رجالاً ونساء ــ إلى السجون ، و يسطو على الكنيسة (أع ٨ : ٣) ...

---

(7) Ibid, 20.9.1.

كان اليونانيون هم البادئون بالاضطهاد ... لقد وجهوا اضطهادهم أساساً ـــ وعلى رأسهم شاول ـــ إلى المؤمنين الذين يعرفونهم قبلاً ـــ أى المسيحيين اليونانيين ، الذين كانوا يتعبدون فى مجامعهم ... ولم يجد هؤلاء سبيلاً للنجاة إلاّ الهرب من أورشليم إلى أوطانهم الأولى ، أو الاختباء عند أصدقائهم فى المدينة ، وعلى مقربة منها حتى تهدأ الحال (٨) ... ولابد وأن تكون تلك الفترة المبكرة قد حفلت بشهداء آخرين غير إستفانوس (٩) .

ترسم لنا كلمات القديس لوقا القليلة عن أحداث تلك الفترة المبكرة (أع ٨ : ١-٣) ، صورة قاتمة مزعجة لقطيع المسيح الصغير ... لكن ما يلبث بعدها حتى يقدم عبارة قصيرة تحوى جماع فلسفة المسيحية وتكشف عن مبادئها « الذين تشتتوا جالوا مبشرين بالكلمة » (أع ٨ : ٤) ... **إن هذه الكلمات القليلة هى تعبير عملى دائم عن حقيقة المسيحية وطبيعة رسالتها .. أنها تكشف أن المسيحية هى دائماً ديانة الصليب ، تظهر أصالتها وسط الضيقات ، وتزدهر بالضغطات ... هى ليست ديانة السيف ، بل ديانة الروح والوداعة والحق ... لقد أثبتت الأحداث أن الاضطهاد كان دائماً بركة لكنيسة المسيح** ... فقد إستأصل العناصر الكاذبة ، وأقصى ذوى القلوب الضعيفة ، ووضع خاتمة للحياة اللينة ، ونشر الإيمان المسيحى طولاً وعرضاً ... **والآن نعرض لعينات من بركات الاضطهاد وثماره ...**

١ ـ التبشير فى السامرة (١٠) :

لقد أدى الاضطهاد إلى تشتت المسيحيين ، وهذا وسع حقل نشاطهم

(٨) لم يكن كل اليهود يضمرون العداوة للمسيحيين ، بل كان بينهم عينات طيبة معتدلة متفاهمة ، كالرجال اليهود الأتقياء الذين حملوا جسد استفانوس إلى القبر وعملوا عليه مناحة عظيمة (أع ٨ : ٢) .

(9) Hill, p. 53 — (١٠ : ٢٦ أع) انظر

(10) De Pressensé, Vol. 1, pp. 64 - ; Hill, pp. 59-

الكرازى ، فبدأوا يلتقون ــ وللمرة الأولى ــ بالوثنية المتصوفة لذلك العصر ، التى جمعت فى عقائدها الغامضة الشرق والغرب .. لقد انتظرهم هذا الخصم الجديد فى إحدى مدن السامرة التى إتجه إليها بعضهم ...

لم تكن السامرة ــ فى واقع الحال ــ بلداً وثنياً خالصاً .. كان سكانها سلالة ذلك الخليط من بقية الأسباط العشر وبعض المستعمرين الأجانب ، الذين إنتقلوا إليها بأمر شلمناسر ملك آشور(١١) (٢ مل١٧ : ٢٤) . بعد أن عاد اليهود من بابل ، حاول السامريون أن يشتركوا معهم فى إعادة بناء الهيكل ، لكنهم طردوا باحتقار (عزرا ٤ : ١-٣) ، فصمموا أن يشيدوا هيكلاً ليهوه على جبل جرزيم فى السامرة (١٢) ... وقد حل بالسامريين ما حل باليهود من جراء الاضطرابات التى حدثت فى آسيا الصغرى ، فهدم هيكلهم على يد يوحنا هيركانوس (١٣) Hyrcanus ... لكن على الرغم من ذلك ، فقد إستمر جبل جرزيم موضعاً مقدساً لهم (١٤) ... ثم وقعت السامرة فى قبضة الرومان ، وصارت مستعمرة رومانية ، شأنها فى ذلك شأن جيرانها من اليهود .

ظل السامريون أوفياء للعبادة التوحيدية . وكان إنفصالهم عن اليهود فى بداية العصر النبوى الكبير ، سبباً فى عزلتهم عن التطور الكبير فى العهد القديم ... لقد اعترفوا بقانونية أسفار موسى الخمسة فقط ، مع سفر يشوع خليفة موسى . وباستثناء أقلية ضئيلة ، فقد أنكروا قيامة الموتى (١٥) . وقد شارك السامريون اليهود إلى حد ما فى إنتظارهم للمسيا (يو٤ : ٢٥) . لكن رجاءهم فى المسيا كان مطبوعاً بطابع مادى أكثر من اليهود ... اعتقد السامريون أن المسيا يملك على كل الأمم ليعيد الناموس المقدس ، ويعيد بناء هيكل جرزيم ، ويضمن سيادة موسى على

(11) Josephus; Antiquities, 11.8.6.

(12) Ibid, 12.1.1.

(13) Ibid, 13.9.

(14) Ibid, 13. 14.1.

(١٥) أوريجينوس فى تفسيره لسفر العدد ، مقال ٢٥ : ١ .

العالم . وليس أدل على طبيعة آمالهم الأرضية من السهولة التى استطاع بها سيمون الساحر أن يخلب عقولهم .

أما عن كراهية اليهود للسامريين والقطيعة بينهم ، فهى كراهية تقليدية . وقد غذت بعض الأحداث الكراهية بين الشعبين المتجاورين ... ويقدم لنا الإنجيل أدلة كثيرة على ذلك ... فأشر النعوت التى صاغها اليهود وقالوها عن المسيح ، أنه سامرى (يو٨ : ٤٨) ، حتى أن المرأة السامرية إعترتها الدهشة لكلام المسيح معها . ويحذر التلمود اليهودى أى إسرائيلى من مؤاكلة السامرى ، ويعتبره كمَنْ يأكل لحم خنزير !!

وهكذا نرى أن ذهاب الرسل والتلاميذ إلى السامرة للكرازة فيها لابد وأنه أثار كوامن عداء شعبهم اليهودى . لكنها كانت ولا شك خطوة كبيرة نحو الإتساع الحقيقى للمسيحية ... هكذا وضعت الكنيسة الأولى قدمها على الطريق الذى افتتحه إستفانوس بموته ، وأتى استشهاده بثماره الأولى ...

كان أول مَنْ كرز فى السامرة هو فيلبس المبشر أحد السبعة شمامسة ... وقد أيد الرب كرازته بآيات كثيرة ، حتى أن كثيرين ــ رجالاً ونساء ــ اعتمدوا على يديه ، بل أن سيمون الساحر نفسه آمن واعتمد ، لكن لم يكن قلبه مستقيماً أمام الله ... كانت نتيجة كرازة فيلبس « فرح عظيم فى تلك المدينة » (أع٨ : ٥-٨) ... ترامت هذه الأخبار السارة إلى الكنيسة الأم فى أورشليم ، فأرسلت إلى السامرة الرسولين بطرس ويوحنا ليهبا ــ بصلواتهما ووضع أيديهما ــ الروح القدس لأولئك الذين عمدهم فيلبس [١٦] ... فلما وصل بطرس ويوحنا صليا لأجل مَنْ اعتمدوا ، ووضعا عليهم الأيادى فقبلوا الروح القدس (أع٨ : ١٥-١٧) .

ولم تقف الكرازة فى السامرة عند حد هذه المدينة فقط ، بل أن الرسولين بطرس ويوحنا ، وهما فى طريق العودة إلى أورشليم « بشرا قرى كثيرة

---

(١٦) كان فيلبس شماساً فقط ، ولم يكن له من درجات الكهنوت ما يخوله ممارسة سر التثبيت ، الذى كان يتم بوضع أيدى مَنْ هم فى درجة الأسقفية فى الكنيسة الأولى .

للسامريين » (أع ٨ : ٢٥) ... **هكذا تمت كلمات الرب يسوع لرسله فى أعقاب حديثه مع المرأة السامرية فى مدينة سوخار ــ إحدى مدن السامرة** ... « ارفعوا أعينكم وانظروا الحقول ، إنها قد ابيضت للحصاد ... » (يو ٤ : ٣٥) .

٢ ـ عماد الخصى الحبشى :

الله الذى كان يقود الخدمة والخدام فى الكنيسة ، أرشد فيلبس وهو فى السامرة بواسطة ملاك ، أن يقوم ويسافر نحو الجنوب على الطريق الصحراوى المنحدر من أورشليم إلى غزة ... أطاع فيلبس « وإذا رجل حبشى خصى وزير لكنداكة ملكة الحبشة [١٧] ، كان على جميع خزائنها . فهذا كان قد جاء إلى أورشليم ليسجد . وكان راجعاً وجالساً على مركبته ، وهو يقرأ النبى إشعياء » . ومرة أخرى يوجه روح الله فيلبس أن يتقدم ويرافق مركبة الوزير ... وهنا دار الحديث بين فيلبس وذلك الوزير . وحينما سأله فيلبس إن كان يفهم ما يقرأ من سفر إشعياء ، جاءت إجابته معبرة عن إتضاع عميق « كيف يمكننى إن لم يرشدنى أحد » ... وفى إتضاعه طلب إلى فيلبس أن يصعد ويجلس معه فى المركبة ... اتخذ فيلبس من فصل إشعياء الذى كان يقرأه ذلك الوزير ، مادة لتبشيره ... وكما كان ذلك الوزير متضعاً ، كذلك كان تواقاً لخلاص نفسه . فما أن أقبلا على ماء ــ وكان قلبه قد تفتح بالنعمة ــ حتى قال لفيلبس فى لهفة حتى لا تفوته الفرصة : « هوذا ماء . ماذا يمنع أن أعتمد » ... وإذ كشف عن إيمانه بأن يسوع هو ابن الله ، عمده فيلبس على مقربة من غزة » (أع ٨ : ٢٦-٤٠) ... **هذا المنظر الجميل الفريد فى الصحراء ، يكشف لنا عن افتقاد الله ، وهو يبحث فى كل**

---

(١٧) كلمة الحبشة قديماً إصطلاح عام أطلق على كل المنطقة جنوبى مصر . وجميع الملكات اللائى حكمن فى مملكة مروى Meroe جنوبى الشلال الثانى للنيل ، كن يسمّين « كنداكة » على نحو ما كان ملك مصر يُسمى « فرعون » . كانت الديانة اليهودية قد وصلت إلى الحبشة قبل ذلك بزمان طويل . وكان عبد ملك صديق أرميا النبى خصياً حبشياً (إرميا ٣٨ : ٧) ــ انظر Hill, p. 62 .

مكان عن النفس التى تبحث عنه (١٨) .

لكن مَنْ يكون هذا الوزير الخصى ؟ يبدو أنه كان أحد الأمميين المتعبدين (خائفى الله) وقطعاً لم يكن يهودياً ، لأنه من حيث كونه خصياً ، كان لا يسمح له بالدخول ضمن جماعة الرب حتى لو كان قد إختتن (تث ٢٣ : ١) . لكنه كان يسمح له بالعبادة فى الهيكل فى دار الأمم ... ومن أجل هذا الغرض ، قطع رحلة طويلة إلى أورشليم ليسجد فيها ... ويروى التقليد الكنسى القديم أن هذا الخصى هو أول مَنْ حمل المسيحية إلى بلاده (١٩) .

٣ ـ تبشير المدن الساحلية :

كانت بلاد فلسطين تضم مدناً يونانية ، معظم سكانها من الوثنيين . وكانت تقع أساساً على طول ساحل البحر المتوسط ... ويروى لنا سفر الأعمال أن فيلبس ـــ بعد أن عمد الوزير الحبشى على مقربة من غزة ـــ خطفه روح الرب إلى أشدود ... **بعدها بشر فيلبس جميع المدن الساحلية ، وهو فى طريقه شمالاً حتى وصل إلى قيصرية عاصمة فلسطين وقتذاك** (أع ٨ : ٤٠) .

٤ ـ الكرازة فى كل بلاد فلسطين :

إن قصة الكرازة بالإنجيل لم تدون بالتفصيل فى سفر أعمال الرسل ، لكن القديس لوقا ـــ كاتب السفر ـــ أورد إشارات بسيطة عن ذلك ... « **أما الكنائس** فى جميع اليهودية **والجليل** والسامرة فكان لها سلام ، وكانت تبنى وتسير فى خوف الله ، وبتعزية الروح القدس كانت تتكاثر » (أع ٩ : ٣١) ... **ونلاحظ**

---

(١٨) صدق القديس جيروم فى وصفه لذلك الوزير [لقد وجد فى ينبوع الكنيسة فى الصحراء ، أكثر مما وجد فى الهيكل المذهب بأورشليم] .

(19) Eusebius, H.E. 2.1.13; Harnack, The Mission .. p. 52; Hill, pp. 62-; De pressensé, Vol. 1, pp. 74, 75.

هنا أنه يذكر « كنائس الجليل ». هذه مجرد إشارة دون أن يذكر لنا القديس لوقا أية تفصيلات عن ذلك ...

فيما يختص بالكرازة فى الجليل ــ وهو القسم الشمالى من بلاد فلسطين ــ لا توجد لدينا وثائق تاريخية عن ذلك ... لكن **النقوش التى اكتشفت أخيراً فى الناصرة ــ وهى إحدى مدن الجليل ــ تثبت أن البشارة بالإنجيل وصلت إلى الجليل فى زمان مبكر جداً** ... والصلات العائلية والقرابة الجسدية لكثير من الرسل باقليم الجليل ، تؤكد إحتمال قبولها المسيحية فى تاريخ مبكر[٢٠] .

وبعد الإشارة السابقة التى أوردها القديس لوقا عن الجليل ، يورد إشارة أخرى فيقول : « وحدث أن بطرس وهو يجتاز بالجميع ، نزل أيضاً إلى القديسين الساكنين فى لدة » (أع ٩ : ٣٢) ... **وإيراد هذه العبارة** بعد العبارة الأولى الخاصة بنمو كنائس **« اليهودية والجليل والسامرة » ، يحملنا على الاعتقاد بأن القديس بطرس كان يتحرك ويتجول جولات كرازية ، يبشر ويثبت المؤمنين ... وهنا يورد خبر معجزتين صنعهما الرب على يدى بطرس : شفاء إينياس فى مدينة اللد** ــ وكان مفلوجاً لمدة ثمانى سنين ، وإقامة **طابيثا بعد موتها فى مدينة يافا** ... أما نتيجة خدمة بطرس فى اللد ويافا ، كانت إيمان كثيرين بالرب (أع ٩ : ٣٢-٤٢) .

٥ ـ إيمان شاول الطرسوسى :

ولعل أعظم البركات التى نتجت عن إضطهاد الكنيسة الأولى ، هى إيمان شاول الطرسوسى حوالى سنة ٣٧ م ... ذلك الرجل الذى كانت الغيرة تعتمل فى داخله بدوافع ومفاهيم فريسية خاطئة. ومن ثم جند ذاته لاستئصال شأفة المسيحية ، فكان يضطهد كنيسة الله بإفراط ويتلفها (غل ١ : ١٣) . كان يحبس كثيرين من القديسين فى السجون بأمر رؤساء الكهنة ، وكان

(20) Daniélou; The Christian Centuries, Vol. 1, p. 18.

يعاقبهم ويضطرهم إلى التجديف ... ولفرط حنقه ، كان يطاردهم إلى المدن خارج أورشليم (أع ٢٦ : ١٠ ، ١١) ... **وفى إحدى حملاته الإنتقامية التى جردها ضد المؤمنين فى دمشق ، إلتقى بقائد هؤلاء المسيحيين ورئيس خلاصهم عند مشارف دمشق ... وكانت معركة ، لكنها غير دموية وغير متكافئة ، سقط فيها شاول مستسلماً ، وغدا أسيراً** ... أسره الرب يسوع بلطفه وحنوه وحبه ، حين أبرق حوله نور سماوى ، وسمع صوتاً يقول له : « شاول شاول لماذا تضطهدنى » ... وحين أعلن له الرب ذاته ، قال فى استسلام عجيب : « يارب ماذا تريد أن أفعل » ... وهنا قال له الرب يسوع عما يريده أن يفعل (أع ٩ : ١-٦) .

لم ينس بولس هذه المعركة ... لم ينس أن الرب يسوع أسره يوماً ... ذلك الضعف الذى طالما تغنى به على أنه القوة عينها ... ذلك الأسر العجيب الذى عتقه وحرره ، الذى كان يحلو له فيما بعد أن يعلنه « بولس ... أسير يسوع المسيح » [٢١] .

بعد هذا اللقاء الخلاصى العجيب ، ظل شاول فاقد البصر ثلاثة أيام ، طواها صائماً فى دمشق ، وبواسطة رؤيا أعلنت لتلميذ يقال له حنانيا ، وأخرى أعلنت لشاول نفسه ، قصد بعدها حنانيا إلى حيث كان شاول نازلاً ، ووضع يديه عليه ، فللوقت سقط من عينه شىء كأنه قشور ، فأبصر فى الحال ، وقام واعتمد وامتلأ من الروح القدس (أع ٩ : ١٠-١٨) ... وأمضى فى دمشق أياماً مع المؤمنين ...

أما « حنانيا » الذى عمد بولس ، فنحن لا نعرف الكثير عنه ... يذكره القديس لوقا على أنه « تلميذ » أى مؤمن مسيحى (أع ٩ : ١٠) ، ويصفه القديس بولس بأنه رجل تقى حسب الناموس ومشهود له من جميع اليهود (أع ٢٢ : ١٢) ... ويذكره التقليد الكنسى على أنه أحد السبعين رسولاً ، وأسقف دمشق [٢٢] ...

---

(٢١) انظر : أف ٣ : ١ ؛ ٤ : ١ ؛ ٢ تى ١ : ٨ ؛ فل ٩ .

(٢٢) سنكسار الكنيسة القبطية تحت يوم ٢٧ بؤونة ، وسنكسار الروم الكاثوليك فى أول تشرين الأول — انظر : Smith, Dictionary of the Bible, Vol. 1, p. 127.

٦ ـ الكرازة فى فينيقية وأنطاكية وقبرص :

والكرازة فى هذه المناطق أيضاً جاءت كنتيجة للاضطهاد ... « أما الذين تشتتوا من جراء الضيق الذى حصل بسبب استفانوس فاجتازوا إلى **فينيقية وقبرص** وأنطاكية ، وهم لا يكلمون أحد بالكلمة إلاَّ **اليهود فقط** . ولكن كان منهم **قوم** ، وهم رجال قبرسيون وقيروانيون ، الذين لما دخلوا أنطاكية كانوا يخاطبون اليونانيين مبشرين بالرب يسوع . وكانت يد الرب معهم فآمن عدد كثير ورجعوا إلى الرب » (أع ١١ : ١٩ - ٢١) ...

على أن عبارة **« لا يكلمون أحداً بالكلمة إلاَّ اليهود فقط »** الواردة فى الآيات السابقة ، لا يقصد بها عدم تبشير اليونانيين كلية كمبدأ ، لكنها تعنى أن الأمر سار فى بادىء الأمر فى طريق البعثات التبشيرية السابقة . لكن مالبث بعض اليونانيين أن تخطوا هذه الحدود ، فكانت بداية تبشير الأمم ... على أن هذا الأمر حدث كامتداد طبيعى للعمل ... هكذا تأسست فى أنطاكية أول كنيسة مختلطة (يهود وأمم متنصرين) ، كنتيجة للتشتت الذى حدث بسبب الاضطهاد الذى أعقب مقتل إستفانوس (٢٣) .

* * *



(23) Weiss, Earliest Christianity, Vol. 1, pp. 171-179; Harnack, Mission .. pp. 52, 53.



بعد تأسيس الكنيسة المسيحية فى يوم الخمسين ، إتجهت جهود الرسل الكرازية ــ كما ذكرنا ــ إلى تبشير اليهود أولاً ، وعلى الأخص فى أورشليم ... فقد كان لزاماً عليهم أن يشهدوا للرب أولاً أمام إخوتهم ، وفى معقل اليهودية ذاتها ، ويعملوا فيها علانية ... وبعد تأسيس كنيسة أوشليم ، تأسست كنائس فى اليهودية والجليل والسامرة وعلى شاطىء البحر المتوسط .

قد يظن البعض أن الرسل ، عقب تأسيس الكنيسة مباشرة ، وما بين عشية وضحاها ، انطلقوا إلى أقاصى المسكونة ليبشروها ... لكن الواقع غير ذلك . فقد ظلت جهود الرسل والتلاميذ محصورة فى نطاق بلاد اليهودية لمدة اثنتى عشرة سنة تقريباً (٢٤) . وكان ذلك إتماماً لوصية الرب لهم قبيل صعوده « تكونون لى شهوداً فى أورشليم ، وفى كل اليهودية والسامرة ، وإلى أقصى الأرض » (أع ١ : ٨) ... وحكمة الرب واضحة فى ذلك ... فهو يريدهم أن يسيروا وفق سنن الطبيعة ، فيبدأون بالخدمة فى الحقول الصغيرة كمقدمة لحقل العالم الواسع ، و يتدرجون من الأسهل إلى الأصعب والأعقد .

وهكذا ، فإنه بفضل هذه الخطة الإلهية الحكيمة إستطاعت المسيحية أن تنتشر إنتشاراً ملحوظاً فى خلال الخمسة عشر عاماً الأولى ... لكن ينبغى ألاَ نكون مبالغين فى تقديرنا لاتساع دائرة الإيمان ، سواء من ناحية الأماكن التى وصلت إليها الكرازة ، أو من ناحية أتباع الديانة الجديدة ... والواقع أن المسيحية شقت طريقها بصعوبة إلى العالم اليهودى خارج أورشليم . ولا شك أن

(٢٤) تقليد قديم ذكره كليمنضس الاسكندرى ، وأورده يوسابيوس المؤرخ ــ انظر :
Eusebius, H.E., 5.18.13.

يوسابيوس المؤرخ كان مبالغاً جداً حينما قال، إنه خلال حكم الامبراطور طيباريوس ـــ أى قبل سنة ٣٧ م [أنار تعليم المخلص كل العالم بسرعة كأشعة الشمس. وللحال خرج صوت الإنجيليين والرسل الملهمين إلى كل الأرض، وإلى أقصى المسكونة كلماتهم. وسرعان ما تأسست الكنائس فى كل مدينة وقرية، وامتلأت بجماهير الشعب كبيدر ملىء بالحنطة] (٢٥).

والآن نستعرض مركزين هامين من مراكز المسيحية خارج أورشليم : دمشق وأنطاكية ...

دمشـــــق :

هى أول مركز نلتقى به خارج أورشليم. ويمدنا سفر الأعمال بمعلومات عنها فى موضوعين. أولهما ما يتعلق بقصة إهتداء بولس حوالى سنة ٣٧ على مقربة منها، عقب الرؤيا التى رآها (أع ٩ : ١-٩). أما الموضع الثانى فهو (أع ١١ : ١٩) حين يربط كاتب سفر الأعمال بين « الذين تشتتوا من جراء الضيق الذى حصل بسبب (مقتل) إستفانوس » وبين التبشير فى فينيقية ـــ التى كانت دمشق تعتبر جزءاً منها.

وإذا كان حادث إيمان شاول الطرسوسى قد وقع حوالى سنة ٣٧ م، فمعنى ذلك أنه كانت قد تأسست فى دمشق جماعة مسيحية قبل ذلك التاريخ. لأن الرؤيا التى ظهرت لشاول قرب دمشق، كانت وهو فى طريقه للإنتقام من هذه الجماعة المسيحية ... **وهؤلاء المسيحيون لابد وأنهم كانوا يهوداً قبل إيمانهم**، وإلاَّ لما وقعوا فى دائرة إختصاص رئيس كهنة اليهود فى أورشليم، الذى زود شاول برسائل من أجلهم ... وأيضاً لأن بشرى الخلاص ـــ حتى ذلك الوقت ـــ كانت لا تعرض إلاَّ لليهود فقط (أع ١١ : ١٩) ... كان المسيحيون وقتئذ يدعون **« رجال الطريق »**

---

(25) H.E., 2.3.

(أع ٩ : ٢) . وهو إصطلاح يهودى خالص ، للتعبير عن شيعة جديدة (٢٦) ... كما أن حننيا الذى أعلن له الرب عن إهتداء شاول ، وهو الذى عمده كان أسقفاً على دمشق ، و يذكره سفر الأعمال بأنه رجل تقى حسب الناموس ومشهود له من جميع اليهود السكان فيها (أع ٢٢ : ١٢) .

وماذا أيضاً عن جماعة دمشق المتنصرة ؟

كانت الجماعة المسيحية فى دمشق من اليهود اليونانيين أصلاً ... وإن لم تكن كل الجماعة من هؤلاء اليونانيين ، فلا أقل من أن جزءاً منها كان من اليونانيين . وثمة نقطة أخرى تساعد على إلقاء ضوء على هذه الجماعة . فقد كشفت الحفائر الحديثة عن قانون جماعة يهودية تأسست فى دمشق ، من طراز الاسينيين الذين اكتشفت خرائبهم فى قمران عند البحر الميت ... وبالمقارنة يظهر أن الجماعة المسيحية التى تأسست فى دمشق كانت أصلاً من الصدوقيين المتنصرين . وكانت هذه الجماعة لا تقيم بمدينة دمشق ذاتها ، بل فى المنطقة الصحراوية المجاورة لها ... و يعتقد المؤرخ هرناك Harnack أن مركز هذه الجماعة كان **فى قرية كوكبا Kokba** . و يربط هرناك بين مركز هذه الجماعة ، وبين تقليد قديم يقول إن الرؤيا التى ظهرت لشاول الطرسوسى كانت فى نفس هذه البقعة . كانت قرية كوكبا تقع على بعد عشرة أميال جنوب غربى دمشق . وهذا الموقع يتمشى مع رواية سفر الأعمال عن قصة إيمان شاول ، أنها حدثت قرب دمشق (أع ٩ : ٣ ؛ ٢٢ : ٦) .

وثمة علاقة أخرى يراها البعض **بين القديس بولس وقرية كوكبا** ... أنهم يرون أن كلمة « **العربية** » التى إنطلق إليها القديس بولس من دمشق بعد إهتدائه (غل ١ : ١٧) هى قرية كوكبا الواقعة فى الصحراء ... و يدللون على هذا الرأى ، بأن كلمة العربية فى ذلك الوقت كانت تعنى مملكة النبوطيين (٢٧) ، التى كانت

---

(٢٦) انظر (أع ١٩ : ٩) حيث يُذكر أن بعض اليهود المتعصبين فى أفسس كانوا « يتقسون ولا يقنعون شاتمين الطريق » ، و يقصد بالطريق هنا جماعة المسيحيين — انظر : Daniélou, Vol. 1, p.22.

(٢٧) شعب عربى ، وكانت مملكتهم تشغل أدوم وجنوب شرقى الأردن ، وجنوب شرقى سوريا انظر (مكابيين الأول ٥ : ٢٥) ، Hastings Dictionary of the Bible, p. 46; Oxford Bible Atlas.

تمتد من دمشق شمالاً إلى بترا Petra العاصمة جنوباً (٢٨) .

أنطـــاكية :

كانت مدينة أنطاكية الواقعة على شاطىء نهر الأورنتس Orontes فى سهل خصيب ، هى المقر القديم لملوك سوريا . **وغدت عبر التاريخ أحد معاقل الحضارة الوثنية ، ومركزاً هاماً للثقافة الاغريقية . بل كانت إحدى المراكز الكبيرة التى إلتقى فيها الشرق بالغرب ، وإختلطت فيها ثقافتهما ... كانت مدينة دولية ، سكانها الأساسيون من السريان ، لكن كان فيها كثرة من اليونانيين واليهود** ... وهكذا أصبحت أنطاكية ــ بمبانيها الجميلة ، وعدد سكانها الكبير ، وتجارتها الواسعة ، وتفوقها الفنى ، وثرائها العريض ــ تعتبر ثالث مدن الامبراطورية بعد روما والاسكندرية .

كان تأسيس كنيسة مسيحية فى أنطاكية حدثاً هاماً ذا نتائج ضخمة بالنسبة للكنيسة الأولى ، وكان تدبيراً إلهياً هاماً ، بفضل وضع المدينة ومركزها الجغرافى الممتاز ... وهكذا أصبحت الكنيسة الانطاكية مركز الانطلاق لنشر الإيمان الجديد ... فقد أصبح ممكناً أن ينتقل هذا الإيمان ــ بعد فصله مما علق به من العادات اليهودية المعقدة ــ إلى أنحاء الامبراطورية الأخرى ... يضاف إلى ذلك ، أن قصر المسافة بينها وبين أورشليم ، جعلها قادرة على الإتصال الدائم بالكنيسة الأم فيها (٢٩) .

يرجع تبشير أنطاكية إلى الذين تشتتوا من أورشليم من جراء الضيق الذى حصل بسبب مقتل استفانوس ، كان بين هؤلاء تلاميذ من قبرص ومن القيروان بشروا اليونانيين ، أى الوثنيين ، فآمن عدد كبير منهم (أع ١١ : ١٩-٢١) . وهكذا تبدو أنطاكية كالمركز الأول الهام لجماعة وثنية متنصرة ... كان لليهود فى أنطاكية

(28) Daniélou, Vol. 1, pp. 22-24.

(29) Ibid, p. 24.

جالية لا بأس بها ، لكن الإرسالية المسيحية لم تحصر ذاتها داخل حدود المجمع اليهودى ... كان هؤلاء التلاميذ القبرصيون والقيروانيون يمثلون أكثر أعضاء كنيسة أورشليم تحرراً فى المفاهيم الإيمانية بالنسبة لليهودية ، و يرجح أنهم كانوا على صلة باستفانوس (٣٠) . ومن ثم فقد قصدوا تبشير الوثنيين ... لقد قبل كثيرون منهم الإيمان الجديد . وهكذا تأسست أول كنيسة مسيحية خارج اليهودية والسامرة . وهكذا فتحت أبواب العالم للإرساليات المسيحية ــ تلك الأبواب التى احتفظت بها اليهودية مغلقة . ومنذ ذلك الوقت ، أخذ الدين الجديد وضعه السليم ... كان يدعو اليونانيين كما يدعو اليهود ، وفى كل مكان فى العالم . **وارتفعت الكنيسة ــ ولأول مرة ــ لفهم كلمات رب المجد « الحقل هو العالم »** (مت ١٣ : ٣٨) .

وفى بداية تكوين الجماعة المسيحية فى أنطاكية أرسل الرسل من أورشليم برنابا إليها . وكانت خدمة برنابا فى أنطاكية مثمرة جداً « فانضم إلى الرب جمع غفير» (أع ١١ : ٢٢) . وإذ وجد برنابا أن الحصاد كثير، سافر إلى طرسوس وأحضر معه شاول (بولس) إلى أنطاكية ، وظلا يخدمان بها سنة كاملة (أع ١١ : ٢٦) وصارا القائدين الفعليين للخدمة هناك .

إمتازت كنيسة أنطاكية فى هذه الفترة المبكرة بكثرة مواهبها الفائقة . فوجد فيها أنبياء كثيرون (أع ١٣ : ١-٣) ... **كما إمتازت بتحلل المسيحية فيها من قيوذها اليهودية ، وانطلاقها فى كامل حريتها وجمالها .** ففيها عرفت المسيحية ــ ولأول مرة ــ باسمها الحقيقى « ودعى التلاميذ (المؤمنون) مسيحيين فى أنطاكية أولاً » (أع ١١ : ٢٦) ... لقد خلعت المسيحية على أتباعها اسمها اليونانى الخاص . وكان مسيحيو فلسطين يسمون « ناصريين » (٣١) (أع ٢٤ : ٥) . وهذه

---

(30) De Pressensé, Vol. 1, pp. 75, 76.

(٣١) لم تطلق هذه التسمية على الرب يسوع وعلى المسيحيين من الخارجين عن الكنيسة ، بل فى داخل الكنيسة . والرب يسوع نفسه دعا نفسه بها حينما ظهر لشاول الطرسوسى ــ انظر : (أع ٢ : ٢٢ ؛ ٣ : ٦ ؛ ٤ : ١٠ ؛ ٦ : ١٤ ؛ ٢٢ : ٨ ؛ ٢٦ : ٩ ؛ لو ٢٤ : ١٩) . انظر أيضاً : Lietzmann, pp. 131.

التسمية ، إما أن الشعب هو الذى أطلقها بعد أن أبصروا تطور المسيحية وتقدمها ، وإما أنه اسم دمغهم به خصومهم من الأمم ... ومهما يكن من أمر ، فإن هذه التسمية « **مسيحيين** » فى حد ذاتها برهان على أن الجماعة الجديدة فى أنطاكية ، وقفت فى شجاعة متميزة عن اليهودية ، وأن الكنيسة لم تعد مجرد شيعة يهودية (٣٢) ... يضاف إلى هذا أن **فى أنطاكية ــ وربما للمرة الأولى ــ عاش الأمم واليهود المتنصرون جنباً إلى جنب متجاورين ،** فى الوقت الذى ظل اليهود أوفياء لعاداتهم اليهودية وناموسهم ، الذى كان يمنعهم من الأكل مع غير اليهود ، كما مع الوثنيين المتنصرين ... كانت هذه هى المشكلة التى واجهت بطرس الرسول فى أنطاكية ، وبسببها قاومه بولس الرسول واتهمه بالرياء (غل ٢ : ١١-١٤) .



(32) Harnack, Missions .. p. 53; De pressensé, Vol. 1, p. 77; Daniélou, Vol. 1, p. 24.



حركة التهود من الحركات الكبيرة والقوية ، التى صاحبت نشأة الكنيسة المسيحية فى عصرها الرسولى، والتى انبثقت من داخلها ... قام بها **بعض** مَنْ آمن من اليهود المتزمتين ، بهدف أن يلتزم كافة المسيحيين ــ سواء كانوا من أصل يهودى أو وثنى ــ بالناموس اليهودى القديم ... وقد كان لهذه الحركة دوافع ونتائج ... **ويزيد من أهميتها أن بعض نتائجها ــ بصورة غير مباشرة ــ مازالت حية حتى الآن فى الكنيسة المسيحية** كما سنرى ... لذا إهتممنا بأن نعرض لهذا الموضوع من كافة جوانبه ...

نظرة اليهود المتنصرين للناموس اليهودى :

تعلق اليهود بناموسهم اليهودى تعلقاً كبيراً ... كانوا فخورين به على أساس أنهم شعب الله المختار دون سائر الشعوب ، وإن الله هو الذى أعطاهم هذا الناموس . **بل** إن بعضه ــ وهو الوصايا العشر التى سلمت لموسى على جبل سيناء فى لوحين من حجر ــ كتب بأصبع الله (خر٣٢: ١٦ ؛ ٣٤ : ١) ... ومن هنا كان **اعتزازهم** بناموسهم .

ويقصد بالناموس [٣٣] **الشرائع الدينية الأدبية والطقسية والقضائية التى حواها كتاب العهد القديم .** كان اليهودى يعتبر نفسه ملزماً بهذا الناموس المكتوب ، بالإضافة إلى ناموس آخر غير مكتوب ، ويقصد به التقاليد الشفوية التى سلمها إليهم معلموهم ، الذين ادعوا أن موسى على جبل سيناء ، تسلم من الله **شريعة** مكتوبة وأخرى شفوية ... وكان اعتقاد اليهود أن كسر أية وصية هو تعد على

---

(٣٣) كلمة يونانية Nomos وتعنى قانون .

الناموس بأكمله .

انبثقت المسيحية من اليهودية ، بعد أن أكمل السيد المسيح فى شخصه الناموس القديم . فقد ولد فى ظل هذا الناموس (غل ٤ : ٤) ، بل لقد قال : « لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ، ما جئت لأنقض بل لأكمل » (مت ٥ : ١٧) . والسيد المسيح بتجسده جاء أولاً إلى خاصته من اليهود (يو ١ : ١١) . وحينما أرسل رسله فى إرساليات تدريبية ، أرسلهم إلى خراف بيت إسرائيل الضالة (مت ١٠ : ٦) ... وقبيل صعوده أوصاهم أن يشهدوا له فى أورشليم وكل اليهودية ، قبل أن يشهدوا له فى السامرة وأقصى الأرض (أع ١ : ٨) . ومعنى هذا أن بشرى الخلاص قدمت لليهود أولاً ... هؤلاء اليهود الذين تمسكوا بالناموس وحرفيته ، وظنوا أن لا شىء ينسخه أو يعـدله أو يحل محله ...

حاول اليهود المتنصرون أن يبنوا على هذا الأساس : إحتفاظهم بالناموس القديم مع إيمانهم بيسوع المخلص الذى تنبأت عنه كتب العهد القديم ... وهكذا أرادوا أن يجعلوا رقعة جديدة على ثوب عتيق ، وأن يجعلوا خمراً جديدة فى زقاق عتيقة (مت ٩ : ١٦ ، ١٧) ..

وقد استمر هؤلاء اليهود المتنصرون متأثرين تأثراً عميقاً بيهوديتهم ، وكانوا يشاركون شعبهم اليهودى حياته ... ويذكر سفر أعمال الرسل أن الذين آمنوا منهم كانوا جميعاً **« غيورين للناموس »** (أع ٢١ : ٢٠) . ومعنى هذا أن الأطفال كانوا يختتنون ، وطقوس التطهير تراعى (أع ٢١ : ٢٦ ؛ ٢٤ : ١٨) . وقد شارك مسيحيو أورشليم فى الصلوات التى كانت تتلى يومياً فى الهيكل [٣٤] . وامتنعوا عن أكل الأطعمة التى اعتبرت نجسة [٣٥] فى العهد القديم (أع ١٠ : ١٤) . **وهكذا**

---

(٣٤) انظر : أع ٢ : ٤٦ ؛ ٣ : ١ ؛ ٥ : ٢١ .

(٣٥) التمييز بين ما هو طاهر ونجس من الحيوانات فى العهد القديم ، كان إشارة ورمزاً إلى التمييز بين البشر : ختان وغرلة أو يهود وأمم . وفى الرؤيا التى أعلنت لبطرس الرسول بخصوص كرنيليوس ، قال بطرس إنه لم يأكل قط شيئاً دنساً أو نجساً . وهو هنا تكلم كيهودى ، أما الرد الذى اقتبله من الله ، فإنه يظهر معنى العهد الجديد ، وأن الله بدم الفداء طهر كل ما هو نجس وانتهى عهد التمييز بين شعب مقدس وآخر غير مقدس ، كالحيوانات الطاهرة وغير الطاهرة .

ظهر المسيحيون الأوائل على أنهم يهود غيورون رافقتهم بركة الرب (أع ٥ : ١٣) . **وكأنهم قد شكلوا جماعة خاصة داخل كيان إسرائيل** (٣٦) . ومهما يكن من أمر، فطالما بقيت المسيحية فى مهدها اليهودى، فقد اعتقد جميع المؤمنين أنهم ملتزمون بالناموس .

لكن ما لبثت بشرى الخلاص أن وصلت إلى الأمم الوثنية بصورة فردية . وعلى الرغم من أن الأمر تم بناء عن إعلان إلهى، فقد قوبل بالدهشة والمقاومة، على نحو ما حدث فى حالة إيمان وعماد كرنيليوس قائد المائة الأممى وأهل بيته (٣٧) ، وتبشير اليونانيون الوثنيين فى أنطاكية (أع ١١ : ٢٠ ، ٢١) .

نظرات مختلفة للناموس :

كان نتيجة إيمان الأمم وإقبالهم على الإيمان بالمسيح، أن ظهرت فى الكنيسة الأولى ثلاث وجهات نظر بين اليهود المتنصرين، فيما يختص بالتزامات الناموس (٣٨) :

١ - فريق رأى أن الناموس ملزم لجميع المسيحين بلا إستثناء ، ونوال الخلاص مرتبط بحفظه . وفى رأى هذا الفريق ــ ومعظمهم من الفريسيين السابقين ــ أن يسوع المسيح هو المسيا اليهودى الموعود به، ولا مكان فى ملكوته إلاَّ لليهود، سواء بالمولد أو التبنى، الذين يطيعون الناموس والفرائض التى وضعها الله على شعبه منذ القديم ... وقد أيدوا وجهة نظرهم هذه، بالقول إن الرب يسوع نفسه حفظ الناموس .

---

(36) Daniélou, Vol. 1, p. 12.

(٣٧) أحدث إيمان كرنيليوس وأهل بيته على يد بطرس الرسول رد فعل شديد فى مؤمنى أورشليم من اليهود المتنصرين . فقد خاصموا بطرس حالما صعد إلى أورشليم لأنه دخل إلى رجال ذوى غلفة وأكل معهم ... ولم يهدأوا إلاَّ بعد أن شرح لهم بطرس كل القصة إبتداء من الرؤيا التى أعلنت له انظر (أع ١٠ ؛ ١١ : ١-٨) .

(38) Hill, pp. 116 - 118.

٢ ـ فريق ثان نادى بأن الخلاص هو بدم المسيح وحده ، وليس بحفظ الناموس القديم . وقد كان الناموس اليهودى ، لليهود فقط ، لإعداد الطريق للمسيح « قد كان الناموس مـؤدبنا إلى المسيح ، لكى نتبرر بالإيمان » (غل ٣ : ٢٤) ... ولا قيمة لهذا الناموس اليهودى الآن بعد أن أتى المسيح [٣٩] ... وكان يقود هذا الإتجاه و يدافع عنه بشدة القديس بولس الرسول .

٣ ـ فريق ثالث رأى أن الناموس ملزم لليهود المتنصرين فقط ، أى للمسيحيين الذين كانوا قبلاً يهوداً وكانوا تبعاً لذلك ملتزمين بالناموس .. وقالوا إن قبولهم للرب يسوع كالمسيا المنتظر لا يحررهم منه . لكن الأمم غير ملزمين به بعد أن يؤمنوا .

بلبلة فى أنطاكية :

بينما كان القديسان بولس و برنابا عاكفين على خدمتهما الكرازية فى أنطاكية إذ ببعض اليهود المتنصرون المشتعلين غيرة للناموس ، قد قدموا من اليهودية ، وأخذوا يعلمون المسيحيين ــ من اليهود والأمم على السواء ــ بأن لا خلاص لمَنْ لا يختتن حسب الناموس ... و يبدو أنهم أخذوا يطعنون القديس بولس بالذات و يشككون المؤمنين فى قانونية رسوليته ، وفى حقه ــ كرسول ــ فى أن يعلم بعدم الإلتزام بالناموس ... وإذ لم تفلح جهود برنابا و بولس فى إقناع هؤلاء القادمين ، و بسبب البلبلة الكبيرة التى حدثت ، قررت الكنيسة فى أنطاكية أن ترفع الأمر إلى الكنيسة الأم فى أورشليم حتى تحسم الأمر ، وأنابت عنها القديسين برنابا و بولس فى السفر إلى أورشليم [٤٠] (أع ١٥ : ١ ، ٢) .

---

(٣٩) لايقصد بطبيعة الحال التحلل الكامل من كل شرائع الناموس ، إنما المقصود ألاَّ يلتزم المسيحيون بالأشياء التى كانت رمزاً فقط إلى أشياء أخرى فى العهد الجديد ، وقد بطلت بمجىء المرموز إليه . مثال ذلك الختان وهو من أهم ما تعلّق به هذا الفريق . كان الختان يرمز إلى معمودية العهد الجديد . فكان بطبيعة الحال لابد وأن يبطل الختان كفريضة دينية ... وبالاضافة إلى الختان ، حفظ السبت ... إلخ .

(40) Schaff, Vol. 1, pp. 335 - 339.

مجمع أورشليم (٤١) :

عقد هذا المجمع سنة ٥٠ أو ٥١ (٤٢) ... كان أول مجمع كنسى يعقد ، و يعتبر نواة للمجامع الكنسية التى عقدت بعده ، وإن إختلف عنها كثيراً ... **كانت مهمة المجمع مزدوجة : أولاً ــ** تقرير العلاقة الشخصية بين رسل الختان والأمم ، وتقسيم حقول الكرازة بينهم ، **وثانياً ــ** حسم موضوع الختان ، وتقرير العلاقة بين المتنصرين من اليهود والأمم ... وقد أحرز المجمع بالنسبة للنقطة الأولى ، تقدماً كاملاً ونهائياً . أما بالنسبة للنقطة الثانية فقد أحرز إستقراراً جزئياً ووقتياً ...

وإن كان سفر أعمال الرسل لم يسجل لنا كل ما دار من مناقشات فيما يختص بهذا المجمع ، لكننا نعتقد أن مناقشات فردية بين الرسل سبقت وصاحبت إنعقاد المجمع الرسمى ، الذى إشتركت فيه فئات مختلفة من أعضاء الكنيسة ... **فى هذه المناقشات الفردية ، حل موضوع قانونية رسولية بولس** « وعرضت عليهم الإنجيل الذى أكرز به بين الأمم **ولكن بالإنفراد على المعتبرين** لئلا أكون أسعى أو قد سعيت باطلاً » (غل ٢ : ٢) : لم يشيروا عليه بأية تعديلات فى منهج خدمته ، ولا أعطوه أية توجيهات أو توصيات ، بل إذ رأوا التوفيق العجيب الذى أحرزه بولس وبرنابا فى حقل الكرازة بين الأمم ، أعطوهما يمين الشركة ليكونا للأمم ، وأما هم فللختان (غل ٢ : ٨ ، ٩) ... كل ما هنالك ، أنهم طلبوا من بولس أن يظهر حبه الأخوى ، ويقوى العلاقات ، بأن يعاون فقراء اليهودية عامة ، وأورشليم بوجه خاص ، الذين كثيراً ما كانت تحل بهم الاضطهادات والمجاعات . وكان بولس قد عنى قبل ذلك بخدمة المحبة هذه ، وقام بها فعلاً بفرح وعن إيمان ، بالجمع من كنائس الأمم ، وكان يحمل العطاء بنفسه إلى أورشليم (غل ٢ : ٧ - ١٠) (٤٣) ... هكذا ظهرت روح الآباء الرسل طيبة نحو بولس وبرنابا ، كما ظهر تقديرهم لهما فى قرار المجمع النهائى ... « حبيبينا برنابا وبولس ، رجلين قد بذلا

---

(41) Schaff, Vol. 1, pp. 339-345; De Pressensé, Vol. 1, pp. 125-138; Hill, pp. 119, 120.

(٤٢) بعد إيمان بولس الرسول بأربعة عشر عاماً (غل ٢ : ١) .

(٤٣) قارن : أع ١١ : ٣٠ ؛ ٢٤ : ١٧ ؛ ١ كو ١٦ : ١ - ٣ ؛ ٢ كو ٨ ، ٩ ؛ رو ١٥ : ٢٥ - ٢٧ .

أنفسهما لأجل اسم ربنا يسوع المسيح » (أع ١٥ : ٢٥ ، ٢٦) .

أما عن الموضوع الرئيسى ، الذى إنعقد المجمع لأجله ، وهو موضوع « تهود الأمم » ، أو الزام الأمم الداخلين إلى الإيمان بحفظ ناموس موسى ، فبعد مباحثات كثيرة ، تكلم بطرس وبعده برنابا وبولس ، وأخيراً يعقوب أخو الرب أسقف أورشليم ورئيس المجمع ـ وانتهى المجمع إلى القرار الآتى : « لا يوضع على المؤمنين ثقل أكثر غير هذه الأشياء الواجبة ، الامتناع عما ذبح للأصنام ، وعن الدم والمخنوق والزنا » (أع ١٥ : ٢٨ ، ٢٩) .

ملاحظات على المجمع وقراراته :

١ ـ **رأس هذا المجمع القديس يعقوب أخو الرب أسقف أورشليم** ، وليس القديس بطرس كما يدعى البعض . ولم يكن بطرس هو أول المتكلمين فى المجمع ، أو بعبارة أخرى لم يكن هو الذى إفتتح المجمع . فكلمة بطرس جاءت « بعدما حصلت مباحثة كثيرة » (أع ١٥ : ٧) ... وكان كلامه عن خبرته السابقة فى موضوع إيمان كرنيليوس الأممى ... أما يعقوب فكان آخر المتكلمين وأكثرهم أهمية ، وكان لكلامه وزن كبير أنهى مناقشات المجمع (٤٤) .

٢ ـ **كانت المناقشات والمباحثات كثيرة (أع ١٥ : ٧) ... لكن الروح القدس كان أيضاً حاضراً معهم ، وقاد هذه المناقشات ، ومن ثم صدر قرار المجمع أخيراً باسمه متحداً مع الكنيسة** « لأنه قد رأى الروح القدس ونحن ... » (أع ١٥ : ٢٨) ـ وليس باسم بطرس ... إنها صورة مشرقة لروحانية الكنيسة الأولى ، ولما يجب أن تكون عليه المجامع الكنسية .

٣ ـ **أحضر القديس بولس معه تيطس اليونانى الأممى** ... ويبدو أنه أحضره ليقدم لكنيسة أورشليم عينة حية لما يمكن أن يفعله روح الله فى الإنسان بدون

(44) Schaff, Vol. 1, pp. 344, 363; De Pressensé, Vol. p. 133.

خلاصة تاريخ كنيسة أورشليم الأرثوذكسية ص ٥ .

الختان (غل ٢ : ١) ... ويبدو أن فريق الفريسيين السابقين طالبوا بختانه . لكن بولس صمد وقاوم بشدة (٤٥) « الذين لم نذعن لهم بالخضوع ولا ساعة ليبقى عندكم حق الإنجيل » (غل ٢ : ٥) .

٤ ـ بخصوص قرار المجمع فإنه لم يلزم الأمم بالتهود ، لكنه أوصى أن يمتنع « عما ذبح للأصنام ، وعن الدم ، والمخنوق ، والزنا » (أع ١٥ : ٢٩) ... وهذه النواهى هى ضمن ما كان يطالب به الأممى الذى يطلب التصريح له بحضور المجمع اليهودى ، وما قرره موسى بالنسبة للأمميين إذا أرادوا أن يجعلوا مقامهم فى أرض اليهود ... فالطعام المقدم للأصنام ، سواء ما يؤكل فى الهيكل الوثنى أو خارجه ، كان يعتبر شركة مع الشياطين (تث ٣٢ : ١٧ ؛ ١ كو ١٠ : ٢٠) ... والدم هو عنصر الحياة ، ولذا فهو مقدس لله (تث ١٢ : ٢٣) ، والأشياء المخنوقة مازالت تحتفظ بدمها ، فلا يجب أن تؤكل تبعاً لذلك ... ومن هنا ، فإن هذه النواهى الثلاثة ، تتمشى مع تلك التى وضعت على الغريب الذى يقيم بين بنى إسرائيل (لا ١٧ : ١٠ ؛ ١٨ : ١٨) .

هذه النواهى الثلاثة السابقة تبدو معقولة ، أما النهى عن الزنا فيبدو غريباً . فالزنا أمر غير مشروع لدى المسيحيين والأممين على السواء . من أجل هذا رأى كثيرون أن الزنا المشار إليه فى قرار مجمع أورشليم ، إنما يُقصد به الزيجات المحرمة (٤٦) ، كالحالة التى أشار إليها بولس فى (١ كو ٥ : ١) ... ورأى البعض

(٤٥) كيف يتفق موقف بولس الرسول هنا مع موقفه فيما يتعلق بتيموثاوس الذى ختنه بعد أرفضاض المجمع مباشرة (أع ١٦ : ٣) ؟! يبدو أن بولس ختن تيموثاوس كيهودى وليس كأممى . وقد فعل ذلك كنوع من الملاءمة الارادية ، حتى ما يجعله أكثر نفعاً للخدمة بين بنى جنسه من اليهود ، الذين كانوا يعرفون أنه ابن امرأة يهودية مؤمنة . فما كان ممكناً أن يسمحوا له بالتعليم فى المجمع بدون علامة العضوية وهى الختان ... أما فى حالة تيطس ــ وهو يونانى أممى خالص ــ فكان مطالباً بالختان كأساس للتبرير والخلاص ... كان بولس شديد الصلابة فى وقوفه أمام الإخوة الكذبة ــ لكنه كان مستعداً دائماً أن يوائم نفسه مع الضعفاء ، وأن يصير لليهود كيهودى ، وللأمم كأممى لكى ما يخلّص كليهما (قارن رو ١٤ ، ١٥ ؛ ١ كو ٩ : ١٩ - ٢٣ ؛ أع ٢١ : ٢٣-٢٦) . ثم أن بولس كان لا يهمه موضوع الختان أو عدمه كطقس ظاهرى فقط بالمقارنة مع حفظ وصايا الله والخليقة الجديدة فى المسيح . (انظر غل ٥ : ٦ ؛ ٦ : ١٥ ؛ ١ كو ٧ : ١٩) ــ انظر أيضاً : Schaff, Vol. 1, pp. 342, 343.

(46) Hill, pp. 124 - 129; Daniélou, Vol. 1, p. 30.

الآخر أن المقصود هو الزنا المعروف ، لأن خطايا النجاسة كان ينظر إليها باستخفاف فى العالم الوثنى . وكانت توجد معابد كثيرة مستخدمة كأماكن دينية للدعارة !! وكان بولس دائماً يحذر المتنصرين على يديه من الدنس الجنسى .

هل أنهى مجمع أورشليم مشكلة التهود ؟

لم ينه مجمع أورشليم بقراره ، المناقشات والآراء التى إحتدمت بخصوص تهود الأمم ، والأزمات التى نتجت عن هذا الموضوع ... بل إن نشاط بولس الرسول الجبار ، وكرازته الفعالة المتسعة ، زادتا من حدة التوتر ... ولم يكن ما دار بمجمع أورشليم ، وما أصدره من قرارات مقنعاً للمتزمتين ، بل كان لهم بمثابة الهزيمة . ومن ثم هبوا ثانية ــ وبمرارة أكثر من ذى قبل ــ ونظموا إرساليات مضادة ، للحد من نشاط القديس بولس ، والترويج لمبادئهم . أو بعبارة أخرى ، لهدم بولس ونقض تعاليمه ...

أخذ هؤلاء « الإخوة الكذبة » حسبما يدعوهم بولس ، يتعقبونه فى كل حقل كرز فيه تقريباً ، خاصة فى غلاطية وكورنثوس ... ويبدو أنه كان **موقفاً** منطقياً من جانب هؤلاء المتزمتين ، بعد أن اعتبرت حركة التبشير بالإنجيل **هى** نفسها إعلان الله للبشر قديماً على يد اليهود ، لكن فى صورته الكاملة .. لم يكن **هؤلاء** المتزمتون يتخيلون ، أنهم سينفصلون يوماً ما عما إنحدر إليهم كل ما كان يمكن أن تفعله المسيحية ــ حسب تصورهم ــ هو يهودية موسعة متحورة ، يتألف جوهرها من الاعتراف بالإيمان بالمسيا اليهودى ... **كان هؤلاء الإخوة الكذبة ، بالنسبة لبولس شوكة ــ وإن لم تكن فى جسده ... يستعرضهم أمامه ، ويشير إليهم وإلى تعليمهم الخاطىء ، ويهاجمه ويهاجمهم فى معظم رسائله** (٤٧) ...

وكدليل على إستمرار واستفحال مشكلة التهود بعد مجمع أورشليم ، نسوق الأمثلة الآتية :

---

(47) Schaff, Vol. 1, pp. 358, 359; Carrington, Vol. 1, p. 87.

١ - فى أنطاكية :

حدثت بلبلة شديدة فى أنطاكية عقب مجمع أورشليم مباشرة ، بعد وصول تلاميذ من عند يعقوب أخى الرب إليها . كان بطرس الرسول موجوداً فى ذلك الوقت فى أنطاكية إلى جانب بولس وبرنابا . وقد كان مجىء هؤلاء التلاميذ ، ليروا إلى أى مدى يلتزم المتنصرون بالناموس « ليتجسسوا حريتنا التى لنا فى المسيح كى يستعبدونا » (غل ٢ : ٤) ... **وقد أثمرت مساعى هؤلاء ، فبدأ بطرس ــ وكان موجوداً وقتذاك فى أنطاكية ــ وبرنابا وبعض اليهود المتنصرين يمتنعون عن مخالطة الأمم** (غل ٢ : ١٢ ، ١٣) ، بعد أن كانوا يأكلون مع المتنصرين من الأمم فى ولائم الأغابى التى تتم فى إجتماعات العبادة ، كتعبير عن الإخوة المسيحية .

كان هذا التصرف من جانب القديس بطرس غريباً ، واعتبره القديس بولس رياء . وعندما ذكر هذا الحادث لكنيسة غلاطية قال : « لكن لما أتى بطرس إلى أنطاكية قاومته مواجهة لأنه كان ملوماً لأنه قبلما أتى قوم من عند يعقوب كان يأكل مع الأمم . ولكن لما أتوا كان يؤخر ويفرز نفسه خائفاً من الذين هم من الختان . وراءى معه باقى اليهود أيضاً ، حتى برنابا أيضاً إنقاد إلى ريائهم » (غل ٢ : ١١-١٣) ... ولا ندرى سبباً لإنقلاب بطرس فى تصرفه . هل عاودته طبيعته القديمة ، وأنكر فى هذه المرة حق التلاميذ الأمميين بعد أن دافع عنهم فى مجمع أورشليم (٤٨) ؟! يبدو أن ضغط هؤلاء التلاميذ الوافدين من عند يعقوب كان شديداً ، حتى أن برنابا الذى وقف إلى جانب بولس فى الدفاع عن حقوق الأمميين ، إنحاز إلى بطرس وباقى اليهود (٤٩) .

لكن مَنْ يكون هؤلاء التلاميذ الوافدون من عند يعقوب ؟ هل قصد بهذه العبارة أنهم مرسلون من قبله ، أم أنهم من رعيته فقط ؟

---

(٤٨) قال القديس بطرس فى مجمع أورشليم دفاعاً عن الأمميين : « والله العارف القلوب شهد لهم معطياً لهم الروح القدس كما لنا أيضاً . ولم يميز بيننا وبينهم بشىء إذ طهر بالإيمان قلوبهم » (أع ١٥ : ٨ ، ٩) .

(49) Schaff, Vol. 1, pp. 352 - 354.

يميل كثير من العلماء ـــ والنص الكتابى واضح ـــ أنهم كانوا موفدين من قبله ... ولو كانوا لا يعبرون عن رأى يعقوب لما عمل لهم بطرس أى حساب فالقديس يعقوب أخو الرب كان شخصية قوية لها مكانتها ووزنها ـــ ليس بين المسيحيين وحدهم، بل حتى بين اليهود أنفسهم (٥٠) ... والقديس بولس حينما يذكره، يقدمه على بطرس « فإذ علم بالنعمة المعطاة لى يعقوب وصفا (بطرس) و يوحنا المعتبرون أنهم أعمدة ... » (غل ٢ : ٩) . وقد رأس مجمع أورشليم، وكان رأيه الذى أعلنه أمام المجمع، هو نفس قرار المجمع .. بل يبدو أنه هو نفسه الذى كتب هذا القرار، فأسلوب إفتتاحية هذا القرار يتفق مع أسلوب إفتتاحية رسالته (٥١) .

لكن كيف نستطيع أن نفسر هذا التناقض الظاهرى فى موقف القديس يعقوب بخصوص قرار مجمع أورشليم، ويمين الشركة التى أعطاها لبولس وبرنابا من ناحية، والمندوبين الذين أرسلهم إلى أنطاكية من ناحية أخرى ؟!

الواقع ـــ كما يبدو لنا من الدراسة ـــ أنه ليس ثمة تناقض فى موقف يعقوب ... لقد كان الموقف حساساً للغاية بين أهل الختان ... كان حماسهم شديداً للناموس القديم، وثقل عليهم أن يتخلوا نهائياً وللحال عن طقوسهم القديمة التى تشبعوا بها وقتاً طويلاً ... كانت الآمال معقودة على القديس يعقوب لما له من مكانة ممتازة بين المسيحيين من الفريقين . وكان هو يرأس الكنيسة الأم فى أورشليم ... ولعله أراد أن يقود سفينة الكنيسة بحكمة وسط عواصف التهود التى ثارت، ويقود المتحمسين لموسى برفق إلى المسيح . ويؤيد هذا التعليل ما دار من حديث بين القديس يعقوب ومعه خدام كنيسة أورشليم، والقديس بولس فى زيارته الخامسة والأخيرة إلى أورشليم حوالى سنة ٥٨ م (٥٢) .

(٥٠) اعتبر يوسيفوس المؤرخ اليهودى خراب أورشليم سنة ٧٠ م إنتقاماً إلهياً عادلاً من اليهود لقتلهم للقديس يعقوب هذا .

(٥١) قارن (أع ١٥ : ٢٣) مع (يع ١ : ١) .

(٥٢) انظر بإمعان : أع ٢١ : ١٧ - ٢٦ . لكن هل يمكن تفسير موقف بطرس فى أنطاكية حينما امتنع عن مخالطة الأممين، على أنه هو الآخر كان فى موقف حساس لكونه رسول الختان وكان لا يريد أن يضع عثرات فى سبيل خدمته الكرازية ؟! تساؤل لا يمكننا إعطاء إجابة قاطعة ومقنعة عنه ...

٢ ـ فى غلاطية :

وفى غلاطية حدثت بلبلة كبيرة ، أحدثها اليهود المتنصرون ، وبلغ من قوتها وعنفها ونتائجها ، أن اليهود المتنصرين لم يعودوا وحدهم إلى ممارسة عوائدهم اليهودية ، بل إن الأمر إمتد إلى الوثنيين المهتدين (غل٥ : ٢) . والرسالة إلى غلاطية رائعة ووافية فى إلقاء ضوء كافٍ على حركة التهود ، ورأى القديس بولس بشأنها ، وموقفه إزائها . تلك الرسالة التى كتبت بعد مجمع أورشليم بنحو خمس سنوات (٥٣) ... **فى هذه الرسالة يعالج الرسول بولس الموضوعين الأساسين اللذين كان يروج لهما هؤلاء الإخوة الكذبة ، وهما قانونية رسوليته (٥٤) ، وموضوع التهود ...**

يبدأ بولس بالدفاع عن قانونية رسوليته فيفتتح الرسالة بقوله : « بولس رسول ، لا من الناس ، ولا بإنسان ، بل بيسوع المسيح والله الآب ... أعرفكم أيها الإخوة الإنجيل الذى بشرت به أنه ليس بحسب إنسان . لأنى لم أقبله من عند إنسان ولا علمته . بل بإعلان يسوع المسيح » (غل١ : ١١ ، ١٢) .

ثم ينتقل الرسول للكلام عن ضلالة التهود التى يريد أن ينقذهم منها فيقول لهم : « إنى أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعاً عن الذى دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل (٥٥) آخر . ليس هو آخر . غير أنه يوجد قوم يزعجونكم ، و يريدون أن يحولوا إنجيل المسيح . ولكن إن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم فليكن محروماً ... لأنه بأعمال الناموس لا يتبرر جسد ما » ... ثم تأخذه الغيرة على خلاص أنفسهم فيقول لهم : « أهكذا أنتم أغبياء . أبعد ما

---

(53) Schaff, Vol. 1, p. 763; Carrington, Vol. 1, p. 88; The book of the Acts of God, p. 321; Wuest, Galatians in the Greek N.T., pp. 11-23.

(٥٤) أى أنه رسول من قبل الرب يسوع نفسه ، وأنه لا ينقص شيئاً عن فائقى الرسل (٢ كو١١ : ٥) .

(٥٥) كلمة إنجيل هنا وفى كل أسفار العهد الجديد كانت لا تعنى حتى ذلك الوقت الكتاب المكتوب ، بل تعنى البشارة التى يحملها الرسل خاصة للأمم .

إبتدأتم بالروح تكملون الآن بالجسد ... لأنه فى المسيح يسوع ليس الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة ، بل الخليقة الجديدة » (غل ١ : ٦ - ٨ ؛ ٢ : ١٦ ؛ ٣ : ٣ ؛ ٦ : ١٦) .

٣ - فى أفسس وبعض مقاطعات آسيا :

لقى القديس بولس فى هذه المناطق مقاومة عنيفة من اليهود المتنصرين . ففى رسالتيه إلى الكورنثيين اللتين كتبهما حوالى سنة ٥٧ ، يقول : « ولكننى أمكث فى أفسس إلى يوم الخمسين ، لأنه قد انفتح لى باب عظيم فعال ، و يوجد معاندون كثيرون ... لا نريد أن تجهلوا أيها الإخوة من جهة ضيقتنا التى أصابتنا فى آسيا أننا تثقفلنا جداً فوق الطاقة حتى أيسنا من الحياة أيضاً » (١ كو١٦ : ٨ ، ٩ ؛ ٢ كو١ : ٨ - ١٠) ... و يذكر أنه واجه الوحوش فى أفسس (١ كو١٥ : ٣٢) ، كناية عن شدة المقاومة التى لقيها ، فإن ذلك كله تم نتيجة العداوة التى أظهرها له اليهود المتنصرون (٥٦) .. وفى رسالتيه إلى تيموثاوس ، اللتين يرجح أنه كتبهما فى الفترة من سنة ٦٤ إلى سنة ٦٧ يتضح أنه عاد واصطدم مرة ثانية بجماعة اليهود المتنصرين فى أفسس (١ تى ١ : ٣) ... وأخيراً يقول لتيموثاوس معبراً عما فى نفسه من مرارة وأسى : « أنت تعلم هذا ، أن جميع الذين فى آسيا إرتدوا عنى » (٢ تى ١ : ١٥) .

فهم خاطىء لمهاجمة القديس بولس للتهود :

وثمة ملاحظة فى غاية الأهمية ، تختص بموقف القديس بولس إزاء حركة التهود ، يجب الإشارة إليها ، بعد أن خدعت به ، واستغلته بعض الشيع المسيحية البروتستانتية ... فلقد اعتبرت تلك الشيع مهاجمة القديس بولس لأعمال الناموس فى رسائله وتصريحاته بأنها غير لازمة للخلاص ، إنها مهاجمة لمبدأ وجوب الأعمال الصالحة بصفة عامة فى حياة الإنسان المؤمن كشرط لخلاصه ... و بهذا أساءت هذه

(56) Daniélou, Vol. 1, p. 34.

الشيع فهم روح هذا الرسول العظيم وجوهر كلماته الحية ... فبينما هو يهاجم فكرة التهود ذاتها ، و يوضح أن الخلاص بدم المسيح وليس بأعمال الناموس القديم ، إذا بهم يأخذونها على أنها مهاجمة لمبدأ الأعمال الصالحة ولزومها لخلاص الإنسان .. وصدق القديس بطرس الذى أشار إلى أمثال هذه الأمور بقوله : « التى فيها (رسائل بولس) أشياء عسرة الفهم ، يحرفها غير العلماء ، وغير الثابتين ، كباقى الكتب أيضاً ، لهلاك أنفسهم . فأنتم أيها الأحباء إذ قد سبقتم فعرفتم ، إحترسوا من أن تنقادوا بضلال الأردياء ، فتسقطوا من ثباتكم » (٢ بط ٣ : ١٦ ، ١٧) .

هل كانت الدعوة للتهود مظهراً لحركة سياسية ؟

ثمة إشارات فى رسائل بولس الرسول التى عالج فيها موضوع التهود ، تدل على إنتظار هؤلاء اليهود المتنصرين مجىء الرب ، الأمر الذى يرتبط بنفس آمال اليهود فى مُلك المسيا ومجيئه وتأسيس مملكة أرضية ... فهل كانت هناك أيدى يهودية تلعب دورها من أجل أغراض سياسية ؟ إننا نعرض هذه الإشارات ، ونضع أمامها علامات إستفهام .

(أ) كتب القديس بولس إلى أهل تسالونيكى حوالى سنة ٥٢ أو ٥٣ يقول : « ثم نسألكم أيها الإخوة **من جهة مجىء ربنا يسوع المسيح** واجتماعه إلينا ، أن لا تتزعزعوا سريعاً عن ذهنكم ، ولا ترتاعوا لا بروح ولا بكلمة ولا برسالة كأنها منا ، أى أن يوم المسيح قد حضر . **لا يخدعنكم أحد على طريقة ما ،** لأنه لا يأتى إن لم يأت الإرتداد أولاً ... أما تذكرون إنى وأنا بعد عندكم كنت أقول لكم هذا » (٢ تس ٢ : ١-٥) ... فمَنْ هم هؤلاء الذين يخدعونهم على طريقة ما ؟ إننا نرجح أن الأمر كانت فيه يد يهودية تظهر بالمظهر الدينى ، يحركها دافع سياسى . وهذا ليس بعيداً عن اليهود وأساليبهم فى الخداع ... بل لعله يتفق مع ما يرو يه لنا يوسيفوس المؤرخ اليهودى عن إضطرابات يهودية فى تلك الفترة (٥٧) .

(57) Daniélou, Vol. 1, p. 34.

(ب) **فى الرسالة إلى أهل غلاطية ، يقول الرسول لهم** : « **أتحفظون** أياماً وشهوراً وأوقاتاً وسنين . أخاف عليكم أن أكون قد تعبت فيكم عبثاً » (غل ٤ : ١٠) ... وإن كان حفظ الأوقات يتعلّق أساساً ببعض الأعياد والطقوس اليهودية ، لكن الاهتمام بحساب الزمن أصلاً لم يكن إلاّ تعبير عن إنتظار المسيا (٥٨) .

(جـ) ويرى البعض أن فيما دوّنه بولس الرسول إلى أهل رومية ، ما يؤيّد هذا الرأى . كتب بولس رسالته هذه حوالى سنة ٥٨ م ، ولم تتبقَ سوى سنوات قليلة على ثورة اليهود العارمة ضد الدولة الرومانية ، وحصار أورشليم وخرابها (٥٩) . وقبيل ذلك كان القوميون من اليهود يعدّون عدتهم سراً . وكان تيار القومية اليهودية يسرى خفية فى أنحاء العالم اليهودى . وإزاء هذه الحركة التى أحسّها الرسول بولس ، كان يختلج نفسه حزن عميق من أجل إسرائيل المسكين ، الذى كان يدفع نفسه إلى الهاوية ... لذا قال فيهم : « إن لى حزناً عظمياً ووجعاً فى قلبى لا ينقطع ... لأجل إخوتى أنسبائى حسب الجسد الذين هم إسرائيليون » (رو٩ : ١-٤) . ووجه الخطر فى الأمر أن المسيحية حتى ذلك الوقت ، كانت فى نظر الحكام معتبرة شيعة يهودية ، يحل بأتباعها ما يحل باليهود . ولعله السبب الذى كتب الرسول لأجله فى هذه الرسالة ، موصياً أن تخضع كل نفس للسلاطين الفائقة . ومَنْ يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله (٦٠) (رو١٣ : ١ ، ٢) .

(د) **وتظهر التأثيرات اليهودية واضحة غاية الوضوح فى موضوع « مُلك المسيح الألفى »** Millennium ، المذكور بطريقة رمزية ، وبمعنى روحى فى سفر الرؤيا (رؤ٢٠ : ٢ ، ٤ ، ٦) . فلقد إعتقد بعض المسيحيين ــ نتيجة الجهود والتأثيرات اليهودية ــ أن السيد المسيح سيملك على الأرض فى أورشليم ألف سنة مليئة بالخير والسلام ، ويملك معه القديسون ... وواضح تماماً أن هذه عينها هى آمال

---

(58) Daniélou, Vol. 1, 35.

(٥٩) بدأت الثورة سنة ٦٦ م ، وتم سقوط المدينة وخرابها بهيكلها سنة ٧٠ م .

(60) Daniélou, Vol. 1, pp. 35, 84.

اليهود الخاطئة فى المسيا المنتظر (٦١) .

مخلفات حركة التهود :

سبق أن أوضحنا أن مجمع أورشليم لم ينه بصورة قاطعة مشكلة التهود ، بل أن هذه المشكلة التى أثيرت فى عصر الرسل ، كانت لها نتائج ومخلفات وذيول ...

١ - أنهى إضطهاد نيرون المروع ، وكارثة خراب أورشليم وهيكلها ، مناقشات التهود فى الكنيسة المسيحية . لكن هذه الآراء تبلورت وإزدادت تطرفاً ، وظهرت فى أوائل القرن الثانى الميلادى فى هرطقة دينية ، عُرفت باسم **« الابيونية »** (٦٢) .

٢ - **أخذت حركة التهود مظهراً آخر غير مقاومة التعليم الصحيح** .. معلوم أن خصم هؤلاء المتهودين الأكبر كان هو بولس الرسول ، ومن ثم جعلوه هدفاً لمقاومتهم بصورة أخرى غير التعليم (٦٣) ... وجاء ذلك فى كتابات الأبوكريفا (المزورة) التى ترجع إلى ذلك العصر ، أو ما بعده بقليل ، حيث نجد تأثيرهم واضحاً فيها ... **حاولوا الإقلال من قيمة جهود بولس الكرازية ، ونسبوا بعضها إلى بعض رسل الختان ، وفى مقدمتهم بطرس الرسول ،** رسول الختان الأول ... ومن خير الأمثلة على ذلك الكتابات الأبوكريفا **(أعمال الرسل)** و **(أعمال بطرس وبولس)** (٦٣) .

٣ - **وقد ترتب على النقطة السابقة قضية خطيرة مازالت كنيسة المسيح الجامعة ، تئن منها حتى الآن** ... فما لبثت مادة كتب الأبوكريفا المذكورة — التى أضفت على بطرس الرسول صفات مميزة وممتازة فى الجهود الكرازية — أن

(61) Ency. of Religion and Ethics, Vol. 5, pp. 376 - 389; Harnack, History of Dogma, Vol. 1, pp. 168-170; Daniélou, Vol. 1, pp. 79, 84; Austin Farrer, The Revelation, pp. 12, 13, 203, 204.
انظر القس تادرس يعقوب ، تفسير سفر الرؤيا عن آباء الكنيسة ص ٢١٣

(62) Schaff, Vol. 1, pp. 369, 370.

(63) Ibid, p. 257.

نمت على أيدى بعض الجهلاء والمغرضين ، وحملت معها جذور فكرة رئاسة أسقف روما على العالم المسيحى .. تلك الفكرة التى نمت وترعرعت فى غضون العصور الوسطى المظلمة ، وقسمت العالم المسيحى إلى أكثر من معسكر (٦٤) .



(64) Smith, Dictionary of Christian Biography, Vol. 1, pp. 17-32.



أورشليم وهيكلها (٦٥) :

وقبل أن نتناول موضوع خراب أورشليم وهيكلها ، نرى من المفيد أن نقف قليلاً ونلقى نظرة سريعة عليهما ...

على الرغم من الثراء العريض الذى حققه كثير من اليهود خارج اليهودية فى الأقطار الأخرى ، فقد كانوا يتطلعون دائماً بشوق إلى أورشليم ، وما يحيط بها ... كانوا يعتبرون أورشليم ــ وكل سكانها من اليهود ــ أنها المكان الوحيد فى العالم ، حيث يشعرون ــ إلى حد ما ــ أنهم سادة فى بيتهم ، وأن منها ستظهر ــ حسب فهمهم المادى الخاطىء ــ المملكة اليهودية الكبيرة الموعود بها ، وفيها سيظهر أيضاً المسيا المنتظر ... وهكذا كانت أورشليم مركز اليهودية فى العالم كله ، وقلبها النابض .

وفى عهد الرسل كانت أورشليم على جانب كبير من الثراء المادى ، وبلغ عدد سكانها نحو مائتى ألف نسمة . لكنها لم تعد ــ كما كانت فى زمان داود وسليمان ــ تستمد عظمتها وثروتها من قوتها العسكرية ، أو تجارتها مع شعوب فلسطين ، بل من هيكل يهوه وحده ... كان على كل ذكر يهودى تجاوز عمره السنتين ، أينما يعيش ، غنياً كان أم فقيراً ، أن يسهم فى الحفاظ على الهيكل ، بأن يدفع درهمين (نصف شاقل) سنوياً ضريبة للهيكل ترسل إلى أورشليم . وقد أوفى الرب يسوع هذه الضريبة (مت ١٧ : ٢٤) .

---

(65) Karl Kautsky, Foundations of Christianity, pp. 226 - 228.

وإلى جانب ذلك ، كانت تصل إلى أورشليم تقدمات كثيرة لا تحصى .. كما كان لزاماً على كل يهودى غيور أن يحج إلى أورشليم — مرة واحدة على الأقل فى حياته — حيث مسكن إلهه يهوه ... ففيه وحده يقبل الله التقدمات . هكذا ترنم داود وقال عن هذا المسكن أن الله يسكن فيه إلى الأبد (مز٦٨ : ١٦) ... أما المجامع اليهودية المنتشرة فى المدن المختلفة خارج أورشليم ، فكانت أماكن إجتماعات وعبادة ومدارس ... لكنها لم تكن بحال ما هياكل تقدم فيها الذبائح .

لابد إذن وأن تكون ضرائب الهيكل ، والحج ، قد أمدتها بأموال طائلة ، وانعشت الحالة الإقتصادية ، وأتاحت فرصاً للعمل والكسب لكثير من اليهود ... وهكذا فإن عبادة يهوه فى أورشليم — بصورة مباشرة وغير مباشرة — قد أفادت ، ليس فقط كهنة الهيكل والكتبة وحدهم ، بل أيضاً أصحاب المتاجر والحرف والصيارف والفلاحين والرعاة وصيادى اليهودية والجليل ، الذين وجدوا فى أورشليم سوقاً رائجة لمنتجاتهم ... وإذا كان السيد المسيح قد وجد فى الهيكل باعة ومشترين وصيارف ، فقد كان هذا يتمشى ووضع الهيكل بالنسبة لحياة أورشليم وشعبها .

كانت حياة اليهود وآمالهم متعلقة بأورشليم « إن نسيتكِ يا أورشليم تُنْسى يمينى ، ليلتصق لسانى بحنكى إن لم أذكركِ . إن لم أفضل أورشليم على أعظم فرحى » (مز١٣٧ : ٥، ٦) ... من أجل هذا قامت بعض محاولات لبناء أماكن يحج إليها اليهود خارج أورشليم ، لكن كل هذه المحاولات باءت بالفشل ... من أمثلة ذلك ، المحاولة التى قام بها شخص يدعى انياس Onias — وهو ابن لرئيس كهنة يهودى — هذا بنى هيكلاً ليهوه فى مصر فى عهد بطلميوس فيلوباتر (١٧٣ — ١٤٦ ق . م) ، بمعاونة هذا الملك ، الذى كان يأمل أن يصبح رعاياه من اليهود أكثر ولاء له ، حينما يكون لهم هيكل فى بلده ... لكن هذا الهيكل فشل فى فكرته وغرضه ...

وهكذا ظلت أورشليم وهيكلها قبلة أنظار اليهود فى كل أنحاء العالم ، يولون وجوههم شطرها فى الصلاة ، وإليها يرسلون تقدماتهم ، ويحجون إليها

للتبرك وتقديم الذبائح ... ويحفظون لها كل ولائهم (٦٦) ...

بشائر مشئومة :

سبق خراب أورشليم وهيكلها بشائر مشئومة فى أورشليم ذاتها وفى خارجها ... نستعرض أهمها فيما يلى :

١ - يذكر المؤرخون أن الست سنوات الواقعة بين إضطهاد نيرون وخراب أورشليم (٦٤ — ٧٠ م) كانت أكثر فترات التاريخ القديم إمتلاء بالرذيلة والفساد والكوارث ... لقد بدأ الوصف النبوى الذى قدمه ربنا يسوع عن خراب أورشليم وهيكلها يتحقق. وبدا للمسيحيين، وكأن يوم الدينونة على الأبواب ... ولم يكن هذا الإحساس قاصراً على المسيحيين وحدهم، بل شاركهم فيه كثير من الوثنيين أيضاً، حتى أن المؤرخ الوثنى تاكيتوس Tacitus حينما أخذ يسجل تاريخ روما بعد موت نيرون، بدأه بقوله : [إننى مقبل على عمل غنى بالكوارث، ملىء بالمعارك الفظيعة والمنازعات والثورات ... حتى فى زمان السلم. لقد قتل أربعة أمراء بالسيف. وفى وقت واحد نشبت ثلاثة حروب أهلية، وعديد من الحروب الخارجية العنيفة ... إيطاليا مثقلة بكوارث جديدة أو قديمة متكررة. مدناً تبتلع أو تدفن تحت الحطام. لقد اتلفت الحرائق روما. احترقت معابدها القديمة. حتى الكابيتول أضرم المواطنون النيران فيه. أنتهكت المقدسات، وتفشى الزنا أيضاً حتى فى الأماكن السامية. إمتلأت البحار بأماكن النفى، وتخضبت الجزر الصخرية بدماء القتلى. ومازال الهياج المرعب يسود المدينة ...] (٦٧) .

---

(٦٦) كانت هناك حكمة إلهية من وراء ذلك ... كان الله يريد أن يجعل المكان الذى سيظهر فيه المسيح بالجسد قبلة أنظار العالم ... وقد أتت هذه الخطة الإلهية بثمارها، فيما حدث يوم الخمسين، يوم تأسست الكنيسة المسيحية، وآمن بالمسيح ثلاثة آلاف نفس من مختلف الأوطان واللغات، وجميعهم من اليهود.

(67) Schaff, Vol. 1, pp. 391, 392.

٢ ـ أما فلسطين فكانت أكثر بلاد العالم شقاء فى تلك الفترة ... إن مأساة خراب أورشليم إنما تمثل مقدماً وبصورة مصغرة الدينونة الأخيرة، كما أنبأ عنها السيد المسيح فى حديثه عن نهاية العالم (٦٨) ... أخيراً وصل إحتمال الله لشعب اليهود إلى الذروة، بعد أن فاقوا فى عنادهم كل تصور، فصلبوا مخلصهم **!!** وما لبثوا أن رجموا يعقوب البار الذى كان أنسب إنسان يصالح اليهود مع المسيحية.

لقد ظهرت وحدثت ظواهر وأحداث عجيبة قبيل خراب أورشليم فى السماء وعلى الأرض سجلها لنا يوسيفوس المؤرخ اليهودى المعاصر (٦٩) ... ظهر فوق أورشليم ولمدة سنة كاملة، نجم مذنب يشبه السيف. وحدث أن بقرة وضعت حملاً وسط الهيكل بينما كان رئيس الكهنة سيقربها ذبيحة. والباب الشرقى الداخلى الضخم المصنوع من النحاس، الذى كان يحكم أغلاقه، ويقوم على غلقه عشرون رجلاً بصعوبة، شوهد ينفتح من تلقاء ذاته أثناء الليل. كما شوهدت مركبات وفرق من الجند مدججين بالسلاح بين السحب فوق المدينة المقدسة ... **ويذكر لنا يوسيفوس حادثاً عجيباً آخر ... ففى سنة ٦٣ ــ قبل خراب المدينة بسبع سنوات ــ ظهر فلاح اسمه يوشيا فى مدينة أورشليم فى عيد المظال،** وأخذ يصيح بلهجة نبوية نهاراً وليــلاً فى الشوارع وبين الناس قائلاً: [صوت من الشرق، صوت من الغرب، صوت من الرياح الأربعة، صوت ضد أورشليم والبيت المقدس، صوت ضد العرائس والعرسان، صوت ضد هذا الشعب جميعه. ويل ويل لأورشليم] ... وإذ أزعج هذا المتنبىء الحكام بويلاته، قبضوا عليه وجلدوه لأنه تنبأ بالشر عليهم وعلى مدينتهم ... أما هو فلم يبد أية مقاومة، بل استمر يردد ويلاته. ولما قدم لألبينوس Albinus الوالى، أمر بجلده حتى ظهرت عظامه. ومع كل ذلك ما كان ينطق بكلمة دفاعاً عن نفسه، ولا لعن أعداءه. وكل ما فعله أنه كان يصدر صوتاً حزيناً مع كل جلدة [ويل ويل لأورشليم] ... لم يجب بشىء على أسئلة الحاكم، مَنْ هو، ومن أين ... أخيراً أطلقوا سراحه كرجل مجنون ... لكنه إستمر على هذه الحال حتى نشبت الحرب، لا سيما فى الأعياد الثلاثة

---

(٦٨) انظر: مت ٢٤ : ١ ، ٢ ؛ مر ١٣ : ١ ؛ لو ١٩ : ٤٣ ، ٤٤ ؛ ٢١ : ٦ .

(69) Josephus, Wars of the Jews, 6.5.

الكبرى ، معلناً إقتراب سقوط أورشليم ... وحدث أثناء حصار المدينة أنه كان يردد مرثاته فوق سور المدينة . وفجأة أضاف إلى العبارات الأولى التى كان يرددها قوله : [ويل ويل لى أنا أيضاً] . وما أن إنتهى من قوله هذا حتى إستقر حجر على رأسه ألقاه الرومان فمات .

ثورة اليهود :

فى مدة حكم الولاة الرومان فيلكس وفستوس والبينوس وفولوروس Florus **إزداد الفساد الأخلاقى والإنحلال الإجتماعى بين يهود فلسطين ، مع إزدياد ثقل نير الحكم الرومانى على الشعب سنة بعد أخرى .** وكان من مظاهر هذا الإنحلال ظهور جماعة من السفاحين فى عهد ولاية فيلكس عرفوا باسم **« حملة الخناجر »** Sicarians ، من كلمة Sica أى خنجر . كانوا مسلحين بالخناجر ، وعلى إستعداد لإرتكاب أية جريمة مقابل أى شىء ... إنتشر هؤلاء فى ربوع فلسطين وهددوا الأمن فى المدن والريف .

وإلى جانب ذلك ، وصلت روح التحزب بين اليهود أنفسهم وكراهيتهم لمستعمريهم الوثنيين ، وتعصبهم السياسى والدينى حداً بالغاً . وقد شجع على هذه الروح وزادها إشتعالاً ، ظهور الأنبياء والمسحاء الكذبة . وقد إستطاع أحدهم ــ بحسب رواية يوسيفوس ــ أن يجذب وراءه ثلاثين ألف رجل ... وهكذا بدأت تتم كلمات ربنا يسوع النبوية عن ظهور مسحاء كذبة وأنبياء كذبة يضلون كثيرين (٧٠) .

وفى شهر مايو سنة ٦٦ م ــ تحت حكم الوالى الرومانى فلوروس ، وكان طاغية شريراً قاسياً ــ إندلعت ثورة يهودية منظمة ضد الرومان . وفى نفس الوقت قامت حرب أهلية بين جماعات الثوار المختلفة ، لا سيما بين جماعة الغيورين Zealots المتطرفين ، وفريق المعتدلين ، أو بين المتطرفين والمحافظين من اليهود ...

---

(٧٠) انظر : مت ٢٤ ؛ مر ١٣ ؛ لو ٢١ .

كان أعضاء جماعة الغيورين مملوئين شراسة وتعصباً للدين والوطن والقومية اليهودية . وكان لهم النفوذ والسيطرة فى المجال الحربى . ومن ثم فقد سيطروا بعنفهم على المدينة المقدسة أورشليم وهيكلها . وأشاعوا الذعر بين الأهلين ، وعبأوا أفكار الناس ومشاعرهم إنتظاراً لظهور المسيا . كما رحبوا بكل خطوة نحو الدمار والخراب ، كخطوة نحو التحرر!! وفسروا ظهور المذنبات والشهب والإنذارات المخيفة والأعاجيب التى صاحبت تلك الفترة ، على أنها علامات لمجىء المسيا وملكه على الأمم (٧١) ... **لقد كان تحدى اليهود للدولة الرومانية فى ذلك الوقت ، يعنى تحديهم لأكبر قوة مسلحة فى العالم وقتذاك . ومع ذلك فقد أعماهم تعصبهم الدينى ، الذى استوحوه من ذكريات بطولات ثورات المكابيين ، عن الفشل المحقق .**

الغزو الرومانى :

عندما بلغ نيرون خبر ثورة اليهود ، أرسل قائده الذائع الصيت فسبسيان Vespasian على رأس قوة كبيرة إلى فلسطين ... بدأت الحملة سنة ٦٧ من ميناء بتولمايس (عكا) ، وواجهت مقاومة مستميتة فى الجليل قوامها ستون ألف مقاتل ... لكن ما لبثت الأحداث فى روما أن حالت بين فسبسيان واستكمال النصر ، واضطرته إلى العودة إليها ، بعد أن إنتحر نيرون ، وتعاقب على العرش الإمبراطورى ثلاثة أباطرة فى فترة وجيزة . وانتهى الأمر باعلن فسبسيان إمبراطوراً سنة ٦٩ ، فعمل على إعادة الأمن والنظام فى ربوع الإمبراطورية .

خلف فسبسيان فى قيادة الحرب ضد اليهود ابنه تيطس Titus الذى صار هو الآخر إمبراطوراً بعد هذه الأحداث بعشر سنوات ... كان جيش تيطس قوامه نحو ثمانين ألف مقاتل مدرب ، وأقام معسكره على جبل سكوبس Scopus وجبل الزيتون المتاخم ، فى مواقع تمكنه من رؤية المدينة أورشليم والهيكل رؤية واضحة .

---

(71) Schaff, Vol. 1, pp. 393, 394.

معنى ملك المسيا على الأمم فى نظر اليهود ، سيادتهم هم .

وكان وادى قدرون يفصل بين الرومان واليهود المحاصرين .

بدأ الحصار فى أبريل سنة ٧٠ م عقب عيد الفصح مباشرة . وكانت أورشليم غاصة بالغرباء الذين وفدوا إليها لحضور ذلك العيد العظيم . حاول تيطس فى بادىء الأمر التفاهم مع اليهود بالحسنى ، لكن جماعة الغيورين رفضوا بكل تحد مقترحات تيطس ومحاولاته المتكررة ، وتوسلات يوسيفوس (المؤرخ) الذى صحبه كمترجم ووسيط ... وكانوا فى ثورتهم الجنونية يقتلون كل مَنْ يتحدث عن الإستسلام .

قام اليهود ببعض الهجمات أسفل وادى قدرون وفوق الجبل ، كبدوا فيها الرومان خسائر كبيرة ... كان هذا النجاح المبدئى سبباً فى إزدياد حماس الغيورين ، على الرغم مما حل بهم من مصائب ومتاعب ... كان تيطس يصلب يومياً من اليهود العصاة نحو خمسمائة يهودى ... **وما لبثت أن ظهرت المجاعة فى أورشليم ، نتيجة احكام الحصار عليها . كانت المجاعة تحصد فى كل يوم آلاف اليهود ، الأمر الذى أضطر إمرأة يهودية أن تشوى طفلها لتأكله** (٧٢) **!!** وعلى الرغم من كل ذلك ، فإن هذا البؤس كله لم يزحزح جماعة الغيورين المسيطرين على الموقف عن تعصبهم الجنونى ... والواقع أن التاريخ لم يسجل لنا صوراً للبؤس أبشع مما شهدته أورشليم مدة حصارها على يد تيطس . كما أنه لا يسجل لنا مقاومة عنيدة ، وشجاعة يائسة ، وإستخفافاً بالموت ، على نحو ما أظهره اليهود فى تلك الحرب (٧٣) .

دمار المدينة والهيكل :

أخيراً ــ فى يولية سنة ٧٠ م ــ باغت الرومان حصن أنطونيا Antonia ليلاً واستولوا عليه . وبسقوط هذا الحصن ، أصبح الطريق ممهداً لوضع أيديهم على الهيكل ، **فتوقفت الذبائح اليومية فى اليوم السابع عشر من يولية ، لأن اليهود**

(٧٢) يذكر يوسيفوس هذه القصة المرعبة فى كتابه : Wars of the Jews, 6.3.4. .

(73) Schaff, Vol. 1, pp. 395-397.

كانوا فى حاجة إلى كل الأيدى للدفاع فى الحرب ... ولعل آخر ذبيحة وأغزرها دماء قدمت على مذبح المحرقة كانت آلاف اليهود الذين ذبحهم الرومان وقد تجمهروا حول هيكلهم للدفاع عنه !!

كان تيطس ــ بحسب رواية يوسيفوس ــ ينوى فى بادىء الأمر أن يبقى على الهيكل ، كعمل معمارى رائع يحفظ ذكرى إنتصاره . وعندما هددت ألسنة النيران قدس الأقداس ، شق طريقه بصعوبة بين اللهب والدخان ، فوق جثث القتلى ، وتلك التى كانت بين الحياة والموت ، حتى ما يحصر النيران لكن جنوده كانوا فى حالة هياج هستيرى نتيجة المقاومة العنيدة التى أبداها اليهود ، والطمع فى كنوز الهيكل الذهبية ، لم يكن فى الإمكان إيقافهم عن أعمال التخريب (٧٤) .

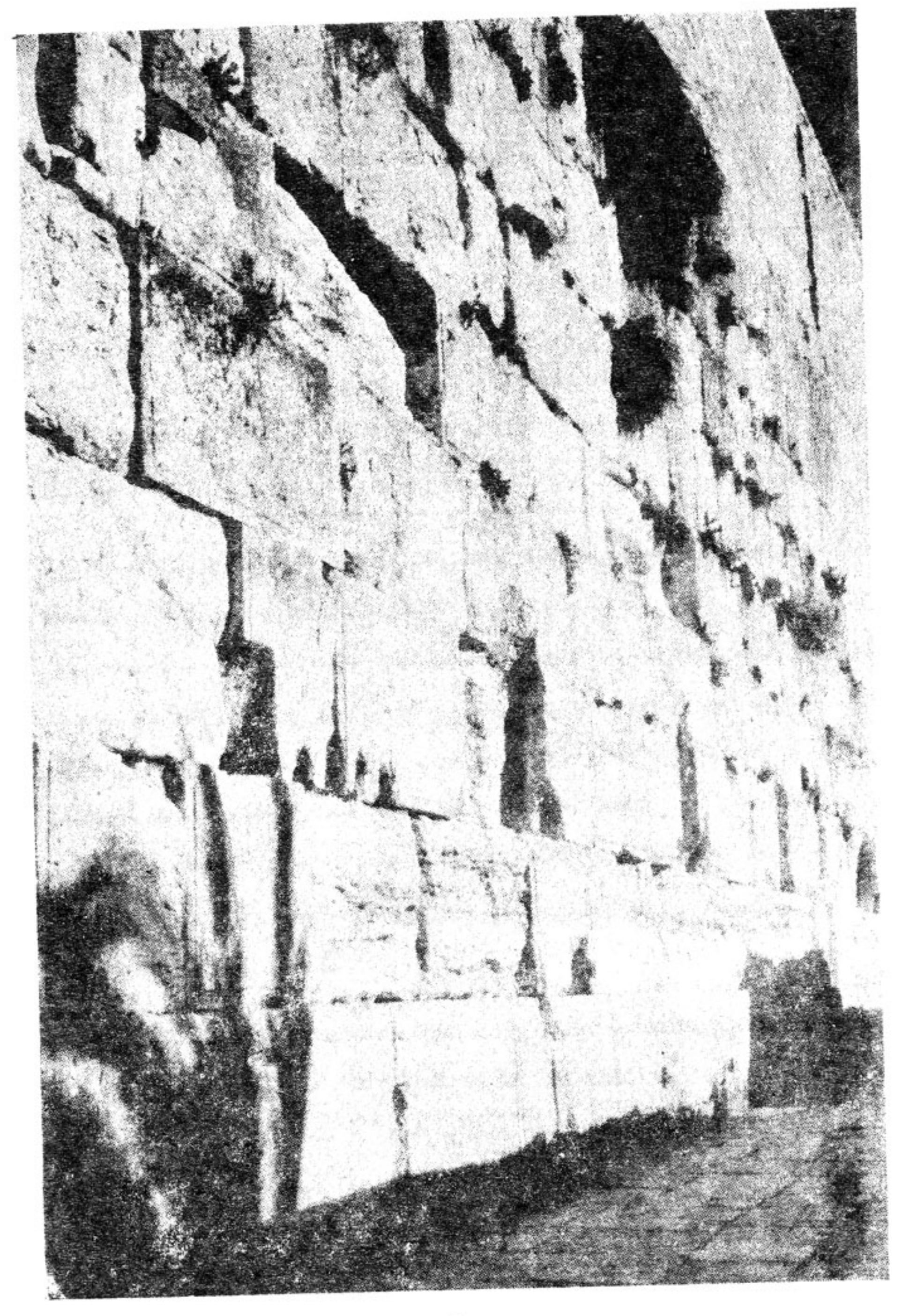
كانت الأروقة المحيطة بالهيكل هى أول ما احترق منه . ثم ما لبثت أن طرحت كتلة نارية عبر البوابة الذهبية . وعندما تصاعدت ألسنة اللهب ، أطلق اليهود صرخات هستيرية مفزعة ، وحاولوا إخماد النار ، بينما وجد آخرون عزاءهم ــ وهم يتعلقون بأخر أمل لهم فى خلاص المسيا ــ فى أن يعلنوا نبوءة نبى كاذب ، مؤداها أن الله وسط حريق الهيكل ، وسيعطى علامة الخلاص لشعبه !! .. تنافس الجنود الرومان فى تغذية ألسنة النيران ، وسرعان ما تحول كل البناء الضخم إلى شعلة نارية أضاءت السماء ... هكذا أحرق الهيكل فى العاشر من أغسطس سنة ٧٠ م . وهو حسب التقليد ، نفس اليوم الذى خرب فيه الهيكل قديماً على يد نبوخذنصر ملك بابل (٧٥) !!

يقول يوسيفوس ــ وهو شاهد عيان ــ فى وصفه لخراب الهيكل : **[لا يمكن أن يتصور أحد أصوات أعلى وأكثر فزعاً مما حدث من كل ناحية أثناء إحتراق الهيكل . صيحات الإنتصار والفرح الصادرة من الجنود الرومان تختلط بصيحات عويل الشعب المحاصر بالنار والسيف فوق الجبل وداخل المدينة .**

---

(٧٤) يتضارب المؤرخون فى مدى مسئولية تيطس فى حرق الهيكل ، بين مَنْ يحمله هذه المسئولية ، ومَنْ يعفيه منها . انظر : Schaff, Vol. 1, p. 397

(75) Schaff, Vol. 1, pp. 397, 398.



بقايا من حجارة هيكل أورشليم بعد هدمه

وكان الصدى الواصل من كل الجبال المحيطة يزيد هذا الزئير الذى يصم الآذان. ومع ذلك فالبؤس نفسه كان أفظع من هذا الاضطراب. كان التل المقام عليه الهيكل يغلى من السخونة، وبدأت وكأنه ملفوف حتى سفحه بطبقة واحدة من اللهب. كانت الدماء فى كميتها أكثر من النار، والمذبوحون أكثر عدداً ممَنْ ذبحوهم. ولم تعد الأرض ترى فى أى موضع، إذ كانت مغطاة بأكوام من جثث القتلى، سار فوقها الجند وهم يتعقبون الهاربين] (٧٦).

وما لبث الرومان أن ثبتوا شعاراتهم (النسور الرومانية) فوق الأنقاض فى الجهة المقابلة لبوابة أورشليم الشرقية، وقدموا لها القرابين، وهتفوا لقائدهم المظفر تيطس بأعظم تهاليل الفرح ... هكذا تمت النبوءة الخاصة « برجسة الخراب القائمة فى الموضع المقدس » (٧٧).

قصاص الله العادل :

لقد هدمت أورشليم تماماً، ولم يترك بها سوى ثلاثة أبراج من قصر هيرودس مع جزء من الحائط الغربى. وقد أبقى عليها كآثار لقوة المدينة المقهورة، التى كانت يوماً معقلاً لدولة اليهود الدينية، ومهد الكنيسة المسيحية ... **ولقد أحس الجميع واعترفوا بأن كارثة اليهود إنما هى قصاص إلهى** ... فقد نسب إلى تيطس قوله ان الله بمعونة خاصة ساعد الرومان ومنع اليهود من الافلات من قبضة يدهم القوية ...

أما يوسيفوس (٧٨) **الذى تابع الحرب بنفسه من أولها إلى آخرها، فقد**

(76) Josephus, Wars of the Jews, 6.5.1.

(٧٧) انظر : دانيال ٩ : ٢٧ ؛ مت ٢٤ : ١٥ بالمقارنة مع لوقا ٢١ : ٢٠ – انظر أيضاً : Josephus: Wars of the Jews, 6.6.1.

(٧٨) كان يوسيفوس المؤرخ اليهودى، حاكماً على الجليل، وقائداً لجيش اليهود، ثم أسر فى يد فسبسيان. بعد ذلك رافق تيطس وعمل كمترجم ووسيط بين الرومان واليهود.

إستطاع أن يتبين فى تلك المأساة عدل الله ، واعترف بذلك وقال : [إننى لا أتردد فى أن أبوح بما يؤلمنى إنى أؤمن أنه لو أجل الرومان عقابهم لهؤلاء الأشرار لابتلعت الأرض المدينة (أورشليم) ، أو أغرقها طوفان ، أو أحرقت بنار من السماء كما حدث لسدوم ، لأن جيلهم كان أكثر شراً من أولئك الذين حلت عليهم النقمات فى سالف الأزمان . فبسبب جنونهم بادت الأمة كلها] (٧٩) ..

هكذا كان لابد لواحد من أفضل الأباطرة الرومان أن ينفذ قضاء الله ، ولآخر من أكثر اليهود ثقافة فى زمانه أن يصفه ... وهكذا أيضاً ــ دون أن يعرفا أو يريدا ــ شهداً لصدق النبوة وألوهة يسوع المسيح ربنا ، الذى إذ رفضه هؤلاء اليهود الجاحدون ، عانوا البؤس والشقاء فى ملء بشاعتهما (٨٠) .

مصير اليهود بعد هزيمتهم :

بعد حصار دام خمسة أشهر وقعت المدينة كلها فى أيدى الرومان الظافرين. وقد بلغ عدد من لقى حتفه من اليهود مدة الحصار ــ بحسب رواية يوسيفوس ــ مليوناً ومائة ألف . منهم أحد عشر ألفاً هلكوا جوعاً . وأسر منهم سبعة وتسعون ألفاً . بعضهم بيعوا عبيداً ، والبعض أرسلوا للعمل فى المناجم ، بينما قرب البعض كضحايا فى حلبات المصارعة فى قيصرية وبيروت وأنطاكية وبلاد أخرى . واحتفظ بأكثرهم قوة بدنية ووجاهة ليسيروا فى مواكب النصر فى روما ، وبينهم أكبر قادة الثورة اليهودية وزعماؤها : سمعان بارجيورا Simon Bar-Giora

(79) Josephus, Wars of the Jews, 5.13.6; 6.9.1.

(٨٠) لقد حركت كارثة خراب أورشليم ودمار الهيكل مشاعر الفنانين فى كل العصور. وأحدهم وهو الألمانى كولباخ Kaulbach من فنانى العصر الحديث ، جعلها مادة للوحة من أعظم لوحاته المعروضة فى متحف برلين . واللوحة تصور الهيكل المحترق : فى صدرها رئيس الكهنة اليهودى يغمد سيفه فى صدره ، ومن حوله تصوير لآلام تمزق القلوب وفى أعلا اللوحة الأنبياء القدامى يتأملون إتمام أقوالهم النبوية . وتحتهم تيطس مع جيشه الرومانى كمنفذ للغضب الإلهى دون أن يدرى . وأسفل اللوحة من جهة اليسار أهسيروس Ahasuerus السائح اليهودى صاحب الأسطورة التى ذاعت فى العصور الوسطى تسوقه النقمة إلى المستقبل البعيد . وإلى اليمين جماعة المسيحيين خارجين فى سلام من مشهد الخراب ، وأطفال اليهود يلتمسون حمايتهم ...!!

ويوحنا الذى من جيشالا Gischala ([٨١]) .

إحتفل فسبسيان وتيطس بالنصر معاً إحتفالاً عظيماً فى روما سنة ٧١ م . **فركب كل منهما مركبة خاصة متوجاً بأكاليل الغار ، ولابسا ثياباً أرجوانية ، بينما إمتطى** دومتيان صهوة جواد ممتاز . سار الموكب فى تؤدة إلى معبد جوبيتر كابيتولينوس Jupiter Capitolinus وسط هتافات الجماهير . وكان يتقدم الموكب جنود فى ثياب إحتفالية ، وسبعمائة أسير يهودى ...

وقد حملت فى هذا الموكب بعض صور الآلهة التى يعبدها الرومان ، وبعض قطع من أثاث الهيكل اليهودى ([٨٢]) ، وأودعت معبد السلام ([٨٣]) الذى كان قد بنى منذ وقت قصير ... أما كتب الناموس والستائر الأرجوانية الخاصة بالهيكل ، فقد إحتفظ بها فسبسيان لقصره ... كان يوسيفوس أحد شهود هذا الاحتفال الخاص بإذلال أمته ، ووصفه لنا دون أن يبدى أى مشاعر لتأثره ([٨٤]) .

لقد نتج عن فتح فلسطين على يد الرومان ، دمار مصالح اليهود وتدهور إقتصادهم ... إحتفظ الامبراطور فسبسيان بالأرض كملك خاص له يوزعها على أخصائه . **ولقد وصل الشعب اليهودى بعد حروب دامت خمس سنوات إلى حالة من الفقر المدقع ... صاروا بلا حاكم منهم ، بلا وطن ([٨٥]) . وبلا**

---

(81) Josephus, Wars of the Jews, 6.9.2-4.

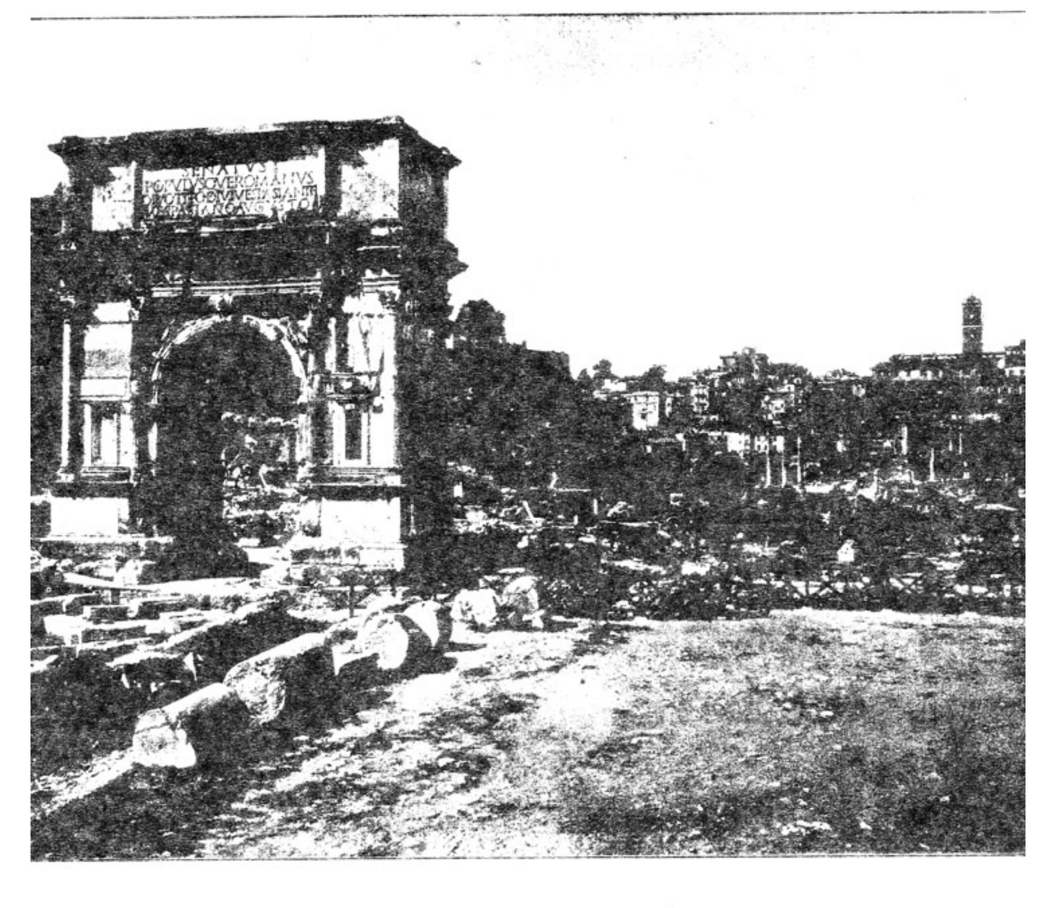
(٨٢) مائدة خبز الوجوه ، والمنارة الذهبية ذات السبعة سرج ، والأبواق التى كانت تعلن بدء سنة اليوبيل والمجامر وبعض أدراج الناموس .

(٨٣) أحرق هذا المعبد فيما بعد فى عهد الامبراطور كومودس Commodus ولا يعلم ماذا إنتهت إليه قطع الأثاث المذكورة .

(84) Josephus, Wars of the Jews, 7.5.5-7.

(٨٥) أعلن اليهود عصياناً آخر ، وقاموا بثورة ثانية فى عهد الإمبراطور هدريان فى الفترة من ١٣٢ إلى ١٣٥ م بزعامة مسيح كذاب يدعى باركوكبا Bar-Cocheba ولكنها لم تؤد إلاً إلى دمار أكمل لأورشليم ، وتخريب كلى لفلسطين .

هيكل [٨٦] .



قوس النصر الذى أقامه القائد تيطس بعد قهره اليهود وتخريب أورشليم

---

(٨٦) يوليانوس الجاحد الإمبراطور البيزنطى (٣٦١ - ٣٦٣ م) الذى كان مسيحياً وارتد إلى الوثنية ، حاول مقاومة المسيحية عن طريق تكذيب نبوة السيد المسيح بهدم الهيكل وخرابه . فعاون اليهود وعضدهم لإعادة بناء هيكلهم . وفعلاً بدأوا بحفر الأساسات غير أنهم فشلوا إذ حدثت زلزلة ملأت حفر الأساسات تراباً . كما خرجت كرات نارية من الأساسات منعت عمال البناء من العمل ، وأذابت آلات البناء . وهكذا فشل المشروع . وروى هذه الرواية المؤرخ الوثنى أميانوس Ammianus الذى كان مرافقاً ليوليانوس حتى وقت قتله وهذا المؤرخ هو أوثق مصدر لتاريخ يوليانوس . أنظر :
Smith, Dictionary of Christian Biography, Vol. 3, pp. 511-



بعض رسوم على قوس تيطس توضح إحتفالات النصر بروما وترى بعض الأشياء المؤخوذة من هيكل أورشليم ومنها المنارة الذهبية ذات السبعة سرج .



ما أن تذكر مسيحيو أورشليم تحذيرات الرب (مت ٢٤ : ١٥) ، حتى تركوا المدينة التى ستحل بها النكبة ∴ تركوها فى وقت مناسب وهربوا إلى مدينة بلا Pella فى العشر مدن وراء الأردن شمالى بيرية ... هناك فتح لهم الملك هيرودس أغريباس الثاني ملجأ أميناً ... ويقول تقليد قديم ـــ كما يروى يوسابيوس المؤرخ وابيفانيوس ـــ أن ملاكاً أو صوتاً إلهياً أعلن لقادة المسيحيين وجوب الهرب . وقد حدث ذلك قبل خراب أورشليم بأربعة أعوام (٨٧) ... وهناك وسط سكان معظمهم من الأمميين تأسست كنيسة الختان مرة أخرى ... وللأسف لا يمدنا التاريخ بأية معلومات عن الكنيسة المسيحية فى بلا ...

لقد أحدثت النكبة المروعة التى حلت بأورشليم وهيكلها اليهودى ، آثاراً ونتائج عميقة فى المسيحيين ، يمكن تلخيصها فيما يلى (٨٨) :

١ ـ كان المسيحيون حتى قبيل خراب أورشليم وهيكلها ، يعيشون فى توقع يومى لإنقضاء العالم ، وعودة الرب يسوع السريعة . لقد إختلط عليهم الأمر فى فهم الصورة النبوية التى رسمها الرب عما سيحدث فيما بعد ، فلم يستطيعوا أن يفرقوا بين النبوات المختصة بخراب أورشليم والهيكل ، وتلك التى تشير إلى إنقضاء الدهر والدينونة العامة . لم يفهموا أن خراب أورشليم وهيكلها كان رمزاً للدينونة العامة المحفوظة للعالم أجمع ... **هذا الخلط الطبيعى فى زمان ما قبل خراب الهيكل ، لم يعد ممكناً بعد أن فقدت اليهودية مركزها الدينى .**

(87) Eusebius, H.E., 3.5.3.

(88) Schaff, Vol. 1, pp. 402-404; De Pressensé, Vol. 1, pp. 406-

ولدينا دليل على هذا الفهم الجديد فيما رواه هيجيسبوس Hegesippus ونقله إلينا يوسابيوس المؤرخ . **فلقد** دعا الإمبراطور دومتيان (٨١ــ ٩٦) بعض أقارب الرب يسوع بالجسد ، وسألهم عن مملكة المسيح وعودته . فكان جوابهم : [إن هذه المملكة ليست زمنية أو أرضية ، بل سماوية ملائكية ، سوف تظهر فى نهاية العالم ، عندما يأتى فى المجد ليدين الأحياء والأموات ، ويعطى كل واحد حسب أعماله] (٨٩) ...

٢ ـ **هذا الفهم** ــ بمثل هذا الوضوح والإيجابية ــ عن طول مدة النضال والألم (اللذين ينتظران الكنيسة) وارتباطه بزوال نظام العبادة القديمة ــ الذى كان مايزال يتمسك به كثير من اليهود المتنصرين ، **ساعد على إستقرار تنظيم الكنيسة ... والواقع أنه إبتداء من سنة ٧٠ م ، نلحظ تقدماً ملموساً نحو وضع محدد لتنظيم الكنيسة وعبادتها .** لقد بدأت الكنيسة منذ ذلك الوقت تتحقق من مكانتها كإسرائيل الحقيقى .

٣ ـ وثمة نتيجة هامة لسقوط أورشليم وخراب هيكلها ... لقد كان هذا الخراب ضربة قوية للمتنصرين من اليهود المتمسكين بالناموس اليهودى . هذا الحدث الهام كان فيه إتمام لكلام السيد المسيح ، وإشعار لهم بأنه لا يريدهم أن يستمروا فى ممارسة العوائد اليهودية التى كان الهيكل مركزها . ومنذ ذلك الوقت بدأ **هؤلاء** اليهود المتنصرون يقتربون من الأمم المتنصرين ... **وبعبارة أخرى بدأ التقارب بين اليهودية المتنصرة والوثنية المؤمنة .**

٤ ـ ومن نتائج خراب أورشليم وهيكلها ، أن بدأت نهضة يهودية قادت حرباً تعليمية سافرة ضد المسيحية . فبعد خراب الهيكل بزمن قصير بدأ اليهود ينظمون صفوفهم ، وتشكل سنهدرين جديد فى جبنه (٩٠) Jabna بدأ يجمع حوله

---

(89) Eusebius, H.E., 3.20.6.

(٩٠) تذكر أيضاً باسم جمنيا Jamnia ، وهى على مقربة من ساحل البحر المتوسط فى منتصف المسافة تقريباً بين يافا شمالاً وأشدود جنوباً ــ انظر : The Westminster Historical Atlas to the Bible, p. 58.

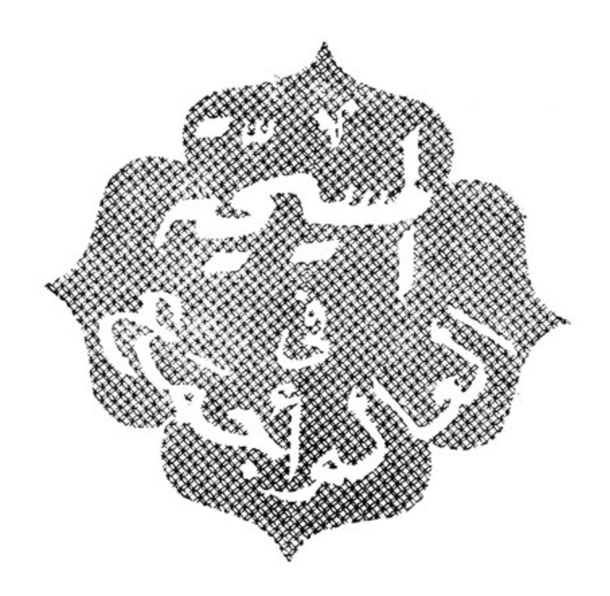
فلول الشعب اليهودى ... وقد أظهر هذا المجلس كل عداء نحو المسيحيين . ومما قاله أحد معلميهم وهو الربان تارفو Tarpho : [الأناجيل تستحق الحرق . إن الوثنية أقل خطراً من الشيع المسيحية . فالأولى لا تقبل الحق اليهودى بسبب الجهل ، بينما المسيحيون يعرفونه ومع ذلك يرفضونه . يمكن أن نجد الخلاص فى المعابد الوثنية أسرع من وجوده وسط الجماعات المسيحية] ... ووضعت قيود مُنِعَ بها اليهود من مشاركة المسيحيين الطعام ... وقد وضع الربان غمالائيل صورة لحرم مَنْ يتجاسر على مخالفة ذلك فى الصلوات اليومية ، مؤداها أنه لا رجاء للمرتدين (اليهود المتنصرين) ... وهكذا نرى أنه لا توجد هوة أعمق من ذلك ، فصلت بين كنيسة الختان والمجمع اليهودى .

٥ - كان من أثر ذلك أننا نجد فى القرن الثانى الميلادى كنيسة مزدهرة — بدون أية إتجاهات يهودية — فى آلياكابيتولينا [٩١] Aelia Capitolina ... ومن المؤكد أن عدداً كبيراً من سكانها كانوا من المسيحيين الذين ينتمون إلى أصل يهودى . وكان هؤلاء يختلطون بالأمم المتنصرين دون أدنى تمييز أو فوارق . **وهذا دليل كبير على إضمحلال المسيحية المتهوّدة .**

---

(٩١) هى المستعمرة الرومانية التى أقيمت على أنقاض مدينة أورشليم عقب عصيان باركوكبا (١٣٢ — ١٣٥ م) ، ولم يسمح لليهود بدخولها بموجب مرسوم امبراطورى .

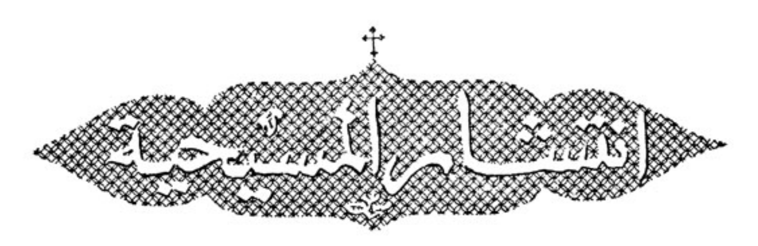
الباب الثالث



+ إنتشار المسيحية .
+ عمل الرسل الكرازى .
+ عوامل نجاح الكرازة .
+ علاقة كنيسة الرسل بالدولة .
+ أشهر الكنائس الرسولية .

أورشليم ــ أنطاكية ــ

الاسكندرية ــ روما .



« فى الأرض كلها ذاع منطقهم ، وفى أقاصى المسكونة كلامهم » (مز١٩ : ٤) . هكذا رأى داود النبى ــ بروح النبوة ــ بشرى الخلاص تنتشر فى كل العالم ... وكأنى به أيضاً ، قد رأى إتمام كلمات رب المجد يسوع فى تشبيهه للملكوت ، فى مثل حبة الخردل التى أخذها إنسان وزرعها فى حقله ، فنمت حتى صارت شجرة تتآوى طيور السماء فى أغصانها (مت١٣ : ٣١ ، ٣٢) ... وقد رأى يوسابيوس المؤرخ فى إنتشار الكرازة ، إتماماً لنبوة هذا المزمور [1] .

سنحاول بقدر الإمكان أن نرسم صورة لدى إنتشار بشرى الخلاص فى العالم القديم على أيدى رسل المسيح ... لكنها مهمة بالغة الصعوبة والتعقيد فتاريخ الكنيسة فى العصر الرسولى تعوزه المصادر والوثائق التاريخية السليمة والموثوق بها ... ومن هنا كانت الصعوبة والتعقيد ... يستثنى من ذلك القديس بولس الرسول ، الذى لدينا عنه مادة لا بأس بها ، لإعطاء صورة واضحة ، مما سجله القديس لوقا فى سفر الأعمال ، وما تمدنا به الأربع عشرة رسالة التى تحمل اسم هذا الرسول فى كتاب العهد الجديد .

وليس مصدر الصعوبة والغموض قلّة الوثائق التاريخية عن تلك الفترة فحسب ، بل هناك عاملاً كبيراً أشرنا إليه قبل ذلك ، وكان له أثره الفعّال فى حياة الكنيسة فى تلك الفترة ، ونعنى بها الحماس الشديد لفكرة التهوّد ... ذلك الحماس ــ من جانب بعض اليهود المتنصرين المتزمتين المتعصبين لناموسهم القديم ــ دفعهم إلى مقاومة رسول الأمم بولس فى حقول كرازته ، والكنائس التى أسسها ... وكانوا دائماً يحاولون الإنتقاص من أتعابه وجهوده الكرازية ، ناسبين إياها لغيره من رسل

---

(1) H.E., 2.3.1.


حقول كرازة الرسل
في العالم
مقياس الرسم
ميل
٣٠٠
٦٠٠
٩٠٠
المحيط الأطلنطي
غاليا
أسبانيا
موريتانيا
أفريقية
ليبيا
مصر
البحر المتوسط
صقلية
روما
إيطاليا
دلماتيا
مقدونيا
فيلبي
تراقيا
سكيثيا
نهر الدنيبر
المملكة البسفورية
البحر الأسود
غلاطية
البنطس
كبادوكية
أرمينيا
بامفيليه
انطاكية
سلوكية
دمشق
صور
قيصرية
اورشليم
غزة
بابل
نهر الدجلة
نهر الفرات
بلاد ما بين النهرين
الخمس مدن الغربية

الختان ، فى الوقت الذى يتحمسون لرسل الختان وفى مقدمتهم بطرس الرسول ، ويحاولون إضفاء جهادات مزعومة إلى جهاداتهم الحقيقية فى الكرازة ، الأمر الذى طغت به عديد من كتب الأبوكريفا (المزوّرة) التى حملت أسماء كثير من الرسل .

والأمر الذى لا شك فيه ، أن الرسل جميعاً جاهدوا وتعبوا فى الكرازة ، حتى لو أعوزتنا المادة التاريخية عن جهودهم الكرازية ... فقد كان روح الله نفسه هو العامل فيهم وبهم ... لقد كانوا جميعاً فى حبهم وطاعتهم للرب ، جد حريصين على تنفيذ وصيته الأخيرة قبيل صعوده « إذهبوا إلى العالم أجمع ، واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها » (مر١٦ : ١٥) ...

حقول كرازة الرسل :

نحن لا نعلم كيف بدأت الكرازة فى العالم الخارجى خارج فلسطين ومجاوراتها . وكيف سار الرسل فى خط سيرهم الكرازى ... هل تم ذلك بناء عن خطة وضعت ، وإتفاق تم ... أم أن كل رسول إنطلق كيفما شاء ، حسبما أرشده روح الله ... المرجح أنه كان هناك تحديد لحقول الكرازة ، كما نستدل على ذلك من التقليد القديم الذى إستند إليه يوسابيوس المؤرخ .

لكن مَنْ الذى حدد حقول الكرازة وأماكنها ، والرسل لم يكن لهم رئيس يقودهم ويوجههم ويصدر إليهم التعليمات ؟ ... لقد كان هذا هو عمل الرب يسوع — رأس الكنيسة غير المنظور. كان بروحه يقود رسله بحسب حكمته السامية . لكن إذا كان قد تم توزيع مناطق الخدمة والكرازة ، فكيف قام بروح الله بهذه المهمة ؟ ... هناك إشارتان فى سفر أعمال الرسل توضحان لنا هذه الناحية ... « **كان فى أنطاكية** ... أنبياء ومعلمون .. وبينما هم يخدمون الرب ويصومون ، **قال الروح القدس ، إفرزوا لى برنابا وشاول للعمل الذى دعوتهما إليه** » (أع١٣ : ١، ٢) ... وواضح لهنا أن روح الله تكلم فى الأنبياء ... « وبعدما إجتازوا فى فريجية وكورة غلاطية **منعهم الروح القدس أن يتكلموا**

بالكلمة فى آسيا. فلما أتوا إلى ميسيا، حاولوا أن يذهبوا إلى بيثينية **فلم يدعهم الروح**. فمروا على ميسيا وانحدروا إلى ترواس وظهرت لبولس رؤيا فى **الليل**، رجل مكدونى قائم يطلب إليه ويقول، اعبر إلى مكدونيا وأعنا فلما رأى **الرؤيا**، **للوقت** طلبنا أن نخرج إلى مكدونية، متحققين، أن الرب قد دعانا لنبشرهم» (أع ١٦: ٦-١٠).

سبق أن عرضنا ــ حسبما تمدنا الوثائق ــ للكرازة فى ربوع فلسطين. والآن ننتقل للكلام عن الكرازة فى أرجاء العالم القديم:

رواية يوسابيوس المؤرخ:

يقول يوسابيوس (٢) ــ بعد أن وصف خراب أورشليم: [هكذا كانت حالة اليهود. وفى نفس الوقت تشتت الرسل القديسون وتلاميذ مخلصنا فى كل أرجاء العالم. كانت بارثيا (٣)، كما يقول التقليد من نصيب توما كحقل يعمل فيه. وسكيثيا (٤) لاندراوس، وآسيا (٥) ليوحنا، الذى بعد أن عاش فيها وقتاً ما، مات فى أفسس. ويبدو أن بطرس كرز فى بنطس وغلاطية وبيثينية وكبدوكية وآسيا، لليهود الذين فى الشتات. وإذ أتى أخيراً إلى روما صلب منكس الرأس.

(2) H.E., 3.1.

(٣) بارثيا Parthia بلاد واقعة إلى الشرق من مادى وإلى الجنوب الشرقى من بحر قزوين. وكانت فى زمان الرسل تؤلف مملكة مستقلة تمتد من نهر اندوس Indus (أحد روافد نهر السند شمال غربى الهند) إلى نهر الدجلة، ومن بحر قزوين إلى الخليج الفارسى، تذكر فى المصادر العربية باسم فرتيه، ويذكر سكانها فى الكتاب المقدس باسم «الفرتيون» (انظر أع ٢: ٩).

(٤) استخدم القدماء اسم سكيثيا Scythia بمعنى واسع. فقد أطلقوه على كل المنطقة الواقعة شمالى بحر قزوين والبحر الأسود. كان هنا إقليمان باسم سكيثيا: سكيثيا الأوربية شمالى البحر الأسود ما بين الدانوب وتنايس Tanais (شمالى شرقى البحر الأسود) وسكيثيا الآسيوية وتمتد شرقى جبال الأورال. والمقصود هنا الأولى. وقد أشار إليها القديس بولس (انظر كو٣: ١١).

(٥) كانت كلمة آسيا سياسياً تشمل شريطاً ضيقاً من آسيا الصغرى يطل على شاطىء بحر ايجة ويضم ميسيا Mysia وليديا Lydia وكاريا Caria.

لأنه طلب أن يتألم بهذه الطريقة . وماذا نقول عن بولس الذى بشر بإنجيل المسيح من أورشليم إلى الليريكون ، واستشهد بعد ذلك فى روما فى عهد نيرون . **ولقد روى أوريجينوس هذه الحقائق فى المجلد الثالث من تفسيره لسفر التكوين]** .

والآن نتكلم أولاً عن رسل الختان ، ثم ننتقل بعدها للكلام عن بولس رسول الأمم ... **ولسهولة رسم صورة لمناطق كرازة الرسل ، كخلاصة لأقدم التقاليد** (٦) **التى وصلت إلينا ، نستطيع القول إن الرسل إنقسموا إلى ثلاث مجموعات ، من حيث حقول الكرازة :**

١ - المجموعة الأولى :

وتشمل الرسل بطرس واندراوس ومتى وبرثولماوس :

يبدو أن **بطرس الرسول** كرز فى نفس المناطق التى وجه إليها رسالته الأولى « بنطس وغلاطية وكبدوكية وآسيا وبيثينية » (١بط ١ : ١) . فالتقاليد القديمة تذكر هذه المناطق مضافاً إليها المنطقة الواقعة شمالى فلسطين ، ثم روما وهى خاتمة المطاف بالنسبة لهذا الرسول ... ويلاحظ أن هذه المناطق كرز فيها أيضاً بولس الرسول . ولكن بولس كرز بها أولاً ، وليس العكس ، لأن القديس بولس سار على مبدأ كان حريصاً على حفظه « من أوشليم وما حولها إلى الليريكون قد أكملت التبشير بإنجيل المسيح . ولكن كنت محترصاً أن أبشر هكذا . **ليس حيث سمى المسيح ، لئلا أبنى على أساس لآخر** » (رو١٥ : ١٩ ، ٢٠) .

أما **إندراوس الرسول** ، فوفقاً لتقليد قديم كان معلوماً **لاوريجينوس** (٧) كرز فى سكيثيا (٨) ، ووفقاً لتقليد قديم آخر ، أنه عمل مع الرسول متى بين سكان المملكة

(6) Smith, Dictionary of Christian Biography, Vol. 1, pp. 17-32.

(7) Eusebius, H.E., 3.1.

(٨) من أجل ذلك اتخذت الكنيسة الروسية هذا الرسول شفيعاً لها . وإن كانت الكنيسة اليونانية تتنازعه معهـا ، وتقول إنه صُلب فى اليونان !! وتذكر بعض المصادر أنه كرز فى بيزنطة (**منطقة** إستنابول الحالية) ، وفى اقليم أخائية ببلاد اليونان ، واستشهد مصلوباً فى مدينة بتراس ببلاد اليونان . انظر : الدرر النفيسة فى مختصر تاريخ الكنيسة ص ٥١ .

البوسبورية (٩) Besporan Kingdom ، وفى أرض البرابرة (١٠) ، إلى الشرق والجنوب الشرقى للمستعمرات الأغريقية فى البنطس . ومنها مدينة سينوب Sinope الواقعة على الشاطىء الجنوبى للبحر الأسود . وكرازة القديس إندراوس فى سينوب لها ما يؤيدها فى تقليد قديم محلى ... وإلى جانب ذلك ، فإن تقاليد أخرى ذكرت أنه كرز فى مدينة سبسطة Sebastopolis فى كولشيس (١١) Colchis ، ومدن أبساروس Apsaros ، وتريبيزوند Trebizond ، وأماسيا Amasia ، ونيقية ونيقوميدية (١٢) . بل لقد ادعت كل من هذه المدن أن كرسيه الرسولى كان فيها . ويصور كتاب الأبوكريفا **«أعمال بطرس واندراوس»** ، الأخوين (بطرس واندراوس) يلتقيان فى أرض البرابرة .

بالنسبة **للرسول برثولماوس** ، فإن جهوده الكرازية كانت فى المملكة البوسفورية السابق الإشارة إليها ... ويذكر يوسابيوس المؤرخ (١٣) انه كرز فى بلاد الهند . ومازال الهنود المسحيون يتمسكون بهذا التقليد حتى الآن . ويؤيد هذا الرأى المؤرخ سقراط (١٤) ... ولما وصل العلامة بنتينوس مدير مدرسة الاسكندرية اللاهوتية إلى بلاد الهند فى أواخر القرن الثانى ، وجد مع المسيحيين هناك إنجيل متى باللغة العبرية . وقيل له أن برثولماوس بشر هناك وترك للمؤمنين هذا الإنجيل ... والعجيب أن نفس هذه القصة تذكر عن بلاد اليمن حيث يُقال إنه بشرها وبلاد

---

(٩) إلى الشرق من شبه جزيرة القرم ، شمالى البحر الأسود .

(١٠) استخدمت هذه الكلمة (البرابرة) للتعبير عن عدة مدلولات : للدلالة على الغرباء ، أو مَنْ يتكلمون لغة غير مفهومة . بهذين المعنيين وردت فى (أع٢٨ : ٢ ، ٤ ؛ رو١ : ١٤ ؛ ١ كو١٤ : ١١ ؛ كو٣ : ١١) . ظهرت الكلمة أولاً عند الأغريق واستخدموها فى فترة استقلالهم ، وعبّروا بها عن كل مَنْ لا يتكلمون اليونانية ، وبعدما خضعت بلاد اليونان للسيطرة الرومانية ، أصبحت تطلق على كل مَنْ ليس يونانياً أو رومانياً . وهى بالمعنى الأخير ، كانت تعبر عن حالة عدم التحضر والخشونة . انظر:
Smith, Dictionary of the Bible, Vol. 1, p. 355; Hastings, Dictionary of the Bible, p. 84.

(١١) على الساحل الشرقى للبحر الأسود .

(١٢) جميع هذا المدن واقعة جنوبى البحر الأسود .

(13) H.E., 5.10.

(14) H.E., 1.19.

العرب (١٥) ... هذا بينما التقاليد الأرمنية المحلية تجعل نياحة هذا الرسول فى مدينة أريبان Areban أو ألبان Alban فى أرمينيا الكبرى ، بعد أن أمضى فيها عدة سنوات كارزاً .

أما **متى الرسول** فقد ذكر عنه القديس جيروم أنه بشر بلاد فارس واستشهد بها ... وذكر المؤرخان روفينوس وسقراط أنه بشر وتنيح ببلاد الحبشة . و يبدو أن هذا الرأى الثانى هو الأرجح لأن الأحباش حتى الآن يحفظون هذا التقليد .

المجموعة الثانية :

تشمل الرسل القديسين توما وتداوس وسمعان القانوى .

ويمكن القول بصفة عامة أن هذه المجموعة كرزت فى الأقاليم الواقعة شرقى الأقاليم التى كرزت فيها المجموعة الأولى .

تذكر التقاليد القديمة أن **الرسول توما** كرز فى أديسا (١٦) Edessa و يذكر يوسابيوس (١٧) نقلاً عن أوريجينوس ، أنه كرز فى بارثيا . و يؤيد ذلك المؤرخان سقراط (١٨) وروفينوس (١٩) ... و يذكر سقراط أنه دفن فى أديسا (٢٠) . **وفقاً** لكتاب « **أعمال توما** » الأبوكريفا ، فإنه كرز فى بلاد الهند واستشهد فيها . والسريان الهنود يسمون أنفسهم « **مسيحيى مار توما** » (٢١) .

(15) Daniélou, Vol. 1, p. 48.

(١٦) كانت مدينة تقع شمالى غرب بلاد ما بين النهرين قرب نهر الفرات . عرفت باسم الرها ، ولعبت دوراً هاماً فى التاريخ المسيحى . و يظن البعض أنها كانت فى موقع أور الكلدانيين موطن إبراهيم .

(17) H.E., 3.1.

(18) H.E., 1.19.

(19) H.E., 2.5.

(20) H.E., 4.18.

(٢١) الدرر النفيسة فى مختصر تاريخ الكنيسة ص ٥٥ ، ٥٦ .

وبالنسبة **لتداوس الرسول** ، يذكر الأبوكريفا المعروف باسم **«أعمال تداوس»** أنه كرز لمدة خمس سنوات فى آمد (ديار بكر) فى أرض ما بين النهرين . وفى تقليد آخر يؤكده يوسابيوس ، أن الرسول توما أرسل تداوس إلى أديسا ليكرز فيها ، وهناك شفى ملكها أبجر (٢٢) .

وفيما يختص **بالرسول سمعان القانوى** ، فتذكر التقاليد أنه كرز بين البارثيين ، وعلى وجه الخصوص فى بابل . وقيل إنه بشر فى سوريا ولا سيما فى حلب ومنبج (٢٣) .

وجدير بالذكر أن اليهود كانوا يقيمون بأعداد ضخمة فى هذه المناطق ، فى أرض ما بين النهرين ـــ كما يشهد بذلك يوسيفوس (٢٤) المؤرخ اليهودى . ويساعد ذلك فى تفهم الصورة التى رسمها اليهود المتنصرون عن جهود رسل الختان فى هذه المناطق .

٣ ـ المجموعة الثالثة :

وتتألف من **الرسولين يوحنا وفيلبس** ، وحقلهما الكرازى فى آسيا الصغرى .

لا نعرف الكثير عن الكرازة فى الجزء الشرقى من آسيا الصغرى (ليكأونية وكيليكية) ، الذى إحتفظ بذكريات لكرازة القديس بولس . لقد كانت مدينة أفسس هى مركز القديس يوحنا ، بينما كانت مدينة هيرابوليس Hierapolis فى مقاطعة فريجية ، هى مركز كرازة القديس فيلبس ... وقد إنحدرت إلينا هذه المعلومات من تقليد قديم يرجع إلى القرن الثانى .

فيما يختص بكرازة يوحنا الرسول فى آسيا الصغرى وصلته بمدينة أفسس ،

(٢٢) يقول يوسابيوس أنه وجد هذا الخبر محفوظاً فى سجلات أديسا الرسمية ، وأنه أخذه عنها ، وترجمه من اللغة السريانية .

(٢٣) الدرر النفيسة فى مختصر تاريخ الكنيسة ص ٥٦ .

(24) Josephus, Antiquities, 11.5.2.

يكاد يكون هناك إجماع عام بين المؤرخين على ذلك. ويؤكده بابياس أسقف هيرابوليس وتلميذ يوحنا الرسول نفسه، وإيريناوس وكليمنضس الاسكندرى وأوريجينوس وترتليانوس. كما ورد ذكر هذه الرواية فى كتاب الأبوكريفا «أعمال الرسل» ... ويزيد من تأكيد هذه الحقيقة الرسائل الموجهة إلى الكنائس السبع المذكورة فى سفر الرؤيا (٢٥). ويبدو أنه تحت حكم الأباطرة دومتيان ونرفا Nerva وتراجان، كان الجزء الغربى من مقاطعة فريجية والشاطىء الآسيوى، منطقة خدمة وكرازة القديس يوحنا. ويذكر كليمنضس الاسكندرى أن يوحنا أقام أساقفة للجماعات المسيحية فى تلك المناطق ...

أما فيما يختص **بالرسول فيلبس**، فقد كرز فى فريجية. ويقدم لنا بابياس أسقف هيرابوليس ـــ إحدى مدن فريجية ـــ شهادة قيمة عنه، وعن جهوده الكرازية هناك. ولنا شهادة أخرى من بوليكراتس Polycrates الأفسسى أواخر القرن الثانى، تؤيد ما قاله بابياس. ومن المؤكد أن فيلبس تنيح أيضاً فى هيرابوليس (٢٦).

حقول كرازة بولس الرسول (٢٧) :

يقول القديس بولس بالروح القدس ـــ فى معرض دفاعه عن قانونية رسوليته التى تسلمها من الرب ـــ أنه تعب أكثر من جميع الرسل (١ كو١٥ : ١٠ ؛ ٢ كو١١ : ٢٣) ... وهذا حق يؤيده التاريخ ... فبعد أن كرز بولس فى دمشق وأقاليم سوريا وطرسوس وأنطاكية وقبرص وأقاليم آسيا الصغرى فى أنطاكية بيسيدية ودربة ولسترة وأقاليم فريجية وغلاطية وأفسس (التى جعلها قاعدة لعمله الكرازى فى آسيا، وأقام بها ثلاث سنوات) وغيرها ... وبعد أن كرز فى بلاد مقدونية وأخائية ببلاد اليونان، وأسس كنائس فيلبى وتسالونيكى وبيرية وكورنثوس

---

(25) Daniélou, Vol. 1. pp. 39-44.

(26) Ibid; pp. 39-44.

(27) Harnack, Mission ... pp. 73-83; Schaff, Vol. 1, pp. 322-333; Daniélou, Vol. 1, pp. 32-38.

وغيرها ... بعد هذا كله ــ وقبيل رحلته الأخيرة إلى أورشليم ــ كتب (٢٨) يقول : « من أورشليم وما حولها إلى الليريكون (٢٩) ، قد أكملت التبشير بإنجيل المسيح . ولكن كنت محترصاً أن أبشر هكذا . ليس حيث سمى المسيح ، لئلا أبنى على أساس آخر ... لذلك كنت أعاق المرار الكثيرة عن المجىء إليكم . وأما الآن فإذ ليس لى مكان بعد فى هذه الأقاليم ، ولى إشتياق إلى المجىء إليكم منذ سنين كثيرة فعندما أذهب إلى أسبانيا آتى إليكم . لأنى أرجو أن أراكم فى مرورى وتشيعونى إلى هناك » (رو١٥: ١٩-٢٤) .

ومعنى هذا الكلام ، أن الرسول أكمل حتى ذلك الوقت (حوالى إلى سنة ٥٨ م) الكرازة فى العالم الأغريقى ... ويبدأ بعدها الكرازة فى العالم اللاتينى (الرومانى) ... هكذا يوضح الرسول بولس خدمته الكرازية بالإنجيل لنصف العالم الشرقى ، ويحددها بخط يمتد من أورشليم إلى الليريكون .

كان بولس يرى أن عليه حمل الإنجيل والبشارة إلى الحدود الغربية للإمبراطورية الرومانية ، وأن يملأ الفراغات التى تركتها الإرساليات الأخرى فى جهودها ، لتوصيل كلمة الخلاص للعالم كله ... وهكذا إنطلق إلى نصف العالم الغربى حيث وصل بكرازته إلى الحدود الغربية للإمبراطورية ، فبشر فى إيطاليا ويحتمل أن يكون قد كرز فى أسبانيا أيضاً .

عوامل مهدت الطريق أمام المسيحية (٣٠)

إن النصر العجيب الذى أحرزته المسيحية ــ ابان ظهورها ــ على ديانات العالم القديم ، أمر يدعو للدراسة . وإن كان السبب الرئيسى فى سرعة إنتشار المسيحية ، هو أصلها الإلهى وعناية مؤسسها ، وعقائدها السامية ، التى هى فى حد ذاتها شهادة

(٢٨) فى رسالته إلى أهل رومية التى كتبها فى كورنثوس حوالى سنة ٥٨ .

(٢٩) على الساحل الغربى لشبه جزيرة البلقان ، المطل على البحر الأدرياتى ، وتسمى دلماتيا .

(30) Harnack; Missions ... pp. 1-21; Gibbon, pp. 259.

مقنعة ، لكن الله دائماً يستخدم ظروف البشر كوسائل لتنفيذ مقاصده الإلهية ... لقد تجسد ابن الله فى ملء الزمان (غل ٤ : ٤) . ومعنى الملء هنا ، أن الإعداد لمجيئه قد كمل ... قيل عن يوحنا المعمدان أنه الملاك الذى هيأ الطريق أمام ابن الله .. لكن لم يكن هو وحده الذى قام بهذه المهمة ، بل سبقته إعدادات كثيرة . ولعل يوحنا كان حلقة أخيرة فى سلسلة الإعداد الطويل ... **فما هى هذه العوامل إذن** (٣١) ... ؟

١ اليهودية وانتشارها :

كان تشتت اليهود فى أنحاء العالم القديم مظهراً من مظاهر غضب الله على هذا الشعب القاسى القلب ، الغليظ الرقبة ... كانت المجامع اليهودية فى الشتات – بالنسبة للديانة المسيحية الناشئة ، مراكز إضطهاد للمسيحين ، ومعاقل مقاومة للمسيحية وتعاليمها . لكن الله إستخدم هذا العدو الكبير لخير العالم ... لقد كانت إنتشارهم الواسع فى كل أنحاء الامبراطورية الرومانية بمثابة الأساس الممتد الذى بنت عليه المسيحية (٣٢) ... وهكذا غدت هذه المجامع وسائل لنشوء ونمو الجماعات المسيحية فى كل أنحاء الإمبراطورية ... لقد أمدت هذه المجامع الكنيسة المسيحية بمراكز ومناهج للتبشير سرعان ما طورتها المسيحية بما يتفق مع روحها ورسالتها ... وهكذا وجدت إرساليات الديانة الجديدة التى باسم إله إبراهيم وموسى ، جواً مهيئاً لها ...

ملاحظات على اليهودية وإنتشارها فى العالم :

(أ) إنتشر اليهود فى معظم أقاليم الدولة الرومانية ، وعلى وجه الخصوص فى

---

(31) Schaff, Vol. 1, p. 198.

(32) Smyth; The story of St. Paul's Life, p. 16 ...

حوض البحر المتوسط أو الأقاليم المتصلة به (٣٣) ... وكانت أكبر تجمعاتهم فى سوريا ومصر وروما وأقاليم آسيا الصغرى وبلاد ما بين النهرين (شمالى العراق). ووصلوا فى إنتشارهم إلى الساحل الشمالى للبحر الأسود، وعلى طول ساحل أفريقيا الشمالى، وفى جنوبى غاليا (فرنسا) وأسبانيا وإيطاليا.

(ب) **التحول الذى طرأ على اليهودية فى القرن الأول قبل الميلاد** ... فبعد أن ظلت اليهودية لقرون طويلة ديانة مغلقة متحوصلة على ذاتها، يفصلها حاجز ضخم عن بقية الشعوب والأديان، وارتبط إرتباطا وثيقاً بوطنها وأمتها، أصبح لها باعث تبشيرى قوى، وحققت بعض النجاح ... وهذا ما عناه السيد المسيح بقوله للكتبة والفريسيين: «تطوفون البحر والبر لتكسبوا دخيلاً واحداً. ومتى حصل تصنعونه ابناً لجهنم أكثر منكم مضاعفاً» (مت ٢٣ : ١٥) ... وهذه الظاهرة برهان على أن اليهودية ــ كديانة ــ أخذت تتفتح نتيجة لتغيرات داخلية، وأصبحت معبراً بين ديانة قومية (اليهودية) وأخرى عالمية (المسيحية) ... كان اليهودى يشعر فخوراً أن لديه شيئاً يقدمه للعالم، ألا وهو الإله الواحد وحده وأحس بأن التبشير بعبادة يهوه واجب عليه. هذا ما يصوره القديس بولس: «وتثق (أيها اليهودى) أنك قائد للعميان، ونور للذين فى الظلمة، ومهذب للأغبياء ومعلم للأطفال ...» (رو٢ : ١٩، ٢٠).

ويمكن تلخيص الخدمة التى قدمتها اليهودية للمسيحية فى هذا المجال بالآتى :

+ الحقل المنتشر فى كل الامبراطورية.
+ الجماعات الدينية الموجودة فعلاً فى كل مكان فى المدن.
+ المساعدة التى هيأتها معرفة كتاب العهد القديم، بالإضافة إلى بعض المواد التعليمية والمختصة بالصلاة، التى أمكن إستخدامها من غير تغيير كبير.
+ الأمور المختصة بالعبادة.

(٣٣) إن قائمة الشعوب المذكورة فى (أع ٢) التى حضرت يوم الخمسين فى أورشليم واستمعت إلى عظة بطرس تعطينا فكرة عن ذلك.

+ الدفاع اللاهوتى عن فكرة التوحيد .

٢ - إمتداد النفوذ الاغريقى (الهيلينى) ، وتأثيره فى العالم ، وبخاصة فى الشرق ، منذ عهد الاسكندر الأكبر. وما ترتب على ذلك من وحدة فى اللغة والأفكار (٭) .

٣ - الدولة العالمية الواحدة فى روما ، والوحدة السياسية التى حققتها لشعوب البحر المتوسط ، واستقرار الحياة الإجتماعية .

لقد أحس الناس فى أقاليم كثيرة فى الشرق بالسلام بعد كل الحروب والقلاقل المخيفة ، ورحبوا بالقانون الرومانى . وفى ذلك يقول العلامة أوريجينوس فى رده ضد الفيلسوف كلسوس الوثنى : [فى أيام يسوع إكتمل البر والسلام ، اللذان ظهرا بمولده . لقد أعد الله الشعوب لتعليمه ، بأن جعل الامبراطور الرومانى يحكم العالم كله . لم تعد هناك ممالك كثيرة ، وإلاَّ أضحت الشعوب غريبة عن بعضها . ولوجد الرسل أيضاً صعوبة فى القيام بالواجب الملقى عليهم من يسوع حينما قال : « إذهبوا وعلموا جميع الأمم » . من المعلوم جيداً أن ميلاد يسوع حدث فى حكم أغسطس ، الذى صهر ووحد الشعوب العديدة على وجه الأرض فى إمبراطورية واحدة . إن تعدد الممالك كان يمكن أن يصبح عقبة فى سبيل إنتشار الإيمان بيسوع فى كل العالم . ليس فقط للأسباب السالف ذكرها ، بل لأن الأمم أيضاً فى مثل هذه الحالة تصبح مضطرة للحرب دفاعاً عن أراضيها الأصلية ... وكيف يمكن إذن لهذا التعليم الخاص بالسلام ـــ الذى لا يسمح لمجرد الانتقام من عدو ـــ أن ينتشر فى كل العالم ، لو لم تمر ظروف العالم فى كل مكان فى طور ألطف عند مجىء يسوع ؟] (٣٤) .. وفضلاً عن ذلك ، فقد عاون وجود الدولة الأرضية الواحدة فى

(٭) حتى منتصف القرن الثالث الميلادى تقريباً ، كانت جميع التآلف العظيمة تكتب باللغة اليونانية ، حتى التى كتبها علماء من روما أو الاسكندرية . كانت اليونانية هى لغة العلم ، فضلاً عن أنها كانت لغة عالمية . وقد كتبت أسفار العهد الجديد جميعها باليونانية ، باستثناء إنجيل متى الذى قيل أنه كُتب أصلاً بالآرامية ... ونشير أيضاً هنا إلى كتاب العهد القديم الذى ترجم من العبرية إلى اليونانية قبل الميلاد بنحو مائتى سنة ، فيما عرف باسم الترجمة السبعينية .

(34) Origen; Contra Celsum, 2. 30.

العالم، على فهم الملكوت السماوى الذى يضم أمماً وأجناساً متباينة. كما أنه مهد الأفكار لقيام كنيسة عالمية جامعة.

٤ - كثرة الطرق التى شقتها الإمبراطورية ، والأمن الذى صاحبها براً وبحراً، الأمر الذى أدى إلى نشاط التبادل التجارى والإتصالات الشخصية، وما صحب ذلك من تبادل الأفكار، وتنقل التجار والأساتذة من مكان إلى آخر .. وقد إستفادت المسيحية من ذلك.

٥ - الاعتقاد النظرى والعملى فى تلك الآونة ، بضرورة وحدة الجنس البشرى ، والحقوق والواجبات الإنسانية التى شجعت عليها الوحدة السياسية Orbis Romanus من ناحية، وتطور الآراء الفلسفية من ناحية أخرى.

كل هذه العوامل الخارجية أحدثت ثورة كبيرة فى كيان البشر فى ظل الإمبراطورية ... ثورة كان لابد وأن تؤدى إلى إنتشار الديانة المسيحية ... لقد أصبح العالم الضيق عالماً متسعاً . وغدا العالم الممزق وحدة واحدة، يخضع لسلطة حاكمة واحدة، ويتفاهم بلغة عالمية واحدة ... وبعبارة أخرى، لقد أصبح الوضع وقت قيام الكنيسة المسيحية على النحو الآتى : امبراطورية واحدة، لغة عالمية واحدة، حضارة واحدة، تطور عام نحو التوحيد، وإشتياق عام إلى مخلّص ...



هذا العمل العظيم الذى قام به نفر قليل من الرسل والتلاميذ الكارزين ، بلا سند من قوة زمنية ، أو مؤازرة قوة بشرية ... بلا ذهب ولا فضة ... بلا مزود للطريق ، ولا ثوبين ولا أحذية ولا عصا (مت ١٠ : ٩) **كحملان وسط ذئاب ... كيف إستطاعوا أن يقوموا بهذا العمل الجبار،** حينما قال لهم الرب : « إذهبوا إلى العالم أجمع ، واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها » ... كيف كانوا يكرزون ، وماذا كان منهجهم فى الكرازة ، وكيف تغلبوا على الصعاب التى واجهتهم ، وما أكثرها ؟

فى الواقع أن قصة الكرازة بالإنجيل غامضة ... فنحن لا نعرف ماذا قال الرسل فى كرازتهم ، وماذا فعل الإنجيليون والمبشرون ، بل وأين ذهبوا وكرزو على وجه التحديد ... إننا لا نعرف من ذلك إلاَّ القليل جداً ، ومع ذلك نرى ثمراً متكاثراً فى كل مكان ... **نقرأ عن الكرازة والتبشير إشارات مقتضبة عابرة فى سفر الأعمال** (٣٥) .. **لكن وراء هذه الإشارات العابرة أتعاب وجهادات وإماتات وبطولات وأسهار وأصوام ، وصلوات رفعت ، ودموع سُكبت ، ودماء سُفكت ... تلك التى روت حبة الخردل الصغيرة فصارت شجرة عظيمة تتآوى فى ظلها كل الشعوب والأمم ...**

ونلقى الآن بعض أضواء على هذا الموضوع :

---

(٣٥) انظر فى سفر أعمال الرسل : ٨ : ٤ ، ٥ ، ٤٠ ؛ ٩ : ٣١ ، ٣٢ ؛ ١١ ، ١٩ ؛ ١٤ : ٧ ، ٢١ .

أسلوب الكرازة [٣٦] :

لم تحمل إلينا أسفار العهد الجديد شيئاً مدوناً عن أساليب الكرازة فى عصر الرسل ــ باستثناء أمثلة قليلة مقتضبة ــ لكن إكتفت هذه الأسفار بمجرد الإشارة إليها . وهى إشارات عن كلمة الله الحية ، والإعلان المقدس عن الحق من شفاه شهود [٣٧] ... وقد إنتشرت الكرازة فى الفترة الأولى لتأسيس الكنيسة بالكلمة الحية المقولة أكثر من الكلمة المكتوبة . وسنعود إلى معالجة هذه النقطة حينما نتكلم عن التقليد كمصدر من مصادر التعليم فى الكنيسة .

منهج الكرازة [٣٨] :

لا نعدو الحقيقة إن قلنا أن سفر الأعمال لم يدخر لنا نماذج كاملة لعظات الرسل الكرازية . اللهم إلاَّ عظة القديس بطرس فى يوم الخمسين ، وعظة للقديس بولس ألقاها فى المجمع اليهودى فى أنطاكية بيسيدية (أع ١٣ : ١٦-٤١) ، وخطاب وجهه فى أثينا فى الأريوس باغوس إلى جماعة من الفلاسفة (أع ١٧ : ٢٢-٣١) ، ولم تتح له فرصة إكماله .. يضاف إلى ذلك بعض الأحاديث والإشارات العابرة ، التى توضح جوهر الخدمة الكرازية ، بالإضافة إلى رسائل الرسل ... **وسنأخذ خطابى بولس الرسول المذكورين نموذجين للكرازة بين اليهود وبين الأمم .**

والآن نستعرض عظة بولس الرسول فى المجمع اليهودى فى أنطاكية بيسيدية :

(أ) بدأ بذكر تاريخ الأمة اليهودية المجيد ، وكيف إختارهم الله من بين

---

(36) De pressensé, Vol. 1, pp. 216-218; Carrington, Vol. 1, pp. 38, 39.

(٣٧) انظر أمثلة لهذه الإشارات فى : ١ كو ٢ : ٤ ؛ ١ تس ٢ : ١٣ ؛ ١ تى ١ : ١١ ؛ ٢ تى ٢ : ٢ ؛ تى ١ : ٣ ؛ يع ١ : ٢٢) .

(38) Harnack, Missions ... pp. 381-386; Allen, Missionary Methods, pp. 87-96;. Smyth; The Story of St. Paul's life, pp. 64, 65.

الشعوب ، واعتنى بهم . لكنه أشار إلى أن هذا الماضى المجيد لم يكن إلاَّ إعداداً لمستقبل ذى مجد أعظم .

(ب) أشار إلى أن أنبياء اليهود شهدوا لمجىء المسيا ، لا ليبطل الناموس بل ليتمه .

(جـ) رؤساء اليهود فى أورشليم رفضوا المسيا وصلبوه لكنهم بهذا تمموا كل ما كُتِبَ عنه .

(د) الحكام — دون أن يعرفوا — قتلوا المسيا ، لكن الله أقامه من الأموات ، ودلل على ذلك بشهادة شهود أظهر لهم نفسه حياً مراراً كثيرة بعد قيامته ، وبشهادة داود فى المزمور الثانى .

(هـ) وختم حديثه بأن الله يدعوهم لغفران خطاياهم ، الأمر الذى لا يستطيع موسى أن يهبه لهم . ثم حذرهم أيضاً من رفض هذه الدعوة ، كما تنبأ الأنبياء

وواضح مما تقدم أن الرسل فى كرازتهم لليهود ، كان من الطبيعى أن يقصروا كلامهم على إثبات أن يسوع المسيح الذى صُلِبَ ، هو عينه المسيا الذى ينتظره اليهود ، والذى تنبأ عنه الأنبياء ، وأنه قام من بين الأموات ، وأنه سيأتى فى إنقضاء الدهر ديّاناً للعالم ...

أما عن خطاب بولس فى محفل فلاسفة أثينا ، ولو أن الرسول لم تتح له فرصة إكماله ، إلاّ أنه يحوى نقاطاً أساسية وهامة فى تبشير الأمم :

(أ) بينما — فى كرازته لليهود — يستشهد بولس بكلمة الله (٣٩) ، إذ به فى كرازته للأمم يستشهد بالطبيعة المخلوقة .

(ب) يقدم لهم — فى أسلوب واضح — مفاهيم سليمة عن الله وطبيعته بكل

---

(٣٩) هذا أمر طبيعى ، لأنه كما يقول بولس عنهم « لهم التبنى والمجد والعهود والاشتراع والعبادة والمواعيد . ولهم الآباء ومنهم المسيح حسب الجسد » (رو٩ : ٤، ٥) .

الجوانب الأساسية (الله واحد ، روح ، كلى الوجود والقدرة ، عنايته بالخليقة ، وحدة الجنس البشرى وقدراته ، عبادة الروح) .

(جـ) يدعوهم للتوبة ، و يعلن لهم أن الله مستعد أن يتغاضى عن أزمنة **الجهل** .

(د) أعلن لهم عن الدينونة العامة التى بها سيدين الله المسكونة كلها بالعدل بيسوع المسيح .

(هـ) وثمة ركن أساسى فى الكرازة للأمم ، **وهو مطالبتهم بقطع صلتهم بالأوثان** ... وهكذا قال للوثنيين فى لسترة الذين أرداوا أن يذبحوا له هو و برنابا كآلهة : « نبشركم أن ترجعوا عن هذه الأباطيل إلى الإله الحى الذى خلق السماء والأرض والبحر وكل ما فيها » (أع ١٤ : ١٥) .

وكشىء مكمل لمضمون هذه العظة نقول ، إن الرسول فى منهجه الكرازى بين الوثنيين ، كان يكشف لهم ضلال البشر الشنيع بعيداً عن الإله الحقيقى ، وأن جميع البشر زاغوا وفسدوا وأعوزهم مجد الله ، وأنهم فى حاجة إلى مخلص [٤٠] ...

ونلاحظ الآتى على منهج القديس بولس الكرازى كمثال :

(أ) **حسن الاستهلال فى أحاديثه** ، الأمر الذى يهيىء قلوب سامعيه للاستماع إلى حديثه الذى سيقدمه ... ففى أنطاكية بيسيدية إستعرض أمام اليهود أمجادهم التاريخية . وفى الأريوس باغوس إمتدح الأثينيين على تدينهم على الرغم من أن روحه إحتدت فيه حينما رأى المدينة مملوءة أصناماً [٤١] (أع ١٧ : ١٦ ، ٢٢) .

(ب) على الرغم مما إتسمت به عظاته الكرازية من صراحة وشجاعة وحزم ووضوح ، لكنه **إحترم سامعيه** ، وقدر فى عطف إحتياجاتهم الروحية ، وجهلهم بالحقائق التى يدعو هو إليها .

---

(٤٠) انظر الرسالة إلى رومية ص ١ - ٣ ؛ ١ كو ١٢ : ٢ ؛ ١ تس ١ : ٩ ، ١٠ .

(٤١) ليس هذا رياء من جانب بولس ، فقد كانوا بالفعل متدينين بحسب مفهومهم ، وإن كانوا مخطئين ...

(جـ) **إنتفاعه بكل ما قدمته له بيئة سامعيه وظروفهم من أجل نجاح رسالته.** مثال ذلك : المذبح المكتوب عليه : « لإله مجهول » فى أثينا والعبارة التى إقتبسها من بعض شعرائهم الوثنيين : « لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد » ... وهو بهذا يسير على المبدأ الذى أوضحه : « صرت لليهود كيهودى لأربح اليهود ، وللذين تحت الناموس كأنى تحت الناموس لأربح الذين تحت الناموس ، وللذين بلا ناموس كأنى بلا ناموس ، مع أنى لست بلا ناموس لله بل تحت ناموس المسيح لأربح الذين بلا ناموس. صرت للضعفاء كضعيف لأربح الضعفاء. صرت للكل كل شيء لأخلص على كل حال قوماً » (١ كو٩ : ٢٠-٢٢) .

أماكن الكرازة وأوقاتها :

لم يترك الآباء الرسل والمبشرون مكاناً إلاّ وكرزوا فيه ، ولم يدعوا فرصة إلاّ واستفادوا منها واستخدموها لأجل مجد الله ونشر بشرى الخلاص .. حتى وهم يحاكمون أمام قضاتهم ، كان كل شغلهم الشاغل ، خلاص أنفس سامعيهم ... كان بولس مسجوناً فى قيصرية ، وكان فى السجن يصلى. لكن صلاته فى السجن لم تكن من أجل تبرئة ساحته وإطلاق سراحه ، بل من أجل إيمان كل سامعيه ، وفى مقدمتهم قاضيه الذى كان بيده أن يطلقه ، أو يبقيه مسجوناً .. فبينما كان بولس السجين يبسط دعواه أمام الملك أغريباس ، قال هذا الأخير له : « بقليل تقنعنى أن أصير مسيحياً » فأجاب بولس : « كنت أصلى إلى الله ، أنه بقليل وبكثير، ليس أنت فقط بل أيضاً جميع الذين يسمعوننى اليوم يصيرون هكذا كما أنا ما خلا هذه القيود » (أع٢٦ : ٢٨) .

- **لقد كرز الآباء الرسل فى المجامع اليهودية** [٤٢] فى كل مكان .

- **وكرزوا فى البيوت** ، كما نقرأ عن ذلك فى كورنثوس (أع ١٨ : ٧) ، وفى ترواس (أع٢٠ : ٧) . وقال القديس بولس لكهنة أفسس : « علمتكم جهراً

(٤٢) انظر : أع ٩ : ٢٠ ؛ ١٣ : ٥ ، ١٤ ؛ ١٤ : ١ ؛ ١٧ : ١ ، ١٠ ، ١٧ ؛ ١٨ : ٤ ، ١٩ ؛ ١٩ : ٨ .

وفى كل بيت » (أع ٢٠ : ٢٠) . وفى روما كان يكرز فى البيت الذى كان معتقلاً فيه (أع ٢٨ : ١٧-٢٣) . وبعد إطلاق سراحه كان يكرز فى بيت إستأجره لنفسه سنتين كاملتين (أع ٢٨ : ٣٠ ، ٣١) .

● **وكرز القديس بولس** فى أفسس فى **مدرسة** إنسان اسمه تيرانس لمدة سنتين (أع ١٩ : ٩ ، ١٠) .

● **وكرزوا فى بيوت الولاة والحكام** ... فكرز بولس أمام الوالى سرجيوس بولس فى قبرص (أع ١٣ : ٧) ، وأمام الوالى فيلكس وزوجته اليهودية دروسلا ، حتى أن فيلكس إرتعب من كلام بولس ، بينما كان يتكلم عن البر والتعفف والدينونة العتيدة (أع ٢٤ : ٢٤ ، ٢٥) ... وكرز بولس أيضاً أمام الملك اليهودى أغريباس وزوجته برنيكى ، حتى قال ذلك الملك لبولس : « بقليل تقنعنى أن أصير مسيحياً » (أع ٢٦ : ٢٨) ... كما كرز فى السجن ، بينما كان مسجوناً فى فيلبى ، وآمن حافظ السجن (أع ١٦) .

● **وكرزوا فى الأسواق Agora** كما نقرأ بالنسبة لبولس فى أثينا ، وأمام مجلس قضاتها ومفكريها فى الاريوس باغوس (أع ١٧ : ١٧ ، ١٩) .

● **وكرز القديس بولس عند شاطىء نهر** فى فيلبى (أع ١٦ : ١٣) ، **وعلى درج سلم** المعسكر الرومانى فى أورشليم حين هاج عليه اليهود فى زيارته الأخيرة لها (أع ٢١ : ٤٠ ؛ ٢٢ : ١-٢١) .

● وإذ أمر السيد ــ فى مثل العشاء العظيم ــ عبده أن يخرج إلى شوارع المدنية وأزقتها ، والطرق والسياجات ليدعو المساكين (لو ١٤ : ٢١) ، فعل الرسل مثل ذلك ، فبشروا فى الطرق ، على نحو ما فعل فيلبس المبشر مع الخصى الحبشى وزير كنداكة (أع ٨ : ٢٦) .

● **أما عن أوقات الكرازة** ، فكان الرسل يمارسون خدمتهم بلا فتور ولا هدوء ، يكرزون ليلاً ونهاراً (أع ٢٠ : ٣١) ... هكذا تعلم القديس تيموثاوس من

معلمه الكارز النشيط بولس (أناشدك إذن أمام الله ، والرب يسوع المسيح العتيد أن يدين الأحياء والأموات عند ظهوره وملكوته . أكرز بالكلمة ، **أعكف على ذلك فى وقت مناسب وغير مناسب** » (٢ تى ٤ : ٢) .





نعرض هنا لبعض عوامل نجاح الكرازة التى كرز بها رسل ربنا يسوع المسيح ، والمبشرون الأوائل ، حتى فتنوا المسكونة بكرازتهم ، وأضاءوا بالإنجيل طريق الحياة لكثيرين ...

١ ـ قيادة الروح القدس للخدمة (*) :

قبيل صعود الرب يسوع إلى السماء أوصى تلاميذه « **أن لا يبرحوا** من أورشليم ، بل ينتظروا موعد الآب » ... أما الحكمة فى ذلك فقد أوضحها الرب لهم ، إنهم سينالون قوة متى حل الروح القدس عليهم (أع ١ : ٤ ، ٨) ... وهذه العبارة تحمل تحذيراً فيما لو برحوا أورشليم قبل نوال هذه القوة ... لماذا ؟ لأن الروح القدس ــ منذ تأسيس الكنيسة ــ سيكون هو كل شىء فى كنيسة العهد الجديد : سيكون هو القائد ، والمدبر ، والمعين ، والمرشد ، والمعزى والعامل فى الكارزين والمخدومين والمؤمنين ... ونستطيع أن نلمس أثر الروح القدس فى كنيسة الرسل ، بالنظر فيما يلى :

• **كان روح الله هو الذى يدعو للخدمة** ... هكذا أعلن لكنيسة أنطاكية « وبينما هم يخدمون الرب ويصومون ، **قال الروح القدس ، إفرزوا لى برنابا وشاول للعمل** الذى **دعوتهما إليه** » (أع ١٣ : ٢) ... ولنلاحظ أن المتكلم هو

(*) **انظر مجلة مدارس الأحد** السنة الخامسة العدد الخامس (للأنبا شنوده) .

الروح القدس ، ومعه نلاحظ أيضاً كلمتى « لى » و« **دعوتهما** » .

• **وكان يعلم الخدام ويتكلم على ألسنتهم** (٤٣) .

• **وكان يحدد أماكن كرازتهم ، فيرشدهم إلى حقل ويمنعهم عن آخر** ... وهذا الأمر واضح فى كرازة فيلبس ووزير كنداكة الخصى الحبشى « قال الروح لفيلبس تقدم ورافق هذه المركبة » (أع ٨ : ٢٦-٢٩) ... وفى قصة كرنيليوس « قال له (لبطرس) الروح هوذا ثلاثة رجال يطلبونك . لكن قم وانزل واذهب معهم غير مرتاب فى شىء لأنى أنا قد أرسلتهم » (أع ١٠ : ١٩ ، ٢٠) ... وتنقلات معلمنا بولس الكرازية توضح هذا الأمر بكل وضوح ... « وبعدما إجتازوا فى فريجية وكورة غلاطية منعهم الروح القدس أن يتكلموا بالكلمة فى آسيا فلما أتوا إلى ميسيا حاولوا أن يذهبوا إلى بيثينية فلم يدعهم الروح ... » (أع ١ : ٦-١٠) .

• **وكان الروح ينقلهم أحياناً من مكان إلى آخر** ، كما حدث مع فيلبس بعد عماد الخصى الحبشى « خطف روح الرب فيلبس فلم يبصره الخصى أيضاً ... وأما فيلبس فوجد فى أشدود » (أع ٨ : ٣٩ ، ٤٠) .

• **وروح الله هو الذى كان يعمل بهم الآيات والمعجزات** ... ففى قصة حنانيا وسفيرة ، يقول لها بطرس : « ما بالكما اتفقتما على تجربة **روح الله** . هوذا أرجل الذين دفنوا رجلكِ على الباب وسيحملونكِ خارجاً . فوقعت فى الحال عند رجليه وماتت » (أع ٥ : ٩ ، ١٠) ... والقديس بولس مع عليم الساحر فى قبرص : « **إمتلأ من الروح القدس** وشخص إليه وقال أيها الممتلىء كل غش ... فالآن هوذا يد الرب عليك فتكون أعمى لا تبصر الشمس إلى حين . ففى الحال سقط عليه ضباب وظلمة فجعل يدور ملتمساً مَنْ يقوده بيده » (أع ١٣ : ٩-١١) .

• والروح القدس هو الذى كان يرشد الكنيسة كجماعة وأفراد ... ولذا صدر قرار مجمع أورشليم باسمه أولاً « لأنه قد رأى الروح القدس ونحن ... »

---

(٤٣) انظر : أع ٤ : ٧ - ١٢ بالمقارنة مع مر ١٣ : ١١ ؛ يو ١٦ : ١٣ ؛ ١ كو ٢ : ٤ ؛ ٥ ، ١٠ ، ١٣ .

(أع ١٥ : ٢٨) .

• لذا لا نعجب **أن جعلت الكنيسة الأولى ، الإمتلاء من الروح القدس شرطاً أساسياً للخدمة** ... هذا ما نلاحظه فى موضوع إختيار السبعة شمامسة . لقد تركوا أمر إختيارهم للمؤمنين ، لكن إشترطوا أن يكونوا « ممتلوئين من الروح القدس وحكمة » (أع ٦ : ٣) .

٢ ـ الكرازة بديانة الروح والقوة [٤٤] :

لقد أثبتت المسيحية فى نشاطها الكرازى أنها ديانة الروح والقوة . ولا نقصد بهذا القول المثاليات والمفاهيم الروحية التى قدمتها للعالم ، والنهج الروحى الذى نهجته ، بل نقصد قوة رسالتها وفعاليتها فى النفوس . فعظة يوم الخمسين التى ألقاها بطرس ، هى عظة قصيرة وبسيطة لكن تأثيرها كان عجيباً ... « **لما سمعوا نخسوا فى قلوبهم ،** وقالوا لبطرس ولسائر الرسل ماذا نصنع أيها الرجال الإخوة » (أع ٢ : ٣٧) . وانضم إلى الكنيسة فى ذلك اليوم ثلاثة آلاف نفس ... ما الذى حدث ؟ هل هذا هو تأثير كلمات صياد الجليل ورفقائه البسطاء ؟ بكل تأكيد ، لا ... إنها تأثير روح الله المصاحب لهذه الكلمات ... من هنا نفهم ما حدث « نخسوا فى قلوبهم » .. وما الذى يستطيع أن ينخس القلب إلاّ روح الله ؟!

والقديس بولس الفيلسوف يخاطب الكورنثيين فى بلاد الفلسفة قائلاً : « وأنا لما أتيت إليكم أيها الأخوة أتيت **ليس بسمو الكلام أو الحكمة** منادياً لكم بشهادة الله ... وكلامى وكرازتى لم يكونوا بكلام الحكمة الإنسانية المقنع ، **بل ببرهان الروح والقوة .** لكى لا يكون إيمانكم بحكمة الناس ، **بل بقوة الله** » (١ كو ٢ : ١ ـ ٥) ... ويقصد الرسول بسمو الكلام والحكمة الفلسفة البشرية . أما برهان الروح والقوة فيشير به إلى عمل الروح القدس المصاحب للكرازة [٤٥] ، روح الله

---

(44) Harnack; Missions ... pp. 199-206.

(٤٥) انظر : لو ٢٤ : ٤٩ ؛ أع ١ : ٨ .

الذى لا يمكن أن يقاوم .

من هنا نفهم كلمات رب المجد « متى ساقوكم ليسلموكم ، فلا تعتنوا من قبل بما تتكلمون ولا تهتموا ... لأن **لستم أنتم المتكلمين بل الروح القدس** » (مر١٣ : ١١) ... ونرى صدقها فى محاكمة إستفانوس ، حينما لم يقدر الذين تصدوا لمناقشته « **أن يقاوموا الحكمة والروح الذى كان يتكلم به** » (أع٦ : ١٠) .

ومن هنا نفهم كلمات القديس بولس : « لأنه إذ كان العالم فى حكمة الله لم يعرف الله بالحكمة ، **إستحسن الله أن يخلص المؤمنين بجهالة الكرازة** » (١كو١ : ٢١) ... وهذا يوضح أن المسيحية فى إنتشارها لم تكن تعتمد على الأساليب العقلية فى الإقناع ، بل أن برهان صدق رسالتها كان ومايزال هو « **برهان الروح والقوة** » .

وكانت كرازة الروح مؤيدة بقوة الروح فى العجائب والآيات ... « خلاص هذا مقداره قد إبتدأ الرب بالتكلم به ، ثم تثبت لنا من الذين سمعوا . شاهداً الله معهم بآيات وعجائب وقوات متنوعة ومواهب الروح القدس حسب إرادته » (عب٢ : ٣ ، ٤) ... وتنوع التعبيرات هنا فى كلام الرسول عن هذه العجائب ، هو فى حد ذاته برهان على الظواهر العديدة المرتبطة بهذا الموضوع .. ومنها شفاء المرضى وإخراج الشياطين باسم الرب يسوع ، وما أكثر الإشارات عنها فى سفر أعمال الرسل ... لقد كان ظل بطرس يشفى الأمراض (أع٥ : ١٥) ، وكانت مناديل ومآزر بولس تشفى الأمراض وتخرج الأرواح الشريرة (أع١٩ : ١٢) .

٣ ـ الكرازة بإنجيل الخلاص :

الإنجيل كما بشر به ربنا يسوع المسيح هو ديانة فداء وخلاص . ولما قال على الصليب « قد أكمل » ، كان قد أتم عمله كمخلّص أو شاف ... والحق أن الرب يسوع ظهر وسط شعبه كطبيب « لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب ، بل

المرضى » (مر ٢ : ١٧ ؛ لو ٥ : ٣١) والأناجيل الثلاثة الأولى تصوره كطبيب للنفس والجسد ، وكمخلّص أو شاف للبشر . هكذا نقرأ عنه أنه كان « يطوف المدن كلها والقرى يعلم فى مجامعها ، و يكرز ببشارة الملكوت ، و يشفى كل مرض وكل ضعف فى الشعب . ولما رأى الجموع تحنن عليهم ، إذ كانوا منزعجين ومنطرحين كغنم لا راعى لها . حينئذ قال لتلاميذه الحصاد كثير ولكن الفعلة قليلون » (مت ٩ : ٣٥-٣٧) ... ونلاحظ هنا ، كيف أن الرب يربط بين مرض الجسد ومرض النفس ... لقد نظر إليهما كتعبيرين مختلفين لعلة البشرية الكبيرة الواحدة ... كان أيسر له أن يقول للمريض « قم وامش » لكنه قال له : « أيها الإنسان مغفورة لك خطاياك » (لو ٥ : ١٨-٢٥) .

لم ينفر من الخطاة وينفصل عنهم حسب المفهوم اليهودى الفريسى فى عصره بل كان تصرفه هذا مثيراً لدهشة اليهود بقدر ما كان إتهاماً موجهاً إليه « يأكل و يشرب مع عشارين وخطاة » (★) ... كان المحيطون به ، أناساً شفاهم من مرض الروح والجسد ... هذا كان فى أيام جسده . ولما إرتفع على الصليب أظهر قوته المخلّصة فى أروع صورها ، وادخرها لمَنْ لم يبصره فى الجسد « الذى حمل هو نفسه خطايانا فى جسده على الخشبة ، لكى نموت عن الخطايا فنحيا للبر . الذى بجراحه شفيتم » (١ بط ٢ : ٢٤) ... كان هذا هو الحق الجديد الذى إنبثق من الصليب ، و ينبوع التطهير الذى تفجر منه .

إنتشر الرسل والتلاميذ حاملين بشرى الإله المخلّص والطبيب الشافى ، الذى كانت حياته وأعماله وموته هى خلاص البشر[٤٦] ... لقد كانت كل هذه المعانى مرتسمة أمام القديس بولس حينما قال للغلاطيين : « الذى أحبنى وأسلم نفسه لأجلى » (غل ٢ : ٢٠) ، وحينما كتب لتيطس يقول : « لأنه قد ظهرت نعمة الله المخلّصة لجميع الناس ... الذى بذل نفسه لأجلنا لكى يفدينا من كل إثم و يطهر لنفسه شعباً خاصاً غيوراً فى أعمال حسنة » (تى ٢ : ١١-١٤) .

(*) انظر : مت ٩ : ١١ ؛ مر ٢ : ١٦ ؛ لو ١٥ : ٢ .

(٤٦) انظر : لو ٢ : ١١ ؛ يو ٤ : ٤٢ ؛ تى ٣ : ٤ ، ٦ .

هذا هو الحق الذى أعلنه رسل ربنا يسوع المسيح منذ البداية ... **هكذا قال** معلمنا بطرس أمام مجمع السنهدرين اليهودى : « ليس بأحد غيره الخلاص . لأن ليس اسم آخر تحت السماء ، قد أعطى بين الناس به ينبغى أن نخلص » (أع ٤ : ١٢) ... لذا يتساءل القديس بولس الرسول فى دهشة : « فكيف ننجو نحن إن أهملنا **خلاصاً هذا مقداره** ، قد إبتدأ الرب بالتكلم به ، ثم تثبت لنا من الذين سمعوا » (عب ٢ : ٣) .

لاقت هذه الدعوة إلى الخلاص ، قبولاً كبيراً وعميقاً فى العالم القديم ، وبخاصة بين الطبقات الدنيا المرذولة والمحتقرة ... هذه الطبقات التى ما كان يحسب لها أدنى حساب ــ ليس سياسياً أو إجتماعياً فحسب ، بل وحتى دينياً . كان الدين ــ بالنسبة للعالم الذى حمل إليه الرسل بشراهم الجديدة ــ للأصحاء وليس للمرضى ، للأطهار وليس للخطاة ... **كانت هذه هى فكرة الوثنيين واليهود على السواء . كان المرضى والخطاة يُتركون فريسة لقوات الظلمة ، لأن الآلهة لا تسر بهم** (٤٧) . وكان هذا الفهم موجوداً عند الفيلسوف الوثنى كلسوس عدو المسيحية اللدود فى القرن الثانى (٤٨) .

كانت الخليقة كلها تئن ، متطلعة إلى مخلص ... اليهود يعلنون بلسان مريض بيت حسدا : « ليس لى إنسان » (يوه : ٧) ، والأمم يعلنون بلسان ذلك الرجل المكدونى الذى تراءى لبولس فى رؤيا : « أعبر إلى مكدونية وأعنا » (أع ١٦ : ٩) ... وهكذا عاونت هذه المشاعر ، الكارزين بالمسيحية ..

٤ ـ الكرازة بإنجيل الحب :

جاءت خدمة الكارزين الأوائل وسط عالم سادته الشرور ، واكتنفته الظلمة ، وطغت عليه الأنانية ، وقطعت أوصاله الحروب والاعتداءات والمظالم ... نادت

(47) Harnack; Missions ... pp. 103, 104.

(48) Origen, C. Cels., 3.59-

المسيحية بالمحبة للجميع حتى الأعداء ، واتخذتها شعاراً لها ، ونادت بالحب والإخاء بين جميع البشر. وعلّمت أن المحبة هى : « الوصية الأولى والعظمى » (مت ٢٢ : ٣٨) ، وأنها « غاية الوصية » (١تى ١ : ٥) ، وهى علامة التلمذة الحقة للرب « بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذى ، إن كان لكم حب بعضاً لبعض » (يو١٣ : ٣٥) ... بل إنها سمت بالمحبة ورفعت من قدرها حينما قالت : « الله محبة » (١يو٤ : ٨) . وعلّمت المسيحية أن كل فضيلة تخلو من المحبة هى مرفوضة حتى لو اقتنى صاحبها إيماناً ينقل الجبال وتكلم بألسنة الملائكة (١ كو١٣) ... وكان تعليم المسيحية بمحبة الأعداء نغمة جديدة على مسامع العالم القديم ، لم يرق إليه مفكر أو فيلسوف ... كانت المسيحية تهدف إلى تحويل المتنافرين إلى إخوة محبين « إن جاع عدوك فاطعمه ، وإن عطش فاسقه . لأنك إن فعلت هذا تجمع جمر نار على رأسه . لا يغلبنك الشر ، بل إغلب الشر بالخير » (رو١٢ : ٢٠ ، ٢١) .

جاء لحن المحبة وأنغامها العذبة شجياً فى مسامع العالم القديم المسكين ، الذى ساده الطغيان ، وترك الفقراء نهباً للأغنياء ، والضعفاء غنيمة للأقوياء ... ولم تكن المحبة لحناً عذباً فى أفواه الكارزين الأوائل فحسب ، بل شوهدت حية فى حياتهم ، ناطقة بأفعالهم ...

٥ ـ تعضيد الكرازة بوسائط النعمة :

ينبغى ـــ ونحن نعالج موضوع عوامل نجاح الكرازة فى كنيسة الرسل ـــ ألاَ نغفل سراً هاماً كان وراء تيار الكرازة الدافق ، يدفعه ويقويه ... ونعنى به « الصلاة والصوم » ... فمنذ البداية نقرأ عن الكنيسة الأولى أن أعضاءها كانوا « يواظبون بنفس واحدة على الصلاة والطلبة » (أع١ : ١٤) ... بل كانت هذه الصلوات ـــ فى قوتها وإقتدارها ـــ تزعزع المكان (أع٤ : ٣١) ... وأقام الآباء الرسل السبعة شمامسة لخدمة الموائد ، حتى يتفرغوا هم للمواظبة على الصلاة وخدمة الكلمة (أع٦ : ٤) .

وقد إستعانت الكنيسة الأولى فى حل مشاكلها بالصلاة ، وهذا واضح كل

الوضوح فى سفر أعمال الرسل [٤٩] . وكانت هذه الصلوات غالباً ما تقترن بالأصوام [٥٠] ... أما النتيجة فكانت **« كلمة الله تنمو وعدد التلاميذ يتكاثر جداً فى أورشليم ، وجمهور كثير من الكهنة يطيعون الإيمان »** (أع ٦ : ٧) ... **وكانت الكنائس** « تتشدد فى الإيمان وتزداد فى العدد كل يوم » (أع ١٦ : ٥) ... **وكانت كلمة الرب** « تنمو وتقوى بشدة » (أع ١٩ : ٢٠) .



---

(٤٩) انظر : أع ٤ : ٢٣ - ٣١ ؛ ص ١٢ (سجن بطرس واطلاقه) .

(٥٠) انظر : أع ١٣ : ٢ ، ٣ ؛ ١٤ : ٢٣ .



إنبثقت المسيحية فى بادىء أمرها من اليهودية ومن ثم فقد اعتبرت إحدى شيعها. وبقدر ما أفادت المسيحية فى البداية من هذه النظرة، بقدر ما قابلت من متاعب ... فالدولة الرومانية التى ظهرت المسيحية فى ظلها، إعتبرت اليهودية ديانة مسموحاً بها. **وقد إستفادت المسيحية من هذا الإمتياز، فاستطاعت أن تمتد وتنتشر فى أنحاء الإمبراطورية قبل أن تفطن الدولة إلى أنها ديانة جديدة، وبدأت تقاومها وتضطهد** أتباعها ...

وصول المسيحية إلى روما :

لا نعرف على وجه التحديد متى وكيف دخلت المسيحية روما ... قد يكون ذلك على يد الرومان الذين حضروا تأسيس الكنيسة يوم الخمسين (أع ٢ : ١٠) فالقديس بولس فى رسالته إلى رومية يحيى بين الإخوة الذين فى روما بعض أنسبائه الذين تنصروا قبله (رو١٦) ... **وقد يكون ذلك على يد بعض المسيحيين المتحمسين** من سكان فلسطين أو سوريا أو آسيا الصغرى أو بلاد اليونان، الذين حملوا بشرى الخلاص إليها قبل أن يصلها القديس بولس الرسول.

وأول أثر تاريخى يشير إلى المسيحية فى روما فى غير الكتب المقدسة، نجده فى إشارة عابرة دوّنها المؤرخ الوثنى سوتونيوس Suetonius ... قال إن الإمبراطور كلوديوس — حوالى سنة ٥٢ م — طرد اليهود من روما بسبب ميلهم للتمرد على

السلطة الحاكمة، وفتنتهم بتحريض Chrestus ([٥١]) وقد أشار القديس لوقا فى سفر الأعمال إلى هذا الحادث (أع١٨ : ٢) ... ومن المحتمل جداً أن تكون هذه الفتنة سببها المجادلات بخصوص شخص المسيح بين اليهود والمسيحيين، الذين كان ينظر إليهم كشيعة يهودية مستحدثة.

ومهما يكن من أمر، فقد كان المسيحيون فى روما ـــ فى أوائل حكم نيرون ـــ يؤلفون جماعة معروفة فى كل العالم المسيحى، هم عدد لا بأس به من المعلّمين، وأماكن متعددة لإجتماعاتهم. وليس أدل على ذلك من شهادة القديس بولس فى رسالته إليهم، والتى قال لهم فيها، إن إيمانهم ينادى به فى كل العالم، وإن طاعتهم ذاعت إلى الجميع ([٥٢]).

وقد تعرض المسيحيون فى العصر الرسولى لاضطهادين كبيرين من جانب الدولة الرومانية: الاضطهاد الذى أثاره نيرون، والإضطهاد الذى أمر به دومتيان ... ونعرض هنا لكل منهما:

نيرون وحريق روما واضطهاده للمسيحيين ([٥٣]):

كان نيرون ذا شخصية عجيبة إختلط فيها جنون العظمة بالميل الجارف نحو الشر والدنس وسفك الدماء. ومن ثم فقد كان قتل جمهرة المسيحيين الأبرياء بيد هذا الشيطان المتأنس نوعاً من الرياضة الممتعة بالنسبة إليه ... **على أنه ينبغى الإشارة إلى أن الاضطهاد الذى أثاره نيرون ضد المسيحيين، لم يكن إضطهاداً ديناً خالصاً، كما حدث فيما بعد، لكنه بدأ ضمن كارثة عامة**

---

(٥١) هذه الكلمة هجاء خاطىء لكلمة Christus أى المسيح. فقد خلط الرومان بين هذه الكلمة ـــ ومعناها المسيح ـــ والكلمة الأولى ومعناها صالح، وكانوا يسمون المسيحيين Chrestiani أى الصالحين.

(٥٢) انظر رو ١ : ٨ ؛ ١٦ : ٥ - ١٥ ، ١٩ .

(٥٣) عن هذا الموضوع بالتفصيل، انظر: الاستشهاد فى المسيحية ص ٤٨ ـــ ٥٢ للمؤلف.

إتهم بها المسيحيين الأبرياء.

بدأ الحريق ليلاً فى ليلة ١٨ / ١٩ يولية سنة ٦٤ م . وظلت ألسنة النيران تلتهم كل ما يصادفها لمدة ستة أيام وسبع ليالى، بعد أن فشل الجنود ورجال الاطفاء فى إخمادها أو محاصرتها ... وكانت نتيجة الحريق دمار عشرة أقسام من الأربعة عشر قسماً، التى كانت تتألف منها مدينة روما عاصمة الإمبراطورية بل عاصمة العالم وقتذاك. **وإن كان التاريخ لم يعط حكماً قاطعاً فى أسباب ذلك الحريق الهائل، لكن كل الشائعات التى ترددت والشهادات وكتابات المؤرخين القدامى، تشير بأصبعها إلى نيرون على أنه الفاعل،** وأنه أراد أن يشبع طموحه وجنونه فى إعادة بناء روما على نسق أفخم ويدعوها باسمه **Neropolis** أى مدينة نيرون.

حينما إندلعت ألسنة النيران، كان نيرون على شاطىء البحر فى انتيوم Antium مسقط رأسه ... وحتى يبعد الشبهة عن نفسه فى جريمة الحريق — وفى نفس الوقت يستمتع بقسوة شيطانية جديدة — ألصق تهمة الحرق بالمسيحيين المنبوذين، الذين أضحوا فى تلك الآونة — وبخاصة بعد خدمة القديس بولس الناجحة فى روما — مميزين عن اليهود.

وقد ترتب على تهمة الحريق، بدء كرنفال دموى لم تشهد له روما الوثنية مثيلاً، حتى قال البعض أن ما حدث كان بمثابة إجابة قوات الجحيم لحركة التبشير المثمرة التى قام بها الرسول بولس، والتى زعزعت أعماق الوثنية فى أهم معاقلها. لقد حكم بالموت على أعداد ضخمة من المسيحيين بأبشع الوسائل ... صلب بعضهم إمعاناً فى السخرية بعقوبة السيد المسيح، ولف البعض الآخر فى جلود الحيوانات الضارية، وألقوا للكلاب المسعورة فى مسرح الألعاب الرياضية.

وبلغت المأساة ذروتها ليلاً فى الحدائق الإمبراطورية عندما اشتعلت النار فى المسيحيين والمسيحيات، بعد أن دهنت أجسادهم بالقار أو الزيت أو الراتنج (صمغ الصنوبر)، وسمروا فى أعمدة الصنوبر، يضيئون كالمشاعل لتسلية الجماهير ... هذا، بينما شوهد نيرون يتجول بعربته، وقد إرتدى ثياباً غريبة الشكل مرسوم

عليها جواد سباق ، وكأنى به يتباهى بفنه .

كان حرق الإنسان حياً هى عقوبة مَنْ يحرق عمداً ... وهكذا فإن ما أنزله نيرون من ضروب الوحشية بالمسيحيين لم تكن ــ من الناحية الرسمية الشكلية ــ عقاباً على ديانتهم بل التكتل الجماعى فى إحراق روما عمداً !!

كان هذا الاضطهاد المروع الذى أثاره نيرون ضد المسيحيين بمثابة تعبئة لمشاعر جماهير الوثنيين ضدهم. ولابد وأن موجة الكراهية ضد المسيحيين واضطهادهم قد انتقلت إلى أقاليم الدولة الأخرى فى عهد نيرون أيضاً . وقد أيد هذه الحقيقة كبار المؤرخين الموثوق بهم (٥٤) ... ومن هول ما ذاقه المسيحيون على يدى هذا الطاغية ، اعتقدوا أنه سيظهر ثانية كالمسيح الدجال الذى أشار إليه العهد الجديد . على أن التاريخ مع الأسف لم يحفظ لنا أسماء الشهداء الذين سفكوا دماءهم وجادوا بأرواحهم على يد هذا الطاغية . لكن من المؤكد أن الرسولين بطرس وبولس كانا فى مقدمة مَنْ إستشهدوا (٥٥) .

الفترة من نيرون حتى نهاية العصر الرسولى :

خلف نيرون على عرش الإمبراطورية ، الأباطرة جالبا Galba وأتو Otho وفيتليوس Vitellius وفسبسيان Vespasian وتيطس . وبقدر ما نعرف لم توجه الدولة إضطهادات كبيرة ضد المسيحيين فى عهودهم . لكن هذا لا ينفى وجود متاعب إقليمية وشهداء إستشهدوا فى تلك الفترة ، لكن كحوادث فردية وليس كإضطهاد أمرت به الدولة .

لكن **دومتيان** (٨١ ــ ٩٦) ــ وهو طاغية مرتاب متكبر ، دعا ذاته « رباً وإلهاً » ــ **إعتبر اعتناق المسيحية جريمة ضد الدولة .** حكم على كثيرين من المسيحيين بالموت ، ومن بينهم أقرب أقربائه ، القنصل فلافيوس كليمنس Flavius

(54) Schaff, Vol. 1, p. 384.

(٥٥) انظر : رسالة كليمنضس الرومانى إلى كنيسة كورنثوس ف ٩٥ .

Clemens ، ونفى البعض الآخر وصادر ممتلكاتهم كما حدث مع دومتيلا Domitilla زوجة كليمنس .

ويذكر التقليد الكنسى ، ويؤكده القديسان إيريناوس من الجيل الثانى وإيرونيموس والمؤرخ الكنيس يوسابيوس من الجيل الرابع ، أن هذا الإمبراطور أثار إضطهاداً على كنائس آسيا الصغرى ، الأمر الذى أشير إليه فى سفر الرؤيا فى الكلام الموجه إلى ملاك كنيسة سميرنا «أنا أعرف أعمالك وضيقتك وفقرك ... لا تخف البتة مما أنت عتيد أن تتألم به . هوذا إبليس مزمع أن يلقى بعضاً منكم فى السجن لكى تجربوا ويكون لكم ضيق عشرة أيام» (رؤ٢ : ٨-١٠) . وفى الكلام الموجه إلى ملاك كنيسة برغامس «أنا عارف أعمالك وأين تسكن حيث كرسى الشيطان ، وأنت متمسك باسمى ولم تنكر إيمانى حتى فى الأيام التى فيها كان انتيباس شهيدى الأمين الذى قتل عندكم حيث الشيطان يسكن» (رؤ٢ : ١٢، ١٣) .

ويؤكد التقليد الكنيسى وإيريناوس وإيرونيموس ويوسابيوس أن دومتيان هو الذى أمر بإلقاء القديس يوحنا الإنجيلى الرسول فى خلقين زيت مغلى فى روما ، ثم عاد ونفاه إلى جزيرة بطمس . كما إستشهد إبان عهده إنسيموس وديونيسيوس الأريوباغى وكثيرون غيرهم . وتذكر قصة إستشهاد القديس أغناطيوس الأنطاكى أنباء إضطهادات كثيرة حلت بالمسيحيين فى حكم دومتيان .

خلف دومتيان إمبراطور آخر يدعى نيرفا Nerva (٩٦ ــ ٩٨) ... كان حاكماً عادلاً ، أعاد المنفيين ، ورفض إعتبار إعتناق المسيحية جريمة سياسية لكنه لم يعترف بالمسيحية ديانة مسموحاً بها .



تميزت بعض كنائس العصر الرسولى عن سواها بميزات معينة ، أضفت عليها نوعاً من الشهرة لم تكن لغيرها ... وهذه الشهرة لم تنطو على أى نوع من الرئاسة الكنسية (٥٦) ، لكنها نالتها إما بسبب مركزها الدينى وتأسيس الرسل لها ، وإما لشهرتها الثقافية ، أو مكانتها السياسية ... **ونستطيع أن نميز أربع كنائس فى العصر الرسولى حازت شهرتها فى العالم المسيحى وهى : كنائس أورشليم ، وأنطاكية ، والاسكندرية ، وروما .**

كنيسة أورشليم

كان أمراً طبيعياً أن تحتل كنيسة أورشليم شهرة خاصة فى عصر الرسل فأورشليم لها تاريخها الدينى الطويل منذ أن كانت مركز الديانة اليهودية فى العالم كله وقلبها النابض ، وقبلة أنظار اليهود المشتتين فى أنحاء العالم . **وقد آل إلى كنيسة أورشليم المسيحية الكثير من الشهرة السابقة ، بعد أن غدت الوريثة الشرعية الأولى للديانة اليهودية** ... هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن مدينة أورشليم هى أول مدينة رددت صدى صوت الرب يسوع ، وذاقت حلاوته قبل العالم كله ، وتقدس ثراها بدم الفادى الزكى الذى أهرق فيها ...

وفى أورشليم ولدت الكنيسة المسيحية ، ومنها ذاعت بشرى الخلاص فى العالم كله ، وحظيت بكرازة الرسل ، والعجائب التى أجراها الرب على أيديهم . وتبركت

---

(٥٦) لم يستطع فيكتور أسقف روما أواخر القرن الثانى أن يجبر كنائس آسيا الصغرى أن تعيد الفصح مع كنيسة روما فى وقت واحد . وحوالى منتصف القرن الثالث قاوم القديس كبريانوس الشهيد أسقف قرطاجنة بشمالى أفريقيا استفانوس أسقف روما بشدة بسبب معمودية الهراطقة .

بدم باكورة شهداء الحمل ، إستفانوس رئيس الشمامسة ، والرسولين يعقوب بن زبدى ، و يعقوب أخى الرب ، وغيرهم ممَنْ لم يحفظ لنا التاريخ أسماءهم .

كانت أول مركز دينى مسيحى أنشىء ، وفيها عقد أول مجمع كنسى . وكانت تعتبر بحق الكنيسة الأم فى تلك الفترة المبكرة من تاريخ الكنيسة ، التى يتطلع إليها المؤمنون (٥٧) ... وقد ورد فى ليتورجية القديس يعقوب تلقيب كنيسة أورشليم **« بالأم »** كما أجمع آباء الكنيسة على ذلك (٥٨) .

ولما ثارت ريح الاضطهاد على الكنيسة الناشئة فى أورشليم ، واستشهد استفانوس « تشتت الجميع فى كور اليهودية والسامرة ، **ما عدا الرسل** » (أع ٨ : ١) ... وبقاء الرسل فى أورشليم مع تزايد الاضطهاد الدامى ، يرينا أنهم كانوا يعتبرون تلك المدينة ولا شك مركزاً ورأساً للكنيسة الناشئة ، ومصدراً للإشعاع المسيحى ، وإلا لكانوا تفرقوا هم أيضاً مع بقية المؤمنين ، يكرزون بالكلمة حيثما حلوا ... ومن أورشليم كانت الكنيسة تشرف على النشاط الكرازى الذى يقوم به الكارزون ... « ولما سمع الرسل الذين فى أورشليم أن السامرة قد قبلت كلمة الله ، **أرسلوا إليهم بطرس ويوحنا** ، اللذين لما نزلا صليا لأجلهم لكى يقبلوا الروح القدس (أع ٨ : ١٤ ، ١٥) . وكذلك أيضاً بالنسبة لأنطاكية ، فحالما سمعت كنيسة أورشليم إيمان عدد من سكانها « أرسلوا برنابا لكى يجتاز إلى أنطاكية » (أع ١١ : ٢٢) .

وثمة ظاهرة واضحة ترينا مكانة كنيسة أورشليم بين كنائس عصر الرسل ، وإحساس المسيحيين خارج أورشليم بحقها عليهم وواجبهم نحوها ... تلك هى **إرسال التقدمات لفقراء أورشليم من الكنائس المختلفة ،** يهودية وأممية ... لقد اعتنى القديس بولس بهذا الأمر ، وكان يجمع التقدمات من كنائس الأمم التى

---

(57) Schaff, Vol. 1, p. 247.

(٥٨) ما أصدق النبوة التى قالها المرتل عن أورشليم « صهيون الأم Ⲙⲁⲙⲁⲛ Ⲥⲓⲱⲛ تقول إن إنساناً حل فيها وهو العلى الذى أسسها إلى الأبد » (مز ٨٦ ــ الترجمة القبطية) ، انظر الخريدة النفيسة ص ٨٨ ، ٨٩ .

أسسها ، ويرسلها إلى كنيسة أورشليم (٥٩) ... بل هو بنفسه كان يحمل هذه التقدمات ، كما حدث فى زيارته الثانية لأورشليم حوالى سنة ٤٤ م ، حينما كان يحمل تقدمات كنيسة أنطاكية (أع ١١ : ٣٠) .

وقد تولى أمور كنيسة أورشليم **القديس يعقوب البار** أحد الاثنى عشر حتى سنة ٦٢ حين إستشهد . وقد كان أول أسقف عليها ، حسبما يخبرنا هيجيسبوس (٦٠) . وخلفه أخوه **سمعان بن كلوبا** الذى إستشهد مصلوباً على يد أتيكس والى اليهودية سنة ١٠٦ وله من العمر ١٢٠ سنة . ويبدو أن سمعان خلف يعقوب مباشرة عقب إستشهاده ، لأنه هو الذى انتقل بالمسيحيين من أورشليم إلى بلا Pella قبيل خراب أورشليم ، إتماماً لوصية الرب .

لكن كنيسة أورشليم لم تحتفظ بمركزها الدينى المتميز ، بسبب ما حل بالمدينة من خراب سنة ٧٠ م . ولم يسترد الكرسى الأورشليمى مركزه الدينى ، إلاَّ أوائل القرن الرابع الميلادى ، حينما اتجهت أنظار المسيحيين إلى إعتبار الأراضى المقدسة بعد تغير الأحوال السياسية ، وزيارة الملكة هيلانة أم الملك قسطنطين لها ، واكتشافها صليب المخلص بها .

كنيسة انطاكية

ويأتى بعد كنيسة أورشليم من جهة الأهمية فى تلك الفترة المبكرة من تاريخ المسيحية ، كنيسة أنطاكية ... كانت مدينة أنطاكية هى المدينة الثالثة فى الامبراطورية الرومانية بعد روما والاسكندرية ، بسبب مركزها الجغرافى والسياسى ... فقد كانت العاصمة السياسية للاقليم السورى ، ومركزاً إستراتيجياً هاماً فى هذا الجزء من الإمبراطورية ... كان سكانها خليطاً من الأغريق النبلاء والأغنياء ، والسريان وهم عامة الشعب ، واليهود . كان موقعها بين الشرق والغرب أنسب

(٥٩) انظر : غل ٢ : ١٠ ؛ رو ١٥ : ٢٦ ، ٢٧ ـــ خلاصة تاريخ كنيسة أورشليم ص ٥ .

(60) Eusebius; H.E., 4.22.4.

مكان لنشر الإيمان الزاحف إليها من أورشليم ، فى جهات العالم الأخرى ، نظراً لقربها من أورشليم ، وبذا إستطاعت أن تظل على صلة دائمة ــ وبسهولة ــ بالكنيسة الأم فى أورشليم والحصول على ما تحتاج إليه منها ... وفى كلمات أخرى نقول ، **إن أنطاكية كانت هى باب فلسطين المفتوح على العالمين اليونانى والرومانى . ومن هنا كانت خير قاعدة لنشر المسيحية فيهما** ... وكانت بدورها تقدم العون للكارزين الذين يخرجون منها .

وتعتبر كنيسة أنطاكية هى الكنيسة الأممية الأولى (٦١) ، من جهة تاريخ تأسيسها ... وأول ما عرف المؤمنون باسم المسيحيين كان فى أنطاكية . وقد تعب فى الكرازة بها القديسان برنابا وبولس (أع ١١ : ٢٢-٢٦) ... ووصل إليها القديس بطرس متأخراً ، بعد مجمع أورشليم (غل ٢ : ١١) ... وجعلها القديس بولس مركز إنطلاقه فى رحلاته التبشيرية ...

وليس صحيحاً ما يدعيه البابويون الروم والسريان ، من أن القديس بطرس الرسول هو مؤسس كنيسة أنطاكية ، وأنه أول أسقف عليها (٦٢) ... وأنه أسسها بين سنتى ٣٦ ، ٣٧ ، ثم أقام بها سبع سنين (٦٣) ، أبحر بعدها إلى رومية . ومهما كانت شهادات الآباء والمؤرخون التى يستندون إليها ، فشهادة كتاب الله أولى بالصحة والتصديق . فعقب مقتل إستفانوس حوالى سنة ٣٧ ، حدث « إضطهاد عظيم على الكنيسة التى فى أورشليم ، فتشتت الجميع فى كور اليهودية والسامرة **ما عدا الرسل** » (أع ٨ : ١) ... ثم ذهب بطرس مع يوحنا إلى السامرة (أع ٨ : ١٤) ... وفى هذه الأثناء كان بطرس يجتاز فى اليهودية وذهب إلى لدة حيث شفى إينياس ، ثم ذهب إلى يافا حيث أقام طابيثا ، ومكث فيها أياماً كثيرة (أع ٩ : ٣٢-٤٢) ... وبعد يافا قصد قيصرية بناء على دعوة كرنيليوس (أع ١٠) . وبعد هذه الجولة الكرازية ، صعد إلى أورشليم حيث خاصمه بعض

(61) Schaff, Vol. 1, p. 279.

(62) De Pressensé, Vol. 1, pp. 77, 78.

(٦٣) أسد رستم ، كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى جـ ١ ص ١٩ ، ٢٠ ــ الدرر النفيسة ص ١٤٢ ــ سليم سليمان ، تاريخ الأمة القبطية ص ٢٨٩ .

اليهود المتنصرين بسبب عماده كرنيليوس ومَنْ معه من الأمميين (أع١١: ٢). وكان ذلك حوالى سنة ٤٠، وفيها تقابل لأول مرة مع بولس فى أورشليم (غل١: ١٨، ١٩) ... وبعد قصة كرنيليوس الواردة فى (ص ١٠، ١١) من سفر الأعمال، يتكلم القديس لوقا عن دخول الإيمان إلى أنطاكية على يد الذين تشتتوا بسبب مقتل إستفانوس (أع١١: ١٩-٢١). ولما سمع هذا الخبر عن الأنطاكيين فى آذان الكنيسة التى فى أورشليم «**أرسلوا برنابا لكى يجتاز إلى أنطاكية**. الذى لما أتى ورأى نعمة الله فرح ووعظ الجميع أن يثبتوا فى الرب بعزم القلب» (أع١١: ٢٢، ٢٣) وكان ذلك سنة ٤٣ [٦٤] .. ثم خرج برنابا إلى طرسوس ليطلب بولس ليعمل معه فى الخدمة، فخدما معاً بانطاكية سنة كاملة حتى نمت كلمة الرب وترعرعت (أع١١: ٢٥، ٢٦).

واضح من كل ما تقدم أنه حتى سنة ٤٣ ــ وهى السنة التى أرسلت كنيسة أورشليم برنابا إلى أنطاكية ليساعد فى الكرازة ونشر الإيمان ــ لم يكن أحد من الرسل قد ذهب إلى أنطاكية ... وفى سنة ٤٤ قبض هيرودس أغريباس على بطرس وسجنه، لكن ملاك الرب فتح أبواب السجن وأطلقه، ومضى إلى موضع آخر (أع١٢: ٣- ١٧). بعد ذلك لا نقرأ فى سفر الأعمال عن بطرس إلاَّ فى مجمع أورشليم حوالى سنة ٥٠ ... على أنه لا يمكن أن يكون قد خرج عن دائرة اليهودية ــ لا إلى روما ولا إلى غيرها من الأقاليم النائية ــ لأن بطرس كان لابد له من أن يتم تأسيس وتثبيت كنائسها [٦٥].

ثابت أن بطرس ذهب إلى أنطاكية عقب مجمع أورشليم، أى حوالى سنة ٥١ (غل٢: ١١). ولا يمكن أن يكون قد ذهب قبل ذلك التاريخ .. فالقضية التى أجتمع لأجلها مجمع الكنيسة فى أورشليم، كانت قضية التهود المعروضة على المجمع من كنيسة أنطاكية (أع١٥: ١، ٢). ولمَا تكلم بطرس أمام المجمع أشار

---

(64) Daniélou, Vol. 1, p. 24. هذه الشهادة لها قيمتها لأن المؤلف راهب يسوعى كاثوليكى

(65) Smith, Dictionary of the Bible, Vol. 2, p.803,
سليم سليمان، تاريخ الأمة القبطية ص ٢٨٩.

إلى إيمان كرنيليوس ومَنْ معه . ولو كان له سابق خدمة فى أنطاكية لكان أشار إلى ذلك باعتباره رئيس الكنيسة هناك وأسقفها ، وأن كنيستها هى التى تعرض القضية على المجمع ... لكن شيئاً من ذلك لم يحدث (أع ١٥ : ٧-١١) ... ولو كان لبطرس أية علاقة بكنيسة أنطاكية لظهر ذلك فى قرار المجمع . لكن كنيسة أورشليم « الرسل والكهنة مع كل الكنيسة » أرسلوا برسابا وسيلا مع بولس وبرنابا إلى أنطاكية (انظر أع ١٥ : ٢٢ ، ٢٣) .

إذن ـ من كل ما تقدم ـ يتضح جلياً أن وصول بطرس إلى أنطاكية كان حوالى سنة ٥١ أو ما بعد ذلك ... ووجوده هناك وتصرفه إزاء المسيحيين من اليهود والأمم ، والموقف الغريب الذى وقفه بعد وصول جماعة من عند يعقوب ... كل ذلك يدل على أنه لم يكن لبطرس أى موقف متميز هناك ، فكم برئاسة الكنيسة التى يدعيها البعض (غل ٢ : ١١- ٢١) !! وثمة ملاحظة أخيرة نوردها عن هذا الموضوع ... فالأب جان كلسون Jean Colson الذى صنف كتاباً كاملاً عن الأسقف فى الكنائس الأولى (٦٦) ، يجعل برنابا المؤسس لكنيسة أنطاكية (٦٧) .

كنيسة الاسكندرية

كانت مدينة الاسكندرية وقت كرازة الرسل ، تعتبر ـ من الناحية السياسية ـ المدينة الثانية فى الامبراطورية الرومانية بعد العاصمة روما . لكنها من جهة شهرتها العلمية والثقافية ، كانت دون منازع ، عاصمة العالم الثقافية فى ذلك الحين ... فمدرستها الشهيرة ، كانت أكبر مركز علمى وفلسفى فى العالم الوثنى ، بما توفر لها من مشاهير العلماء والفلاسفة ، وما زخرت به مكتبتها الشهيرة من الكتب والمخطوطات القيمة ... كانت الاسكندرية مدينة دولية ، عامرة بالسكان من المصريين وأغريق ورومان ويهود وبعض أجناس أخرى ... وكانت جاليتها

(66) Colson, L'Evêque dans les communautés Primitives.

(٦٧) أسد رستم ، كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى ، جـ ١ ص ٢٠ .

اليهودية ، أهم الجاليات اليهودية خارج فلسطين .

وصل الإيمان المسيحى إلى مصر قبل كرازة مار مرقس بها ، نظراً لقرب مصر من بلاد اليهودية ... كما كان بين مَنْ شاهدوا معجزة يوم الخمسين بعض من سكان « مصر ونواحى ليبيا التى نحو القيروان » (أع ٢ : ١٠) . **وليس ما يمنع أن يكون هؤلاء الذين آمنوا بأورشليم يوم الخمسين ، قد حملوا الإيمان معهم إلى مواطنيهم** ... وهناك إشارة فى سفر الأعمال إلى أبلوس الاسكندرى الذى كان يهودياً وتنصر ، مقتدراً فى الكتب وخبيراً فى طريق الرب : « وكان وهو حار بالروح يتكلم ويعلم بتدقيق ما يختص بالرب » (أع ١٨ : ٢٤ ، ٢٥) .. والقديس لوقا كتب إنجيله إلى أحد وجهاء الاسكندرية المدعو ثاوفيلس ... ولم يكن إنجيل لوقا هو الوسيلة الأولى التى حملت الإيمان إلى ذلك الرجل ، بل إنه كان مؤمناً قبل وصول إنجيل لوقا إليه ، إذ يقول له **لوقا** : **« لتعرف صحة الكلام الذى علمت به »** (لو ١ : ٣ ، ٤) ... وقيل إن الرسول سمعان القانوى كرز فى جنوبى مصر (منطقة أسوان والنوبة) ... وعلى أية الحالات فقد وصل الإيمان المسيحى إلى القطر المصرى قبل وصول مار مرقس إليه ... **لكن تأسيس الكنيسة المصرية التى تعرف باسم كنيسة الاسكندرية ، يُنسب إلى القديس مار مرقس .**

والقديس مار مرقس ــ أحد السبعين رسولاً ــ أسس هذه الكنيسة حوالى سنة ٦٠ م ... وتميزت بكثرة عدد مَنْ آمن ، وبسمو روحانياتهم ، وبحياة الزهد الفلسفية الفائقة الحد التى عاشها جمهور المؤمنين ... ومن فرط إعجابه بهذه الحياة ، أشار إليها فيلو الفيلسوف اليهودى الاسكندرى فى القرن الأول الميلادى فى كتاب حياة التأمل (٦٨) .

كما أسس مار مرقس فى الاسكندرية مدرسة لاهوتية ، لتثبيت المؤمنين فى الدين الجديد ، وتقف أمام المدرسة الوثنية الشهيرة ، تقاوم تيارها وأفكارها وترد

(68) Eusebius, H.E., 2.17.

عليها ... وقد قدر لهذه المدرسة ــ فيما بعد ــ بما توفر لها من علماء أن تجذب بعض فلاسفة المدرسة الوثنية وتهديهم إلى الإيمان ، بل أن تصبح أكبر مركز دراسى لاهوتى مسيحى فى العالم كله شرقاً وغرباً لعدة قرون . وقدمت هذه المدرسة للكنيسة المسيحية فى مصر وخارجها علماء وفلاسفة ، إستطاعوا أن يخدموا المسيحية أجل خدمة ، ويذودوا عن إيمانهم بأقلامهم التى فندت أدعاءات الفلاسفة الوثنيين ...

ولا صحة مطلقاً للادعاء الضعيف القائل بأن بطرس الرسول فى جولاته الكرازية عرج على مصر ،و منها ــ من بابيلون ــ كتب رسالته الأولى (١ بط ٥ : ١٣) . وقد تناولنا هذه النقطة بالرد والتفنيد فى موضوع آخر .



كانت مدينة روما فى عصر الرسل هى المدينة الأولى فى العالم ــ من الناحية السياسية ــ باعتبارها عاصمة الامبراطورية الرومانية ... وكان ينظر إليها المعاصرون نظرة كلها إجلال وتقدير حتى سموها **« روما الخالدة »** وارتبطت أفكار الناس بها إلى حد بعيد (٦٩) ...

سبق لنا أن تناولنا موضوع دخول المسيحية إلى روما ، وقلنا إن ذلك تم إما بواسطة مَنْ حضر معجزة يوم الخمسين من الرومان ، وإما بواسطة بعض المتحمسين من فلسطين أو سوريا أو آسيا الصغرى أو بلاد اليونان ... لكن تأسيس كنيسة رومية ككنيسة لم يتم إلاَّ على يد بولس الرسول ..

لكن البابويين يدعون لمار بطرس ما لم يُعط له ، وما لم يدعيه هو لنفسه ، وما

---

(٦٩) استمر هذا الشعور لعدة قرون ، حتى أن القوط الغربيين لما دخلوا روما ظافرين سنة ٤١٠ م ، أحدث دخولهم صدمة شديدة . واعتقد المعاصرون أن هذا نذير بزوال العالم . واستغل أعداء المسيحية هذه الفرصة ، وحاولوا أن يلصقوا هذه الكارثة بالمسيحيه ، لأن روما والدولة كانت مهابة الجانب فى ظل الوثنية ... فانبرى لدفع هذا الإتهام بعض الشخصيات المسيحية ومنهم القديس أغسطينوس فى كتابه « مدينة الله » ... انظر .Fisher; History of Europe

لم تعرفه الكنيسة الأولى . يقولون إن السيد المسيح أقام بطرس نائباً عنه على الأرض ، ورئيساً للكنيسة المنظورة . ويقولون أيضاً أن القديس بطرس هو مؤسس كنيسة رومية وأول أسقف عليها ، وأنه أقام بها ٢٥ سنة من سنة ٤٢ إلى سنة ٦٧ !! وسوف لا نتعرض لدحض الادعاءات الخاصة برئاسة بطرس ، لأن ذلك يبعدنا عن جوهر بحثنا فى التاريخ الكنسى **وإنما سنناقش فقط موضوع تأسيس بطرس لكنيسة رومية ، وإقامته الطويلة المزعومة بها ...**

ولابد أن نشير أولاً إلى نقطة هامة ينبغى ألاَ تغيب عن أذهاننا ، وهى أن المراكز الدينية فى عصور المسيحية الأولى كانت تقاس قيمتها وعظمتها بما للمدن الكائنة فيها تلك المراكز من قيمة وعظمة مدنية (٧٠) . ولعله مما يفيدنا فى هذا المقام ، أن نورد **شهادة القديس إيرونيموس (چيروم)** ، الذى تعتبره الكنيسة البابوية أحد ثقاتها فى التعليم ... يقول فى كلامه عن الأسقف : [حيثما يوجد أسقف ، سواء كان فى روما ، أو فى Engubium ، فى القسطنطينية أو فى Rhegium ، فى الاسكندرية أو Zoan ، فإن كرامته واحدة وكهنوته واحد فلا الثروة أو ضعة الفقر تزيده أو تنقص من قدره عن كونه أسقفاً **فالجميع سواء خلفاء الرسل**] (٧١) .



أولاً ـ الأدلة الكتابية على تأسيس بولس لكرسى رومية :

١ ـ بولس رسول الأمم :

إن الكنيسة التى تأسست فى مدينة رومية عاصمة العالم الوثنى ، هى كنيسة

(70) Fisher; History of Europe; Merle d'Aubigné, History of the Reformation, 1.8.
كيرلس مقار ، الوضع الإلهى فى تأسيس الكنيسة جـ ٢ ص ١٦٢ ـــ ١٧٧ . وهكذا نص القانونان ١٧ ، ٢٨ من قوانين مجمع خلقيدونية الذى لا تعترف به كنيستنا [انظر : سليم سليمان ، تاريخ الأمة القبطية ص ٣٣٨ ـــ ٣٤٠] .

(71) St. Jerome, Letter to Evangelus (N.P.N.F., Vol. 6, p. 289).

أممية وليست يهودية (رو١ : ٥ ، ١٣) . وكان القديس بولس هو رسول **الأمم** ، بينما القديس بطرس هو رسول الختان « إذ رأوا (يعقوب وبطرس و يوحنا) **أنى أؤتمنت على إنجيل الغرلة (تبشير الوثنيين) ، كما بطرس على إنجيل الختان (تبشير اليهود)** ، أعطونى وبرنابا يمين الشركة **لنكون نحن للأمم ، وأما هم فللختان** » (غل٢ : ٧-٩) ... نلاحظ التعبير الذى إستخدمه القديس بولس **« إذ رأوا أنى أؤتمنت »** ... مَنْ الذى إئتمنه ؟ الرب نفسه منذ البداية أفرز بولس **لهذه المهمة** ، وقال لحنانيا فى دمشق عن بولس عقب إهتدائه مباشرة : « هذا لى إناء مختار **ليحمل اسمى أمام الأمم والملوك** وبنى إسرائيل » (أع٩ : ١٥) ... ومرة ثانية يسجل القديس لوقا فى سفر الأعمال ، أن الرب ظهر لبولس فى رؤيا فى الهيكل بأورشليم وقال له : « أسرع وأخرج عاجلاً من أورشليم ... **فأنى سأرسلك إلى الأمم بعيداً** » (أع٢٢ : ١٨ ، ٢١) ...

هذا عن الأمم بوجه عام ، أما عن رومية بوجه خاص ، فقد أعلن له الرب ذلك فى رؤيا بينما كان مقبوضاً عليه ، ومودعاً بالمعسكر الرومانى فى أورشليم ... « ثق يا بولس ، لأنك كما شهدت بما لى فى أورشليم ، **هكذا ينبغى أن تشهد لى فى رومية أيضاً** » (أع٢٣ : ١١) .

ولا حاجة بنا إلى تفنيد الادعاء القائل بأن القديس بطرس ــ بعماد كرنيليوس قائد المائة الأممى ــ صار رسولاً للأمم . فهذه كانت حادثة فردية (٧٢) وقعت حوالى سنة ٤٠ ... ولقد تحدد هذا الإختصاص وتأيد فيما بعد بواسطة مجمع الكنيسة فى أورشليم ، الأمر الذى أشار إليه بولس فى (غل٢ : ٧-٩) .

٢ ـ مبدأ بولس فى الكرازة :

سار بولس فى كرازته على مبدأ واضح ، وهو أنه لا يكرز فى مكان كرز فيه آخر **« كنت محترصاً أن أبشر هكذا ، ليس حيث سمى المسيح ، لئلا أبنى على**

---

(٧٢) انظر : البابا شنوده الثالث ، مرقس الرسول ٣٢ - ٣٥ .

أساس لآخر» [٧٣] (رو١٥ : ٢٠) ... **ومن العجيب أن يذكر بولس هذا المبدأ فى رسالته إلى رومية، مما يدل على أن أحداً من الرسل لم يذهب إلى تلك المدينة ويبشرها . وكان بولس يشتهى تبشير أهل رومية (رو١ : ١١، ١٥)** وذهب إليها بالفعل، واستأجر بيتاً هناك يكرز فيه، ويقبل كل الذين يدخلون إليه لمدة سنتين كاملتين (أع٢٨ : ٣٠) ... وهذا دليل أكيد على أن بطرس لم يكن قد ذهب إلى رومية حتى ذلك الوقت، ولم يكن موجوداً بها فى تلك الفترة بين سنتى ٦١ ، ٦٣ .

٣ ـ صلات بولس بمؤمنى رومية :

الاصحاح السادس عشر من رسالة بولس إلى أهل رومية حافل بعدد كبير من أسماء المسيحيين الرومان ــ يهود وأمميين ــ يبعث إليهم بولس بتحياته الحارة وتقديره، الأمر الذى يقطع بأن له صلات وثيقة معهم ... فمنهم مَنْ عمل معه فى ميدان الخدمة، ووضع عنقه لأجله . ومنهم مَنْ إحتمل الأسر معه . ومنهم مَنْ تعب كثيراً لأجله ولأجل خدمة الرب (رو١٦ : ٣-١٦) ... وهو يشرح لهم فى هذه الرسالة، كيف أنه كثيراً ما قصد أن يأتى إليهم لكنه مُنِعَ، وأنه مشتاق أن يراهم لكى يمنحهم هبة روحية لثباتهم ... **والرسالة إلى رومية، تشعرنا بأنه ــ حتى وقت كتابتها سنة ٥٨ ــ لم تكن هناك أية كنيسة مؤسسة من هيئة رسولية فى روما . فالرسالة يوجهها بولس إلى «جميع الموجودين فى رومية أحباء الله مدعوين قديسين»** [٧٤] (رو١ : ٧) .

٤ ـ كرازة بولس برومية :

لا تحوى أسفار العهد الجديد أية إشارة ــ ولو من بعيد ــ لكرازة بطرس

(٧٣) فى الترجمة اليسوعية « واعتنيت أن لا أبشر بالإنجيل فى موضع دعى فيه اسم المسيح، لئلا أبنى على أساس غيرى » .

(74) Carrington, Vol. 1, pp. 148-150, 170.

فى رومية ... لكن ثابت أن بولس وصل إلى رومية وأقام كارزاً بها (أع٣٨ : ١٦ ، ٣٠ ، ٣١) ... فبعد ثلاثة أيام من وصوله إلى رومية سنة ٦١ ، إستدعى وجوه اليهود ، وحدثهم عن المسيح رجاء إسرائيل ، الذى لأجله كان موثقاً ... وجاءت إجابتهم أنهم لا يعرفون شيئاً عن المسيحية ، وبالتالى أن أحداً لم يبشرهم « لكننا نستحسن أن نسمع منك ماذا ترى ، لأنه معلوم عندنا من جهة هذا المذهب أنه يُقاوم فى كل مكان » (أع٢٨ : ٢٠ ، ٢٢) ... كان معنى إجابة اليهود هذه ، أنه حتى تلك السنة (سنة ٦١ م) ، لم تكن قد تأسست فى روما كنيسة Ecclesia ... فأين إذن كانت كرازة بطرس فى رومية ، لو كان قد ذهب إليها سنة ٤٢ كما يدعى البابويون ؟!

أما عن كرازة بولس فيشهد عنها كاتب سفر الأعمال بصراحة « وأقام بولس سنتين كاملتين فى بيت إستأجره لنفسه . وكان يقبل جميع الذين يدخلون إليه كارزاً بملكوت الله ، ومعلماً بأمر الرب يسوع المسيح بكل مجاهرة بلا مانع » (أع٢٨ : ٣٠ ، ٣١) ... وإلى جانب جهوده الكرازية فى رومية ، فقد كتب فيها رسائله إلى أفسس وفيلبى وكولوسى وفليمون .

ثانياً ـ بطرس وكنيسة رومية من شهادة الكتاب المقدس والتاريخ :

١ ـ أثبتنا فى كلامنا السابق عن كنيسة أنطاكية ، والادعاء بأن بطرس هو مؤسسها ، أنه حتى إنعقاد مجمع أورشليم حوالى سنة ٥١ ، كان بطرس مايزال ببلاد اليهودية ، وأنه ذهب إلى أنطاكية سنة ٥١ أو بعدها (غل٢ : ١١) ... **بعد ذلك** نجد كلوديوس قيصر يطرد اليهود من روما حوالى سنة ٥٢ [٧٥] الأمر الذى أشار إليه القديس لوقا فى (أع١٨ : ٢) ... وكانت المسيحية حتى ذلك الوقت ، معتبرة شيعة يهودية . فلا يمكن أن يكون بطرس قد ذهب إلى رومية فى تلك الفترة ــ ما بين طرد اليهود من روما وعودتهم إليها .

---
(75) Schaff, Vol. 1, p. 367; Smith. Dictionary of the Bible, Vol. 1, p. 613.

٢ ـ ولا يمكن أن يكون بطرس قد ذهب إلى رومية قبل سنة ٥٨ م ــ تلك السنة التى كتب فيها بولس رسالته إلى أهل رومية من كورنثوس ، والتى لم يرد فيها أى تحية أو ذكر لبطرس ، بينما حوت الرسالة تحيات إلى أشخاص عديدين كما سبق أن دكرنا (عشرين شخصاً وأسرتين) ... والقديس بولس فى هذه الرسالة يقول لأهل رومية أنه مستعد لتبشيرهم (رو١ : ١٥) ، مما يقطع بأن أحداً من الرسل لم يبشرهم حتى ذلك التاريخ ، لا بطرس ولا غيره من الرسل .

٣ ـ ويغلب علىَّ الظن ــ كما يعتقد البعض ــ أن بطرس كان فى جولات تبشرية مع زوجته حتى سنة ٥٧ ، وهى السنة التى كتب فيها بولس رسالته الأولى إلى كورنثوس من مدينة أفسس ، وقال فيها : « ألعلنا ليس لنا سلطان أن نجول بأخت زوجة كباقى الرسل وإخوة الرب وصفا (بطرس) » (١ كو٩ : ٥) ... وغالباً ما كانت تلك الجولات فى المناطق التى وجه إليها رسالته الأولى (١ بط ١ : ١) .

٤ ـ لا أثر لوجود القديس بطرس بروما فى فترة وجود بولس بها (٦١ ــ ٦٣) ... فالقديس لوقا فى سفر الأعمال لا يذكر شيئاً عن بطرس . والقديس بولس ــ فى رسائلة الأربع التى أنفذها من روما فى تلك الفترة ــ لم يورد أية إشارة تفيد ــ ولو من بعيد ــ إلى وجود القديس بطرس فى رومية .

٥ ـ من غير المعقول أن يغفل القديس لوقا كاتب سفر الأعمال ، خبر وجود بطرس الرسول برومية لمدة ربع قرن من الزمان ، وتأسيسه لكنيسة عاصمة الإمبراطورية ، بل عاصمة العالم كله وقتذاك ، لـو كان ذلك حدث فعلاً !

وعلى ذلك ، فإن الادعاء بوجود مار بطرس فى روما قبل سنة ٥٣ أمر مستحيل كما أثبتنا ... أما إحتمال ذهابه إليها بعد ذلك التاريخ ، فليس له ما يؤيده ، سوى إشارات عابرة غير واضحة ولا قاطعة لبعض الآباء اللاحقين ...

٦ ـ أول مَنْ أشار من الآباء إلى إستشهاد بطرس هو القديس كليمنضس الرومانى أسقف رومية (٩٢ ــ ١٠١ م) فى رسالته إلى كنيسة كورنثوس . لكنه لم

يذكر مكان إستشهاده فى روما أم فى غيرها (٧٦) .

٧ ـ فى **الاكليمنضيات المزورة** (٧٧) ، والكتابات المدسوسة الغفل من أسماء كاتبيها ، يربطون بين بطرس الرسول وسيمون الساحر عقب اللقاء الذى حدث بينهما فى السامرة حوالى سنة ٣٧ م . ويصورون بطرس أنه أخذ يتعقبه حتى وصل إلى روما عاصمة الإمبراطورية ، وهناك أماته بصلاته ...

٨ ـ يذكر يوستينوس الشهيد فى دفاعه الذى كتبه حوالى منتصف القرن الثانى ، أن سيمون ذهب إلى روما فى عهد كلوديوس قيصر ، ونال شرفاً وتقديساً ، حتى أنه أقيم له تمثال فى جزيرة فى نهر التيبر كتب عليه Simoni Deo Sancto أى (سيمون الإله القدوس) ... هذا كل ما ذكره يوستينوس عن سيمون (٧٨) ... ويوستينوس لم يكن مؤرخاً ، لكنه عرض لسيمون الساحر فى معرض دفاعه الذى قدمه للإمبراطور أنطونيوس بيوس سنة ١٤٧ ، وفيه يوضح ماهيـة المسيحية كديانة ونقاوتها ، وأن الدولة تشجع السحر والسحرة ، بدليل أنها أقامت تمثالاً لسيمون هذا ... ونحن نتساءل ، ما الذى ربط بين ما ذكره يوستينوس وبين قصة تعقب بطرس له فى روما وإماتته بصلاته ؟!! إن يوستينوس لم يذكر اسم بطرس نهائياً ...

أما الدافع الذى دفع الأبيونيين الهراطقة ـــ وهم أصلاً من اليهود المتنصرين المتطرفين ـــ إلى الربط بين سيمون وبطرس فى الإكليمنضيات المزورة فقد أشرنا إليه سابقاً حينما عرضنا لمخلفات حركة التهود ، وكيف أنهم كانوا يمجدون رسل الختان وفى مقدمتهم بطرس ...

إنحدر هذا الخليط العجيب ـــ إشارة يوستينوس العابرة غير الواضحة وما حوته الاكليمنضيات المزورة ـــ إلى يوسابيوس المؤرخ فى القرن الرابع ، وعنه أخذ هذه

(76) Clement of Rome, 1 Corinthians, 5.

(٧٧) كتابات مزورة منسوبة خطأ إلى كليمنضس الرومانى ، ويرجع تاريخها إلى حوالى منتصف القرن الثانى . كتبها جماعة من الابيونيين الهراطقة وهم شيعة متطرفة من بعض اليهود المتنصرين ، الذين قاومتهم الكنيسة فى تاريخها المبكر .

(78) Justin Martyr, 1 Apol. chs., 26, 56.

القصة كما هى ودونها فى تاريخه ، ومؤداها أن بطرس ذهب إلى روما وراء سيمون الساحر المضل (٧٩) ... ويجدر بنا أن نشير إلى أن يوسابيوس لم يكن مؤرخاً بالمعنى الدقيق للكلمة ، لكنه كان ناقلاً عن غيره ، ويتضح هذا من تاريخه (٨٠) .

على أن رواية يوستينوس هذه قد أظهرت الحفريات خطأها . فقد كشف الباحثون سنة ١٥٧٤ على قطع رخامية من التمثال الذى أشار إليه يوستينوس ، ووجدت عليه الكتابة الآتية Semoni Sanco Deo Fidio Sacrum واتضح أن هذا التمثال أقيم لإله الخصب Semo Sancus ، الذى عبده سكان سابين Sabin فى شمالى إيطاليا (٨١) ... أما كيف إختلط الأمر على يوستينوس إلى هذا الحد فيبدو أن يوستينوس — وكان سامرياً — إستقى هذه المعلومات المشوشة عن سيمون الساحر السامرى من مواطنيه السامريين الذين كانوا يفخرون به على أنه « **قوة الله العظيمة** » (٨٢) (أع ٨ : ١٠) . وقد يكونوا فى إفتخارهم هذا أخذوا ينسبون إليه أعمالاً عظيمة لكيما يحيطوه بهالة كبيرة ... ومهما يكن من أمر ، فالمؤرخون حالياً يكذّبون نهائياً واقعة ذهاب سيمون إلى روما (٨٣) .

٩ - ذكر بعض آباء القرن الثانى ، من أمثال ديونيسيوس الكورنثى وإيريناوس ومَنْ جاء بعدهما ، أن بطرس إشترك مع بولس فى تأسيس كنيسة رومية ... أما تعليل ذلك ، فهو إما أن هؤلاء الآباء أخذوا عن مصدر خاطىء بلا فحص (٨٤) ، وأما أنهم إعتبروا بطرس — فى أشخاص الرومانيين اليهود والدخلاء الذين حضروا

---

(79) Eusebius, H.E., 2.14.

(80) Schaff, Vol. 1, p. 257.

(81) Danièou, Vol. 1, p. 61.

(82) Justin Martyr; 1 Apol., (A.N.F., Vol. 1, p. 187 foot note).

(83) De Pressensé, Vol. 1, pp. 67, 68; أسد رستم جـ ١ ، ص ٢٩

(٨٤) وقع ايريناوس فى نفس الخطأ الذى وقع فيه يوستينوس الشهيد ، إذ قال أن الدولة كرمت سيمون وأقامت له تمثالاً من أجل أعماله السحرية (Against Heresies, 1.23) ولا شك أن الدليل المادى هو سيد الأدلة . لقد أثبتت الحفريات خطأ هذه الرواية ... لا يبعد إذن أن يكون إيريناوس فى موضوع تأسيس كنيسة روما قد نقل عن مصدر خاطىء أو مغرض ...

معجزة يوم الخمسين ، وآمنوا بعد سماعهم عظة بطرس ، ومن ثم حملوا الإيمان إلى وطنهم ــ أنه إشترك بصورة غير مباشرة فى تأسيس كنيسة روما (٨٥) .

١٠ ـ وثمة نقطة كانت مثار جدل بين العلماء ، وهى بابل المذكورة فى رسالة بطرس الأولى ، والتى منها كتب هذه الرسالة (١بط ٥ : ١٣) ... **فقد** فسرها البابويون على أنها روما (بابل = روما) ، على أساس أن القديس **يوحنا** أشار إليها فى سفر الرؤيا بهذه التسمية الرمزية ... وقصدهم من ذلك أن يثبتوا **وجود** بطرس فى روما ، وأنه كتب منها هذه الرسالة ..!!

يجمع الآباء والعلماء بلا إستثناء على أن بابل المذكورة فى سفر الرؤيا هى روما ، بناء على الملابسات المذكورة معها ... ذكرها يوحنا خمس مرات . وفى كل مرة يذكرها باسم « **بابل العظيمة** » (٨٦) ... **أما بابل المذكورة فى رسالة بطرس (١بط ٥ : ١٣) فهى بابل الواقعة على نهر الفرات ، لا يمكن أن يكون المقصود بها التسمية الرمزية أى روما** (٨٧) ... هذا هو رأى فطاحل العلماء حالياً (٨٨) ... **أما الأدلة على ذلك فكثيرة . منها :**

(أ) حينما أشار يوحنا فى رؤياه إلى روما على أنها بابل ، فإن هذا السفر نبوى ورمزى ، وتستقيم معه هذه الإشارة . لكن ليس ما يدعو بطرس لأن يستخدم الأسلوب الرمزى فى رسالته ، علماً أن أسفار الكتاب المقدس كلها ، لم تشر إلى روما على أنها بابل ، إلاَّ فى سفر الرؤيا فقط .

(ب) الأماكن الجغرافية والأقاليم المذكورة فى رسالة بطرس الأولى (مقاطعات بنطس وغلاطية وكبادوكية وآسيا وبيثينية) ، تعنى المعنى الحرفى فلماذا لا يعنى بطرس ببابل معناها الحرفى أيضاً ؟!

---

(85) Schaff, Vol. 1, pp. 251, 252.

(٨٦) رؤ ١٤ : ٨ ؛ ١٦ : ١٩ ؛ ١٧ : ٥ ؛ ١٨ : ١٠ ، ٢١ .

(87) Smith, Dictionary of the Bible. Vol. 2. pp. 803-805; Wuest, First Peter in the Greek New Testament, pp. 132, 133; De Pressensé, Vol. 1, pp. 210, 211.

(88) See. N.P.N.F., series 2, Vol. 1, p. 116 (footnote 7)

(جـ) ليس ما يدعونا إلى الإفتراض أن المسيحيين ـــ وقت كتابة هذه الرسالة ـــ كانوا يفهمون روما على أنها بابل القديمة ...

(د) سفر الرؤيا ـــ وهو الموضع الوحيد فى الكتاب المقدس الذى فسرت فيه بابل على أنها رومية ـــ كتب بعد زمان كتابة رسالة بطرس الأولى بنحو ثلاثين سنة ، فكيف إتبع بطرس نفس أسلوب يوحنا الرمزى ؟!

(هـ) أينما ذكرت مدينة رومية فى العهد الجديد ، ذكرت باسمها باستثناء سفر الرؤيا ... وحتى فى الرؤيا ذكرت باسم « **بابل العظيمة** » .

(و) **هناك أدلة قوية على أنه فى وقت كتابة رسالة بطرس ، كان المسيحيون من اليهود والوثنيين يؤلفون جماعة كبيرة فى مدينة بابل على نهر الفرات وما حولها** [٨٩] **وكانت المدينة على جانب كبير من الأهمية . وقد لعبت مدارس التعليم اليهودى فى ذلك الاقليم دوراً هاماً فى النهوض باليهودية خاصة بعد خراب أورشليم وهيكلها** [٩٠] . ولا شك أن هذه المنطقة كانت حقلاً هاماً ومتسعاً لأعمال بطرس الرسول الكرازية باعتباره رسول الختان الأول ...

الخلاصة

يكاد يجمع التقليد الكنسى المعترف به شرقاً وغرباً ، على أن الرسول بطرس إستشهد فى روما حوالى سنة ٦٧ م على عهد نيرون ... وكثرة من المؤرخين يذكرون أنه قبض عليه فى مكان آخر بعيد عن روما باعتباره من قادة المسيحيين ، وسيق إلى روما لمحاكمته ، على نحو ما حدث مع القديس أغناطيوس الشهيد أسقف أنطاكية الذى سيق من أنطاكية إلى روما ليلقى للوحوش سنة ١٠٧ م . وهذا يتفق مع رواية

(٨٩) كانت بابل لا تزال مدينة عامرة ولم تكن قد خربت انظر : Josephus; Antiq. 15.3.1.

(٩٠) يورد الدكتور وليم سميث فى قاموسه عن الكتاب المقدس إثباتات كثيرة على ذلك منها أن مدرستى الرها ونصيبين المسيحيتين الشهيرتين فيما بعد ، مدينتان لكرازة بطرس فى هذه المنطقة ، كما أن كتابات معلمى هاتين المدرستين واضح فيها تأثيرات هذا الرسول ... انظر :

(Smith, Dictionary of the Bible, Vol. 2, p. 805).

يوسابيوس (٩١) ــ نقلاً عن العلامة أوريجينوس ــ الذى قال عن بطرس : [**وإذ أتى أخيراً إلى روما** صُلِبَ منكس الرأس] ... ورأى آخرون أنه ذهب إلى روما فى أواخر حياته لمقاومة سيمون الساحر ... وأياً كان سبب ذهابه إلى روما ، فإن ذهابه إليها لم يكن على أية الحالات بقصد تبشيرها أو تأسيس كنيستها ، فإن كنيستها كانت قد تأسست بواسطة القديس بولس ... أما هو فلم يذهب إليها إلاَّ فى السنة الأخيرة من حياته ... هذا هو ما يؤكده العلماء (٩٢) .

أما قصد البابويين من محاولاتهم ، فهو أن يجعلوا من بطرس كاروزاً للعالم أجمع ، ومبشراً للخليقة كلها ، ومؤسساً لكل الكنائس الكبيرة المتميزة بشهرتها ، حتى يستأهل بذلك رئاسة العالم المسيحى ، كنائب للمسيح على الأرض !! وهو حسب زعمهم ، أسس كراسى أنطاكية وروما والاسكندرية وبيزنطة وأفسس وكورنثوس وبلاد اليونان ، بالإضافة إلى أقاليم آسيا الصغرى ... وأنه أقام لها أساقفة (٩٣) .

وكدليل على هذه الروح الاستعمارية فى الكنيسة البابوية ، نسوق هنا ما يذكره الارشمندريت ميشل عساف فى كتاب سنكسار الروم الكاثوليك ، فى تذكار القديس بطرس (٩٤) :

[يذكر المؤرخون ... الذين وضعوا سير القديسين ، أن بطرس بعد أن مر فى مدن آسيا ، تضرع إلى الرب ليوضح له إرادته ، ويبيّن له الطريق التى يريد أن يسلكها . **فتراءى له الرب يسوع وقال له : قم يا بطرس ، واستولى على بلاد الغرب ،** لأنه ينتظرك لتشرق عليه أنوار الإنجيل ، وسأكون أنا معك . وأوحى إليه الرب أن

---

(91) H.E., 3.1.

(٩٢) انظر : البابا شنوده الثالث ، مرقس الرسول ص ٣٥ ، ٣٦ .

(٩٣) حتى الطريق التى مات بها بطرس ، جعلوها مادة لتأييد رئاسته على الكنيسة كلها . فصلبه منكس الرأس يعتبره أحد أساقفة الفاتيكان دليلاً على ذلك . فعلى نحو ما أن رأس بطرس (وهو منكس) حمل جسمه كله ، وليس الجسم هو الذى حمل الرأس ، كذلك بطرس يحمل الكنيسة كلها !! [انظر : Schaff, Vol. 1, p. 259. (footnote)].

(٩٤) الأرشمندريت ميشل عساف ، سنكسار الروم الكاثوليك ــ تحت يوم ٢٩ حزيران .

كرسيه الثابت الأعلى يجب أن يكون فى روما . فقام وسار إلى روما] .

إن هذا الكلام لا ينطوى على روح إنجيلية سليمة ... فالكرازة فى نظر البابويين هى غنيمة وإستيلاء [قم يا بطرس ، واستولِ على بلاد الغرب] !! هذه ليست روح المسيح .

أما القديس بولس الذى قال عن نفسه ـ بالروح القدس ـ أنه تعب أكثر من جميع الرسل ، فيقول عنه نفس الكاتب : [وتعب بولس أيضاً فى تلك الكنيسة (رومية) ، فأصبحت حقاً أم الكنائس] . إلاَّ أننا نلاحظ فى كل ما تبقى لدينا من الآثار التاريخية **أن منزلة بطرس وبولس فى كنيسة روما ليست واحدة ، بل بطرس هو الأول والأكبر، وبولس هو الثانى .** وأما التصاوير التى تمثلهما معاً ، فمنها ما يجعل بطرس جالساً وبولس واقفاً أمامه ومنها ما يمثل بطرس بأثواب مزركشة وبولس بثياب بسيطة . **ومنها ما يمثلهما جالسين كليهما ، لكن كرسى بطرس بمسند لظهره ، وبولس بغير مسند ...!!**

وكدليل على الإنحراف البابوى ، نسوق هنا بعض فقرات مما قاله الأب اليسوعى Marin de Boy Lesve عن بطرس (٩٥) :

[بطرس هو الأساس . وكل مَنْ لا يستند عليه ، ليس من الكنيسة] .

Pierre est le fondement. Tout ce qui ne repose pas sur lui n'est pas de l' Eglise .

[بطرس يمسك مفاتيح مملكة السموات . وهو وحده الذى يستطيع أن يمنع الدخول أو يسمح به] .

Pierre tient les Clefs du royaume des cieux. Lui seul peut exclure et introduire.

[بطرس يربط أو يحل الضمائر ، هو يغفر الخطايا أو يبقيها] .

Pierre lie ou délie les consciences, il remet ou retient les péchés .

---

(95) Le Pope et l'Eglise, p. 18.

[بطرس لا يزل فى الإيمان . له وحده أعطى تثبيت إخوته] .

Pierre ne peut failler dans la foi. À lui seul d'affermir ses fréres.

وبعد ... إذا كانوا قد نسبوا كل هذه الحقوق لبطرس . فماذا أبقوا للمسيح الإله ؟! هذه الروح التى تعبر وتكشف عن ظلام العصور الوسطى ، نرجو أن تكون قد زالت الآن تماماً ، وحل محلها روح المسيح القائل : « أما أنتم فلا تدعوا سيدى ، لأن معلمكم واحد المسيح ، وأنتم جميعاً إخوة » (مت ٢٣ : ٨) .

أما القديس بطرس فهو برىء كل البراءة مما نسبه إليه البعض ... فتصرفاته وكتاباته تظهرانه بمظهر القديس الوديع الهادىء .. فبعد أن إستدعاه كرنيليوس قائد المائة ، إستقبله فى بيته وسجد واقعاً على قدميه . أما هو فأقامه وقال : « قم أنا أيضاً إنسان » (أع ١٠ : ٢٥ ، ٢٦) ... وفى رسالته الأولى يخاطب الكهنة قائلاً : « أطلب إلى الشيوخ الذين بينكم ، أنا الشيخ **رفيقهم** » (١ بط ٥ : ١) ... هذه الكلمات التى تدحض كل إدعاء للرئاسة ... والتى حوتها رسالة تفيض عذوبة .. يتحدث فيها معلمنا بطرس عن الإتضاع « كونوا جميعاً خاضعين بعضكم لبعض . وتسربلوا بالتواضع لأن الله يقاوم المستكبرين ، وأما المتواضعون فيعطيهم نعمة . فتواضعوا تحت يد الله القوية لكى يرفعكم فى حينه » (١ بط ٥ : ٥ ، ٦) ... وبعد أن اصطدم به القديس بولس ، وقاومه مواجهة أمام الجميع فى أنطاكية ـــ بسبب موقفه الذى اعتبره بولس رياء ـــ إستشهد بكتاباته فى رسالته الثانية وقال : « كما كتب إليكم أخونا الحبيب بولس أيضاً بحسب الحكمة المعطاة له » (٢ بط ٣ : ١٥) .

الباب الرابع

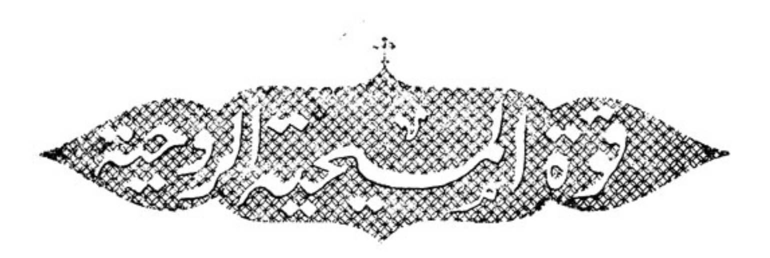


+ قوة المسيحية الروحية .

+ الكنيسة والرعاية .
  الخدام ــ الرعاية الإجتماعية ــ
  الرعاية الروحية والأدبية ــ التعليم .

+ بعض مبادىء مسيحية .

+ أسماء المؤمنين .



ظهرت المسيحية على مسرح الحياة ديانة فائقة ، تدعو لحياة جديدة روحية متميزة عن الحياة الفكرية والأدبية ، بكونها حياة القداسة والسلام ، وحياة الشركة مع الله والإتحاد به ... إنها حياة خالدة ، تبدأ بتجديد القلب ، وتصل إلى ذروتها فى القيامة ... هذه الحياة تمسك بزمام أعماق الإنسان ، وتعتقه من سلطان الخطية ، وتحضره فى وحدة حية مع الله فى المسيح ... ومن هذه الأعماق هى تعمل كقوة مطهّرة مجدّدة ، ومنظمة لكل قدرات الإنسان وعواطفه وإرادته وأفكاره ، بل وحتى الجسد تحوله إلى هيكل للروح القدس ...

والمسيحية تسمو فوق جميع الأديان فى نظرية الفضيلة والتقوى وممارستها ، وتقدم أرفع مستوى لمحبة الله والإنسان . وليست هذه عقيدة مجردة ، أو شيئاً صعب المنال نترجاه فقط ، لكنها حقيقة حية فى الرب يسوع المسيح ، الذى لحياته ومثاله وخلاصه ، قوة وسلطان أكثر من كل قوانين ونواميس الحكماء والمشرّعين ... فالأعمال تعلن عن ذاتها دوماً بصورة أقوى من مجرد الكلمات ... إن شخصية السيد المسيح من المذود إلى الصليب هى بلا لوم ... إنه فوق مستوى الخطية والشر « مَنْ منكم يبكتنى على خطية » ... هذا ما اعترف به الأصدقاء والأعداء ، إنه أطهر وأحكم إنسان ظهر على الأرض ... قد تهبط الكنيسة المسيحية ــ كجماعة مؤمنين فقط ــ فى مستواها الروحى على أيدى بعض القادة الأشرار ، لكن تبقى تعاليم وحياة مؤسسها قائمة دائماً ، كمصدر للكمال ، وينبوع للتطهير...

لم تستطيع أعظم أساليب الفكر والفلسفة أن تجدد العالم وتغلبه . لكن هذا ما فعله إنجيل المسيح ، ومازال يعمله حتى الآن . لقد أجاز حكماء اليونان والرومان ألواناً من الشرور ، وناقضوا مبادءهم بسلوكهم ... واليهود ــ على الرغم من

أنهم كانوا فى مستوى أرفع من مستوى الوثنيين من جهة الفضيلة ـــ لكن أحداً من بطاركتهم أو أنبيائهم لم يصل إلى الكمال . ويروى الكتاب المقدس فى أمانة أخطاء هؤلاء جميعاً إلى جانب فضائلهم ... أما المسيحَية ، فبلسان رسولها العظيم بولس تنادى منذرة كل إنسان ، وتعلم كل إنسان بكل حكمة ، لكى تحضر كل إنسان كاملاً فى المسيح يسوع (١ كو١ : ٢٨) .

الحياة المسيحية هى إقتداء بحياة المسيح ... ومن كلمته وروحه الذى يعمل فى أسرار الكنيسة المقدسة ، يتدفق سيل لم يتوقف من القوة المقدسة على الأفراد والأسرات والشعوب لنحو عشرين قرناً من الزمان ... وسيظل الأمر على هذا النحو حتى يصبح الله الكل فى الكل ... فكم من أشرار بلغوا عمق الرذيلة ، رفعتهم المسيحية إلى علو الفضيلة . وكم من قتلة ولصوص وزناة وأشرار ، تبدلت حياتهم بقوة المسيحية ونعمتها ، وصاروا قديسين ... لقد إستطاعت المسيحية بقوتها وفعالية نعمتها أن تحول الذئاب المفترسة إلى حملان وديعة .

والآن نعرض لبعض مظاهر قوة المسيحية الروحية :

المسيحية والفرد :

إن خطة المسيحية فى الاصلاح تبدأ دائماً من الداخل . والثورة الروحية والأدبية والفكرية الكبيرة التى أحدثتها فى العالم ، كانت بدايتها فى النفس البشرية . فهدف المسيحية الأول أن يتغير الفرد ، وعن طريقه تقوم بعملها فى تحويل الأسرة ثم المجتمع الكبير ... **لقد نظرت المسيحية إلى الفرد على أنه نواة الأسرة ونواة المجتمع المحلى ، بل ونواة العالم الكبير. ومن ثم إهتمت بحياته وتجديدها ، وجعلت منه الرافعة التى رفعت بها العالم القديم إلى سمو الفضيلة** (١) ...

هكذا ظهرت فعالية المسيحية الروحية المجددة ، أول ما ظهرت فى حياة الأفراد .

(1) De Pressensé, Vol. 1, p. 386.

وقد إرتفع الرسل والمسيحيون الأوائل إلى درجة من القداسة والفضيلة ، **أعلى بكثير** مما أحرزه أبطال الفضيلة فى أية ديانة أخرى ، بما فى ذلك اليهودية . كانت حياتهم اليومية شركة حية مع المسيح . وقدموا بسيرتهم نماذج من فضائل لم تكن **معروفة فى** كمالها قبل المسيحية ، كالإتضاع ومحبة القريب ، ومحبة الأعداء ... لقد عاشوا حياة الكمال ، وكانوا نوراً للعالم وملحاً للأرض . وكانوا أمناء فى حفظ وصية سيدهم المبارك ، وأظهروه نوراً للعالم ، إستضاء به كل الجالسين فى ظلمات الخطية والجهل ... **وقدموه** بحياتهم صورة حية ، فيما إصطلح العلماء على تسميته [**الإنجيل غير المكتوب**] (٢) .

المسيحية والمرأة :

لم يكن تأثير المسيحية قاصراً على الرجال ، بل تعداه إلى النساء ... لقد رفعت المسيحية المرأة من مرتبتها الذليلة التى كانت عليها فى اليهودية والوثنية ، إلى مكانة ممتازة ذات أهمية ، فأضحت وارثة لنفس الخلاص مع الرجل (١بط٣ : ٧ ؛ غل٣ : ٢٨) وفتحت لها آفاقاً لأنبل الفضائل ... لم يكن للمرأة فى العالم الوثنى وضع وسط . فإما الحبس الكامل الذى ينطوى على الكسل والبلادة ، وإما الإنطلاق فى حياة الجسد والخلاعة ... لكن المسيحية رفعت من **قدرها** وجعلتها عوناً للرجل (٣) .

وتمثل العذراء مريم أم مخلصنا نقطة التحول فى تاريخ المرأة . فهى كأم للمسيح ــ آدم الثانى ــ تقابل حواء ، وبالمفهوم الروحى أم كل حى ، بحسب تعبير القديس إيريناوس ... فيها وبها ــ وهى المباركة فى النساء ــ بورك كل جنسها ، وأزيلت عنه اللعنة والعار ... نرى فيها مثال الأنثى المسيحية فى الطهارة والرقة والبساطة والتواضع والطاعة الكاملة والتسليم لله بلا تحفظ ...

---

(2) Hill, p. 41; Schaff, Vol. 1, p. 441.

(3) De Pressensé, Vol. 1, p. 388.

وإلى جانب العذراء يقدم لنا الإنجيل مجموعة كبيرة من التلميذات والمحبات ، إلتففن حول الرب وخلدت أسماؤهن ... من بينهن مريم زوجة كلوبا ، وسالومى أم يعقوب ويوحنا ، ومريم ومرثا ، ومريم المجدلية ، والمرأة الخاطئة التى غسلت قدمى الرب بدموع توبتها ، ومسحتهما بشعر رأسها ... يضاف إليهن بعض النساء النبيلات خدمن ابن البشر بعواطفهن وأموالهن مدة حياته فى الجسد التى عاشها فى فقر على الأرض [٤] . واجتمعن أخيراً حول الصليب ، وكن أول مَنْ ولجن قبره فجر القيامة (لو٢٤ : ١-١٠) .

وفى الفترة بين القيامة وحلول الروح القدس ، كانت إجتماعات الصلاة التى يعقدها الرسل فى علية صهيون ، تواظب عليها النساء والعذراء مريم (أع١ : ١٤) ... بل إن هذه العلية التى أصبحت أول كنيسة مسيحية فى العالم ، كانت فى بيت امرأة ، وهى مريم أم يوحنا الملقب مرقس وهو كاروز بلادنا (أع١٢ : ١٢) ... ومنذ البداية ، سمح للمرأة ــ فى حدود معينة ــ أن تشترك فى خدمة الكنيسة «لأن الرجل ليس من دون المرأة ، ولا المرأة من دون الرجل فى الرب . لأنه كما أن المرأة هى من الرجل . هكذا الرجل أيضاً هو بالمرأة» (١ كو١١ : ١١ ، ١٢) ... وسنعود إلى معالجة هذا الموضوع .

المسيحية والزواج والأسرة :

من أجمل وأنبل الأشياء التى خلقتها المسيحية ، الأسرة . فالمسيحية برفعها المرأة ، لمكانتها وحريتها الحقيقية ، غيّرت وقدست حياة الأسرة كلها . فهى تحرم تعدد الزوجات ، وتعتبر الزواج الواحد هو الوضع الإلهى السليم ... إنها تدين نظام المحظيات بكل مظاهر عدم الطهارة والدنس ، وتظهر الواجبات المشتركة للزوج والزوجة ، وللآباء والابناء فى صورتها الحقيقية ... فالزواج فى المسيحية ــ كما علمت عنه ــ هو عمل إلهى ، وليس نتيجة لتطور تدريجى فى تاريخ البشر ...

---

(٤) انظر : مت ٢٧ : ٥٥ ؛ مر ١٥ : ٤١ ؛ لو ٨ : ٣ .

« الذى خلق من البدء خلقهما ذكراً وأنثى ... من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته **ويكون الاثنان جسداً واحداً**. إذاً ليسا بعد اثنين بل جسد واحد، فالذى جمعه الله لا يفرقه إنسان » (مت ١٩ : ٤-٦) .

لقد رفعت المسيحية الزواج إلى مرتبة السر المقدس « يكون الاثنان جسداً واحداً » ، والله — فى سرّ الزواج — بروحه هو الذى يقوم بهذه المهمة ... وقد أكد القديس بولس هذه الحقيقة ، كما أوضح علاقة التعاطف بين الزوج وزوجته . وشبّه إتحاد الرجل بالمرأة فى سرّ الزواج ، باتحاد المسيح بكنيسته (أف ٥ : ٢٨-٣٣) ... ولدينا عينة مباركة من العصر الرسولى ، أكيلا وبريسكلا ، اللذان عاونا القديس بولس فى خدمته الكرازية (أع ١٨ : ٢ ، ٢٦) .

وقد بدأت علاقة الوالدين بأولادهم طوراً جديداً بواسطة المسيحية ... فحل الحب المسيحى محل قسوة الأب الرومانى . فالوالدون عليهم أن يحبوا أولادهم ولا يغيظوهم ، وعلى الأولاد أن يطيعوا والديهم ... لكنها علاقة غير قائمة على الخوف (أف ٥ : ١-٤) .

والقديس بولس يظهر لنا المثال الحلو للأم المسيحية حينما يقول عنها إنها : « ستخلص بولادة الأولاد إن ثبتن فى الإيمان والمحبة والقداسة مع التعقل » (١ تى ٢ : ١٥) ... إنه يرى فى المرأة المسيحية ، حوّاء التى تلد الذرية المباركة التى تسحق رأس الحية ، والتى تنجب للعالم يوماً فيوماً خداماً لله ، ينشرون عمل الخلاص ويتممونه . هؤلاء الأولاد تغذيهم الأم بالتعليم المسيحى ... وهكذا تكون الأسرة المسيحية .

ويؤكد قدسية الزواج فى المسيحية ووضعه الإلهى ، **عدم الطلاق** ... وكان الطلاق فى العصر الرسولى أمراً شائعاً وشرعياً ومألوفاً ، سواء بين الوثنيين أو اليهود ... والرب يسوع نفسه هو واضع أساس هذه العقيدة ... فلا طلاق إلاَّ لعلة الزنا ...

الزواج المختلط :

وهو من المشاكل التى واجهتها الكنيسة منذ عصرها الرسولى ... و يقصد به أن يكون أحد الزوجين مسيحياً والآخر غير مسيحى (وثنى أو يهودى) ... كان من الطبيعى أن يظهر هذا الموضوع كمشكلة منذ فجر المسيحية ... ففيما يعرض الإيمان المسيحى ، كان يحدث أن تؤمن الزوجة بالمسيحية مثلاً ، ولا يؤمن رجلها ، وقد يحدث العكس . وتبعاً لذلك فكر الطرف المتنصر أن يتحلل من رباط الزوجية ، ظناً منه أنه أصبح فى وضع غير إلهى وغير مقدس ...

لكن الكنيسة ــ بالنسبة لهذا الوضع الخاص (٥) ــ صرحت باستمرار هذا الزواج المختلط القائم فعلاً ، واعتبرته مقدساً ... ومن ناحية أخرى لم تصرح بأن يبدأ أحد أعضائها المؤمنين علاقة زوجية جديدة بزواج مختلط .

أثيرت هذه المشكلة فى كنيسة كورنثوس ، وأرسل المؤمنون إلى القديس بولس ، يطلبون رأيه ... فكان جوابه بالنسبة للزواج القائم والسابق على الإيمان ... « إن كان أخ له إمرأة غير مؤمنة وهى ترتضى أن تسكن معه فلا يتركها . والمرأة التى لها رجل غير مؤمن ، وهو يرتضى أن يسكن معها فلا تتركه . لأن الرجل غير المؤمن مقدس فى المرأة ، والمرأة غير المؤمنة مقدسة فى الرجل . وإلاَّ فأولادكم نجسون . أما الآن فهم مقدسون » (١ كو٧: ١٢-١٤) . وكانت الكنيسة تهدف بهذا التصريح ، إلى خير أولادها واستقرارهم ... يضاف إلى ذلك أن الكنيسة كانت واثقة من أن الطرف المؤمن فى مثل هذه الأسرة ، قادر ــ بما له من إمكانيات روحية وأدبية ــ أن يجذب و يربح للمسيح الطرف الآخر غير المؤمن (٦) .

كان هذا إستثناء بالنسبة لوضع خاص وقائم فعلاً كما أوضحنا ... أما بالنسبة لبدء علاقة زوجية جديدة بزواج مختلط ، فقد نهى عنه الرسول بولس فى نفس

(٥) هو وضع خاص فعلاً لأن الزواج كان قائماً قبل إيمان أحد الطرفين ، وقد يكون الزوجان قد أنجبا نسلاً .

(٦) انظر (١ بط ٣ : ١) ، وكيف أن الأزواج غير المؤمنين يربحون بسيرة زوجاتهم بدون كلمة أو وعظ !!

الموضع ، وقال : « المرأة مرتبطة بالناموس مادام رجلها حياً . ولكن إن مات رجلها فهى حرة لكى تتزوج بمَنْ تريد **فى الرب فقط** » (اكو ٧ : ٣٩) ... **وعبارة « فى الرب فقط » ، تعنى أن يكون مسيحياً**[٧] ... هكذا فهم وعلم آباء الكنيسة ومعلميها منذ تاريخها المبكر ... **وهكذا سارت الكنيسة على هدى هذا التشريع منذ عصرها الرسولى** [٨] .

المسيحية والتبتل :

منذ عصر الرسل ، ظهرت رغبة ملحة لدى المسيحيين لحياة التبتل ، وملكت عليهم شهوة عارمة لهذا اللون من الحياة ... وقد أضرم هذه الشهوة المقدسة فيهم كلمات السيد المسيح عن التبتل ، وسموهم الروحى الذى جعلهم فوق الجسد ، وزهدهم فى العالميات ... لقد أظهر السيد المسيح سمو البتولية وقدسيتها ، ورفعها إلى درجة العطية الروحية (مت١٩ : ١٠-١٢) ، وأوضح أنها تشبه بحياة الملائكة (مت ٢٢ : ٣٠ ؛ لو٢٠ : ٣٥) .

أما **القديس بولس** فتحدث عن البتولية حديثاً فياضاً ، بيّن فيه **سموها** وبركاتها ، بل لقد روج لها وتمنى لو صار الجميع مثله بتوليين (١ كو٧ : ٨ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٨) .

ونلاحظ أن كلام بولس الرسول عن البتولية كان إجابة على سؤال وجهته إليه كنيسة كورنثوس بخصوص البتولية والزواج (١ كو٧ : ١) ... ومعنى ذلك ، أن موضوع البتولية والزواج قد ظهر مبكراً فى الكنيسة ، منذ عصر الرسل ... والموضوع لا

(7) Tertullian: De Corona 8; Against marcion, 5.7 (A.N.F., Vol. 3, pp. 101, 443, 444).
To His Wife, 2.3; On Monogamy, 7 (A.N.F., Vol. 4, pp. 45, 64).
Cyprian, The Treatises, 62 (A.N.F., Vol. 5, pp. 550, 551).
Jerome: Letter to Pammachius; Against jovinianus, 1.10 (N.P.N.F., Vol. 6, pp. 69, 353).

(8) Encyclopaedia of Religion and Ethics, Vol. 8, p. 441.
وبذلك تخطىء بعض الكنائس خطأ كبيراً ـــ لا يعرف مداه ـــ حين تعقد بمعرفتها زواجاً مختلطاً ، فيه طرف مسيحى وآخر غير مسيحى .

يرتبط بالرهبنة التى أخذت وضعها كنظام فى النصف الثانى من القرن الثالث .

وموجة الحماس الشديد للسمو عن الجنس والجسد ، لم تقتصر على مَنْ لم يتزوجوا ، بل تعدّتهم إلى المتزوجين أيضاً ، فامتنع البعض كلية عن المعاشرات الزوجية ، وعاشوا مع بعضهم كإخوة وأخوات (٩) ، الأمر الذى دعا القديس بولس إلى التدخل ، لينظم موضوع المعاشرات الزوجية بين المتزوجين (انظر ١ كو ٧ : ٣ - ٧) ... **كما ظهر فى تلك الفترة ما عُرف باسم « الزواج الروحى »** ، وهو أن يعيش رجل مع امرأة فى بيت واحد ، فى إخوية روحية تقوية ، بدون علاقة جنسية (١٠) .

ويحاول البعض أن يقلل من قيمة كلام الرسول عن البتولية ، فيقول إن كلام بولس فى هذا المقام موجه للخدام ، وبالذات الذين يشتغلون بالكرازة ، على إعتبار أن هذا اللون من الحياة يناسبهم أكثر من الارتباط ببيت وزوجة وأولاد ... لكن الرسول يتكلم كلاماً عاماً يوجهه لجميع المؤمنين ، ويقول : « حسن للرجل أن لا يمسّ امرأة » . وهنا يتكلم عن أى رجل ، وليس الخادم ... والكلام كله يسير على هذا النمط ، وبنفس النغمة ... (انظر ذهبى الفم فى تفسيره للاصحاح السابع من الرسالة الأولى إلى كورنثوس N.P.N.F., Vol 12 p. 105) .

وقد شجع على الحماس للبتولية ، حياة العذراء مريم وميلاد الرب يسوع منها

---

(٩) قال بطرس للسيد المسيح « ها نحن قد تركنا كل شىء وتبعناك » ، فكان جواب الرب عليه « ليس أحد ترك بيوتاً أو إخوة ... أو امرأة (زوجة) » (مت ١٩ : ٢٩ ؛ مر ١٠ : ٢٩ ، ٣٠ ؛ لو ١٨ : ٢٩) ويتضح من رد السيد المسيح العالم بالخفايا ، أن عملية الترك التى أشار إليها بطرس كانت تشمل الزوجات أيضاً ، بمعنى الامتناع عن المعاشرات الزوجية ، والعيشة معهن كأخوات ... يؤكد ذلك ما قاله بولس « ألعلنا ليس لنا سلطان أن نجول بأختٍ زوجة كباقى الرسل وإخوة الرب وصفا (بطرس) » (١ كو ٩ : ٥) ... ومن كلام بولس أن الزوجة صارت أختاً .

انظر تاريخ سوريا جـ ٢ مجلد ٣ ص ٤٤٦ نقلاً عن كليمنضس الاسكندرى وذهبى الفم ؛ Jerome, Against Jovinianus, 1.26.

(10) Lietzmann, A History of the Early Church, p. 153; Carrington, Vol. 1, p. 136.
وقد تدخلت الكنيسة ومنعت هذا النوع من الزواج لما نتج عنه من أخطاء وانحرافات .

وهى عذراء، وحياة يوحنا المعمدان، بل وحياة الرب يسوع نفسه (١١)، كما شجعتها، تلك الحقيقة التى علّمت بها المسيحية، أن المؤمنين هم أعضاء فى جسد المسيح وهيكل للروح القدس (١ كو٦: ١٥، ١٩) ... وشجع على حياة التبتل أيضاً ما كشفه القديس يوحنا فى رؤياه عن مركز البتوليين فى العالم العتيد، حينما ذكر المائة والأربعة وأربعين ألفاً المصاحبين للخروف على جبل صهيون السمائى، الذين يترنمون بترنيمة خاصة بهم، وقال عنهم: « **هؤلاء هم الذين لم يتنجسوا مع النساء لأنهم أبكار** ... » (١٢) (رؤ ١٤ : ١ - ٥).

وقد أفاض آباء الكنيسة الأوائل فى مدح البتولية وتمجيدها (١٣). **وأظهرت الكنيسة تقديرها لها فى معاملة المتبتلين وأماكن جلوسهم فى الكنيسة. فرتبت أن يجلسوا فى الصفوف الأولى قبل بقية المؤمنين** (١٤) ... ومما يوضح شرف التبتل والعفة فى كنيسة الرسل، أن المتزوج ثانية كان لا يتمتع بشرف الكهنوت ... هكذا إشترط القديس بولس فى الأسقف والشماس أن يكون كل منهما بعل امرأة واحدة (١٥) ... وحينما يقول: « **بعل امرأة واحدة** »، لا يقصد تعدد الزوجات، فهذا الأمر لا وجود له فى المسيحية، لكنه يقصد ألاَّ يكون قد إرتبط بأكثر من زيجة واحدة ... وحتى الأرملة، التى لها وضع خاص وتخدم فى الكنيسة، لا تحتسبها الكنيسة فى صفوف الأرامل إلاَّ إذا كانت قد ترملت بعد زيجة واحدة (١ تى ٥ : ٩).

---

(11) Dictionary of Christian Antiquities, Vol. 1, p. 323.

(١٢) **أبكار** وليس أطهار كما فى الترجمة البيروتية المتداولة ... هكذا فى كل الترجمات القديمة وحتى الحديثة أيضاً.

(١٣) نذكر من الآباء الرسوليين والمعلمين الأوائل هرماس وأغناطيوس الشهيد و يوستينوس الشهيد واثيناغوراس وأوريجينوس.

(14) Constitutions of the Holy Apostles, 2.7, 4.14, 8.24; Dictionary of Christian Antiquities, Vol. 2, p. 2019.

(١٥) ١ تى ٣ : ٢، ١٢؛ تى ١ : ٦.

المسيحية والمجتمع :

المسيحية تعلم وتنادى بالمحبة ... وإن كان أساس المحبة فى الفرد والأسرة لكنها لا تقف عند هذه الحدود. إنها تشمل كل البشر وتضمهم بين ذراعى حنوها ... **فبينما أقامت الروح القومية قديماً، حواجز ضخمة بين الشعوب المختلفة (يهود** وأمم، وروماں ويونان وبرابرة) حتى كانوا كالغرباء بالنسبة لبعضهم البعض، **إذ بالمسيحية تزيل هذه الحواجز جميعاً، وتعلم أن الله « صنع من دم واحد كل أمة من الناس يسكنون على كل وجه الأرض »** (أع ١٧ : ٢٦) ...

وبتمجيد فكرة الإنسانية ووضعها فوق القومية ، غيّرت المسيحية بالتدريج وجه العالم القديم، وطعمت فكرة الوطنية الجامدة بمشاعر أنبل وأفكار أرحب (١٦) .

لقد تغلغلت المسيحية فى حياة الناس المدنية والإجتماعية بفضيلتها وأدبياتها وقادتهم فى الطريق نحو التمدين الحقيقى ... هى لا تقدم شكلاً معيناً للحكم، بل إنها تمتنع عن كل التدخلات الخاطئة فى الشئون السياسية الدنيوية ... هى تستطيع أن تحيا فى ظل أى نظام من أنظمة الحكم، ويمكنها أن تنتعش تحت ضغط وإضطهاد الحكومات، على نحو ما تُظهر الفترة المبكرة من تاريخها ... لكنها تعلن واجبات الحكام والرعية، وتشجع على إبطال القوانين والأنظمة غير الصالحة، وإحلال ما هو صالح بدلها ... وهى لا تقر الحكم الاستبدادى والفوضوى، وتميل ــ تحت كل وضع من أوضاع الحكم ــ نحو النظام واللياقة والعدل والإنسانية والسلام .

والإنجيل يصلح العلاقات الدولية ، ويهدم فواصل البغضة والكراهية بين مختلف الأمم والأجناس ... إن روح المسيحية روح مسكونية جامعة، تسمو على كل النعرات الإقليمية، على نحو ما كان المسيحيون جميعاً فى كنيسة أورشليم « قلباً واحداً ونفساً واحدة » (أع ٤ : ٣٢) ... لقد وقع لها بعض الاضطرابات

---

(16) De Pressensé, Vol. 1, p. 393.

العرضية والاصطدامات الوقتية ، كما حدث بين بولس وبطرس ، وبين المتنصرين من اليهود والأمم ، لكن لا تأخذنا الدهشة ، بل نعجب على الغلبة المتواصلة لروح الإنسجام والمحبة على الطبيعة القديمة المتبقية ... فلقد أرسل مسيحيو كنائس بولس الأمميون الفقراء فى اليونان ومقدونية إحساناتهم لليهود المتنصرين فى أورشليم . وهكذا برهنوا على عرفانهم للإنجيل وشركته التى اقتبلوها من الكنيسة الأم بأورشليم (١٧) .

المسيحية والرق :

سبق أن أشرنا إلى الرق فى العالم الوثنى ، وما وصل إليه العبيد من مذلة واحتقار وسوء معاملة ... هذا فى الوثنية ، أما اليهودية فقد أظهرت معاملة أفضل للعبيد ، فأوصت بعدم إساءة معاملتهم ، وأمرت بعتق جميع العبيد اليهود فى سنة اليوبيل ، التى تقع كل خمسين سنة (لاويين ٢٥ : ٣٩-٤٦) .

جاءت المسيحية ولم تصدر تشريعاً عاماً وصريحاً ضد نظام الرق ، بل على العكس تقابلنا بعض نصوص فى رسائل الرسل تدعو العبيد إلى الطاعة الكاملة لسادتهم حسب الجسد ، وتقديم الإكرام والخضوع اللائقين بهم (١٨) ... **وهذا ما دعا بعض أعداء المسيحية إلى أن يأخذوا عليها هذا الموقف ، إنها لم تطالب بالغاء الرق ، بل شجعت عليه .**

والواقع أن الإنجيل ـ بروحه العام أكثر من أى نص خاص ـ قاوم روح التعسف المستمر والتحقير الأدبى نحو فئة الأرقاء ... وهو لم يوص فى أى موضع منه بالعنف الخارجى أو المقاييس الثورية ، لأن ذلك ـ فضلاً عن كونه يتعارض مع طبيعة المسيحية ورسالتها ـ فإنه كان عديم الجدوى ، بل ضار فى تلك الأزمنة ... وعوضاً عن ذلك ، عالج المشكلة علاجاً جذرياً

(17) Schaff, Vol. 1, pp. 448, 449.

(١٨) انظر : كو ٣ : ٢٢ ؛ ١ تى ٦ : ١ ؛ ١ بط ٢ : ١٨ .

داخلياً، هادفاً بالدرجة الأولى إلى تلطيف حدة الشر ونزع شوكته، وأخيراً أبطاله كلية (١٩).

فالمسيحية تهدف قبل كل شيء إلى تحرير الإنسان ـــ دون نظر إلى رتبة أو وضع إجتماعى ـــ من أشر أنواع العبودية، ألاَ وهى عبودية الخطية، وتهبه حرية روحية حقيقية، وتؤكد الوحدة الأولى لكافة البشر المخلوقين على صوة الله، وتعلم بالفداء العام، والمساواة الروحية للجميع قدام الله «ليس عبد ولا حر .. لأنكم جميعاً واحد فى المسيح يسوع» (غل ٣ : ٣٨) ...

لقد تصرفت المسيحية إزاء مشكلة العبيد، بنفس طريقة الحل الموضوعى المنهجى، الذى عالجت به كثيراً من مشكلات الحياة. إنها تهتم أولاً ودائماً بالعلاج الجذرى ... تهتم بعلاج أساس المشكلة، لأن فى هذا حسم للمشكلة وإستئصال لها من جذورها. ومن ناحية أخرى تهتم أن يكون علاجها سلمياً بما يتفق وطبيعة رسالتها ... فنحن نرى أنها إهتمت بعلاج المشكلات الروحية جذرياً فعالجت القتل بالنهى عن مجرد الغضب «كل مَنْ يغضب على أخيه باطلاً فهو قاتل نفس» (١ يو٣ : ١٥). وعالجت شهوة الجسد وأنواع الزنا، بالنهى عن مجرد النظرة المصحوبة بشهوة جسدية (مت ٥ : ٢٨) ... وهذا يتفق مع منهجها، الذى يقضى بعدم وضع رفعة جديدة على ثوب عتيق، أو خمراً جديدة فى زقاق عتيقة ... لأنه ماذا يحدث لو لم يراع هذا المنهج ؟ الجواب بفم رب المجد ... «يصير الخرق أردأ ... والخمر تنصب والزقاق تتلف» (مت ٩ : ١٦، ١٧).

هذا هو ما علمته المسيحية إزاء مشكلة الرق والعبيد ... لقد نادت بالاصلاح الأدبى، دون أن تدخل فى صراع مع الدولة وتشريعها الخاص بالعبيد ... لم يكن من رسالتها الروحية، ومبادئها التى حددتها لنفسها، أن تعلن أو تطلب ـــ من الوجهة القانونية ـــ إنهاء نظام الرق. لو فعلت ذلك لجعلت من نفسها قوة سياسية، وتدخل فى صراع مسلح، وتعرّض ما يؤخذ بالسيف إلى أن يفقد بالسيف ... ما كان أسهل على المسيحية، أن تصدر شعارات

(19) Schaff, Vol. p. 445.

براقة تخص العبيد وتحريرهم (٢٠) ، حتى ما تكسبهم إلى صفوفها ، لكنها لم تفعل شيئاً من ذلك . كان ذلك معناه قيام العبيد بثورات عارمة ، لم تكن جديدة عليهم ، فقد قاموا بعدة ثورات قبل ذلك وسحقتها قوات الدولة وانتهت إلى لا شيء . كانت إيطاليا فى ذلك الوقت قد سحقت لتوها إحدى ثورات العبيد بكل صعوبة ، وكانت يقظة لأ ية محاولة أخرى (٢١) . إن تحريك مثل هذه الثورات كان لا يؤدى إلى التقدم خطوة واحدة نحو الحرية .. بل فى هذه الحالة ، كان أمام المسيحية طريقان : إما أن تزول ، وإما أن تتوقف عن أن تكون ديانة الروح ...

ومن ناحية أخرى ، فإن العبد الذى حطم قيود عبوديته المادية ، ونال الحرية قبل أن يتحرر داخلياً (روحياً) لا يكون قد تحرر حقاً ... فقد يبقى على كل رذائل العبودية ، و يستخدم حريته المكتسبة وقوته ، إستخداماً إستبدادياً خاطئاً .. وفى هذه الحالة كانت العبودية ستظل باقية بكل فظاعتها ، مع تغير واحد ، هو أن المضطهدين سيتحولون إلى مُضطِهدين ...

كان من الأهمية بمكان إذن ، أن تحرص الكنيسة على عدم إحداث هزة فى المجتمع يتعرض معها الجميع ، وتتعرض رسالتها إلى خطر محقق ... **لم تبطل الكنيسة الرق بنص صريح ، لكن من الإنصاف القول إنها قوضت هذا النظام بما أحدثته من تغييرات جوهرية فى حياة الإنسان .** والنتيجة ، أنه حينما يفيق ذلك المخلوق البائس ــ الذى كان يعامل كآلة صماء أو كجسد بلا نفس ــ لكرامته الأدبية ، وحقوقه وواجباته ، تبطل الحجة لإبقائه فى العبودية . والمسيحية وقد ظهرت أولاً حامية للعبد فى ضعفه ، كانت تميل دائماً إلى تحريره الكامل (٢٢) .

---

(٢٠) كان عدد العبيد فى حكم الإمبراطور كلوديوس (حوالى منتصف القرن الأول الميلادى) ، يوازى نصف سكان الإمبراطورية الرومانية كلها ، أى حوالى ستين مليوناً حسب تقدير المؤرخ جيبون Gibbon .

(21) Hill, pp. 235-237.

(22) De Pressensé, Vol. 1, pp. 430-433.

جهود الكنيسة لإبطال الرق :

١ ـ كان أول ما ينبغى عمله هو إصلاح حالة العبيد بتبنى قضيتهم وحمايتهم من سوء معاملة سادتهم ... كان السادة غير المؤمنين خارجين عن سلطان الكنيسة ، أما المؤمنون فكانت توصيهم باللطف وطول الأناة والعدل ، وتناشدهم أن يعاملوا عبيدهم معاملة حسنة « وأنتم أيها السادة ، افعلوا لهم (العبيد) هذه الأمور ، تاركين التهديد ، عالمين أن سيدكم أنتم أيضاً فى السموات ، وليس عنده محاباة » (أف ٦ : ٩) .

لقد أعاد القديس بولس ثانية ، العبد اللاجىء إليه ـ إنسيموس ـ إلى مولاه الأرضى فليمون ، بعد أن جذبه إلى معرفة المسيح . لكنه أوصى فليمون أن يقبل العبد ويعامله فيما بعد كأخ محبوب فى المسيح ، بل كأحشاء الرسول (فل ١٢ ، ١٦) ... من المستحيل أن نتصور إمكان وجود علاج أفضل من ذلك . ومن المستحيل أن نجد فى الأدب القديم ، ما يوازى رسالة بولس الرسول القصيرة إلى فليمون ، والمملوءة لطفاً ورقة وإنسانية ، فضلاً عن المشاركة الرقيقة لعبد مسكين (٢٣) .

٢ ـ كانت المعاملة القاسية التى يلقاها العبد من سيده المؤمن ، سبباً كافياً لطرد ذلك السيد من جماعة المؤمنين . كما كانت الكنيسة تسقط لقب مسيحى عمَنْ يسيئون معاملة تابعيهم وخدمهم (٢٤) .

٣ ـ ولم يكن مجرد إعطاء الحماية والمعاملة الحسنة للعبيد كافياً ، بل كان على السادة أن يسموا بهم أدبياً ، فيعلمونهم الحق ، ويقودونهم إلى النور ...

---

(23) Schaff; Vol. 1, p. 446.

أمرت قوانين الرسل بأن يمنح العبيد راحة من العمل فى بعض المواسم والتذكارات الدينية ، وقد حددتها كالآتى : السبت والأحد أسبوعياً ، وأسبوع البصخة ، والأسبوع التالى لتذكار القيامة ، وفى تذكارات الميلاد والغطاس والصعود وحلول الروح القدس وتذكارات إستشهاد بعض الشهداء وفى مقدمتهم استفانوس . انظر : .Constitutions of the Holy Apostles, 8.33

(24) Constitutions of the Holy Apostles, 4. 6.

وكان على السيد المسيحى أن يكون مستعداً أن يضع نفسه ليكون معلم عبده طواعية ، تحركه غيرته نحو أخيه العبد إلى ذلك الواجب ... وكان السادة يتممون هذا الواجب المقدس الصعب عن حب . **هذا الأمر دعا الفيلسوف الوثنى كلسوس لأن يسخر من المسيحية لعنايتها بالعبيد . فرد عليه أوريجينوس موضحاً أن المسيحية آثرت الإتجاه إلى منبوذى العالم القديم ، مبتدئة بالعبيد ، الذين لم يفكر فيهم أحد** . وقال له : [نحن نشعر أننا مدينون للعقلاء والجهلاء .. نحن لا نرفض أحداً ، ولا حتى العبد العادى . فنحن نميل نحوه كما إلى طفل أو امرأة جاهلة ، آملين أن نجعله فى وضع أفضل] (٢٥) .

٤ ـ ما أن يقبل العبيد والإماء الإيمان المسيحى ، حتى كانوا يحصلون على عضوية الكنيسة كاملة ، ويرفعون فيها إلى مستوى الأحرار. كانوا يعتبرون إخوة وأخوات للمؤمنين بكل ما فى هذه الكلمة من معنى . وقد أشار بولس فى رسالته إلى كولوسى إلى « أبفراس العبد الحبيب معنا ، الذى هو خادم أمين للمسيح » (كو١ : ٧) ... ليس فى الكنيسة أى أثر للفوارق الإجتماعية بين المسيحيين فى أوقات العبادة . والفاصل الوحيد كان هو الذى يفصل الموعوظ عن المؤمن ، والجنسين عن بعضهما (٢٦) ... **بل ربما كان العبد فى حالة أفضل روحياً ، حينما يكون هو مؤمناً وسيده مايزال موعوظاً** ... والعبد الذى يسجد جنباً إلى جنب مع سيده فى عبادة نفس الإله ، لا يمكن أن يستمر فيه الاحساس بعدم الكرامة ، أو مركب النقص الذى يرتبط بوضعه الإجتماعى . وقد أوجبت قوانين الرسل على السيد أن يحب عبده كابن أو كأخ بسبب إيمانهم الواحد (٢٧) .

٥ ـ كان فى إمكان العبد أن يقبل أية وظيفة كنسية ، حتى الأسقفية ، إذا دعى إلى ذلك (٢٨) ... ولدينا مثل على ذلك ، كلستوس Callistus الذى كان

(25) Origen, C. Celsum, 3. 49.

(26) Constitutions of The Holy Apostles, 2. 58; De Pressensé, Vol. 1, pp. 434-436.

(27) Constitutions of the Holy Apostles, 4.12.

(28) Ibid, 7. 46

عبداً مسيحياً لسيد مسيحى ، ووصل إلى منصب أسقف روما (٢١٧ ـــ ٢٢٢) وذكر فى قوانين الرسل أن أنسيموس الذى كان عبداً لفليمون رسم أسقفاً على بيرية (٢٩) .

٦ ـ وبفضل جهود الكنيسة فى التعليم ورعايتها الروحية ، أخذ كثير من السادة المسيحين يعتقون عبيدهم المسيحيين ... وكثيراً ما كان يتم عتق العبيد وتحريرهم فى الكنيسة ، فى أيام الأعياد الكبيرة ، وعلى الأخص عيد القيامة ، تذكاراً لعمل المسيح الفادى الذى حررنا من أسر إبليس ... وكان ينظر إلى هذا العمل كعمل من أعمال الرحمة المقبولة لدى الله (٣٠) .

٧ ـ ونظراً لأن الحياة الدينية للعبيد المسيحيين الذين يعملون مع سادة غير مسيحيين كانت فى خطر ، فالكنيسة فى بعض الأحيان ، **كانت تشجع السادة الوثنيين على تحرير عبيدهم المسيحيين مقابل فدية مالية تدفعها الكنيسة (*) .**

٨ ـ من الناحية الأدبية ، كانت شخصيات العبيد تتمتع بكل إحترام الأحرار داخل الكنيسة. كان يجب إحترام الإماء ، ولا يعتدى عليهن بسبب ضعفهن .. وكانت الكنيسة تحمى الروابط الزوجية للعبيد ، وتنتظر منهم فضائل كما من الأحرار. وكنتيجة لذلك حازت فضائلهم نفس التقدير والاحترام وقد صار منهم شهداء وشهيدات (٣١) .

٩ ـ أما من جهة العبيد أنفسهم ، فقد إهتمت الكنيسة بحياتهم ونفسياتهم وروحياتهم وكانت تقوم بتعليمهم وتلقينهم الإيمان (٣٢) .

---

(29) Ibid, 7. **46**

(30) Latourette, pp. 261-263.

(*) Constitutions of the Holy Apostles, 4.9.

(٣١) من أمثلة ذلك : بلاندينا من شهداء ليون ، وفيليسيتاس رفيقه بربيتوا فى قرطاجنة ، وبروفيرى عبد بامفيلوس البيروتى ـــ انظر كتاب الاستشهاد فى المسيحية ، Harnack, Missions .., pp. 168, 169.

(32) Aristides, Apol., 15.

وإن كانت المسيحية لم تستطع ــ بقرار أو نداء أو تعليم ــ أن تحرر العبيد كلهم دفعة واحدة ، لكنها كانت أولى الأنظمة التى جعلت من طاعة العبيد التى بلا سند ، واجباً أدبياً يؤدى بفرح ، بعد أن كانت الأنظمة القديمة تحرص على طاعة العبيد عن طريق الإرهاب والتخويف (٣٣) ... وهكذا أوصى القديس بولس العبيد بالصبر ، وأن يبقوا فى حالتهم ، و يعزوا أنفسهم بالفكرة أنهم عتقاء الرب ... « الدعوة التى دعى فيها كل واحد فليلبث فيها . دعيت وأنت عبد فلا يهمك . بل وإن إستطعت أن تصير حراً فاستعملها بالحرى . لأن مَنْ دعى فى الرب وهو عبد فهو عتيق الرب . كذلك أيضاً الحر المدعو هو عبد للمسيح » (١ كو٧ : ٢٠-٢٢) .

ومن ناحية أخرى عاونت المسيحية فى تخفيف العار الذى كان مرتبطاً بالعمل كما كانت نظرة المجتمع القديم ــ لقد أكدت المسيحية **وجوب** العمل (٣٤) وطالما كان العمل مرتبطاً بالعبودية ، فقد إستراح العبيد من الخزى الذى لحقهم ولصق بهم (٣٥) .

وقد لاحظ العالم دى روسى De Rossi ، الذى كرس جهوده لدراسة سراديب روما والمقابر المسيحية الأولى أن لقب **« عبد » لم يشاهده إطلاقاً فى الكتابات على المقابر المسيحية** (٣٦) .



منحت كنيسة الرسل منذ تأسيسها فى يوم الخمسين ، كل المواهب

(٣٣) انظر : كو ٣ : ٢٢ ؛ ١ تى ٦ : ١ ؛ ١ بط ٢ : ١٨ ، وأيضاً :

Karl Kautsky; Foundations of Christianity, p. 350.

(٣٤) انظر : أع ١٨ : ١ - ٣ ؛ أف ٤ : ٢٨ ؛ ٢ تس ٣ : ٧ - ١٠ .

(35) Latourette, pp. 261-263.

(36) Harnack, Mission ..., p. 168.

الروحية (٣٧) التى تحتاجها ــ لا لتبهر الناس بها ، بل لأجل نشر الإيمان الجديد ، وتجديد العالم روحياً وأدبياً ... **ولقد كانت هذه المواهب بمثابة ثياب عرسها الذى تزينت به ، وعدتها التى صمدت بها إزاء مقاومات اليهود والوثنيين** وتعرف هذه المواهب الروحية فى اليونانية باسم charismata أو مواهب النعمة ، تمييزاً لها عن المواهب الفطرية الطبيعية ...

وهذه المواهب الروحية طاقات وظواهر للروح القدس « أنواع مواهب واحدة ، ولكن الروح واحد » (١ كو١٢ : ٤) ... أما تنوع المواهب ، فلكى تفى بحاجات الكنيسة المتنوعة « ولكنه لكل واحد يعطى إظهار الروح للمنفعة » (١ كو١٢ : ٧) ... وهى فائقة للطبيعة من جهة مصدرها ، لكنها تتمشى مع الفضائل الطبيعية ... وفى عملها تتبع قدرات الإنسان العقلية والأدبية ، وتسمو بها وتنشطها ، وتقدسها لخدمة المسيح .

وهذه المواهب غيرية ، أى أنها توهب لأجل خدمة الآخرين ... هكذا دعاها القديس بولس فى (١ كو١٢ : ٤-٧) « **خدم ، أعمال ، منفعة** » ... « أنواع خدم موجودة ولكن الرب واحد . وأنواع أعمال موجودة ولكن الله واحد . الذى يعمل الكل فى الكل . ولكنه لكل واحد يعطى إظهار الروح للمنفعة » ... وهكذا ينبغى ألاَ يسعى الإنسان وراء هذه المواهب من أجل ذاتها ، أو لأجل الاستئثار بها لفائدته الشخصية « ليس أنى أطلب العطية ، بل أطلب الثمر المتكاثر لحسابكم » (فى ٤ : ١٧) .

على أن تمتع البعض بأنواع من المواهب لا يعنى بالضرورة أن هؤلاء الناس قد يحيون فى قداسة السيرة ، أو أنهم ذوو حظوة لدى الله (٣٨) ... فقد كشف لنا الرب

---

(37) St. John Chrysostom, Homily 29 on 1 Cor. 12; De Pressensé, Vol. 1, pp. 339-344; Schaff, Vol. 1, pp. 436-440.

(38) See: St. Chrysostom, Homily 24 on St. Mathew (N.P.N.F., Vol. 10, p. 167);
St. Augustine, sermon on the Mount, ch. 25 (N.P.N.F., Vol. 6, p. 62);
St. Augustine, Homilies on the Gospels, Sermon 87, 88, 92; (N.P.N.F., Vol. 6, pp. 520, 523, 535).

يسوع عن هذه العينة من الناس ، وقال إن كثيرين سيأتون إليه فى اليوم الأخير ويقولون له : « **باسمك تنبأنا ، وباسمك أخرجنا شياطين ، وباسمك صنعنا قوات كثيرة** » ... ومع ذلك يقول لهم الرب : « **إنى لا أعرفكم قط ، إذهبوا عنى يا فاعلى الإثم** » (مت ٧ : ٢٢ ، ٢٣) .

على أنه يجب الإشارة إلى الخطر الذى كان يكمن فى هذه المواهب الروحية .. إذ بدأ الشيطان يحارب البعض بتقليدها وادعائها ، إما بقصد الإحتيال أو الكسب المادى ، حتى فى ذلك الوقت المبكر جداً من تاريخ الكنيسة ... وقد حذر كتاب تعاليم الرسل Didache الكنائس من أمثال هؤلاء الأشخاص المحتالين (٣٩) .

ويمكن تقسيم المواهب الروحية بصفة عامة إلى ثلاثة أنواع :

أولاً - مواهب عقلية تختص بالعلم ، وهى نظرية وتختص باللاهوت والعقيدة .

ثانياً - مواهب تتمشى مع العاطفة وتختص بالشعور ، وتظهر فى العبادة المقدسة من أجل بنيان حياة الأفراد والكنيسة .

ثالثاً - مواهب عملية تختص بالإدارة ، وبقصد إدارة الكنيسة وتنظيمها وحكمها .

وهذه المواهب غير منفصلة عن بعضها إنفصالاً متميزاً تماماً ، لكنها تعمل **معاً** فى **توافق** من أجل الهدف الواحد ، ألاَ وهو بنيان جسد المسيح الذى هو الكنيسة .

وموضوع المواهب الروحية ، يكتنفه الغموض ، كما يقول القديس يوحنا الذهبى فمه ، نظراً لقلة معلوماتنا عنها ، إلاَّ من الإشارات العابرة فى رسائل القديس بولس ، ولتوقف وجودها فى الكنيسة بالصورة التى كانت عليها فى كنيسة الرسل . **لكننا نحاول أن نلقى عليها بعض الضوء ...**

---

(٣٩) يقول العلامة أوريجينوس فى المقالة ٢٧ : ١١ على سفر العدد [يمكن أن تكون الرؤى سبباً للوقوع فى تجارب ، لأن الشيطان فى بعض الأحيان يغير شكله إلى شبه ملاك نور . ومن هنا يجب أن تحترسوا حتى ما تميزوا نوع الرؤيا ، على نحو ما فعل يشوع بن نون إذ لما رأى الرؤيا أحس أنه تكمن فيها تجربة ، فسأل المنظر الذى رآه ، هل أنت معنا ، أم مع أعدائنا] . أنظر :

Haranck, Missions ..., pp. 201-203.

(أ) موهبة الحكمة والعلم :

ويقصد بالحكمة الذى يفسر بعمق وحكمة أسرار مقاصد الله ، ووسائل خلاص الإنسان ، بينما يقصد بالعلم تفسير كلام الحكمة للمؤمنين ليعرفوا طريق الخلاص ... « لواحد يعطى بالروح **كلام حكمة** ... ولآخر **كلام علم** بحسب الروح الواحد » (١ كو١٤ : ٨) .

(ب) موهبة التعليم :

وتختص بالاستخدام العملى لموهبة العلم ، وتعطى صاحبها قوة لشرح الأسفار المقدسة بوضوح لتعليم وتثقيف وبنيان المؤمنين ... « ولكن لنا مواهب مختلفة بحسب النعمة المعطاة لنا . أنبوة فبالنسبة إلى الايمان . أم خدمة ففى الخدمة . **أم المعلم ففى التعليم** » (رو١٢ : ٦، ٧) .

(جـ) موهبة النبوة :

وتتصل بالموهبتين السابقتين ... وهى عادة تستخدم لغة الالهامات العالية ، دون العرض والدليل المنطقى ... وتنحصر رسالتها فى التنبؤ بحوادث المستقبل (أع ١١ : ٢٨) ، وكشف مقاصد الله الخفية ، ومعانى الأسفار المقدسة العميقة ، وخفايا القلوب (١ كو١٤ : ٢٥) ، وأعماق الشر ، وأمجاد النعمة المخلصة . وأحياناً كانت ترشد لتعيين البعض للخدمة فى الكنيسة (أع ١٣ : ١ ، ٢ ؛ ١ تى ٤ : ١٤) ... وبينما موهبة التعليم تناسبها حالات الهدوء والنمو الطبيعى للكنيسة ، فإن موهبة النبوة تنشط فى البدايات ، وأوقات الشدائد .

(د) موهبة تمييز الأرواح :

وكان لابد من وجود هذه الموهبة كضابط ومرشد لموهبة النبوة ، للتمييز بين

الأنبياء الحقيقيين والأنبياء الكذبة، بين الإلهام الحقيقى والإنفعال البشرى أو الشيطانى ... وبعبارة عامة، كانت هذه الموهبة للتمييز والتفريق بين ما هو صواب وما هو خطأ ... «أما الأنبياء، فليتكلم إثنان أو ثلاثة، **وليحكم الآخرون**» (١ كو١٤: ٢٩).

(هـ) التكلم بألسنة [٤٠]:

وموضوع التكلم بألسنة من اعقد الأمور المتصلة بالكنيسة الأولى، وأكثرها صعوبة وغموضاً ... إختلف علماء الكنيسة وآباؤها بخصوصه، ولم يعطوا رأياً محدداً واضحاً بشأنه، نظراً لأن هذه الظاهرة إنتهت تقريباً بانتهاء عصر الرسل، وكان لا وجود لها فى زمانهم.

ظهرت موهبة الألسن مع مولد كنيسة العهد الجديد يوم الخمسين (أع٢: ١-١٣) ... وبعدها نقرأ عنها مرتين فى سفر أعمال الرسل (أع١٠: ٤٦؛ ١٩: ٦). أما فى الرسائل فلم يتناولها سوى بولس فى رسالته الأولى إلى كورنثوس (١ كو١٢-١٤) [٤١].

والواقع أن موهبة التكلم بألسنة، وإن كانت تذكر صراحة وبهذه التسمية فى المواضع التى أشرنا إليها، لكنها تختلف عن بعضها فى الجوهر، ولا تعبر عن ظاهرة واحدة ... فمعجزة يوم الخمسين كانت معجزة تمتاز بطابعها الخاص وهدفها الخاص [٤٢] ... تكلم التلاميذ بفضلها بلغات مختلفة من أجل حاجة

---

(40) See: Smith, Dictionary of the Bible, Vol. 3, pp. 1555-59; Hastings, Dictionary of the Bible, pp. 943, 44; Schaff, Vol. 1. pp. 230-241.

(٤١) قيل أن ما دونه الرسول فى (رو ٨ : ١٥ ، ٢٦ ؛ غل ٤ : ٦ ؛ أف ٥ : ١٩) إنما هو إشارات عنها أيضاً.

(٤٢) يرى البعض ــ وهذا الرأى له مؤيدوه ومعارضوه ــ أن معجزة التكلم بلغات جديدة كانت قاصرة على يوم الخمسين وحده، وأن هذه المعجزة لم تتبع الرسل أينما اتجهوا. ويدللون على ذلك ــ إستنتاجاً ــ من أن بولس الرسول لم يفهم اللغة الليكاؤنية التى تكلم بها أهل لسترة (أع١٤:

سامعيهم بقصد تبشيرهم ... **أما التكلم بالألسن المذكور فى رسالة كورنثوس فهو عمل تعبدى خالص يختص بالصلاة، ولا علاقة له بالتكلم بلغات جديدة بقصد الكرازة والتبشير.**

● **فيما يختص بما حدث يوم الخمسين، هناك رأيان :** رأى يقول إن الرسل تكلموا بلغات جديدة لم يكونوا يعرفونها. إتماماً لوعد السيد المسيح «ويتكلمون بألسنة جديدة» (مر١٦ : ١٧)، وهذا هو رأى غالبية آباء الكنيسة وعلمائها .. ورأى آخر يقول لم يتكلم الرسل بلغات جديدة، بل تكلموا الآرامية الخاصة بهم، بينما سامعوهم كانوا يسمعونهم يتكلمون بلغاتهم ... وكأن الروح القدس فى تلك الحالة كان يقوم بدور المترجم، وكان يترجم فورياً لكل لغات الحاضرين .. ومن بين أصحاب هذا الرأى القديس غريغوريوس أسقف نيصص ...

وفى رأينا أن الرأيين على صواب ... فالرسل تكلموا فعلاً لغات جديدة لم يكونوا يعرفونها، ما فى ذلك شك (أع٢ : ٤، ٦، ٨، ١١)، بل تفاهموا مع سامعيهم بلغاتهم (أع٢ : ٣٧). وهذا واضح مما ذكره لوقا فى (أع٢)، ومما ذكره السيد المسيح صراحة فى (مر١٦ : ١٧) ... ومن ناحية أخرى، حينما القى بطرس عظته (وطبعاً ألقاها بلغة واحدة أياً كانت)، فهمها الجميع، وبناء عن ذلك تساءلوا «ماذا نصنع أيها الرجال الإخوة» ... وهذا لا يتأتى إلاَّ إذا كان الروح القدس — أثناء إلقاء بطرس للعظة — قد قام فعلاً بترجمة فورية لكل لغات الحاضرين ... وعلى ذلك نستطيع القول إن الرسل تكلموا فى يوم الخمسين بلغات جديدة لم يكونوا يعرفونها، وأن الروح القدس فى بعض المواقف كان يقوم بدور المترجم ... **ولا غرابة فى ذلك، فالترجمة موهبة من مواهب الروح القدس التى تكلم عنها الرسول بولس** (١ كو١٢ : ٤، ٨، ١٠).

ومهما يكن من أمر، فآباء الكنيسة وعلماؤها رأوا أن الله أعطى الرسل موهبة التكلم بلغات أخرى جديدة من أجل حاجة أعمال الكرازة، خاصة فى ذلك الدور

٨-١٤). وأن بطرس الرسول — بناء على رواية بابياس وإيريناوس — كان يترجم له مرقس فى روما (يوسابيوس ٣، ٢٩، ١٥). ونحن لا نستطيع أن نقطع برأى فى هذه القصة.

الأول التأسيسى للكنيسة ... البعض رأى ــ ومنهم القديس يوحنا الذهبى فمه ([٤٣]) ــ أن كل تلميذ وهبت له اللغة الخاصة بالحقل الكرازى الذى عُين له . والبعض رأى ــ ومنهم القديس أغسطينوس ([٤٤]) ــ أن كلاً من الرسل تكلم لغات جميع الشعوب ليظهر بذلك أن الكنيسة الجامعة ستضم كل الشعوب .

أما عن عدد اللغات التى تكلموا بها ، فى ذلك اليوم التاريخى (يوم الخمسين) فقد إختلف الآباء أيضاً فيه ... فمَنْ قائل إنهم تكلموا بلغات الشعوب التى ذكرها لوقا فى (أع ٢ : ٩ - ١١) . ومنهم مَنْ قال إنهم تكلموا ٧٠ لغة أو ٧٢ أو ٧٥ على عدد أبناء نوح أو يعقوب (تك ١٠ : ٤٦) . بينما رأى آخرون أنهم تكلموا ١٢٠ لغة على عدد التلاميذ الذين حل عليهم الروح القدس فى ذلك اليوم (أع ١ : ١٥) ... وعلى أية الحالات ، فقد كان التكلم بألسنة فى يوم الخمسين آية للكرازة ولتمجيد الله بلغات متنوعة لم تكن معروفة للتلاميذ ، وشهادة لجميع الشعوب أن الله كان حقاً فى وسطهم .

• **أما عن موهبة التكلم بألسنة التى عالجها القديس بولس فى رسالته إلى كنيسة كورنثوس ، فتظهر أنها كانت عملاً من أعمال التعبد والصلاة ...** ويمكن القول إنها كانت نوعاً من الصلاة والتسبيح والتمجيد والشكر لله ، ينطق بها الإنسان فى حالة نشوة روحية لاإرادياً ، وفى لغة يعطيها الروح القدس ، غير اللغة التى يتكلمها ذلك الإنسان .. وفى هذه الحالة تكون روح الإنسان فى سلبية ، مستسلمة للروح القدس ، بينما يكون الذهن غير واع لما ينطق به الإنسان . وهذا واضح من كلام الرسول بولس ، فهو يدعوها صلاة « **إن كنت أصلى بلسان ، فروحى تصلى ، وأما ذهنى فهو بلا ثمر** » (١ كو ١٤ : ١٤) . ويقول أيضاً : « **مَنْ يتكلم بلسان ، لا يكلم الناس بل الله ، لأن ليس أحد يسمع ولكنه بالروح يتكلم بأسرار** » (١ كو ١٤ : ٢) ...

وهكذا نرى أن التكلم بألسنة فى كنيسة كورنثوس ، لم يكن فى صورة تعليم أو

(43) Homily 4 on the Acts of the Apostles.

(44) City of God, 18. 49.

نبوة، بل كان نوعاً من التعبد الروحى الشخصى ... ومن هنا نفهم لماذا يربط بولس بين التكلم بألسنة، وبين التكلم بألسنة الناس والملائكة (انظر ١ كو١٢ : ٣٠؛ ١٣ : ١) ... إن ألسنة الملائكة تنطق دائماً بالتسبيح للجالس على العرش ...

ويؤيد هذا المفهوم، ما حدث أيضاً يوم الخمسين ... **لقد تكلم الرسل «بألسنة أخرى» قبل عظة بطرس، وقبل أن يجتمع إليهم الشعب (أع ٢ : ٤، ٦، ٨) ... أما موضوع كلامهم بهذه الألسنة الأخرى، قبل عظة بطرس، فكان «الكلام بعظائم الله» (أع ٢ : ١١) ... ونفس هذا الأمر حدث فى بيت كرنيليوس بعد حلول الروح القدس على المجتمعين فيه، فقد سمعوا «يتكلمون بألسنة، ويعظمون الله»** (أع ١٠ : ٤٦) ... وتعظيم الله هو عينه عمل التسبيح والتمجيد والشكر ...

• **ومن حيث أن التكلم بألسنة الذى أشار إليه بولس فى كورنثوس هو عمل تعبدى خالص، فإنه يبنى المتكلم وحده دون الآخرين «مَنْ يتكلم بلسان يبنى نفسه» (١ كو١٤ : ٤) ... ومن هنا فقد اعتبرت موهبة التكلم بالألسن أقل درجات المواهب الروحية، لأنها تستهدف الذات، ولا يترتب عليها بنيان الكنيسة كلها** ... لكن المؤمنين فى كورنثوس رفعوا من قدر هذه الموهبة، لأنها ــ كما يقول الذهبى فمه ــ كانت الموهبة الأولى التى نالها الرسل.

• **على أنه سرعان ما أسيء إستخدام هذه الموهبة فى حياة القديس بولس نفسه، فصارت سبباً للتفاخر والتشويش والعثرة. لذا نراه يقلل من أهميتها (٤٥)، ويدعو المؤمنين إلى التعلق بالمواهب الأخرى، مبيناً لهم أن هناك طريقاً أفضل من المواهب، هو المحبة (٤٦)** ... وتلافياً للعثرات، أوصى بولس المتكلم باللسان أن يترجم ما يقوله عن طريق إستحضار ذهنه بالصلاة. وإذا تعذر عليه ذلك، فليترجم كلامه آخر ممَنْ نالوا موهبة الترجمة. أما إذا لم يوجد مَنْ

---

(٤٥) انظر : ١ كو ١٤ : ٦، ٩، ١٩، ٢٢، ٢٦.

(٤٦) انظر : ١ كو ١٢ : ٣١؛ ١٣ : ١، ٢.

يترجم ، فليصمت فى الكنيسة (١ كو١٤ : ٦ - ٩ ، ١٣ ، ٢٨) .

ومن الثابت أن هذه الموهبة قد إنتهت تقريباً بانتهاء عصر الرسل . وإن كان إيريناوس ــ من آباء القرن الثانى ــ قد ذكر أن هذه الموهبة كانت قائمة فى الكنيسة فى زمانه ، لكن العلماء يشكون فى صحة ذلك .

● **وثمة ملاحظة هامة** ، ينبغى ألاَ نغفلها فيما يتعلق بموضوع التكلم بألسنة . **لقد كانت هناك حكمة خاصة فى كل مرة من المرات الثلاث التى حدثت فيها هذه المعجزة وأوردها القديس لوقا فى سفر أعمال الرسل** ... ففى يوم الخمسين ، كان التكلم بألسنة آية لجمهور المجتمعين « من كل أمة تحت السماء » ، وما حدث فى بيت كرنيليوس كان علامة للرسل أن الرب قد فتح باب الخلاص للأمم الوثنية (انظر أع ١١ : ١-١٨) . وما حدث فى أفسس كان آية لمَنْ نالوا الروح القدس بعد أن قالوا : « ولا سمعنا أنه يوجد الروح القدس » (انظر أع ١٩ : ١-٦) ... **أما أن يكون التكلم بألسنة بلا أدنى هدف أو حكمة إلهية كما يشاهد عند شيعة الخمسينين حالياً ، فأمر يقطع ببطلان إدعائهم بأنهم يتكلمون بألسنة ، ولا يعدو الأمر أن يكون بعض الحركات الهستيرية أو المفتعلة ...**

(و) موهبة الترجمة :

وتهدف إلى جعل موهبة الألسن ذات فائدة للمستمعين ، وتعطى المترجم القدرة على ترجمة الصلوات والأغانى الروحية من لغة الروح إلى لغة مفهومة .. « أنواع مواهب موجودة ولكن الروح واحد ... فإنه لواحد يعطى بالروح كلام حكمة ... ولآخر أنواع ألسنة ... **ولآخر ترجمة ألسنة** » (١ كو١٢ : ٤ ، ٨ ، ١٠) .

(ز) موهبة الخدمة الجسدية :

وبالأخص لخدمة الشمامسة والشماسات ، للرعاية المنتظمة فى الكنيسة وهى

تختص بكل أعمال المحبة والرحمة المسيحية ، وعلى وجه الخصوص رعاية الفقراء والمرضى ... والقديس بولس يسمى أصحاب هذه الموهبة **« أعواناً »** (١ كو١٢ : ٢٨) .

(ح) موهبة التدبير :

للرعاة وذوى السلطان فى الكنيسة ، سواء كانوا رسلاً أم أساقفة أم قسوساً ... ذكرها القديس بولس باسم تدابير Kybernéseis ... وإلى هذا التدبير فى الرعاية يشير القديس بولس بقوله : « وهو أعطى البعض أن يكونوا رسلاً ... والبعض رعاة ... **لأجل تكميل القديسين ، لعمل الخدمة** » (أف ٤ : ١١ ، ١٢) .

(ط) موهبة صنع المعجزات :

وهى القوة التى منحها الرب للرسل ولبعض المؤمنين ليشفوا كل الأمراض الجسدية ، ويخرجوا الشياطين ، ويقيموا الموتى ، ويجروا عجائب أخرى بالإيمان وقوة الصلاة ووضع الأيدى باسم الرب يسوع ولمجده «شاهداً الله معهم بآيات وعجائب وقوات متنوعة ومواهب الروح القدس حسب إرادته» (عب ٢ : ٤) ... « أنواع مواهب موجودة ... فإنه لواحد يعطى بالروح كلام حكمة ... ولآخر مواهب **شفاء** ... **ولآخر عمل قوات** » (١ كو١٢ : ٤ ، ٨-١٠) . وقد كانت هذه المعجزات خاتم الرسولية المقدسة وبرهانها ، فى زمان وبين قوم كانوا فى حاجة إلى هذه العلامات المادية لإيمانهم ... « **إن علامات الرسول عملت بينكم فى كل صبر ، بآيات وعجائب وقوات** » (٢ كو١٢ : ١٢) ...

لكن بعد أن توطدت المسيحية فى العالم ، كانت آثارها الأدبية أفضل شاهد لحقيقتها ، فحلت محل الآيات المادية الخارقة ... لكن ليس معنى هذا أن المعجزات والآيات قد توقف حدوثها فى كنيسة المسيح ... إنها تحدث يومياً، لأن الآيات تتبع المؤمنين كما قال رب المجد (مر١٦ : ١٧ ، ١٨) ... لكننا نقصد الآيات الباهرة

التى كانت تحدث بكثرة وبقوة عجيبة فى **فجر** تاريخ الكنيسة ، من أجل نشر الإيمان ، وتدعيم عمل الكرازة ، إزاء جحافل الظلمة التى كانت تكتنفها من كل جانب .

وبعـــــد ...

فهذه لمحة سريعة عن المواهب الروحية التى خص الله بها كنيسته من أجل الخير العام وبنيان النفوس ... **ليتنا نذكر أن هناك شيئاً اسمه مواهب روحية يخص بها الله بعض المؤمنين ... ليتنا نذكر أن ليس كل إنسان يصلح أن يكون معلماً أو مدبراً أو حتى شماساً يقوم على خدمة الإحتياجات الجسدية ... ليتنا نلجأ إلى روح الله القدوس ليرشد إلى كل ذى موهبة ، حتى يوضع ــ فى كنيسة الله ــ الإنسان المناسب فى الخدمة المناسبة** ... ليس كل إنسان تقى يصلح أن يكون كاهناً أو معلماً أو مدبراً ... فالتقوى شىء والموهبة شىء آخر ... **التقوى** مطالب بها جميع المؤمنين ، بل مفروض أن يتحلوا بها ، أما الخدمة فى كنيسة الله فتحتاج إلى مؤهلات أخرى ، وتنجح وتفلح بالمواهب التى خص الله بها كنيسته ...





منذ القديم ... منذ أن اتخذ الرب لذاته شعباً خاصاً من بين الأمم ، عاملهم كرعية خاصة له ، وأقام لهم رعاة ... لكن رعاة إسرائيل إنحرفوا عن رسالتهم ورعوا أنفسهم ، فوبخهم توبيخاً شديداً بفم أنبيائه (٤٧) . وفى ملء الزمان ، لما سر الله أن يصنع فداء لشعبه ، وظهر فى الجسد ، كان ينظر فى حزن إلى خراف بيت إسرائيل الضالة ، وكان يتحنن عليهم إذ رآهم منزعجين ومنطرحين كغنم لا راعى لها (مت ٩ : ٣٦) ... وهكذا قدم ذاته مثالاً للرعاية ، وأعلن أنه هو **« الراعى الصالح »** .

وحينما قتله رعاة اليهود بأيد أثيمة ، وقام وارتفع إلى المجد ، بقى كما هو الراعى الصالح ، لكن رأساً غير منظور للكنيسة ... وهكذا دعى « راعى النفوس وأسقفها ، ورئيس الرعاة » (١ بط ٢ : ٢٥ ؛ ٥ : ٤) ، « وراعى الخراف العظيم » (٤٨) . وأقام نيابة عنه الرسل وخلفاءهم والكهنة ، رعاة مؤتمنين على الخراف الناطقة .

هكذا أحس الرسل ـــ باكورة رعاة العهد الجديد ـــ أن عمل الكنيسة الأول والأعظم فى العالم ولأجله ، هو الرعاية ... فحينما أراد الرب يسوع أن يرد بطرس إلى رتبته الرسولية بعد أن أنكر وجدف ، قال له : « إرع خرافى ... إرع غنمى » (يو ٢١ : ١٥ - ١٧) ... وقال القديس بولس إلى رعاة كنيسة أفسس : « إحترزوا إذاً لأنفسكم ولجميع الرعية ، التى أقامكم الروح القدس فيها أساقفة لترعوا كنيسة الله التى اقتناها بدمه » (أع ٢٠ : ٢٨) ... وقال القديس بطرس فى رسالته : « أطلب إلى الشيوخ الذين بينكم أنا الشيخ رفيقهم ... ارعوا رعية الله التى

---

(٤٧) انظر : حزقيال ٣٤ : ٢ - ٦ .

(٤٨) عب ١٣ : ٢٠ .

بينكم نظاراً لا عن إضطرار بل بالإختيار. ولا لربح قبيح بل بنشاط. ولا كمَنْ يسود على الأنصبة. بل صائرين أمثلة للرعية. ومتى ظهر رئيس الرعاة تنالون إكليل المجد الذى لا يبلى» (١بط ٥: ١-٤).

وحينما قدم الرب يسوع ذاته كالراعى الصالح، كشف عن سر صلاحه فى الرعاية، ومعه كشف عن الرعاة المزيفين ... فالراعى الأمين يدخل من باب الخراف، الذى هو الرب يسوع نفسه، ويعرف خرافه، ويدعوها بأسمائها. ويكون مستعداً أن يبذل ذاته عنها ... أما الراعى الكاذب المزيف، فيدعوه الرب سارقاً ولصاً. وهو لا يدخل من الباب، بل يطلع من موضع آخر. وكل همه أن «يسرق ويذبح ويهلك» ... ومتى رأى الذئب مقبلاً ... متى نظر خطراً داهماً، يترك الخراف ويهرب غير مبال بها (يو١٠: ١٠-١٣) .. **هكذا علمت الكنيسة الأولى يقيناً، أن عملها الأول والأعظم والأسمى هو الرعاية، فانصرفت إليه بكل طاقاتها، وأولته كل عنايتها، عن طريق الخدام المختلفين، وأنواع الخدم المتنوعة.**

والآن نتناول بالكلام عصب الرعاية وهم الخدام، ثم نعرض لثلاثة ميادين للرعاية فى كنيسة الرسل: الرعاية الإجتماعية، الرعاية الأدبية والروحية، ثم الرعاية التعليمية.

الخُــدَّام

تذكر الخدمة فى العهد الجديد تحت أسماء متعددة، تصف خصائصها ... فتذكر باسم «خدمة الكلمة» و«خدمة الروح» و«خدمة البر» و«خدمة المصالحة» ... **وخدام الكلمة** هم خدام الله بالمعنى السامى للتسمية، وخدام الكنائس فى إتضاع وحب ... إنهم نور العالم، ملح الأرض، العاملون مع الله، وكلاء سرائر الله، وسفراء المسيح ... لكن هذه الكرامة العظيمة تحمل معها مسئولية متساوية ... والقديس بولس، وهو يتأمل مجد الخدمة والوظيفة، وأنها رائحة

موت لموت ، ورائحة حياة لحياة ، يتعجب قائلاً : « مَنْ هو كفء لهذه الأمور ؟! » ثم ينسب كل أتعابه ونجاحه فى الخدمة والكرازة لنعمة الله التى لا يستحقها (٤٩) .

والآن نتكلم عن فئات الخدام فى كنيسة الرسل :

١ ـ الرســـــل :

على الرغم من أن لقب « رسول » فى الكنيسة الأولى أطلق على تلاميذ المسيح الذين إختارهم ، لكنه أطلق تجاوزاً على آخرين ... فالقديس بولس فى (٢ كو٨ : ٢٣) يتكلم عن « رسولى الكنائس » . كما ذكر ابفرودتس أنه رسول الفيلبيين وكان قد حمل إليه تقدمة كنيسة فيلبى (فى ٢ : ٢٥) ...

ولم تعرف اليهودية هذا اللقب بالنسبة للخدام حتى خراب أورشليم سنة ٧٠ ... أما بعد هذا التاريخ ، فأرسلت أشخاصاً ــ دعتهم رسلاً ــ إلى كل يهود الشتات ، ليحملوا إليهم معلومات وافية عن الرب يسوع وتلاميذه ، أو بعبارة أخرى عن المسيحية . وكان هذا العمل بمثابة إجراء مناهض للإرساليات المسيحية (٥٠) ... ومهما يكن من أمر ، فإن إطلاق لقب رسل على هؤلاء اليهود المرسلين ، كان من قبيل التسمية اللغوية فقط . وهو فى هذا يختلف مع طبيعة وضع الرسل فى المسيحية .

كان رسل المسيح يتمتعون بمكانة كبيرة بين المؤمنين ، حتى أن القديس بولس يقول لأهل تسالونيكى : « مع أننا قادرون أن نكون فى وقار كرسل المسيح » (١ تس ٢ : ٦) ... ويقول لأهل غلاطية : « وتجربتى التى فى جسدى لم تزدروا بها ولا كرهتموها ، بل كملاك من الله قبلتمونى ، كالمسيح يسوع ... لأنى أشهد لكم أنه لو أمكن لقلعتم عيونكم وأعطيتمونى » (غل ٤ : ١٤ ، ١٥) ... وقد استمدوا هذه المكانة من وضعهم كرسل المسيح ، والأعمال والآيات العظيمة التى

(٤٩) انظر : ٢ كو ٢ : ١٤ - ١٦ ؛ ٣ : ٥ ، ٦ .

(50) Justin Martyr, Dialogue, 17, 108, 117; Harnack, Missions... p. 327.

خصهم بها الله لتأييد رسالتهم ، ولإحساس المؤمنين أنهم مدينون لهم بحياتهم ... هكذا يكتب بولس إلى فليمون « حتى لا أقول لك أنك مديون لى بنفسك أيضاً » (فل ١٩) .

وكان الرسل غير مستقرين فى مكان واحد ، لأن مهمتهم كانت تقتضيهم التنقل لأعمال الكرازة ... كانوا يؤسسون الكنائس ويقيمون لها الخدام ، ويتنقلون إلى أماكن أخرى وهكذا ...

٢ ـ الأنبيـــاء :

كانت الفكرة الشائعة أن الأنبياء قد بطل ظهورهم فى الديانة اليهودية قبل عصر الرب يسوع ورسله بزمان طويل . لكن العهد الجديد يثبت خطأ هذه الفكرة ... فيوحنا المعمدان كان نبياً ، وهكذا دعى (٥١) . وكانت حنة أيضاً نبية (لو٢ : ٣٦) . والنبى اليهودى فى كريت الذى أشار إليه بولس (تى ١ : ١٢) ... وذكر لنا يوسيفوس المؤرخ اليهودى ، أن الاسينيين كان بينهم أنبياء صادقون (٥٢) ... وكتب الرؤى اليهودية التى إنتشرت نحو ذلك العصر ، تشير إلى كثرة عدد الأنبياء وأنه كان لهم أتباع وقراء ... ومن ثمّ لم يكن هناك أية غرابة فى ظهور الأنبياء ... لقد قوبل يوحنا المعمدان والرب يسوع بلا غرابة كأنبياء ...

هكذا لم تكن النبوة فى الكنيسة المسيحية حدثاً جديداً فى ظهورها المبكر ، واعتبرت ظاهرة تتمشى مع مثيلتها فى اليهودية المعاصرة ... وفى كلا الحالين ــ اليهودية والمسيحية ــ حاز الأنبياء شهرة كبيرة باعتبارهم صوت الله . وحينما كان يعترف بهم كأنبياء حقيقيين ، كانوا يتمتعون بسلطة مطلقة فى كرازتهم ووعظهم ونصائحهم (٥٣) ...

---

(٥١) انظر لوقا ١ : ٧٦ ؛ ٧ : ٢٦ ؛ ٢٠ : ٦ .

(52) Josephus, the wars of the Jews 1.3.5; 2.7.3; 2.8.12; Antiquities, 13.11.2, 15.10.5, 17.3.3.

(53) Harnack, Missions ... pp. 331-333.

ومن أمثلة الأنبياء فى الكنيسة الأولى ، أنبياء كنيسة أنطاكية (أع١٣ : ١) ، والنبى أغابوس (أع١١ : ٢٨ ؛ ٢١ : ١١) ، ويهوذا وسيلا (أع١٥ : ٣٢) ... وبالإضافة إلى الرجال ، فقد كان هناك عذارى ونساء يتنبأن (٥٤) مثل العذارى الأربع بنات فيلبس المبشر (أع٢١ : ٩) ... وغالباً ما كان الأنبياء يتنقلون من مكان إلى آخر مثل النبى أغابوس ، لكنهم كانوا فى أحيان أخرى يقيمون فى أماكن لا ينتقلون منها مثل هرماس (٥٥) .

٣ ـ المعلمـــون :

كان للمعلمين اليهود مكانة كبيرة جداً خاصة فى فلسطين . **ولكى نقف على مكانة المعلمين المسيحيين فى كنيسة الرسل ، نرى من المفيد الإشارة إلى مكانة المعلمين فى اليهودية ...**

لقد طالب معلمو اليهود Rabbis لأنفسهم باحترام كامل من تلاميذهم ، يفوق إحترامهم لوالديهم ... فقالوا : [إن إحترام المعلم يجب أن يفوق إحترام الأب ، لأن الابن والأب كليهما يحترمان المعلم ... إذا فقد كل من والد التلميذ ومعلمه شيئاً ، فخسارة المعلم لها الأولوية فى المطالبة بالدين . لأنه بينما الأب قد أتى بالتلميذ إلى العالم ، فالمعلم قد لقنه الحكمة ، ويوصله إلى الحياة الأبدية . وإذا اتفق أن والد تلميذ ومعلمه كانا يحملان حملاً ، فواجب التلميذ أن يعاون معلمه أولاً ، ثم بعد ذلك أباه . وإذا أسر الأب والمعلم ، وجب على التلميذ أن يفدى المعلم أولاً ...] (٥٦) .

وكقاعدة ، كان المعلمون اليهود يطلبون لأنفسهم المقام الأول أينما كانوا ، الأمر الذى وبخهم عليه السيد المسيح بقوله : « يحبون المتكأ الأول فى الولائم ،

---

(٥٤) انظر : أع ٢ : ١٧ ؛ ١ كو ١١ : ٥ .

(55) Didache, 11, 13; Carrington, Vol. 1, p. 274. ...

(56) Harnack, Missions ... pp. 333, 334.

والمجالس الأولى فى المجامع ، والتحيات فى الأسواق ، وأن يدعوهم الناس سيدى سيدى » (مت ٢٣ : ٦ ، ٧) ... وما لبثت هذه المطالبة بالكرامة أن تحولت إلى كرامة فعلية من جانب الشعب اليهودى ، على نحو ما ذكر عن غمالائيل معلم الناموس ، الذى قيل عنه أنه « كان مكرماً عند جميع الشعب » (أع ٥ : ٣٤) ...

وقد نالت خدمة التعليم فى المسيحية كرامة عظيمة ، لكنها ليست الكرامة « الفريسية » المفروضة على الشعب ، بل الكرامة النابعة عن الحب والبذل والإتضاع ... يكفى خدمة التعليم فى المسيحية شرفاً أن الرب يسوع نفسه كان يدعى **« المعلم »** ... ويشير القديس بولس إلى كرامة المعلمين بقوله لتيموثاوس : « وليحسب الكهنة الذين يحسنون التدبير أهلاً لكرامة مضاعفة ، ولا سيما الذين يتعبون فى الكلمة والتعليم » (١ تى ٥ : ١٧) ... **لقد كانت الحاجة ملحة فى ذلك العصر إلى مثل هؤلاء المعلمين ، لتعليم الذين ينضمون إلى الكنيسة مفاهيم الإيمان المسيحى . هذا ، فى الوقت الذى كان على الكنائس أن تتخذ حذرها الشديد من المعلمين الكذبة** (٥٧) ...

وكان الرسل والأنبياء والمعلمون لا يقامون بالإنتخاب كالأساقفة والقسوس والشمامسة ، لأن عملهم كان يعتمد على النعمة الإلهية والمواهب الخاصة (٥٨) ... كما أن التمييز بين الرسل والأنبياء والمعلمين كان واضحاً منذ تاريخ المسيحية المبكر ، ومألوفاً لدى جميع الكنائس (٥٩) . وإن كان بعضهم قد يجمع أكثر من صفة فى نفس الوقت فالرسول معلم وقد يكون نبياً أيضاً ...

٤ ـ درجات الكهنوت الثلاث :

ويقصد بها الأسقفية والقسيسية والشماسية . ويشترط فيها جميعاً القداسة

(٥٧) انظر : ٢ كو ١١ : ١٣ ؛ غل ١ : ٧ ؛ ٢ بط ٢ : ١ .

(٥٨) انظر : أع ١٣ : ١ ـ ٣ ، حيث أخذت الكنيسة تعليمات من الروح القدس ، غالباً بفم الأنبياء .

(59) Harnack, Missions ..., pp. 335, 336.

والبعد عن الماديات (٦٠) .

(أ) الأسقف :

عبر عنه فى العهد الجديد بالكلمة اليونانية Episkopos ومعناها الناظر أو الرقيب أو المتعاهد . واللفظ قديم الاستعمال فى اليونانية ، وورد فى الترجمة السبعينية للعهد القديم ...

والأسقف هو رئيس الكنيسة ومدبرها وراعيها ومعلمها . وقد أقيم الأساقفة أصلاً نواباً عن الرسل ، الذين ما كانوا يستطيعون البقاء فى مكان واحد لفترة طويلة ، لأن مهمتهم كانت تقتضى التنقل لأعمال الكرازة ... وقد أقيم الأساقفة بوضع أيدى الرسل ، وأعطوا حقوقهم واختصاصاتهم ، بل حملوا — فى بعض الأحيان — اسم « **رسل** » ... هؤلاء الأساقفة لم يعينوا على كنيسة واحدة ، بل على إقليم بأكمله هكذا أقام الرسول بولس تيموثاوس على كل آسيا ، وتيطس على كريت . ولابد وأنه أقام أساقفة آخرين على أقاليم أخرى بنفس الطريقة ... وكان الأسقف يمر على كل الكنائس فى إقليمه ، ويرسم كهنة للخدمة الكنسية فى الأماكن المحتاجة إلى ذلك ، ويحل أية مشكلات ، ويوجه الخدام والشعب للسلوك المسيحى السليم والعقيدة القويمة بعظاته وتعليمه (٦١) ... **وكانت إقامة الأسقف تتم بانتخاب الشعب . وقد تكلمت تعاليم الرسل Didache (٦٢) وقوانين الرسل كثيراً عن الأسقف وإقامته وعمله وخدمته (٦٣) .**

وقد أورد القديس بولس فى رسالته الأولى إلى تيموثاوس ، وفى رسالته إلى تيطس ، الصفات الواجب توافرها فى الأسقف . وقبل أن نتكلم عن هذه الصفات ، نشير إلى ملاحظة هامة ، وهى أن **هذه الوظيفة — فى مفهومها**

---

(٦٠) انظر : ١ تى ٣ : ٢ - ٧ ؛ تى ١ : ٦ - ٩ .

(61) Harnack, Missions ..., p. 445.

(62) Didache, 15.1 - See A.N.F., Vol. 7, p. 381 (Footnote).

(63) Apostolical Constitutions (A.N.F., Vol. 7).

الرسولى ــ لم تكن وظيفة عنجهية وعظمة عالمية وكرامة فريسية ... إن احيطت بهالة من الكرامة ، فهى كرامة النعمة والفضيلة وحياة الزهد والبذل ... وليست الكرامة المفروضة على الشعب ، كضريبة يؤدونها صاغرين ... وهكذا نفهم كلمات الرسول بولس : « إن ابتغى أحد الأسقفية فيشتهى عملاً صالحاً » (١ تى ٣ : ١) ، لأنه فى هذه الحالة يشتهى حياة الخدمة والبذل والفقر ... « أنتم مكرمون وأما نحن فبلا كرامة . إلى هذه الساعة نجوع ونعطش ونعرى ... صرنا كأقذار العالم ووسخ كل شىء » (١ كو ٤ : ١٠-١٣) .

وأما الصفات الواجب توافرها فى الأسقف ، فيمكن تلخيصها فيما يلى :

● **صفة عامة تختص بالفضيلة :** عدّد الرسول بولس عدة فضائل ينبغى أن يتحلى بها مَنْ يؤهل لهذه الدرجة السامية ، ثم عاد وأجملها فى عبارة واحدة مقتضبة **« يجب أن يكون الأسقف بلا لوم كوكيل الله » (تى ١ : ٧)** ... ما أكبر **الحروف التى ينبغى** أن تكتب بها هذه العبارة القصيرة الجامعة .. ما أرهب الدرجة ، وما أخطر المسئولية والدينوية المرتبطة بها ... **« بلا لوم كوكيل الله » !!** لا تحتاج هذه العبارة إلى مزيد من الكلمات التفسيرية ، بقدر ما تتطلب دراسة جدية ، ووقفات طويلة تأملية !!

● **صفة تختص بالعلم والتعليم :** وعن هذا قال معلمنا بولس « ملازماً للكلمة الصادقة التى بحسب التعليم ، عاكفاً على القراءة » (١ تى ٤ : ١٣) ... والرسول لا يشترط فى الأسقف أن يكون هو نفسه متعلماً ، فهذا وحده لا يكفى . لكنه يشترط أن يكون هو نفسه ملازماً للعلم وصالحاً للتعليم ، وبعبارة أخرى قادراً على تعليم الآخرين . وهذا التعليم لا يقتصر على المؤمنين وحدهم ، بل يتعداهم إلى الخارجين عن الإيمان « لكى يكون قادراً أن يعظ بالتعليم الصحيح ، ويوبخ المناقضين » (تى ١ : ٩) .

● **صفة خاصة من جهة محبة المال :** ويؤكد الرسول بولس على هذه النقطة فى رسالتيه إلى تيموثاوس وتيطس « ولا طامع بالربح القبيح ... ولا محب للمال »

(١تى٣ : ٣ ؛ تى١ : ٧) ... ونفس الأمر يشير إليه الرسول بطرس إلى الكهنة « إرعوا رعية الله التى بينكم نظاراً ، لا عن إضطرار بل بالاختيار ، ولا لربح قبيح بل بنشاط ، ولا كَمَنْ يتسلط على ميراث الله ، بل صائرين أمثلة للرعية » (١بط ٥ : ٢ ، ٣) .

● **صفة من جهة الخارجين عن الإيمان :** يقول الرسول : « يجب أيضاً أن تكون له شهادة حسنة من الذين هم من خارج » ... لماذا ؟ لأن هؤلاء هم من صميم إختصاصه ومسئوليته ، ويجب أن يأتى بهم إلى الحظيرة ... هو ليس أسقفاً على المؤمنين وحدهم ، بل عليه واجِب ومسئولية من نحو غير المؤمنين « ولى خراف أخر ليست من هذه الحظيرة ، ينبغى أن آتى بتلك أيضاً ... وتكون رعية واحدة وراع واحد » (يو١٠ : ١٦) .

(ب) القسوس :

ويذكرون فى العهد الجديد ، أحياناً باسم « **قسوس** » (أع ١٤ : ٢٣ ؛ ٢٠ : ١٧) ، وأحياناً باسم « **شيوخ أو مشايخ** » [٦٤] ... وقد أشارت إليهم **قوانين** الرسل فى كثير من المواضع [٦٥] . **وقد حدث هذا التعدد فى الأسماء والخلط بينها ، لأن القسوس كانوا أصلاً يختارون من الشيوخ كبار السن .** فكلمة شيخ هى ترجمة حرفية للكلمة اليونانية Presbyteros ، وهى تعريب للكلمة السريانية قشيش (قسيس) ... **فحينما يذكرون فى العهد الجديد باسم قسوس ، فهذا يوضح رتبتهم الكهنوتية ، وحينما يذكرون تحت اسم شيوخ أو مشايخ ، فهذا يعبر عن تقدمهم فى السن ...**

والأمر أوضح فى الرسالة الأولى إلى الأسقف تيموثاوس ... **فحينما قال له بولس : « لا تزجر شيخاً** بل عظه كأب ، والأحداث كأخوة ، والعجائز كأمهات ،

(٦٤) انظر : أع ١١ : ٣٠ ؛ ١٥ : ٤ ، ٢٣ ؛ ١٦ : ٤ ؛ ٢١ : ١٨ ؛ ١تى ٥ : ١٧ ؛ تى١ : ٥ ؛ يع ٥ : ١٤ ؛ ١بط ٥ : ١ .

(65) Apostolical Constitutions 2. 26, 57, 58; 3. 20; 8. 116.

وَالأحداث كأخوات بكل طهارة » (١تى ٥ : ١ ، ٢) ، كان يقصد بالشيخ هنا ، مَنْ هو متقدم فى السن ... وبعد قليل — وفى نفس الأصحاح — حينما قال له : « أما الشيوخ المدبرون حسناً ، فليحسبوا أهلاً لكرامة مضاعفة ، ولا سيما الذين يتعبون فى الكلمة والتعليم ... لا تضع يداً على أحد بالعجلة ... » (١تى ٥ : ١٧ ، ٢٢) ، كان يقصد القسوس القائمين بالخدمة الكنسية (٦٦) ويحسن فى مثل هذا الوضع أن تترجم الكلمة اليونانية بعبارة (قسوس) وليس بعبارة (شيوخ) . وهكذا يوجد فى الترجمات غير البروتستانتية للكتاب المقدس .

وكانت تناط بالقسوس بعض الأعمال الرعوية ، والتعليم ، وخدمة الأسرار الكنسية المتصلة بالكهنوت ... وقد دعت الضرورة إلى سيامتهم بوضع اليد من الرسل وخلفائهم الأساقفة ، لما إزداد عدد المؤمنين ، وكثرت الكنائس ولم يعد ممكناً أن يؤدى الرسل ثم الأساقفة ، الخدمة المتسعة المتزايدة ...

(جـ) الشمامسة :

والشمامسة كلمة معربة عن السريانية ، وتعنى خادم دينى ، ويقابلها اللفظ اليونانى دياكون Diakonos . وتقابلنا كلمة شمامسة فى رسائل القديس بولس (٦٧)

---

(66) Wuest, The Pastoral Epistles, pp. 77, 85, 86; Studies in first and second Epistles of St. John, p. 199.

(٦٧) الكلمة اليونانية دياكونية Diakonia وفعلها Diakonein يخدم ، استخدما فى العهد الجديد ليصفا أنواعاً مختلفة من الخدمة . وهناك كلمة يونانية أخرى تطلق على الخدم وهى doulos ، وتقابلها الكلمة الإنجليزية servant وكلمة دياكونية فى المعنى الحرفى تتصل بالاحتياجات الجسدية . هكذا عبر بها الرسل عن خدمة الموائد . ولكنها استخدمت فيما بَعْد للدلالة على معانى أوسع تشمل كل أنواع الخدمات الزمنية والروحية . واستخدمها رب المجد حينما قال : « إن ابن الإنسان لم يأت ليُخدم diakonêthênai بل ليخدم diakonêsai » . وأيضاً حينما قال : « أنا بينكم كالذى يخدم » (مت ٢٠ : ٢٨ ؛ لو٢٢ : ٢٧) . ويستخدمها القديس بولس حينما يتكلم عن نفسه وعن شركائه فى الخدمة للتعبير عن خدمة الكلمة ، والاحتياجات المادية . وقد إستخدمت أيضاً للتعبير عن الخدمة التى كانت النساء يقدمنها للسيد المسيح (مر١ : ٣١) ، وعن خدمة مرثا (لو١٠ : ٤٠ ؛ يو١٢ : ٢) ... لكن سرعان ما خصصت هذه الكلمة للتعبير عن خدمة معينة فى الكنيسة ، هى المعروفة بخدمة الدياكونية أو الشماسية . (انظر : فى١ : ١ ؛ ١تى٣ : ٨ ؛ ١٠ ؛ ١٢ ، ١٣) ، وأيضاً :

The Ministry of Deaconesses, pp. 1-3.

... وكانت إقامتهم فى بادىء الأمر لخدمة الموائد (خدمة الفقراء المادية) ... وقد أقيموا بانتخاب المؤمنين تحت شرط أن يكونوا مملوءين من الروح القدس وحكمة. ثم قدموهم للآباء الرسل، فصلوا ووضعوا أياديهم عليهم.

كان مَـــنْ سامهم الرسل فى بادىء الأمر لهذه الدرجة الكهنوتية، عددهم سبعة، كان أبرزهم استفانوس (أع ٦ : ١-٨) ... وقد حذت الكنائس الأخرى حذو كنيسة أورشليم الأم فى إقامة الشمامسة للمساعدة فى الخدمة ... البعض تقيد بالعدد سبعة، والبعض لم يتقيد ... وقد ظلت كنيسة روما ـــ ولعدة قرون ـــ متمسكة بإقامة سبعة شمامسة فقط [٦٨].

كانت الشماسية درجة كهنوتية سامية، ووظيفة بارزة فى كنيسة الرسل، وليس كما نرى الآن بعد أن كادت هذه الرتبة بالمفهوم الرسولى الإنجيلى أن تندثر ... كان للشمامسة خدمة قوية مثمرة ... وإن كنا نقرأ عن هؤلاء الشمامسة، أنه أنيطت بهم فى بادىء الأمر خدمة الموائد الجسدية، **لكنهم كانوا يمارسون التعليم والكرازة** ... نقرأ فى سفر أعمال الرسل ـــ كمثال ـــ عن استفانوس وخطابه الكرازى القوى (أع ٦، ٧)، ومنه نلمس ـــ إلى جانب الروحانية العجيبة والقلب الملتهب ـــ ثقافته الدينية العالية ... ونقرأ أيضاً ـــ كمثال ـــ عن فيلبس أحد السبعة شمامسة، وجهوده الكرازية (أع ٨ : ٥- ٨، ٢٦-٤٠) ... وإلى جانب ذلك نقرأ عن الآيات والمعجزات التى كان الرب يجريها على أيدى هؤلاء الشمامسة. وقد أشارت تعاليم الرسل وقوانينهم إلى الشمامسة وخدمتهم [٦٩].

كان الشمامسة يقومون بالخدمة الخاصة بهم فى القداس الإلهى أثناء تقديس الأسرار، وفى الخدمات الطقسية الأخرى المرتبطة بالكهنوت فى حدود رتبتهم. كانوا يحملون الجسد والدم إلى بيوت مَنْ عاقتهم ظروفهم عن حضور خدمة القداس. ومعظم هؤلاء من المرضى. هكذا يشهد أغناطيوس الأنطاكى الشهيد فى رسالته إلى

---

(68) Eusebius, H.E., 6. 43. 11; Schaff, Vol. 1, p. 499.

(69) Didache, 15; Apostolical Constiutions, 2:26. 29. 30, 31. 44. 57:3. 19; 8. 18.

الترالين [٧٠] ، و يوستينوس الشهيد فى دفاعه الأول [٧١] .

هكذا كان الشمامسة يقومون بخدمة نشيطة متعددة الجوانب ... فإلى جانب خدمة الفقراء ، كانوا يسهمون فى خدمة الليتورجية ، كما كانوا يساعدون الأسقف فى الشئون الإدارية للجماعة المسيحية . ولعل ذلك يفسر لنا سبب وضوح عمل الشماسية عن القسيسية أحياناً ، فى تلك الفترة المبكرة من تاريخ الكنيسة [٧٢] .

هل القسوس هم الأساقفة ؟

جميع الطوائف البروتستانتية ، ومَنْ سار فى فلكها ، ممَنْ تنكر الكهنوت المسيحى ، تعتقد وتعلم أن القسوس (الشيوخ أو المشايخ) هم عينهم **الأساقفة** . **وإن هذه الأسماء الثلاثة : شيخ ، قس ، أسقف ، إنما هى ثلاثة مدلولات لوظيفة كنسية واحدة** ... وقالوا فيما قالوا ، أن تسمية قسيس ربما عبرت عن الرتبة ، بينما تسمية أسقف عبرت عن واجبات هذه الوظيفة . وأن الأولى أخذت عن المجمع اليهودى ، والثانية عن الجماعات اليونانية ...

أما مصدر هذا الإعتقاد فهو :

* المقارنة بين (أع ٢٠ : ١٧) ، (أع ٢٠ : ٢٨) ، حيث يدعى نفس الأشخاص بالتسميتين (قسوس وأساقفة) .

* مقارنة (١ تى ٣ : ١ - ٧) مع (١ تى ٥ : ١٧ - ١٩) ، حيث الأولى تصف مؤهلات الأساقفة ، بينما توضح الثانية تنظيمات باسم الشيوخ .

* أن القديس بولس الرسول يوجه رسالة فيلبى إلى الأساقفة والشمامسة ، دون أى ذكر للقسوس (فى ١ : ١) .

---

(70) Ignatius, Epistle to the Trallians, 2.

(71) Justin Martyr, 1 Apol., 65, 67.

(72) Schaff, Vol. 1, p. 500.

* وأن القديس بولس ، فى رسالته إلى تيطس بعدما تكلم عن الشيوخ إنتقل فجأة للحديث عن مؤهلات الأسقف (تى ١ : ٥-٧) ، مما يشعر بأن التسميتين لنفس الأشخاص والوظيفة ... هذا **هو مدعاة إعتقادهم** (٧٣) .

لكننا سنرى أن الأساقفة ، كانوا منذ عصر الرسل ، رتبة أخرى غير القسوس المدعوين فى ترجمة العهد الجديد البيروتية البروتستانتية ، شيوخاً ومشايخ ، وأن رتبة الأسقفية أسمى من رتبة القسيسية (٧٤) .

١ - أول ما تقابلنا كلمة « **شيخ** » (*) فى سفر أعمال الرسل ، حينما أرسلت كنيسة أنطاكية تقدمتها إلى « المشايخ (*) (فى كنيسة أورشليم) بيد برنابا وشاول » (أع ١١ : ٣٠) . وكان ذلك بسبب المجاعة التى تنبأ عنها النبى أغابوس ... وبمقارنة هذا النص بما ورد فى (أع ٤ : ٣٥) ، عن الأموال التى كان المؤمنون يضعونها تحت أقدام الرسل ، يتضح لنا حدوث تحول فى نوع الخدمة التى كان الرسل مسئولين عنها فى بادىء الأمر ... لقد إنتقلت هذه الخدمة (قبول العطايا المادية) ، من الرسل إلى المشايخ (*) .

ولما برزت مشكلة التهود فى الكنيسة الأولى ، وكان أول ظهورها فى أنطاكية ، رتب الإخوة المؤمنون فى أنطاكية أن « يصعد بولس وبرنابا وأناس آخرون منهم إلى **الرسل والمشايخ** (*) إلى أورشليم من أجل هذه المسألة . ولما حضروا إلى أورشليم قبلتهم الكنيسة **والرسل والمشايخ** » ... وما لبث مجمع أورشليم أن انعقد « فاجتمع **الرسل والمشايخ** (*) لينظروا فى هذا الأمر » . وبعد فحص الموضوع : « رأى **الرسل والمشايخ** (*) مع كل الكنيسة أن يختاروا رجلين منهم ، فيرسلوهما إلى أنطاكية مع بولس وبرنابا » ... أما صيغة الرسائل فكانت ... « **الرسل**

---

(73) Encyclopadia of Religion and Ethics, Vol. 2, p. 660; Schaff, Vol. 1, pp. 491-496.
انظر أيضاً : كتاب الكهنوت لعوض سمعان البليموثى .

(74) Histoire de l'Eglise, T. 1, pp. 270-274.

(*) يمكن وضع كلمة (قسيس) هنا بدلاً من كلمة « شيخ » ، وكلمة « قسوس » بدلاً من كلمتى شيوخ ومشايخ .

والمشايخ (*) والإخوة يهدون سلاماً إلى الإخوة الذين من الأمم فى أنطاكية » (٧٥) ... وبعدها يقول كاتب سفر الأعمال : « وإذ كانوا يجتازون فى المدن ، كانوا يسلمونهم القضايا التى حكم بها **الرسل والمشايخ** (*) الذين فى أورشليم ليحفظوها » (أع ١٦ : ٤) .

مَنْ يكون إذن هؤلاء المشايخ (*) الذين تكرر ذكرهم فيما يتصل بمجمع أورشليم إلى جوار الرسل ؟ هل هم الأساقفة ؟ ثابت تاريخياً أنه لم يكن هناك حتى ذلك الوقت سوى يعقوب البار أسقفاً على أورشليم . فمَنْ يكون هؤلاء سوى الكهنة القسوس ، الذين تحولت إليهم بعض الخدمة التى كان الرسل يقومون بها أولاً كما ذكرنا ... وبالتأكيد ، لم يكونوا الشمامسة ، فهؤلاء أمرهم واضح ...

٢ - وفى سـنة ٥٨ حضر القديس بولس إلى أورشليم حاملاً معه إحسانات كنائسه الأممية ، إلى فقراء أورشليم ، وقابل القديس يعقوب أسقف أورشليم ، وحضر جميع المشايخ (*) تلك المقابلة (أع ٢١ : ١٨) . فمَنْ يكون هؤلاء المشايخ الذين حضروا مع أسقف أورشليم ، إلاَّ الكهنة القسوس .

٣ - ولا ينبغى أن يتبادر إلى الأذهان ، أن هؤلاء الشيوخ كانوا من الوجهاء والأراخنة المتقدمين أو الأعضاء البارزين . فنفس القديس يعقوب أسقف أورشليم ، يكشف فى رسالته الجامعة التى تحمل اسمه ، الدور الذى كان لهؤلاء القسوس فى الكنيسة ، فيقول : « أمريض أحد بينكم فليدع شيوخ (قسوس) الكنيسة فيصلوا عليه ، ويدهنوه بزيت باسم الرب . وصلاة الإيمان تشفى المريض والرب يقيمه ، وإن كان قد فعل خطية تغفر له » (يع ٥ : ١٤ ، ١٥) ... هكذا نرى أن هؤلاء الشيوخ (القسوس) لا يمكن أن يكونوا مجرد أعضاء بارزين فى وسط الجماعة المسيحية ، بل هم خدام منوط بهم وظيفة دينية طقسية ، ولهم القدرة على منح نعم روحية (٧٦) ... وحديث معلمنا بولس الرسول فى ميليتس إلى قسوس أفسس ، شاهد قوى على وظائفهم الرعوية (أع ٢٠ : ٢٨-٣١) .

---

(٧٥) انظر : أع ١٥ : ٢ ، ٤ ، ٦ ، ٢٢ ، ٢٣ .

(76) Histoire de l'Eglise, T. 1, pp. 270, 271.

٤ ـ الربط الظاهرى السطحى بين (أع ٢٠ : ١٧) « ومن ميليتس أرسل إلى أفسس واستدعى **قسوس الكنيسة** » ، وبين (أع ٢٠ : ٢٨) حيث يدعوهم أساقفة « إحترزوا إذن لأنفسكم ولجميع الرعية التى أقامكم الروح القدس فيها **أساقفة** لترعوا كنيسة الله التى إقتناها بدمه » ... هذا الخلط نتج من الترجمة العربية لكلمة episkopos اليونانية إلى أسقف. فهذه الكلمة فى اليونانية ــ كما قلنا سابقاً ــ تعنى « ناظر » overseer ، « مدير » superintendent [٧٧] ، « معتنى » one who exercises care over أو « قيّم » guardian [٧٨] . فلماذا ترجمت إلى العربية فى هذا المَوضع بكلمة أسقف ، وهو ليس المعنى الوحيد للكلمة ؟ هذا ، بينما ترجمت نفس الكلمة اليونانية فى (١ بط ٥ : ٢) « نظاراً » ... « إرعوا رعية الله التى بينكم نظاراً ، لا عن إضطرار بل بالإختيار » ...

وفى الترجمة الإنجليزية مثلاً ، نجد أن هذه الكلمة فى الآية المذكورة (أع ٢٠ : ٢٨) ، لم تترجم بكلمة bishops أى أساقفة ، بل ترجمت إلى المعانى الأخرى التى تعنيها هذه الكلمة ــ فترجمت guardians [٧٩] ، وترجمت فى أحدث ترجمة لجامعتى إكسفورد وكامبريدج [٨٠] : which the Holy spirit has given you charge ...

كما أن كلمة أسقف التى وردت فى الترجمة العربية للآية (١ بط ٢ : ٢٥) « لأنكم كنتم كخراف ضالة ، لكنكم رجعتم الآن إلى راعى نفوسكم **وأسقفها** » ، لمْ ترد فى الترجمات الأخرى هكذا . فوردت فى الترجمة الإنجليزية guardian وليس bishop . ووردت فى الترجمة الفرنسية gardien وليس évêque كما فى الآيات الأخرى التى تتكلم عن الأسقف كرتبة كهنوتية .

(*) نفس الهامش السابق بخصوص كلمات شيخ وشيوخ ومشايخ .

(77) Young's Analytical Concordance to The Bible.

(78) Wuest, The Pastoral Epistles, p. 52.

(79) The Revised Standord Version; Moffatt, A New translation of the Bible.

(80) Oxford and Cambridge; The New English Bible.

واضح إذن من كل ما سبق أن كلمة « **أساقفة** » الواردة فى الترجمة العربية للآية (أع ٢٠ : ٢٨) ، لا تعنى الرتبة الكهنوتية بحسب مفهوم الكلمة ، بل المقصود هو المعنى اللغوى للكلمة على النحو الذى ذكرناه . ولعل أكبر دليل على صدق رأينا هذا ، هو أن القديس لوقا كاتب سفر الأعمال قال عن بولس أنه : « إستدعى قسوس الكنيسة » ... وقد فهمت الكنيسة منذ القديم الآية المذكورة على هذا النحو ... فالقديس يوحنا الذهبى فمه ـــ وهو من أئمة التفسير فى الكنيسة الجامعة ـــ فى تفسيره لهذه الآية ، لا يذكر كلمة أساقفة ، بل نظار [٨١] .

٥ ـ **أما الإدعاء بأن القديس بولس لم يشر إلى القسوس بينما ذكر شروط الأسقف والشمامسة فى رسالته الأولى إلى تيموثاوس** (١ تى ٣ : ١-١٣) ، **فهو** إدعاء غير صحيح ... فالواقع أن مار بولس تكلم فى نفس الرسالة عن القسوس تحت اسم الشيوخ ، فقال : « أما الشيوخ (القسوس) المدبرون حسناً ، فليحسبوا أهلاً لكرامة مضاعفة ، ولا سيما الذين يتعبون فى الكلمة والتعليم ... لا تقبل شكاية على شيخ (قس) إلاَّ على شاهدين أو ثلاثة شهود » ... ولئلا يظن أحد أنه قصد بالشيوخ كبار السن (كما فى ١ تى ٥ : ١) ، قال بعدها مباشرة : « لا تضع يداً على أحد بالعجلة ولا تشترك فى خطايا الآخرين » ... وواضح أنه يقصد بوضع اليد هنا الرسامة الكهنوتية ، ـــ كما سنشرح ذلك فيما بعد .

وجديراً بالذكر أن القديس بولس ، غالباً ما يشير إلى القسوس فى رسائله الأخرى بحسب الخدمات التى كانوا يقومون بها . فيذكر مدبرين [٨٢] ، ورعاة ومعلمين [٨٣] ، وأساقفة وشمامسة (فى ١ : ١) ، ومرشدين [٨٤] . وفى (١ تى ٥ : ١٧) يذكر « الشيوخ [٨٥] المدبرين حسناً » [٨٦] .

---

(81) Homily 44 on the Acts (N.P.N.F., Vol 11, p. 269).

(٨٢) ١ تس ٥ : ١٢ ؛ رو ١٢ : ٨ .

(٨٣) أف ٤ : ١١ .

(٨٤) عب ١٣ : ٧ ، ١٧ ، ٢٤ .

(٨٥) وتترجم القسوس أيضاً .

(86) Histoire de l'Eglise, T. 1, p. 271.

٦ ـ القديس بولس ، يوجه رسالته إلى فيلبى إلى « جميع القديسين فى المسيح يسوع الذين فى فيلبى مع أساقفة وشمامسة » (فى ١ : ١) ــ وليس هناك أى ذكر أو أشارة إلى القسوس . ومن الملاحظ أن القديس بولس فى كل مرة تكلم فيها عن الأسقف بالمعنى الكهنوتى ذكره بصيغة المفرد (٨٧) . أما عن القسوس (الشيوخ) ، فلم يرد ذكرهم فى كتابات العهد الجديد ، سواء لبولس أو لكاتب سفر الأعمال أو لغيرهما إلاَّ بصيغة الجمع (٨٨) ... والمرات الوحيدة التى وردت فيها كلمة شيخ فى صيغة المفرد ، قصد بها شيخوخة السن وليس وظيفة القسيس الكهنوتية (٨٩) وفى هذا دليل على سمو رتبة الأسقفية عن القسيسية ، والدرجة الأسمى عدد وظائفها أقل من الأدنى منها ...

من أجل هذا فإن أولئك الذين ذكرهم القديس بولس فى (فى ١ : ١) على أنهم أساقفة ، هم فى الواقع قسوس وليسوا أساقفة . وهو فى هذه الحالة يخاطب هؤلاء القسوس باعتبار خدمتهم وعملهم الرعوى . ومن ناحية أخرى ، فإن التقليد القديم جداً منذ تأسيس الكنيسة إستقر على أن يقام أسقف واحد على مدينة واحدة ، أو على إقليم (عدة مدن) ... أما القديس يوحنا الذهبى فمه ــ وهو من أعمدة التفسير فى الكنيسة الجامعة ــ فيرى ــ إلى جانب ما ذكرنا ــ أن مار بولس كان يعنى بالأساقفة القسوس ، لأن العادة كانت أن يتبادل الخدام الألقاب ... يقول فى تفسيره للآية (فى ١ : ١) : [يقول (مار بولس) إلى شركائى (٩٠) الأساقفة والشمامسة . ما هذا ، هل كان هناك أساقفة عديدون لمدينة واحدة ؟ **قطعاً لا** . لكنه دعا القسوس هكذا ، لأنهم كانوا يتبادلون الألقاب . وكان الأسقف

---

(٨٧) ١ تى ٣ : ٢ ؛ تى ١ : ٧ .

(٨٨) انظر : أع ١١ : ٣٠ ؛ ١٤ : ٢٣ ؛ ١٥ : ٤ ، ٢٣ ؛ ١٦ : ٤ ؛ ٢٠ : ١٧ ؛ ٢١ : ١٨ ؛ ١ تى ٥ : ١٧ ؛ تى ١ : ٥ ؛ يع ٥ : ١٤ ؛ ١ بط ٥ : ١ .

(٨٩) ١ تى ٥ : ١ ؛ فل ٩ ؛ ٢ يو ١ ؛ ٣ يو ١ ــ انظر :
Wuest, The Pastoral Epistles, p. 77; The Second and Third Epistles of John, p. 199.

(٩٠) « شركائى » ، هكذا هى موجودة فى عدد كبير من المخطوطات القديمة للعهد الجديد .

يدعى خادماً (٩١) . ولهذا السبب ، فحينما كتب إلى تيموثاوس ــ وهو أسقف ــ قال له : « تمم خدمتك » . أما كونه أسقفاً فيتضح من قوله له : « لا تضع يدك على أحد بالعجلة » (١ تى ٥ : ٢٢) ، وأيضاً : « المعطاة لك بوضع أيد المشيخة » (١ تى ٤ : ١٤) . ومع ذلك فلا يمكن أن يكون القسوس (الشيوخ) قد وضعوا أيديهم على أسقف ... لذلك ــ وكما قلت ــ فقد دعى القسوس قديماً أساقفة ، وخداماً للمسيح . ودعى الأساقفة شيوخاً ... ولكن فيما عدا ذلك فالاسم الخاص مخصص بوضوح لكل منهم] (٩٢) .

٧ ـ أما ما جاء فى (تى ١ : ٥ ـ ٧) « م أجل هذا تركتك فى كريت لكى تكمل ترتيب الأمور الناقصة ، **وتقيم فى كل مدينة شيوخاً (قسوساً)** كما أوصيتك . إن كان أحد بلا لوم ... **لأنه يجب أن يكون الأسقف** بلا لوم كوكيل الله » ... فالقديس بولس يتكلم أولاً عن القسوس ، ثم ينتقل فجأة ليتكلم عن الأسقف ، مما يوحى للبعض أن القسوس والأساقفة هم درجة واحدة .

ونلاحظ هنا ، أنه فى الوقت الذى يتكلم فيه عن إقامة شيوخ (قسوس) بصيغة الجمع ، ينتقل فجأة لكلام عن الأسقف بصيغة المفرد ... أما السبب فى ذلك فهو لأن الكنيسة درجت على إختيار الأساقفة من بين القسوس (٩٣) ... ووضعت شروطاً خاصة لمَنْ يرقى لهذه الدرجة السامية ... فلا تعارض بين النصين ، ولا خلط بين الرتبتين والوظيفتين ... ومازالت الكنيسة حتى الآن تمارس الترقية من درجة كهنوتية إلى أخرى .

يقول الأستاذ كينيث وست (٩٤) Kenneth Wuest فى شرحه للاصحاح الخامس من الرسالة الأولى إلى تيموثاوس ، مستشهداً برأى أستاذ آخر يدعى فنسنت Vincent ،

---

(٩١) باليونانية Diakonos ، وهى أيضاً الكلمة المستخدمة للتعبير عن الشماس .

(92) N.P.N.F., Vol. 6, Homily 1, p. 184.

(93) Carrington, Vol. 1, p. 269.

(٩٤) أستاذ الدراسات اليونانية للعهد الجديد فى معهد مودى للكتاب المقدس فى شيكاغو بالولايات المتحدة الأمريكية .

يقول : **[إن النقد الحديث ، يضطرنا ــ كما أعتقد ــ أن نتخلى عن فكرة وحدة الأسقف والشيخ (القس)]** . ويستشهد بشهادة القديس أكليمنضس الرومانى ، فى أن الأساقفة متميزين عن القسوس . **وإذا كان الأساقفة يشار إليهم بوضوح كقسوس ، فما ذلك إلاً لأنهم كانوا يختارون من بين جماعة القسوس ، وظلوا يحتفظون بالاسم حتى بعد أن تركوا الوظيفة (*)** .

" Vincent presents a strong case for his assertion, that modern criticism Compels us, I think. to abondon the view of the identity of bishop and presbyter. He cites the testimony of Clement of Rome to the effect that bishops are distinguished from the presbyters, and if the bishops are apparently designated as presbyters, it is because they have been chosen from the body of presbyters, and have retained the name even when they have ceased to hold office " (٩٥) .

وفى تفسيره (تى ١ : ٥ ــ ٧) يورد الأستاذ وست Wuest أيضاً رأى الأستاذ فنسنت الذى يقول : [إن معنى الوصية ، هو أن يختار تيطس من بين مجموعة الشيوخ (القسوس) ذوى السمعة الطيبة ، بعضاً ، ليكونوا نظاراً (أساقفة) على الكنائس فى المدن المتعددة (٩٦) ... ونفس المعنى يورده أيضاً المؤلف فى معرض حديثه عن (٢يو١) فيقول : [من بين رتبة هؤلاء (القسوس) ، كان يختار الأساقفة » (٩٧) .

درجات الكهنوت الثلاثة فى كتابات الآباء الرسوليين :

نلاحظ أن درجات الكهنوت الثلاثة (الأسقفية والقسيسية والشماسية) ،

(*) كلمة قسوس هنا يمكن أن تحمل المعنى العام أى كهنة كما يقال عن قائد الجيش أنه جندى .

(95) Wuest, The Pastoral Epistles, p. 77.

(96) Ibid, p. 183; Carrington, Vol. 1, p. 269; Daniélou, Vol. 1, p. 37.

(97) Wuest, Studies in 2 John, p. 199.

واضحة كل الوضوح فى **كتابات الآباء الرسوليين** ، ونقصد بهم تلاميذ الرسل ومعاصريهم . **ونكتفى بعينتين من كتابات القديسين كليمنضس الرومانى ، وأغناطيوس الأنطاكى الشهيد** ...

● **يقول كليمنضس فى رسالته إلى كنيسة كورنثوس :** [والرسل ... بعد أن كرزوا فى الأقاليم والمدن ، أقاموا باكورة أعمالهم — بعد أن اختبروهم فى الروح — أساقفة وشمامسة لأولئك الذين سيؤمنون فيما بعد ... طوبى لأولئك القسوس (الشيوخ) ، الذين أكملوا قبل الآن (تنيحوا) ، فقد كان إنتقالهم من هذا العالم مثمراً وكاملاً] (٩٨) .

● **أما أغناطيوس الشهيد ، فقد أشار مراراً فى رسائله إلى درجات الكهنوت الثلاثة :**

(أ) يقول **فى رسالته إلى أهل أفسس :** [يليق بكم أن تكونوا باتفاق مع إرادة **الأسقف** الذى يدبركم ، بعد أن أقامه الله عليكم ، الأمر الذى تفعلونه بالحقيقة من تلقاء أنفسكم ، حيث أن الروح يعلمكم أن **قسوسكم** الذائعى الصيت كما يليق بالله ، منسجمون مع **الأسقف** ، إنسجام الأوتار بالقيثارة] (*) .

(ب) **وفى رسالته إلى التراليين** يقول : [إخضعوا للأسقف كما للرب ، لأنه يسهر لأجل نفوسكم ، كإنسان سيعطى حساباً لله . من الضرورى إذن — مهما فعلتم — ألاّ تفعلوا أمراً بدون **الأسقف** . واخضعوا **للقسوس** كما لرسل يسوع المسيح رجائنا ... ويليق بكم أيضاً — من كل وجه — أن ترضوا **الشمامسة** الذين هم خدام أسرار يسوع المسيح . فهم ليسوا خدام طعام وشراب ، بل خدام كنيسة الله] (**) .

(جـ) ومن **رسالته إلى أهل فيلادلفيا :** [لى ثقة بكم فى الرب ، أن لا تتحولوا عن ذهنكم — وأكتب إليكم واثقاً فى محبتكم اللائقة بالله ، حاثاً إياكم أن

(98) Clement of Rome, Epistle to the Corinthians, 42, 44. (A.N.F., Vol. 1, pp. 16, 17).

(*) A.N.F., Epistle of Ignatuis to the Ephesians, Ch. 4, p. 50.

(**) A.N.F., Episte of Ignatuis to the Trallians, Ch. 2, pp. 66, 67.

يكون لكم إيمان واحد ... وافخارستيا واحدة. فإنه ليس هناك سوى جسد واحد لربنا يسوع المسيح ، ودمه الواحد الذى سُفِكَ عنا ... ومذبح واحد للكنيسة كلها . **أسقف واحد مع القسوس والشمامسة** شركائى فى الخدمة] (***) .

(د) ويذكر فى قصة إستشهاده ، أنه بعد أن وصل إلى سميرنا (أزمير) ، إستقبله هناك **الأساقفة والقسوس والشمامسة** ، الذين أسرعوا من الجهات المتاخمة للقائه والتبرك منه (٩٩) .

خدمة النساء

سبق أن عرضنا لأثر المسيحية على المرأة ، ووضع المرأة فى الكنيسة المسيحية . لذا ، فليس غريباً أن نلمس خدمة النساء واضحة فى كنيسة الرسل ، ونقرأ عن نشاطهن. على أن ذلك لم يكن شيئاً مألوفاً فى مجتمع ذلك العصر ... لقد وجدت كاهنات فى بعض الديانات الوثنية ، ووجدت عذارى للآلهة فستا Vesta ، لكن دور المرأة اليهودية ــ فى الخدمة الدينية ــ كان ضئيلاً ومحدداً . والمرأة اليهودية لم تكن فى حال **أفضل** من هذه الزاوية ، إذ لم يكن يسمح لها بالمشاركة فى الخدمة الدينية . وباستثناء أمثلة نادرة ومتفرقة (١٠٠) ، **فإن المرأة فى اليهودية ، كانت بمعزل عن مجال الخدمة الدينية** . وليس أدل على ذلك من الغرابة التى تملكت تلاميذ السيد المسيح حينما رأوه ــ فى قصة السامرية ــ يكلم إمرأة (يو٤ : ٢٧) ... فلقد نظر معلمو اليهود فى ذلك العصر إلى المرأة نظرة إحتقار. لكن المسيحية رفعت من قدر المرأة .

(***) A.N.F., Epistle of Ignatuis to the philadelphians, Ch. 4, p.81.

(99) A.N.F., The Martyrdom of Ignatuis, Ch. 3, p. 130.

(١٠٠) مثل دبورة وخلدة النبيتين ــ انظر : قض ٤ : ٤ ؛ ٢ مل ٢٢ : ١٤ .

لقد أشرنا قبلاً إلى النساء اللاتى كن يخدمن الرب يسوع من أموالهن ... **هؤلاء** لم تتوقف خدمتهن له بانتهاء حياته الجسدية على الأرض . لكنهن قدمنها له شخص كنيسته المقدسة التى هى جسده . وحتى قبل مولد الكنيسة فى يوم الخمسين ، نرى مشاركة المرأة فى حياة الكنيسة وخدمتها . لقد قدمت مريم أم يوحنا الملقب مرقس (مار مرقس) بيتها فى أورشليم ليكون أول كنيسة مسيحية فى العالم (أع ١٢ : ١٢) . وهناك كانت النساء المؤمنات والعذراء الطاهرة مريم يواظبن على الصلاة مع الرسل ، منتظرين موعد الآب (أع ١ : ١٤) .

وخارج أورشليم ، نقرأ عن طابيثا فى يافا ، تلك التى كانت ممتلئة أعمالاً صالحة وإحسانات للفقراء والأرامل (أع ٩ : ٣٦) ، وبنات فيلبس المبشر الأربع اللائى كن يتنبأن فى قيصرية (أع ٢١ : ٨ ، ٩) ... ويحدثنا مار بولس فى رسالته إلى أهل فيلبى عن أفودية وسنتيخى اللتين جاهدتا معه فى الإنجيل (فى ٤ : ٢ ، ٣) ... ويشير مار بولس فى رسالته إلى أهل رومية عن خدمة النساء فى عاصمة الإمبراطورية ... فيذكر مريم التى تعبت كثيراً ، وتريفينا وتريفوسا التاعبتين فى الرب ... كما يذكر برسيس المحبوبة (رو ١٦ : ٦ ، ١٢) .

وفى كنيسة كورنثوس وجدت إثنتان من أنشط نساء العصر الرسولى خدمة هما بريسكلا وفيبى ... وقد خدمت الأولى مع زوجها أكيلا فى أفسس وروما وكورنثوس . وقد أقام بولس فى بيتهما فى كورنثوس مدة إقامته الطويلة هناك . ويتحدث عنهما بتقدير كبير فيقول : « اللذين وضعا عنقيهما من أجل حياتى » (رو ١٦ : ٤) .

أما فيبى فهى أيضاً من كنيسة كورنثوس ، ويذكرها القديس بولس فى الرسالة إلى أهل رومية ، وهى نفسها كاتبة هذه الرسالة ... « أوصى إليكم بأختنا فيبى التى هى خادمة الكنيسة التى فى كنخريا [١٠١] ، لكى تقبلوها فى الرب كما يحق للقديسين ... لأنها صارت مساعدة لكثيرين ، ولى أنا أيضاً » (رو ١٦ : ١ ، ٢) .

---

(١٠١) ميناء كورنثوس .

الشماســـات [١٠٢] :

تكلمنا عن النساء فى كنيسة الرسل ، وذكرنا بعض الأسماء . هؤلاء اللائى ذكرنا أسماءهن ، كن يعملن بغيرة قلبية ، لكننا لا نعتقد أنهن كن مكلفات من قبل الكنيسة ... **وأول إشارة تقابلنا فى العهد الجديد عن دياكونية المرأة ، هى المرتبطة بفيبى** ... يقول مار بولس فى (رو١٦ : ١) « أوصى إليكم بأختنا فيبى ، التى هى **خادمة الكنيسة** التى فى كنخريا » . والكلمة اليونانية التى ترجمت خادمة هى Diakonos وهى نفس الكلمة التى إستخدمت عن السبعة شمامسة (أع ٦) .

والقديس بولس فى رسالته إلى تلميذه الأسقف تيموثاوس ، فيما يتحدث عن صفات الشمامسة ، يشير إلى النساء « كذلك يجب أن تكون ذوات وقار غير ثالبات صاحيات أمينات فى كل شىء » (١تى٣ : ١١) . ويكاد يجمع جميع المفسرين القدامى والمحدثين ، على أن الرسول يتكلم هنا عن الشماسات ، وليس عن زوجات الشمامسة . يقول القديس يوحنا الذهبى فمه فى تفسيره لهذه الآية : [لقد ظن البعض أن هذا الكلام قد قيل عن النساء عامة . لكن الأمر ليس كذلك ... إنه يتكلم عن الشماسات] [١٠٣] ... ويؤكد الأستاذ وست Wuest أن النص اليونانى يؤكد وجهة النظر بأن الأمر يختص بالشماسات [١٠٤] .

أما الخدمة التى كانت الشماســة منوطة بها ، فهى خدمة بنات جنسها بصفة عامة ، كما نصت على ذلك قوانين الرسل . كانت تقوم على المداخل المؤدية إلى القسم المخصص للنساء فى مكان العبادة [١٠٥] . وكان من أعمالها الهامة ،

(102) Ency. of Religion and Ethics, Vol. 8, pp. 668, 669; Dictionary of Christian Antiquities Vol. 1, pp. 532, 533; The Ministry of Deaconesses, pp. 64-79.

(103) Commentary on 1 Timothy, Homily 11 (N.P.N.F., P. 441).

(104) Wuest, the Pastoral Epistles, p. 61.

(105) Apostolical Constitutions, 2. 57. (A.N.F., p.42).

مساعدة الكاهن فى عماد النساء فى الأمور واللحظات التى يجب أن يتنحى ، حتى لا يبصر جسد امرأة عارياً (١٠٦) ... وكان الأسقف يرسلها لإفتقاد النساء ، خاصة فى بيوت غير المؤمنين ، حيث يستحسن ألاّ يذهب الشماس الرجل للإفتقاد منعاً للعثرات (١٠٧) .

وقد أجملت قوانين الرسل خدمة الشماسة فى النص التالى [والشماسة فلتكن صاحية فى العناية بالنساء ، ويكون كلاهما (الشماس والشماسة) على استعداد لحمل رسائل ، للسفر ، وللخدمة] (١٠٨) ... وفى تقليد قديم أن فيبى شماسة كنيسة كنخريا هى التى حملت رسالة القديس بولس إلى أهل رومية ، بعد أن كتبها فى كورنثوس .

وقد إشترطت قوانين الرسل أن تكون الشماسة عذراء طاهرة ، أو على الأقل أرملة سبق لها الإرتباط بزيجة واحدة (١٠٩) **. ونلاحظ أن رتبة الشماسة فى الكنيسة ليست** درجة **كهنوتية ، فلا كهنوت للنساء . ولا توضع عليها الأيدى كما فى حالة الرسامات الكهنوتية . لكنها تقام من الأسقف ، ويتلو عليها صلاة ،** وردت فى قوانين الرسل (١١٠) ، جاء فيها :

« يا الله الأبدى ، أبا ربنا يسوع المسيح ، خالق الرجل والمرأة ، الذى ملأ بروحه مريم ودبورة وحنة وخلدة ، ولم تستنكف أن يولد ابنك الوحيد من امرأة ... إلخ » .

هكذا كانت الكنيسة الأولى حية لكل إحتياجاتها ، واستغلت كل طاقات أعضائها ، من أجل تحقيق الرعاية الكاملة لكل فرد فيها ... وعلى الرغم من الجمود الذى كان يتصف به المجتمع وقتذاك من جهة إحتجاب المرأة ووضعها ، فقد عرفت الكنيسة كيف تتغلب على هذه الصعوبات الإجتماعية ، التى كان لا سبيل

(106) Ibid, 3. 16. (A.N.F., p. 431).

(107) Ibid, 3. 2. (A.N.F., p. 431)

(108) Ibid, 3. 19. (A.N.F., p. 432)

(109) Ibid, 6. 17. (A.N.F., p. 457).

(110) Ibid, 8. 20 (A.N.F., p. 492).

لإصلاحها بكلمة واحدة ، أو فى زمن يسير...

لقد دخلت الكنيسة إلى حيث النساء والفتيات فى شخص الشماسات القديسات . ونحن لا نشك فى أن شطراً كبيراً من تعليم النساء والأطفال كان موكولاً إليها . وكانت هى همزة الوصل بين الكنيسة والقطاع النسوى فيها (١١١) .

الأرامـــــل (١١٢) :

أول ما نقرأ عن الأرامل فى الكنيسة المسيحية فى (أع ٦ : ١) ، فيما يتصل بموضوع إقامة السبعة شمامسة . ثم نقرأ عنهن فى قصة طابيثا (أع ٩ : ٣٩ ، ٤١) ... ويبدو أن رعاية الكنيسة لهن فى الفترة المبكرة من تاريخها كان ينحصر فى تقديم وجبات طعام يومياً (أع ٦ : ١) . لكن سرعان ما تزايد عدد الأرامل ، حتى أن الرسول بولس يعطى إهتماماً خاصاً لهن فى رسائله الرعوية . وإزاء تزايد الأعباء المادية على الكنيسة بسبب مساعدتها للأرامل ، كتب القديس بولس هكذا : « إن كان لمؤمن أو مؤمنة أرامل فليساعدهن ، ولا يثقل على الكنيسة لكى تساعد هى اللواتى هن بالحقيقة أرامل » (١ تى ٥ : ١٦) .

على أن ما يهمنا فى موضوع الأرامل ، ليس هو رعاية الكنيسة لهن مادياً ، فهذا أمر مفروغ منه ، ويتكلم عنه يعقوب الرسول على أنه الديانة الطاهرة (يع ١ : ٢٧) **... لكن الكنيسة الناشئة عرفت كيف تقوم بواجبها إزاء هذه الفئة البائسة ، وفى نفس الوقت رفعت من معنوياتهن ، واستفادت منهن بعد أن كن يشكلن عبئاً عليها ... لقد عرفت الكنيسة كيف تحول هذه الفئة إلى طاقة فعالة ضمن طاقاتها .**

---

(١١١) يقول المؤرخ شاف Schaff أن وظيفة الشماسة فى الكنائس الشرقية استمرت حتى نهاية القرن الحادى عشر ـــ انظر : Schaff, Vol. 1, pp. 500, 510.

(١١٢) اهتم الآباء بوضع الأرامل فى الكنيسة ووضعوا لهن القوانين ـــ انظر : قوانين باسيليوس الكبير ص ٣٦٦ - ٣٧٠ ، S.. Augustin, Good of widowhood.

لقد شكلت الأرامل طغمة خاصة داخل الكنيسة ، لهن عمل ورسالة ... وهكذا نقلتهن الكنيسة من وضع المنتفعين الذين يتقاضون مساعدات مادية ، إلى وضع الخادمات ... ليس معنى هذا أن الكنيسة تخلت عن اعالتهن والعناية بهن ، لكن كانت عليهن أعمالاً يؤدونها ، مقابل اعالتهن ...

يقول القديس بولس لتلميذه الأسقف تيموثاوس : « **لتكتتب أرملة أن لم يكن عمرها أقل من ستين سنة ، امرأة رجل واحد . مشهود لها فى أعمال صالحة . ان تكن قد ربت الأولاد ، اضافت الغرباء ، غسلت أرجل القديسين ، ساعدت المتضايقين ، إتبعت كل عمل صالح .** أما الأرامل الحدثات فارفضهن لأنهن متى بطرن على المسيح يردن أن يتزوجن » (١ تى ٥ : ٩-١١) ... **هذا الكلام يوضح أنه كانت هناك شروط لعضوية طغمة الأرامل فى الكنيسة** ... ليس معنى هذا أن الكنيسة كانت تساعد فريقاً من الأرامل دون فريق ، بل هى كانت تساعد الجميع ، لكنها إشترطت مؤهلات معينة لعضوية طغمة الأرامل ، اللائى سيوكل إليهن خدمات معينة (١١٣) .

هكذا نرى أن مؤهلات الأرملة كانت مؤهلات عالية ، حتى أن القديس يوحنا الذهبى فمه ، فى تعليقه على قول الرسول « اتبعت كل عمل صالح » . (١ تى ٥ : ١٠) يقول : [عجباً ! أى نوع من التدقيق هذا الذى يطلبه الرسول من الأرامل . إنه يكاد يكون نفس ما يطالب به الأسقف ...] (١١٤) وليس هذا فحسب ، بل إن قوانين الرسل أمرت بأن تبقى الأرملة فترة تحت الإختبار ، إن لم يكن موثوقاً بها ، وذلك قبل أن تدرج فى قوائم طغمة الأرامل (١١٥) .. ولا شك أن هذا يوضح لنا مدى إهتمام الكنيسة الأولى بهذه الفئة ، التى غدت عبر الأجيال كماً مهملاً فى كنيسة المسيح !!

هكذا نرى أن الأرامل قد شكلن طغمة خاصة داخل الكنيسة ، لهن كيان

(113) Wuest; The Pastoral Epistles, p. 78.

(114) Commentary on first Timothy, Homily 14 (N.P.N.F., p. 454).

(115) Apostolical Constitutions, 8. 25 (A.N.F., p. 493).

خاص متميز عن العلمانيين العاديين (١١٦) . **لكن يبدو أن الأرامل فى عملهن وخدمتهن كن على نوعين : نوع منقطع للصلاة وملازمة الكنيسة تشبهاً بحنة بنت فنوئيل** (١١٧) التى وهى « أرملة نحو أربع وثمانيين سنة لا تفارق الهيكل ، عابدة بأصوام وطلبات ليلاً ونهاراً » (لو٢ : ٣٧) ، **ونوع كان يخدم بين المرضى ، ويحث الشابات على حياة الطهارة ، ويبشر بين غير المؤمنات** (١١٨) وهذا يتمشى مع وصية القديس بولس لتلميذه الأسقف تيطس عن العجائز « **معلمات الصلاح** (١١٩) ، لكى ينصحن (يدربن) الحدثات » (تى٢ : ٣ ، ٤) .

وقد أشار الآباء الرسوليون إلى الأرامل وخدمتهن ، وأوصوا بهن ... أشار إليهن **هرماس** فى كتابه الراعى (١٢٠) . والقديس أغناطيوس الشهيد ، عيّر الهراطقة **لأنهم أهملوا الأرامل** (١٢١) ، ويحث القديس بوليكاربوس ، ألاَ يهمل الأرامل ، بل يجعلهم موضع عنايته الخاصة (١٢٢) ... **وبوليكاربوس نفسه** يحث قسوس فيلبى ألاَ يهملوا الأرامل ، ويدعوهم [مذبح الله] (١٢٣) ... **وقوانين الرسل** تشبه الأرامل والأيتام بمذبح المحرقة الذى كان فى هيكل العهد القديم ، الذى كانت التقدمات تقدم عليه لله (١٢٤) ... **ويوستينوس الشهيد** ، يضع الأرامل والأيتام على رأس قائمة مَنْ توزع الكنيسة عليهم مساعداتها (١٢٥) .

---

(116) Ibid, 3. 1. 2; 8. 25.

(117) Ibid, 3. 1 (A.N.F., p. 426).

(118) Dictionary of Christian Antiquities, Vol. 2, p. 2034; Hastings, Dictionary of the Bible, p. 972.

(١١٩) لفظ معلمات الصلاح فى اليونانية هو Kalodidaskalos وتعنى معنى التعليم الشفوى والتدريب . انظر : .Wuest; The pastoral Epistles, p. 191

(120) Hermas; The Pastor, 3. 26.

(121) Epistle to the Smyrnaeans, ch. 6.

(122) Epistle to Polycarp, ch. 4.

(123) Epistle to the Philipians, ch. 4.

(124) Apostolical Constitutions, 2. 26.

(125) Justin Martyr, 1 Apol. 67.



ونقصد بالرعاية الإجتماعية كل أعمال الرحمة التى خصت بها الكنيسة الأولى أعضاءها من الفقرا والمنكوبين والأرامل والأيتام فى شتى صور عوزهم واحتياجاتهم ... وقد استمدت الكنيسة الأولى مشاعر العطف على الفقراء من كلمات رب المجد يسوع نفسه، وحياته الجسدية على الأرض.

١ - نظرة الكنيسة للفقراء :

عاش السيد المسيح ـ وهو رئيس ملوك الأرض (رؤ ١ : ٥) ـ فى العالم فقيراً، ليس له بيت خاص يأوى إليه، ولا حتى موضع يسند فيه رأسه (مت ٨: ٢٠)، ولا يمتلك ثوبين ... وقد أظهر بتصرفاته حنواً بالغاً على الفقراء، وفتح بكلماته وأمثلته عن الرحمة كنوز الأغنياء، حينما أظهرها فى صورة مشرقة قوية قادرة أن توصل إلى المجد [١٢٦] ... هكذا أضاءت حياة الرب يسوع وكلماته بقوة أجيال الكنيسة فى كل مكان. وكان لها من القوة والتأثير، أن عملت معجزات عبر الأجيال المتلاحقة فى الأفراد والجماعات والشعوب ...

لقد إكتسب الفقر وضعاً جديداً نتيجة شعاع إنعكس عليه من مجد ذاك الذى إتضع وصار فقيراً ... وهكذا رفع الفقراء وكرموا بعد أن جعلهم المسيح إخوته، واعتبر ما يصنع بهم من أعمال الرحمة كأنها قدمت إليه. وتستوى فى ذلك الأعمال العظيمة، مع ما يبدو تافهاً ... فحتى كأس الماء البارد باسمه لا يضيع أجره (مت ١٠ : ٤٢) ...

هكذا آمنت الكنيسة الأولى بالرحمة كفضيلة كبرى ومظهر للقلب الذى

---

(١٢٦) انظر: مت ٥ : ٧ ؛ ٩ : ١٣ ؛ ٢٥ : ٣٤-٣٦ ؛ ٤٠ ؛ لو٦ : ٣٦ ؛ ١٢ : ٢١ ؛ ١٦ : ١٩-٣١.

يريده الله ، وعلمت بنفعها ، وبأنها الديانة الطاهرة النقية عند الله الآب (يع ١ : ٢٧) ، فى الوقت الذى حملت على الثروة المادية المعطلة التى يساء إستخدامها ، وعلى الأثرياء الذين يعيشون لأنفسهم فقط ...

ويقدم لنا سفر أعمال الرسل البرهان العملى على إيمان أعضاء الكنيسة الأولى بعمل الرحمة ، فيذكر لنا مَنْ باعوا حقولاء وبيوتاً وقدموا أثمانها للكنيسة ... ومن بينهم يسجل لنا أسماء برنابا الرسول وحنانيا وسفيرة (أع ٤ : ٣٤- ٥ : ٢) . كما يذكر اسم طابيثا التى إهتمت بالفقراء ، وعلى الأخص بالارامل (أع ٩ : ٣٦-٣٩) ... **هذا من الناحية الفردية ، أما على مستوى** الكنيسة العام ، فقد كان هناك تنظيم مالى خاص ...

٢ ـ التنظيم المالى والرعوى فى كنيسة الرسل :

واضح أن المجتمع المسيحى الأول ـــ على الأخص فى أورشليم ـــ كان معظم أعضائه من العناصر الفقيرة الكادحة (١٢٧) ويكشف لنا القديس بولس ذلك حينما يقول : « ليس كثيرون حكماء حسب الجسد ، ليس كثيرون أقوياء ، **ليس كثيرون شرفاء** » (١ كو١ : ٢٦) . وإزاء ذلك ـــ ومع إزدياد عدد المؤمنين يوماً فيوم ـــ أخذت مسئوليات الكنيسة المالية تتزايد ... **واضحت الحاجة ماسة إلى تنظيم رعوى للفقراء ، بالإضافة إلى تنظيم مالى ...**

فيما يختص بالتنظيم الرعوى ، أقامت الكنيسة الأولى السبعة شمامسة كهيئة مسئولة عن خدمة الموائد ، وهو إصطلاح يعنى الخدمة الإجتماعية . وكانت الكنيسة فى الفترة المبكرة جداً تقدم وجبات طعام يومية لفقراء المؤمنين .

أما التنظيم المالى فكان الغرض منه ، أن يحيا كل فرد فى الجماعة حياة كريمة « لم يكن فيهم أحد محتاجاً » (أع ٤ : ٣٤) . هذه الحياة الكريمة جاءت

---

(127) Karl Kautsky, foundations of Christianity, p. 272.

نتيجة للحياة المشتركة ، أو الحياة الإشتراكية كما تسمى « لم يكن أحد يقول إن شيئاً من أمواله له ، **بل كان عندهم كل شيء مشتركاً** » (أع ٤ : ٣٢) . **ونلاحظ على الإشتراكية المسيحية الأولى ، أنها مفهوم روحي بالدرجة الأولى وليست بحسب المفهوم الإقتصادى فى النظام الشيوعى الحديث** ... ونلاحظ على هذه الإشتراكية المسيحية الأولى ما يلى :

(أ) لم تكن إجبارية (أع ٥ : ٤) ... فالمسيحية تعلم أن الإنسان لا ينال جزاء عمل طيب يعمله إلاً إذا عمله برضاه وبمحض إرادته ورغبته . هكذا يقول مار بولس لفليمون : « لكن بدون رأيك لم أرد أن أفعل شيئاً ، **لكى لا يكون خيرك كأنه على سبيل الاضطرار، بل على سبيل الإختيار**» (فل ١٤) .

(ب) هذه الإشتراكية الأولى لم تكن تعنى التجرد التام من كل شىء . فمريم أم يوحنا الملقب مرقس ، استمرت تمتلك بيتاً فى أورشليم ، كانت تعقد فيه إجتماعات الكنيسة (أع ١٢ : ١٢) .

(جـ) إن هذه الإشتراكية كانت وليدة مفهوم روحى جديد ، ونتيجة عمل النعمة فى القلب ... لقد أصبح جميع المسيحيين أعضاء فى جسد واحد رأسه المسيح ، وكان لهم قلب واحد ونفس واحدة [١٢٨] . فلا عجب إن كان لهم الإحساس الواحد بآلام البعض واحتياجاتهم . والكنيسة لم تطالب أعضاءها بأن يقدموا ... لقد قدموا هم من تلقاء أنفسهم ، بل كانوا يلتمسون من الكنيسة أن تقبل عطاياهم . هذا ما كشفه القديس بولس عندما تكلم عن المكدونيين « لأنهم أعطوا حسب الطاقة ، أنا أشهد وفوق الطاقة من تلقاء أنفسهم . **ملتمسين منا بطلبة كثيرة** أن نقبل النعمة ، وشركة الخدمة التى للقديسين » ... أما السر فى ذلك ، فيكشفه الرسول فى الآية التالية مباشرة ، فيقول إنهم سبق وأعطوا أنفسهم أولاً للرب (٢ كو٨ : ١ـ٥) . ولا شك أن هذه هى مفاعيل النعمة .

(د) إن الحادث المحزن الذى تخلل هذه الروح الرائعة ــ ونعنى به موت حنانيا

---

(١٢٨) انظر : رو ١٢ : ٥ ؛ كو ١ : ١٨ ؛ أع ٤ : ٣٢ .

وسفيرة بالصورة التى ماتا عليها ــ لم يكن عقاباً إلهياً لهما لإحتجازهما جزء من ثمن الحقل ، بل لأنهما كذبا على روح الله « لماذا ملأ الشيطان قلبك لتكذب على الروح القدس ... أليس وهو باق كان يبقى لك . ولما بيع ألم يكن فى سلطانك ... أنت لم تكذب على الناس بل على الله » (أع ٥ : ١-١٠) ... **هكذا لم يكن قصد الله من هذه التجربة إرهاب الأغنياء ، إنما تأكيد حضوره وسط شعبه وإبراز لأهمية الفضيلة ، وأنه فاحص القلوب وعالم بالخفايا .**

(هـ) إن عبارة « **لم يكن فيهم أحد محتاجاً** » ، هى تطبيق لما جاء فى (تث ١٥ : ٤) ، وهى صورة مثالية لمستقبل الكنيسة ــ إسرائيل الجديد . وكأن حالة الكنيسة فى أورشليم إنما هو إتمام لتلك النبوة القديمة (١٢٩) .

أما ملامح هذا التنظيم المالى ، فكانت كالآتى :

(أ) كانت جميع التقدمات وأثمان المبيعات يأتى بها أصحابها « ويضعونها عند أرجل الرسل ، فكان يوزع على كل أحد كما يكون له إحتياج » (أع ٤ : ٣٤ ، ٣٥) ... **ومعنى هذا أنه كان هناك صندوق عام تحفظ فيه كل التقدمات .** ولعل الرسل أخذوا هذا التنظيم عن معلمهم نفسه (١٣٠) . فنحن نعلم مما أورده القديس يوحنا فى إنجيله ، أنه كان هناك صندوق للجماعة فى عهدة يهوذا الإسخريوطى (يو١٢ : ٦) . وكان الغرض من هذا الصندوق أن ينفق على الجماعة ويعطى للفقراء « لان قوماً ، إذ كان الصندوق مع يهوذا ، ظنوا أن يسوع قال له اشتر ما نحتاج إليه للعيد ، أو أن يعطى شيئاً للفقراء » (يو١٣ : ٢٩) .

(ب) **كان المحتاجون يأخذون المعونات من الكنيسة وليس من الأفراد .** ولا شك أن هذه طريقة كريمة تحفظ للفقراء كرامتهم كبشر وكأعضاء فى الكنيسة ، فضلاً عن ضبط عملية الإحسانات ذاتها . يقول القديس يوحنا الذهبى فمه : [لم يعط الأثرياء المحتاجين فى أيديهم ، ولم يقدموا تقدماتهم بتفاخر ، لكنهم وضعوها

---

(129) Weiss; Earliest Christianity, p. 69.

(130) Smith, Dictionary of the Bible, Vol. 1, part 2, p. 1832.

عند أقدام الرسل ، وتركوها للمدبرين ، وأصبح مالاً عاماً ، حتى يسدوا فيما بعد الإحتياجات ، ليس من أموال خاصة بل من مال الجماعة] (١٣١) .

(جـ) ليس لغير حكمة ذكر سفر الأعمال أن أموال التقدمات كانت « **توضع عند أرجل الرسل** » (أع ٤ : ٣٤) ... فلا شك أن هذا يوضح نظرة الآباء الرسل للمال ... إنه دائماً عند أرجلهم ، كناية عن أن شهوة المال لا تسود عليهم ... ألاَ يتمشى هذا التعبير ـــ بما يحمله من مفهوم روحى ـــ مع ما اشترطه مار بولس فى الأسقف « ألاَ يكون طامعاً بالربح القبيح ... ولا محباً للمال » (١تى٣ : ٣) . ثم ألاَ تفسرها كلمات مار بطرس للكهنة فى رسالته « إرعوا رعية الله التى بينكم ... لا لربح قبيح بل بنشاط . ولا كمَنْ يتسلط على ميراث الله ، بل صائرين أمثلة للرعية » (١بط ٥ : ٢ ، ٣) ...؟

(د) **كانت الكنائس الأخرى تعاون فى سد إحتياجات الكنيسة الأم فى أورشليم** ، إحساساً منها بأنها مدينة لها بالإيمان (١٣٢) « لأنه إن كان الأمم قد إشتركوا فى روحياتهم ، يجب عليهم أن يخدموهم فى الجسديات أيضاً » (رو١٥ : ٢٧) ... فقد حمل القديس بولس تقدمات كنائسه الأممية عدة مرات إلى أورشليم . وحينما أعطوه الرسل يمين الشركة مع برنابا ، أوصوهما بأن يذكرا فقراء أورشليم (١٣٣) ... وقد غدا هذا تقليداً ثابتاً فى الكنائس (١٣٤) .

(هـ) يبدو أنه كانت هناك سجلات منظمة تسجل فيها أسماء الذين **يستحقون ويتقاضون** الإعانات المالية . ففيما يختص بالأرامل ، يقول بولس الرسول : « **لتكتتب** أرملة إن لم يكن عمرها أقل من ستين سنة ، امرأة رجل واحد ... »

---

(131) Commentary on the Acts of the Apostles, Homily 11 (N.P.N.F., p. 73).

(١٣٢) يضاف إلى ذلك نقطة أخرى ، وهى أن اليهود المتنصرين فى أورشليم تحملوا عبء اضطهادات كثيرة من بنى جلدتهم اليهود وسُلبت أموالهم وممتلكاتهم ، أى أنهم قد ضيروا كثيراً بسبب إيمانهم بالرب (انظر : ١تس ٢ : ١٤ ؛ عب ١٠ : ٣٤) .

(١٣٣) انظر : أع ١١ : ٣٠ ؛ ٢٤ : ١٧ ؛ غل ٢ : ١٠ .

(١٣٤) انظر : رو ١٥ : ٢٦ ؛ ١ كو ١٦ : ١ - ٤ .

(١تى ٥ : ٩) . والكلمة اليونانية التى تترجم « تكتتب » هى Katalego ، ومعناها [يختار ويكتب فى سجل أو قائمة] (١٣٥) ... وهذا يلقى ضوءاً على ناحية من نواحى التنظيم فى الكنيسة الأولى .

هكذا كانت الكنيسة الأولى ، وهى مازالت فى طور طفولتها من جهة عمرها الزمنى ـــ لكن فى إكتمال رجولتها الروحية ـــ تؤدى بالرعاية الإجتماعية لشعبها وأعضائها على خير وجه ، بدقة متناهية ، وبصورة كريمة لا تهدر شخصية الفقير ولا تؤذى شعوره ، وفى إعتناء كبير بمَنْ دعاهم الرب إخوته ...



الرعاية الأدبية والروحية

ويمكن أن نلمس جهود الكنيسة فى هذا الميدان ، حينما نستعرض النقاط التالية :

١ ـ الحياة الأدبية :

الكنيسة المسيحية الناشئة ـــ وهى محاطة بكل غوايات الوثنية وشرورها ومفاسدها ـــ كان عليها أن تسهر دائماً . وكانت هذه هى وصية سيدها ومعلمها دائماً (١٣٦) ... وتعكس لنا بعض رسائل القديس بولس صوراً لفساد العالم الوثنى القديم ، كما تحمل لنا فى أسى ، إشارات إلى أن العالم كان أقوى من بعض حديثى الإيمان ، وإستطاع أن يستردهم ويطويهم فى لججه ... ومن أمثلتهم ديماس الذى « أحب العالم الحاضر » (٢تى ٤ : ١٠) ، وأولئك الذين أشار إليهم بولس فى حزن لأنهم صاروا « أعداء صليب المسيح » (فى ٣ : ١٨) .

---

(135) Wuest; The Pastoral Epistles, p. 82.

(١٣٦) انظر : مت ٢٤ : ٤٢ ؛ ٢٥ : ١٣ ؛ مر ١٣ : ٣٥ ؛ لو ١٢ : ٣٧ ؛ ٢١ : ٣٦ ؛ ١كو ١٦ : ١٣ ؛ ١تس ٥ : ٦ ؛ ١بط ٥ : ٨ ؛ رؤ ٣ : ٢ ؛ رؤ ١٦ : ١٥ .

كانت المعركة التى خاضتها الكنيسة ضد كل أنواع الفساد الخلقى « عبادة الأوثان ، سحر ، عداوة ، خصام ، غيرة ، سخط ، تحزب ، شقاق ، بدعة ، حسد ، قتل ، سكر ، بطر وأمثال هذه » (غل ٥ : ١٩) (١٣٧) . لكنها تركزت بالأكثر ضد خطايا الجسد (١٣٨) ، التى قال عنها الرسول بولس « **أعمال الجسد ظاهرة** (واضحة أو معروفة) **التى هى زنى ، عهارة ، نجاسة ، دعارة** » (١٣٩) (غل ٥ : ١٩) .

ويكشف لنا تحذير القديس بولس المستمر من الوقوع فى خطايا الجسد ، ما كان يمكن أن تحدثه هذه الخطايا فى نفوس البعض ، نتيجة إستعدادهم الخطير للارتداد إلى غواية الخطية (١٤٠) . وكانت الكنيسة لا تتساهل مع الأعضاء الدنسين الذين فى وسطها ، لأنها كانت تدرك تماماً ، أنها لو سمحت بالإنحلال الخلقى والدعارة فسيتلاشى وجودها .

ونلمس من كتابات القديس بولس أن الحياة الأدبية لم تكن إحدى جوانب المسيحية ، بل كانت ثمرها وغايتها على الأرض « أما ثمر الروح فهو محبة ، فرح ، سلام ، طول أناة ، لطف ، صلاح ، إيمان ، وداعة ، تعفف ... الذين هم للمسيح قد **صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات** » (غل ٥ : ٢٢-٢٤) ... ويمكن القول بان عمل الرسل الكرازى ، كان عملاً روحياً أدبياً ، يهدف إلى إنهاض الإحساس الأدبى وتقويته . وكانت الوصايا الأدبية لها دائماً المكانة الأولى .

---

(١٣٧) انظر أيضاً : كو ٣ : ٨ ، ٩ .

(١٣٨) كان الامتناع عن الزنا هو أحد قرارات مجمع أورشليم (أع ١٥) .

(١٣٩) **يقصد بالزنى** تدنيس مضجع الزوجية بسبب الإتصال الجنسى المحرم من جانب شخص متزوج . واستعملت أصلاً للتعبير عن **الغش** خاصة غش العملة . **ويقصد بالعهارة** الاتصال الجنسى بين أشخاص غير متزوجين أو بين متزوج وغير متزوج . والنجاسة باليونانية هى akatharsia وتعنى الدنس الجسدى أو عدم الطهارة الجسدية . **أما الدعارة** فهى ترجمة للكلمة اليونانية aselgeia التى تشير إلى الشهوة الشديدة المشتعلة المحرمة وعدم ضبط النفس . انظر (١تس ٤ : ١ - ٨ ؛ ١بط ٤ : ٣ - ٥ ؛ ٢بط ٢ : ٥ - ١٠ ؛ يه ٧) انظر أيضاً : .Missionary Methods, p. 149

(١٤٠) انظر ١ كو ٦ : ١٥ - ٢٠ ؛ كو ٣ : ٥ - ٧ .

وتنعكس هذ الأهمية من ثنايا كتابات الآباء الرسوليين ، وآباء وعلماء القرن الثانى . ونلمس ذلك بوضوح فى الفصل الأول من رسالة كليمنضس الرومانى إلى كنيسة كورنثوس ، وكتاب تعاليم الرسل Didache وخاتمة رسالة برنابا ، وكتاب الراعى لهرماس ، والمقالة المعنونة كليمنضس الثانية ، والفصل الأخير من **دفاع أرستيديز Aristides** ، كما أن يوستينوس الشهيد يركز فى دفاعه على أدبيات المسيحية ، وأنها مرعية من المسيحيين (١٤١) .

ونلاحظ على هذه الكتابات أنها تتسم بأسلوب العنف والشدة . والسبب فى ذلك كما ذكرنا ، أن بقاء المسيحية كديانة روحية ، كان مرتبطاً بمبادئها التى قدمتها للعالم ... وكان دفاع المدافعين المسيحيين منصباً على دفع شبهات الفساد الخلقى الذى حاول أعداء المسيحية أن يلصقوه بها . والعقوبة القاسية التى أوقعها القديس بولس على الشاب الزانى بالمحارم فى كورنثوس (١ كو٥) ، لم تكن حادثة فريدة . فقد كانت الكنيسة تطرد وتقطع من شركتها ، مرتكبى هذه الخطايا الشنيعة (١٤١) .

كان الارتباط بزوجة واحدة فى الجماعات المسيحية ، هو العلاقة الشرعية الوحيدة المسموح بها بين الجنسين . وكان الزواج الثانى (بعد الترمل) غير مستحب ، وبسببه كثرت المناقشات فى القرن الثانى ، هل يسمح بالزواج الثانى أم لا . ولا شك أن هذا الموضوع يتصل إتصالاً وثيقاً بموقف الكنيسة من الشهوات الجسدية ، ونظرتها لحياة العفة ومفهومها . ويتصل بهذا الموضوع أيضاً تحريم الإجهاض تحريماً باتاً ، وتعريض الأطفال للموت (١٤١) .

كانت مهمة الكنيسة كبيرة وخطيرة وشاقة . فقد كان عليها أن ترعى دائماً ــ بنفس ساهرة وعين لا تنعس ــ أعضاءها المبعثرين هنا وهناك فى أنحاء المسكونة ، وسط غالبية وثنية ساحقة ، وفساد متأصل . وبفضل جهود الكرازة والخدمة التى قام بها خدام أمناء ورعاة ملتهبون من أمثال بولس الرسول وغيره من الكارزين ، ومؤازرة روح الله وعمله فى المخدومين ، نمت أدبيات المسيحيين

(141) Harnack, Missions ... p. 206-208.

وروحياتهم فى ذلك العصر إلى درجة كبيرة من الطهارة والتقوى والقداسة . **واتسمت مسيحية الكنيسة الأولى بكل جمال خليقة الله الجديدة . وكان لذلك أثر عظيم فى إنتشار الإيمان بصورة مذهلة ... فقد أحب العالم القداسة ، وآمن بأفضليتها ، حينما رأوا أناساً قديسين (١٤٢) .**

٢ - السلطان الكنسى :

هذه الكنيسة التى أقتناها الله بدمه ، كان لابد لها من سلطان عال يرعى كيانها ويحفظه ، ويدبر أمورها الداخلية ويسوسها ... هذا هو ما نسميه بسلطان الكنيسة ... وقد إنتقل هذا السلطان إليها من الرب نفسه . الذى قال لرسله القديسين قبيل صعوده إلى السماء **« دفع إلى كل سلطان فى السماء وعلى الأرض . فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس . وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به . وها أنا معكم كل الأيام إلى إنقضاء الدهر »** (مت ٢٨ : ١٨-٢٠) ... وقد تقلد الرسل هذا السلطان أيضاً حينما قال لهم : **« وإن لم يسمع من الكنيسة فليكن عندك كالوثنى والعشار. الحق أقول لكم كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً فى السماء . وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولاً فى السماء »** (مت ١٨ : ١٧ ، ١٨) ... بل لقد جعل الرب يسوع صوت الكنيسة كصوت الله نفسه **« الذى يسمع منكم يسمع منى »** (لو ١٠ : ١٦) ...

وحيث أن الكنيسة مؤسسة روحية ، فسلطانها سلطان روحى خالص ... ولم تحاول كنيسة الرسل أن تخرج عن هذا النطاق ، أو تدعى لنفسها سلطاناً زمنياً ، أياً كان نوعه ... فمملكة المسيح مملكة روحية ليست من هذا العالم ... فى هذا الدهر يملك المسيح على القلوب ، وفى الدهر الآتى مملكته فى السماء ... وقد استخدمت كنيسة الرسل هذا السلطان الإلهى المعطى لها كسياج للحفاظ على حياة المؤمنين

---

(142) De Pressensé, Vol. 1, pp. 395, 396.

الروحية والأدبية ، ولصون الإيمان الأرثوذكسى ، وكل ما يتصل بنظام الكنيسة وعبادتها سليماً ...

ولقد مارس الآباء الرسل هذا السلطان الإلهى فى هذه الأغراض وأشباهها :

+ تكلم القديس بولس عن هذا السلطان الإلهى فقال « فإنى وإن افتخرت شيئاً أكثر **بسلطاننا الذى أعطانا إياه الرب لبنيانكم لا لهدمكم لا** أخجل ، لئلا أظهر كأنى أخيفكم بالرسائل » (٢ كو١٠ : ٨ ، ٩) . وقال أيضاً « لذلك أكتب بهذا وأنا غائب لكى لا أستعمل جزماً وأنا حاضر **حسب السلطان الذى أعطانى إياه الرب ، للبنيان لا للهدم** » (٢ كو١٣ : ١٠) .

وفى كلا القولين نلاحظ أمراً هاماً ، وهو أن هذا السلطان الإلهى الذى أعطى للكنيسة فى شخص الرسل ، يهدف بالدرجة الأولى للبنيان لا للهدم ، لبنيان المؤمنين لا لهدمهم . وقد تناولت قوانين الرسل هذا الموضوع بإسهاب ، ووضعت تحت طائلة العقاب الإلهى كل مَنْ يستخدم هذا السلطان إستخداماً مغرضاً ...

+ **وكمثال لسلطان الكنيسة للمحافظة على حياة المؤمنين الروحية والأدبية ،** موقف القديس بولس إزاء الشاب الذى إرتكب زنا بالمحارم فى كورنثوس ... قال : « فإنى أنا كأنى غائب بالجسد ، ولكن حاضر بالروح قد **حكمت كأنى حاضر فى الذى فعل هذا هكذا ، باسم ربنا يسوع المسيح إذ أنتم وروحى مجتمعون مع قوة ربنا يسوع المسيح أن يسلم مثل هذا للشيطان لهلاك الجسد لكى تخلص الروح فى يوم الرب يسوع** » (١ كو٥ : ٣-٥) ... ومرة ثانية يكتب لكنيسة كورنثوس ... « هذه المرة الثالثة آتى إليكم . على فم شاهدين وثلاثة تقوم كل كلمة . قد سبقت فقلت ، وأسبق فأقول كما وأنا حاضر المرة الثانية ، وأنا غائب الآن **أكتب للذين أخطأوا من قبل ولجميع الباقين أنى إذا جئت أيضاً لا أشفق** » (٢ كو١٣ : ١ ، ٢) .

+ **وكمثال لسلطان الكنيسة للحفاظ على الإيمان الأرثوذكسى** ، ما قاله معلمنا بولس لكنيسة غلاطية ... « **ولكن إن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم فليكن أناثيماً (محروماً)** . كما سبق فقلنا أقول الآن وأيضاً إن كان أحد يبشركم بغير ما قبلتم فليكن أناثيماً (محروماً) » (غل ١ : ٨ ، ٩) (١٤٣) ... وبعد أن عرض الرسول للذين يعلمون تعليماً خاطئاً ، قال « الذين منهم هيمينايس ، والاسكندر **اللذان أسلمتهما للشيطان لكى يؤدبا حتى لا يجدفا** » (١تى ١ : ٢٠) ... وقال القديس يوحنا الرسول فى رسالته الثانية « **إن كان أحد يأتيكم ولا يجيء بهذا التعليم فلا تقبلوه فى البيت ولا تقولوا له سلام . لأن مَنْ يسلم عليه يشترك فى أعماله الشريرة** » (٢يو ١٠) .

+ **وكمثال لسلطان الكنيسة للمحافظة على نظام الكنيسة وعبادتها** ، ما قاله معلمنا بولس لكنيسة كورنثوس « كما دعا الرب كل واحد هكذا ليسلك ، **وهكذا أنا آمر فى جميع الكنائس** » (١كو ٧ : ١٧) ... « ولكن إن كان أحد يظهر أنه يحب الخصام **فليس لنا نحن عادة مثل هذه ولا لكنائس الله** » (١كو ١١ : ١٦) ... ويقول للتسالونيكيين « **ثم نوصيكم أيها الإخوة باسم ربنا يسوع المسيح أن تتجنبوا كل أخ يسلك بلا ترتيب وليس حسب التقليد الذى أخذه منا ... وإن كان أحد لا يطيع كلامنا بالرسالة فسموا هذا ولا تخالطوه لكى يخجل** » (**٢تس ٣ : ٦ ، ١٤**) .

٣ ـ التأديبات الكنسية :

مارست كنيسة الرسل ، سلطانها المعطى لها من الله ، لبنيان نفوس أعضائها ، فأوقعت على بعض المنحرفين والخطاة بعض تأديبات خاصة بقصد تقويمهم فى الفضيلة وتهذيب نفوسهم وتدريبهم على التقوى (١٤٤) ... والتأديبات الكنسية ليست قصاصاً

(143) See: John Chrysostom; Commentary on the Galatians (N.P.N.F., p. 8).

(144) Lietzmann, A History of the Early Church, pp. 137, 138;

موسهيم ، تاريخ الكنيسة المسيحية ك ١ ، ق ٢ ، ف ٣ عن القرن الأول ص ٣٩ .

أو عقلياً يكفر عن خطية الإنسان . فالخطية لا يكفر عنها سوى دم المسيح وحده ، أما هذه التأديبات فهى — كما قلنا — للتقويم والتهذيب ، وفى بعض الحالات لدراء خطر أو ضرر يمكن أن يحدث ...

إن الكنيسة فى هذه الحالة كالطبيب الذى يعالج مرضاه ، كلاً حسب حالته ... فهو يعالج البعض بالأدوية مرة المذاق ، وينصح البعض بالتزام الراحة التامة ، والبعض الآخر تستدعى حالتهم عزلهم عن الأصحاء ، ونهى الأصحاء عن مخالطتهم حتى لا تنتقل العدوى إليهم ... لكن إذا كان المرض خطيراً جداً ولا سبيل إلى البرء منه ، ويُخشى من إمتداد المرض إلى باقى الأعضاء ، فقد كانت الكنيسة — فى حزن وألم — تقطع العضو من شركتها ، على نحو ما يفعل الطبيب الذى تضطره حالة المريض إلى أن يبتر عضواً من أعضاء جسمه . .

لكن نلاحظ فيما وصل إلينا من كتابات العهد الجديد أو قوانين الرسل ، إن هذه التأديبات الكنسية كانت تتسم بروح المحبة والحنو والرحمة وطول الروح ، وتستهدف، بالفعل بنيان المؤمنين، لا هدمهم (٢كو١٠: ٩؛ ١٣ : ١٠) . ولا شك أن الكنيسة قد تسلمت هذه الروح من الرب يسوع الذى أظهر ملء الحنان والحب والشفقة فى معاملته للخطاة ، وفى اقتيادهم إلى التوبة ...

فالشاب الذى إرتكب خطية زنا بالمحارم فى كورنثوس — بعد أن قدم ثمار توبته ، كتب معلمنا بولس إلى الكنيسة يقول : « **مثل هذا يكفيه هذا القصاص الذى من الأكثرين حتى تكونوا بالعكس تسامحونه بالحرى وتعزونه لئلا يبتلع مثل هذا من الحزن المفرط . لذلك أطلب أن تمكنوا له المحبة** » (٢كو٢ : ٦-٨) . ويكتب إلى كنيسة تسالونيكى يقول : « **إن كان أحد لا يطيع كلامنا بالرسالة ، فسموا هذا ولا تخالطوه لكى يخجل . ولكن لا تحسبوه كعدو بل انذروه كأخ** » (٢تس٣ : ١٤) .

وقد أفاض الآباء الرسل فى الكلام عن معاملة الخطاة بالحنو والرفق والرحمة والعدل ... وقد حذروا الأسقف من القسوة والصرامة وتعالى القلب ونصحوه بالتريث

وعدم الاسراع فى الحكم . واعتبروا عقوبة القطع من شركة الكنيسة جريمة قتل، وتبديداً لشعب الله (١٤٥) .

وكانت هذه التأديبات الكنسية تتدرج وتتفاوت فى نوعها حسب الخطأ الذى إرتكبه الشخص . وأقصى عقوبة كانت هى الفرز من الكنيسة ... لكن حتى فى هذه الحالة كان الهدف هو أن يخجل الخاطىء ويحس بما إرتكبه ... « لا تحسبوه كعدو، بل إنذروه كأخ » .

الرعاية والتعليم

كان التعليم يمثل قطاعاً متميزاً فى الرعاية فى حياة الكنيسة الأولى . فلقد كانت وصية الرب لرسله قبيل صعوده، أن يذهبوا ويتلمذوا جميع الأمم، **ويعمدوهم ويعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصى به** (مت٢٨ : ١٨-٢٠) . وقبل أن يأمرهم بالذهاب والتعليم، أعطاهم سلطاناً « دفع إلىَّ كل سلطان فى السماء وعلى الأرض » ... هذا السلطان هو سلطان التعليم ... ليس لكل إنسان أن يعلم، بل للذين أعطى لهم . لقد وجد كثير من المعلمين فى زمان السيد المسيح، لكنه إختلف عنهم، إذ كان يعلم « كمَنْ له سلطان وليس كالكتبة » ... وقد سبق لنا أن تناولنا بالكلام المعلمين فى الكنيسة، وموهبة التعليم التى هى إحدى مواهب الروح القدس ...

وربما احتاجت الكنيسة الأولى إلى التعليم أكثر من أى زمان آخر ... فالمؤمنون الجدد كانوا فى حاجة إلى ثبات فى الإيمان مقابل أعدائهم الذين كانوا يثيرون عليهم أتعاباً، وكانوا فى حاجة إلى معرفة عقلية عقيدية عن هذه الديانة الجديدة، وعن كل ما يتعلق بها ... خصوصاً وأن الديانة المسيحية تختلف عن

---

(١٤٥) انظر الدسقولية الباب الرابع والخامس والثامن والعاشر — وانظر أيضاً :
Apostolical Constitutions, 2. 13-16, 20, 21, 38-41.

الديانات الأخرى إختلافاً جوهرياً ، وهى أنها حياة ، وليست **مجموعة فرائض** وطقوس شكلية خارجية ...

لقد وقعت مسئولية التعليم بأكملها على الرسل فى بداية الأمر ، حيث هم وحدهم الذين جلسوا تحت قدمى الرب يسوع وتلقنوا منه . ونلاحظ أنهم أعطوا التعليم أهمية كبرى عما سواه من المسئوليات ... فقد رفضوا أن يتركوا كلمة الله ليخدموا الموائد (أع ٦ : ٢) ... وليس أدل على الإهتمام بالتعليم من الشرط الأساسى الذى إشترطوه فى الأسقف **« أن يكون صالحاً للتعليم »** (١٤٦) . وما لبثت **أن إزدادت الحاجة إلى المعلمين والتعليم بانتشار الإيمان المسيحى ،** واصطدامه باليهودية ممثلة فى اليهود واليهود المتنصرين والأبيونيين ، وبالوثنية ممثلة فى الفلسفات الوثنية المختلفة ... وكان لابد من علماء مسيحيين قادرين على رد هجمات هؤلاء وأولئك وإلاَّ أصيبت المسيحية بنكسة ...

ونستطيع أن نميز فى كنيسة الرسل ثلاثة أنواع من التعليم (١٤٧) . نوع يختص بتبشير غير المؤمنين وهو ما يسمى Kerygma ، ونوع يعنى بتعليم الموعوظين قبل العماد ، وتعبر عنه الكلمة اليونانية Didache . ثم كان هناك وعظ وتعليم المؤمنين أنفسهم ، وكان يهدف إلى الحث على الثبات فى الإيمان والفضيلة ، وهو ما يُعرف باسم Paraklésis (أع ١٤ : ٢٢ ؛ ١٥ : ٣٢) .

---

(١٤٦) اللفظ اليونانى الذى يقابل « صالح للتعليم » هو didaktikon وهى تعنى — إلى جانب القدرة على التعليم — الحذق فيه ، والاستعداد الشخصى له — انظر:

Wuest; the Pastoral Epistles, pp. 55, 56.

(147) Daniélou, Vol. 1, p. 13.

بعض مبادئ مسيحية فى عصر الرسل

ونعرض هنا لبعض المبادىء المسيحية التى حض عليها الآباء الرسل والتى ظهرت فى حياة الجماعة فى ذلك الوقت المبكر من تاريخها :

١ - المحـــبة :

المحبة فى المسيحية هى الوصية الأولى والعظمى (مت ٢٢ : ٣٨) . وهى أعظم من الإيمان الذى ينقل الجبال ويقيم الموتى ، وأعظم من الرجاء (١ كو١٣ : ١٣) ، وهى غاية الوصية (١تى١ : ٥) وهى علامة التلمذة الحقة للمسيح (يو١٣ : ٣٥) . وهى تكميل الناموس الإلهى (يع٢ : ٨) ، وهى أول ثمار الروح القدس (غل٥ : ٢٢) ، بل هى الله نفسه « الله محبة » (١يو٤ : ٨) ... ولم تكن هذه المحبة وقفاً على على الأحباء ، بل تعدتهم إلى الأعداء لتحولهم إلى أحباء (مت٥ : ٤٤ ؛ رو١٢ : ٢٠) ... **لا عجب إذن إن رأينا آثار هذه المحبة كوصية إلهية ، تظهر بوضوح فى حياة الجماعة الأولى ... ونستطيع أن نلمسها فى النقاط التالية :**

(أ) العطايا المادية :

وقد عرضنا لها فى كلامنا عن التنظيم المالى والرعوى ... **ونضيف هنا أن المسيحيين الأوائل أظهروها فى :**

● **العطاء والحسنات فى مجموعها** . وبالاضافة إلى ما ورد فى أسفار العهد الجديد ، فقد تكلم عنها بوضوح وتقدير كبير هرماس فى كتابه الراعى ، وكليمنضس الرومانى فيما يعرف بالرسالة الثانية [١٤٨] .

---

(148) Harnack; pp. 153-155.

• **إعالة المعلمين والخدام** . فبالإضافة إلى مبدأ القديس بولس أن الفاعل مستحق أجرته ، فقد أوصى به الآباء والرسل فى تعاليمهم وقوانينهم (١٤٩) .

• **إعالة الأرامل والأيتام** ، وقد عرضنا لذلك قبلاً .

• **رعاية المرضى والعجزة والمقعدين وغير القادرين** . ومنذ البداية كانت الكنيسة ترعى هؤلاء بذكرهم فى صلواتها وزيارات الخدام لهم ، وسد إحتياجاتهم المادية (١٥٠) .

• **العناية بالمحبوسين** . قال معلمنا بولس : « أذكروا المقيدين كأنكم مقيدون معهم ، والمذلين كأنكم أنتم أيضاً فى الجسد » (عب ١٣ : ٣) . ويقول هرماس « خلص خدام الله من قيودهم » ... كان هناك محبوسون لأجل إيمانهم ، وآخرون محبوسون وفاء لديون عليهم . وكان يجب افتقاد النوعين بالصدقة والمحبة . وكان الشمامسة يزورون فى السجون المحبوسين لأجل الإيمان يعزونهم ويشجعونهم ويقدمون لهم ما يحتاجونه ... وكان المؤمنون العلمانيون يظهرون أيضاً نفس المحبة (١٥١) .

• **العناية بمَنْ تحل بهم الكوارث** . وقد مدحت الكنيسة ــ منذ وقت مبكر ــ لأنها وقفت بنبل إزاء إختبار الاضطهاد والكوارث التى حلت بها (انظر عب ١٠ : ٣٢-٣٤) .

• ضيافة الغرباء . ومنذ البداية أبرز الآباء الرسل أهمية إضافة الغرباء (١٥٢) . ويذكر هرماس فى كتابه الراعى ، ضيافة الغرباء ضمن قائمة الفضائل ... ولعل

---

(149) Didache; chs. 11, 13; Harnack, Missions..., pp. 158, 159; Apostolical Constitutions, 2. 15.

(١٥٠) هذا واضح من رسالة « كليمنضس الرومانى » وكتاب الراعى لهرماس ــ انظر : Harnack, pp. 160, 161.

(151) Harnack, Missions ..., pp. 162, 163.

(١٥٢) انظر ٦ رو ١٢ : ١٣ ؛ ١٦ : ١ ، ٢ ؛ عب ٦ : ١٠ ؛ ١٣ : ٢ ، ١ بط ٤ : ٩ ؛ ٣ يو ٥-٨ .

أهمية هذه الفضيلة فى تاريخ الكنيسة المبكر يرجع إلى أنها ــ الكنيسة ــ كانت بلا أمكنة ثابتة. وكان الإخوة والخدام دائمى السفر والتنقل (١٥٣) ... وفى رسائل ووثائق الكنيسة الأولى، نجد صلوات وتشفعات مقدمة من الكنيسة لأجل الغرباء والمعتنين بهم (١٥٤).

● **العناية بالكنائس الفقيرة أو التى يحيق بها خطر.** وهذا واضح فى سفر أعمال الرسل ورسائل القديس بولس ... فقد كانت تجمع تقدمات لأجل فقراء أورشليم. وقد إهتم بولس بهذا الأمر، وجمع من كنائس أنطاكية وغلاطية ومقدونية وأخائية (١٥٥).

(ب) روح الاخوة :

مجدت المسيحية فكرة الإنسانية، ووضعتها فوق القومية التى مزقت العالم القديم بمدولها الحسى، وما أثارته من نعرات. ومن ثم، فقد قادت الناس إلى مشاعر أنبل نحو روح الإخوة ... فهناك رابطة روحية متينة وعميقة وحية بين كل مَنْ هم شركاء فى نفس الإيمان. وقد دعو بعضهم بعضاً **« إخوة »** تأكيداً لهذه الحقيقة ... هؤلاء الإخوة **هم قلب واحد ونفس واحدة** (أف ٤ : ١-٦). ويسلمون على بعضهم بعضاً **بقبلة مقدسة** (١٥٦) ... لقد كان هناك منظر يثير دهشة اليهود والأمم، فيقولون : [انظروا كيف يحبون بعضهم بعضاً] ؟! وحينما كان أى مسيحى غريب يصل إلى أية مدينة، كان يقبل فيها كممثل لكنيسته. وكانوا

---

(١٥٣) فى القرن الثانى وضع ميليتو Melito أسقف ساردس بآسيا الصغرى، كتاباً عن هذه الفضيلة.

(١٥٤) مازال أثر ذلك باقياً فى القداس الإلهى ... « بارك إكليل السنة بصلاحك من أجل فقراء شعبك. من أجل الأرملة واليتيم والغريب **والضيف** ».

(١٥٥) انظر : أع ١١ : ٢٧ - ٣٠ ؛ ٢ كو ٨ : ١ - ٥ ؛ رو ١٥ : ٢٦ ؛ غل ٢ : ١٠ .

(١٥٦) انظر : رو ١٦ : ١٦ ؛ ١ كو ١٦ : ٢٠ ؛ ٢ كو ١٣ : ١٢ ؛ ١ تس ٥ : ٢٦ ؛ ١ بط : ٥ : ١٤ .

يقدمون له المسكن . وكانت الأرامل التقيات يغسلن قدميه وكان يعامل بكل ما يدل على المحبة الأخوية (١٥٧) . لم يعد سكان اليهودية يتصورون أنهم أفضل من الجليليين ، وهذان أفضل من الساكنين خارج الأراضى المقدسة ، تلك الإمتيازات التى انتقلت فى بادىء الأمر مع اليهود المتنصرين إلى الكنيسة (أع ٦ : ١) ... لم يعد لهذا الإحساس أى وجود . لقد غدا المؤمنون إخوة حقيقيين فى أسرة واحدة (١٥٨) .

إن أسفار العهد الجديد كلها بنصوصها فضلاً عن روحها ، تؤكد هذا المفهوم . فالقديس يعقوب أخو الرب أسقف أورشليم يدعو المؤمنين إخوته فى مواضع عديدة من رسالته (١٥٩) . وكذا القديس بولس فى أكثر من موضع من رسائله (١٦٠) ... بل إن الرب يسوع نفسه يدعو المؤمنين إخوته (١٦١) .

هكذا شعر المسيحيون أنهم إخوة متأثرين بأصلهم الواحد ، ومصيرهم الواحد ، وتمموا واجبهم المقدس بحفظ وحدانية الروح برباط السلام ... وبينما اليهود بكبريائهم الروحى مقتوا جميع الأمم ، واليونانيون احتقروا جميع المتبررين . وبينما الرومان بكل ما فيهم من قوة وسياسة ، حولوا شعوبهم المقهورة إلى كتل آلية ، كعملاق بلا روح ، إذ بالمسيحية ــ بواسطة وسائل أدبية خالصة ــ تؤسس إمبراطورية روحية مسكونية ، ومجتمع قديسين تربطهم روح اخوة واحدة ، وهى تقف ثابتة حتى اليوم ، وستمتد حتى تضم كل شعوب الأرض كأعضاء حية فيها ، وتصالحهم جميعاً مع الله .

---

(157) Fisher, p. 568; De Pressensé, Vol. 1, p. 394.

(158) Hill, p. 41.

(١٥٩) يع ١ : ٢ ، ١٦ ، ١٩ ؛ ٢ : ١ ، ٥ ، ١٤ ، ١٥ ؛ ٣ : ١ ؛ ٤ : ١١ ؛ ٥ : ٧ ، ١٠ ، ١٢ ، ١٩ .

(١٦٠) رو ٩ : ٣ ؛ ١٢ : ١٠ ؛ ١٦ : ١ .

(١٦١) انظر : مت ٥ : ٢٢ ؛ ٢٣ ؛ ١٢ : ٥٠ ؛ ٢٥ : ٤٠ ؛ مر ٣ : ٣٥ ؛ لو ٦ : ٤١ ؛ يو ٢٠ : ١٧ ؛ رو ٨ : ٢٩ ؛ عب ٢ : ١١ ، ١٢ ، ١٧ .

ولا شك أن روح الاخوة هذه حملت معها معنى المساواة ، فلا تفرقة عنصرين بسبب لون أو جنس أو وطن ... الجميع يتجهون إلى إله واحد ، ويجلسون جنباً إلى جنب على موائد الأغابى ، ويقفون للصلاة فى الكنيسة متجاورين ... « ليس يهودى ولا يونانى ، ليس عبد ولا حر ، ليس ذكر وأنثى . لأنكم جميعاً واحد فى المسيح يسوع » ، « حيث ليس يونانى ويهودى ، ختان وغرلة ، بربرى سكيثى ، عبد حر ، بل المسيح الكل وفى الكل » (غل٣ : ٢٨ ؛ كو٣ : ١١) .

٢ ـ الزهد فى العالم والعالميات :

من الأمور الواضحة فى كتابات العهد الجديد نظرة المسيحية ومدى تقديرها للعالم والعالميات ، ولا شك أن هذا يتمشى مع رسالة المسيحية كديانة .. فالسيد المسيح حذر من كنوز العالم (مت٦ : ١٩) ؛ ونعت بالغباوة الغنى الذى « يكنز لنفسه وليس هو غنياً لله » (لو١٢ : ٢١) ، وعلم بأن دخول جمل من ثقب أبرة أيسر من دخول غنى إلى ملكوت السموات . وقد علم بأن يطلب الإنسان أولاً ملكوت الله وبره ، أما الماديات فتزاد له (مت٦ : ٣٣) ، لأنه « ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه » (مر ٨ : ٣٦) .

والآباء الرسل فى تعليمهم ، حذروا المؤمنين من محبة العالم وكل ما فيه (١يو٢ : ١٥) ، واعتبروها عداوة لله « مَنْ أراد أن يكون محباً للعالم فقد صار عدواً لله » (يع٤ : ٤) ... ونظروا للعالم على أنه غربة قصيرة ، والإنسان غريب ونزيل فيه (١بط١ : ١٧ ؛ ٢ : ١١) . ويتساءل القديس يعقوب « ما هى حياتكم ؟ إنها بخار يظهر قليلاً ثم يضمحل » (يع١ : ١٤) ... والقديس بولس يؤكد هذا المفهوم فيقول : « إن سيرتنا (١٦٢) نحن هى فى السموات » (فى٣ : ٢٠) ... « لأن ليس لنا هنا مدينة باقية ، لكننا نطلب العتيدة » (عب١٣ : ١٤)

---

(١٦٢) الترجمة العربية لهذه الكلمة غير دقيقة . فهى باليونانية πολιτεία ومعناها citizenship وبالقبطية ⲙⲉⲧⲣⲉⲙⲙⲃⲁⲕⲓ والمقصود أن وطننا هو فى السماء .

.. وتعاليم الآباء الرسل Didache ، وهرماس فى كتابه « الراعى » مشحونة بالحماس لهذا الإتجاه ...

وقد ساعد على الحماس لهذا الإتجاه إحساس المؤمنين فى العصر الرسولى بأن مجىء المسيح الثانى قريب ، بل إنه على الأبواب (فى ٤ : ٥) ... والقديس يوحنا فى رؤياه يؤكد هذا الإتجاه « لأن الوقت قريب » (رؤ٢٢ : ١٠) ؛ ويكرر فى رؤياه أكثر من مرة عبارة « **ها أنا آتى سريعاً** » (١٦٣) .

٣ ـ وجوب العمل وقدسيته :

ليس للمسيحى الحق فى هجر العمل لأى سبب من الأسباب « فإننا أيضاً حين كنا عندكم أوصيناكم بهذا ، أنه إن كان أحد لا يريد أن يشتغل فلا يأكل أيضاً . لأننا نسمع أن قوماً يسلكون بينكم بلا ترتيب ، لا يشتغلون شيئاً بل هم فضوليون . فمثل هؤلاء نوصيهم ونعظهم بربنا يسوع المسيح أن يشتغلوا بهدوء ويأكلوا خبز أنفسهم » (٢تس٣ : ١٠-١٢) ...

فالعمل نفسه يستند إلى قانون إلهى منذ خلق العالم . فقد قال الرب لآدم بعد أن أخطأ « بعرق وجهك تأكل خبزاً حتى تعود إلى الأرض التى أخذت منها » (تك٣ : ١٩) . كان معظم أعضاء الكنيسة الأولى من الطبقات الفقيرة والصناع الذين يعولون أنفسهم بعمل أيديهم ، فكتب إليهم القديس بولس يقول : « وإنما أطلب إليكم أيها الإخوة أن ... تشتغلوا بأيديكم أنتم كما أوصيناكم ... ولا تكون لكم حاجة إلى أحد » (١تس٤ : ١٠-١٢) .

والرسول بولس فى كلامه السابق يحارب إتجاه الكسل والخمول . ورجال الدين أنفسهم الذين تخصصوا لخدمة الله ولا يشتغلون بالأعمال الدنيوية ، يعملون أيضاً ، لكن فى دائرة خدمة الله ، ولذا فالناس مكلفون باعالتهم « تعلمون أن الذين يعملون فى الأشياء المقدسة من الهيكل يأكلون . الذين يلازمون المذبح يشاركون المذبح .

---

(١٦٣) رؤ ٣ : ١١ ؛ ٢٢ : ٧ ، ١٢ ، ٢٠ .

هكذا أيضاً أمر الرب أن الذين ينادون بالإنجيل من الإنجيل يعيشون » (١ كو٩ : ١٣ ، ١٤) ... ومع هذا التصريح ، فإن الرسول نفسه ـ تقديساً لمبدأ العمل ، وحتى ما يكون قدوة ـ لم يستعمل هذا الحق بل كان يعمل بيديه فى صناعة الخيام ... « أما أنا فلم استعمل شيئاً من هذا . ولا كتبت هذا لكى يصير فىَّ هكذا . لأنه خير لى أن أموت من أن يعطل أحد فخرى » (١ كو٩ : ١٥) ... « فضة أو ذهب أو لباس أحد لم أشته . أنتم تعلمون أن حاجاتى وحاجات الذين معى خدمتها هاتان اليدان » (أع٢٠ : ٣٣ ، ٣٤) .

والواقع أن المسيحية برفعها من قدر العمل اليدوى ، مهدت الطريق إلى واحد من أهم **الإصلاحات التى أكملتها .** لقد كان المجتمع القديم ينظر إلى الكد نظرة تحقير، وكانت الأعمال اليدوية يقوم بها العبيد المقهورون الكسالى . ولقد قلب هذا المبدأ نظرة الوثنية إلى العمل ، رأساً على عقب ... وقد أوصت تعاليم الرسل وقوانينهم المؤمنين بوجوب العمل [١٦٤] .

٤ ـ طاعة السلطات الزمنية :

ليست المسيحية دين ودولة ، لكنها تعلم بفصل الدين عن الدولة ... « اعطوا ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله » (مت٢٢ : ٢١ ؛ لو٢٠ : ٢٥) . فالمسيحية ـ كديانة ـ يمكنها أن تحيا وتنمو فى ظل أى نظام من أنظمة الحكم .. والقديس بولس ينظر للدولة كنظام إلهى .. « لتخضع كل نفس للسلاطين الفائقة ، **لأنه ليس سلطان إلاَّ من الله ، والسلاطين الكائنة هى مرتبة من الله حتى أن مَنْ يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله ، والمقاومون سيأخذون لأنفسهم دينونة . فإن الحكام ليسوا خوفاً للأعمال الصالحة بل للشريرة . أفتريد أن لا تخاف السلطان أفعل الصلاح فيكون لك مدح منه ، لأنه خادم الله للصلاح . ولكن إن فعلت الشر فخف ، لأنه لا يحمل السيف عبثاً ، إذ هو خادم الله منتقم للغضب من الذى يفعل الشر. لذلك يلزم أن يخضع له ليس بسبب الغضب فقط بل أيضاً**

(164) Didache, 12; Apostolical Constitutions, 2. 63; De Préssensé Vol. 1, p. 387.

بسبب الضمير» (رو١٣ : ١-٥) ... وواضح أن الرسول هنا يرتفع بالحكومة الأرضية — على الرغم مما يحيط بها من فساد واضح أمام عينيه — إلى أصلها وفكرتها الأساسية ، إنها نظام إلهى .

ويتضح هذا من وصيته لتلميذه الأسقف تيموثاوس « **إطلب إول كل شىء أن تقام طلبات وصلوات وابتهالات وتشكرات لأجل جميع الناس . لأجل الملوك وجميع الذين هم فى منصب لكى نقضى حياة مطمئنة هادئة فى كل تقوى ووقار. لأن هذا حسن ومقبول لدى مخلصنا الله** » (١تى٢ : ١-٣) . وفى وصيته لتلميذه الأسقف تيطس يقول : « **ذكّرهم أن يخضعوا للرياسات والسلاطين ، ويطيعوا ويكونوا مستعدين لكل عمل صالح . ولا يطعنوا فى أحد** ويكونوا غير مخاصمين » (تى٣ : ١ ، ٢) ... ويؤكد مار بطرس نفس المعنى السابق فيقول فى رسالته « **إخضعوا** (١٦٥) **لكل ترتيب بشرى من أجل الرب . إن كان للملك فكمَنْ هو فوق الكل . أو للولاة فكمرسلين منه** للإنتقام من فاعلى الشر ، وللمدح لفاعلى الخير» (١بط٢ : ١٣ ، ١٤) .

ولدينا وثيقة قديمة من رسالة القديس كليمنضس الرومانى أسقف رومية وتلميذ الرسل (حوالى سنة ٩٥ م) إلى كنيسة كورنثوس تتضمن التوسل الآتى من أجل الحكام :

[اعط يارب ألفة وسلاماً لنا ولكل الساكنين على الأرض ، كما أعطيت لآبائنا حينما سألوك بإيمان وحق مع قداسة حتى ما نخلص . وهبنا أن نكون طائعين لاسمك الكلى القدرة والعظمة ، ولحكامنا والمتسلطين علينا على الأرض . **أنت أيها السيد أعطيتهم قوة السيادة عن طريق قوتك العظيمة التى لا يعبر عنها ، حتى نعرف المجد والكرامة اللذين أعطيتهما لهم ،** ونخضع لهم ، دون أن نقاوم مشيئتك . هبهم يارب عافية وسلاماً ووفاقاً واستقراراً حتى ما يسوسوا **الحكومة التى أعطيتها لهم** بدون فشل . لأنك أنت أيها السيد السمائى الملك

---

(١٦٥) كلمة « **اخضعوا** » فى اليونانية Hupotasso ، وهى لا تعنى مجرد الطاعة الشكلية المظهرية والخضوع للنظام ، لكنها تعنى طاعة القلب داخلياً — انظر : Wuest, First Peter, pp. 60, 61.

الأبدى ، أعطيت لبنى البشر مجداً وكرامة وقوة فوق كل الأشياء الكائنة على الأرض . كن مرشداً لهم أيها الرب فيما هو صالح ، وما يحسن فى عينيك ، حتى يحكمون فى سلام ، ولطف مع صلاح ، بالقوة التى منحتها إياهم ، ويجدون رحمة أمامك] (١٦٦) ...

وجدير بالملاحظة أن توسلات المسيحيين هذه قدموها لله لأجل حكامهم ، إبان حكم الإمبراطور دومتيان الذى أثار إضطهاداً عنيفاً على الكنيسة ... والقديس بوليكاربوس الشهيد فى رسالته إلى أهل فيلبى يقول : [صلوا لأجل جميع القديسين **صلوا أيضاً لأجل الملوك والحكام والأمراء ، وعن الذين يضطهدونكم ويبغضونكم ، وعن أعداء الصليب**] (١٦٧) .

ذاك كان تعليم الكنيسة بخصوص الطاعة الواجبة على المسيحى نحو السلطات الحاكمة أياً كانت عادلة أو ظالمة ، صالحة أو شريرة . وهى فى ذلك تسلك متشبهة بالسيد المسيح ذاته ، الذى خضع فى الأمور الزمنية لهيرودس وبيلاطس ، وأعطى قيصر ماله ... إن المسيحية لا تعرف العصيان المسلح ، فكما يقول القديس بولس : « أسلحة محاربتنا ليست جسدية ، بل قادرة بالله على هدم حصون » .

لكن ينبغى ألاَّ ننسى أن تلك الطاعة لم تكن طاعة مطلقة فى كل ما يخص المواطن ويعنيه ، بل هى طاعة تختص بواجباته المدنية كمواطن ؛ دون أن تكون هكذا من حيث علاقته بإلهه ... **إذا تعارضت طاعته لله مع طاعته للدولة من جهة إيمانه وعقيدته ، فإنه كان ينفذ تعليم الكنيسة « ينبغى أن يطاع الله أكثر من الناس »** (أع ٥ : ٢١) وكان فى هذه الحالة مستعداً أن يجود بحياته مقابل إيمانه ... ولهذا السبب استشهد كثيرون من أجل إيمانهم ، وروت دماؤهم أرض المسكونة كلها ، تمسكاً بالحرية المقدسة التى حررهم بها المسيح الإله . وكانت شهادتهم ــ كما يقول المؤرخ شاف Schaff ــ بطولة أكثر نبلاً من المقاومة بالسيف

(166) Clement of Rome, Epistle to the Corinthians, chs. 60, 61.

(167) Polycarp, Epistle to the Philipians, 12.

والنار، وقادت فى النهاية إلى نصر دائم مبين (١٦٨).

٥ ـ التقاضى والمحاكمات :

من الأمور التى عالجها القديس بولس موضوع التقاضى والمحاكمات. ونقصد هنا المحاكمات الخاصة بالأمور المدنية. إنه يستنكر بشدة الإلتجاء إلى المحاكم المدنية والوثنية، ويحث المؤمنين على الإلتجاء إلى السلطات الكنسية لفض المنازعات. ويقول لأهل كورنثوس «أيتجاسر منكم أحد له دعوى على آخر، أن يحاكم عند الظالمين وليس عند القديسين. ألستم تعلمون أن القديسين سيدينون العالم. فإن كان العالم يدان بكم، أفأنتم غير مستأهلين للمحاكم الصغرى. ألستم تعلمون أننا سندين ملائكة، فبالأولى أمور هذه الحياة. فإن كان لكم محاكم فى أمور هذه الحياة، فاجلسوا المحتقرين فى الكنيسة قضاة» (١ كو٦ : ١-٨).

كانت التقاليد اليهودية تقضى بأن يتقاضى اليهود المؤمنون أمام مجامعهم اليهودية ... لكن القديس بولس لم يورد إشارة إلى ذلك، بل إكتفى فى تبريره لهذا التعليم، بإظهار سمو المسيحى الذى يؤهله لمحاكم العالم الصغرى (١٦٩) أما الحكمة التى تكمن وراء هذا المبدأ، فهى أن المتقاضين الذين يلجأون للقديسين فى الكنيسة، لابد وأن إشكالاتهم ستحل حلاً مرضياً يرشد إليه روح الله الساكن فى أولئك القديسين، وفى هذا تدعيم لروح الأخوة المسيحية ... أما المحاكم الوثنية، فهى لا يعنيها ــ فى قليل أو كثير ــ الإبقاء على روح المحبة والأخوة بين المتنازعين ... والحق أن البراهين التى أوردها بولس على وجوب الإحتكام إلى القذيسين فى الكنيسة، تكشف لنا الدور الخطير الذى لكنيسة المسيح فى العالم ...

ودعمت قوانين الآباء الرسل مبدأ تقاضى المؤمنين أمام المحاكم الكنسية،

---

(168) Schaff, Vol. 1, p. 507.

(169) Leitzmann, p. 138; Fisher, pp. 571, 572.

وأفاضت فيه ... تكلمت عن دور الأسقف ومعاونيه فى المحاكمات ، والأيام التى تعقد فيها هذه المحاكمات ، والصفات التى يجب أن يتصف بها الأسقف ، والشهود فى هذه المحاكمات (١٧٠) .

٦ ـ أكل لحم ضحايا الأوثان :

ثمة موضوع حساس أثارته ظروف المسيحيين فى العصر الرسولى ... هذا الموضوع هو علاقة المسيحيين بمواطنيهم وأصدقائهم الوثنيين ... هل يجوز لهم أن يشاركوهم فى أعيادهم التى تقام فى الهياكل الوثنية أو فيما له مساس بالعبادة الوثنية ، وهل يجوز لهم أن يأكلوا من لحوم الضحايا التى تقدم للأوثان ؟

وعلى الرغم من صدور قرار من مجمع أورشليم بالامتناع عما ذُبِحَ للأصنام (أع ١٥ : ٢٩) ، وتحذير موجه من الرب إلى كنيستى برغامس وثياتيرا لأن بها مَنْ يأكلون ما ذُبِحَ للأوثان (رؤ ٢ : ١٤ ، ٢٠) ، إلاَّ أننا نجد الرسول بولس يحل هذا الموضوع بطريقة عجيبة ، تدل على إنفتاح الذهن ، وسيادة الروح على الحرف . وهو يصل إلى ما وصل إليه عن طريق البرهان العقلى ، والدليل الروحى :

(أ) صرح لهم بأكل كل ما يباع فى الملحمة (سوق اللحم) **بدون فحص** (١ كو ١٠ : ٢٥) .

(ب) صرح لهم بتلبية دعوة أصدقائهم الوثنيين ، وأكل ما يقدم لهم **بدون فحص** . لكن إذا نبههم أحد إلى أن اللحم الذى يأكلون منه مذبوح للأوثان ، فيجب عليهم فى هذه الحالة أن يمتنعوا عن الأكل ، لعدم إعثار ذوى الضمائر الضعيفة (١ كو ١٠ : ٢٧-٢٩) .

(جـ) **نهى نهياً قاطعاً عن الإشتراك فى الإحتفالات التى تقام فى الهياكل الوثنية وتناول أى طعام فيها** ... لقد اعتبر الرسول أن تقدمات الوثنيين فى هذه

---

(170) Apostolical Constitutions, 2. 46-53, (A.N.F., p. 417-419).

الحالة مقدمة للشياطين . واعتبر كل مَنْ يأكل أو يشرب من هذه التقدمات هو شريك الشياطين ، على نحو ما يجعلنا الإشتراك فى جسد المسيح ودمه واحداً معه . ولا شك أن الرسول كان يخشى مما يمكن أن تحدثه هذه الإحتفالات بما تحويه من مجون فى بعض الأماكن والمعابد ، وما يضيفه الجو الوثنى العام ، من ضعف البعض وإرتدادهم إلى الوثنية ، وخاصة وقد كانوا مايزالون حديثى عهد بالإيمان ، إلى جانب ما يمكن أن يحدثه هذا التصرف من عثرات لبعض ذوى الضمائر الحساسة . لذا ينصحهم الرسول بالهروب من عبادة الأوثان . ونلاحظ أنه نفس التعبير الذى يستخدمه فيما يختص بالزنى ، ولعل هذا يوضح لنا مدى تأثير الوثنية على الناس فى ذلك الوقت (١ كو١٠ : ١٤-٢١) .

على إننا نرى أنه من المفيد أن نعرض بعض الجوانب التى راعاها الرسول فى حل هذه المشكلة الحساسة . وتتلخص فى أنه لا يكفى لتنفيذ أمر ما ، إقتناع الإنسان بأنه على صواب ، وإرتياح ضميره له ، غير مبال بعثرة الآخرين .

+ فكنيسة المسيح تضم أعضاء مختلفين من جهة مستوياتهم فى المعرفة .. فالبعض على جانب من المعرفة تؤهلهم إلى الإستخفاف بالأوثان ، واعتبارها لا شىء ويؤمنون أنه « ليس وثن فى العالم ، وأن ليس إله آخر إلاَّ واحد » (١ كو٨ : ٤) ... لكن إلى جانب هؤلاء ، يوجد فريق من البسطاء تعوزهم هذ المعرفة ، لأنه « ليس العلم فى الجميع » (١ كو٨ : ٧) ... ومثل هؤلاء تتعب ضمائرهم إزاء الموضوع الذى نحن بصدده ، وينبغى عدم تجاهلهم لأن مَنْ لا يبالى بذوى الضمائر الضعيفة يخطىء إلى المسيح (١ كو٨ : ١٢) .

+ على الرغم من إبراز الرسول لفكرة أن « **الطعام لا يقدمنا إلى الله ، لأننا إن أكلنا لا نزيد ، وإن لم نأكل لا ننقص** » (١ كو٨ : ٨) ... وأنه لا ينجسنا لأن « **ليس ما يدخل الفم ينجس الإنسان** » (مت ١٥ : ١١) ، ... فإنه يقول « **انظروا لئلا يصير سلطانكم هذا معثرة للضعفاء** » **(١ كو٨ : ٩) .**

+ ويخلص القديس بولس من هذا الموضوع بمبادىء عامة سامية ، تدل على أنه

لا يفكر فى ذاته بل فى الآخرين ، ولا يعيش لنفسه بل لهم ... **وهذه المبادىء هى للتنفيذ فى كافة المجالات والأوضاع :**

« كل الأشياء تحل لى لكن ليس كل الأشياء توافق »

« كل الأشياء تحل لى لكن ليس كل الأشياء تبنى »

« لا يطلب أحد ما هو لنفسه ، بل كل واحد ما هو للآخر »

(١ كو ١٠ : ٢٣ ، ٢٤)

وهو فى سبيل تحقيق هذه المبادىء ، ومن أجل محبته لإخوته ، الذين مات المسيح لأجلهم ، مستعد أن يحرم نفسه من أكل اللحم إلى الأبد « لذلك إن كان طعام يعثر أخى ، فلن آكل لحماً إلى الأبد لئلا أعثر أخى » (١ كو٨ : ١٣) .

وقد صارت تعليمات القديس بولس فى هذا الأمر هادية للكنيسة كلها فى ذلك العصر المبكر . ونجد تأكيداً لذلك فى تعاليم الآباء الرسل ، وفى حوار يوستينوس الشهيد مع تريفو اليهودى (١٧١) .

أسماء المؤمنين

لقد دعا الرب يسوع أولئك الذين تجمعوا حوله **« تلاميذاً »** ودعا هو ذاته **« معلماً »** ... ولقب معلم وتلاميذ لم يكن غريباً عن تلك البيئة . فقد عرف أتباع يوحنا المعمدان باسم « تلاميذ يوحنا » (١٧٢) . كانت علاقة الرب يسوع بتلاميذه خلال حياته فى الجسد ، علاقة المعلم بتلاميذه . أما إيمانهم به على أنه المسيا ، فقد ظل سراً غير واضح إلى ما بعد قيامته .

وبعد قيامة الرب يسوع من بين الأموات ، وحلول الروح القدس ، شهد تلاميذه علانية أنه هو المسيا ، واستمروا يدعون أنفسهم « تلاميذ » .. على أن التسمية

(171) Didache, 6. 3; Justin Martyr, Dialogue, 34, 8.35. 1. Leitzmann, p. 139.

(١٧٢) انظر : مت ٩ : ١٤ ؛ لو ١١ : ١ ؛ يو ١ : ٣٥ ؛ ٣ : ٢٥ .

« **تلاميذ** » لم تكن قاصرة على الرسل الإثنى عشر ، بل أطلقت على جميع أعضاء الكنيسة الأولى ، الذكور والإناث (١٧٣) . وقد شاعت هذه التسمية على وجه الخصوص بين مسيحيى فلسطين (١٧٤) .

ويتضح لنا من دراسة سفر أعمال الرسل ورسائلهم ، أن هناك ثلاث تسميات شاعت فى العصر الرسولى وما بعده ، دعى بها المسيحيون ... وهذه التسميات هى : مؤمنون وقديسون وإخوة ... وهى تعبر عن حياة أولئك المسيحين الأوائل (١٧٥) .

+ **فتسمية « مؤمنين »** (١٧٦) ، كانت تعبر عن إيمانهم الجديد الذى إقتبلوه ، وحياة الإيمان التى يحيونها ، حية فى أشخاصهم وفى سلوكهم ...

+ **أما تسمية « قديسين »** ، فكانت تعبر عن حياتهم وعلاقتهم بالله ... فقد تقدسوا فى الله وله بالروح القدس ، وكانوا فى حياتهم فى قداسة حقيقية كشركاء للمجد العتيد . إن كلمة قديسين باليونانية هى hagios ، والفعل منها hagiazo ومعناه « يفرز و يكرز لأجل الله » ... وهكذا فإن لفظ « **قديس** » تعنى مسيحى مفرز ومكرس لأجل الله ... **لم تكن تسمية « قديسين » مجرد تسمية ، لكنها كانت تعبيراً عن واقع قدسى روحانى يحياه المسيحيون ... كانوا يشعرون أنهم للرب وليسوا لسواه ، كشىء مكرس ومقدس ، لا يستخدم إلاّ للشىء الذى كرس له وقدس لأجله .** وتقابلنا هذه التسمية كثيراً فى سفر الأعمال ورسائل الآباء الرسل (١٧٧) ...

---

(١٧٣) انظر : أع ٩ : ١ ، ١٠ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٣٦ ؛ ١١ : ٢٦ ؛ ١٣ : ٥٢ ؛ ١٤ : ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٨ ؛ ١٥ : ١٠ ؛ ١٦ : ١ .

(١٧٤) أطلق اليهود فى بداية الأمر على مواطنيهم المرتدين (المسيحيين) بعض تسميات مثل « ناصريين » و « جليليين » (أع ١ : ١١ ؛ ٢ : ٧) . لكن هذه التسميات لم تنتشر إلاّ فى دوائر ضيقة ، واستخدمت غالباً للتحقير.

(175) Harnack, Missions ... pp. 399-404.

(١٧٦) انظر : أع ٥ : ١٤ ؛ ١٦ : ١ ؛ أف ١ : ١ ؛ كو ١ : ٢ ؛ ١ تى ٥ : ١٦ .

(١٧٧) انظر : أع ٩ : ١٣ ، ٣٢ ، ٤١ ؛ رو ١ : ٧ ؛ ١ كو ١ : ٢ ؛ أف ١ : ١ ؛ فى ٤ : ٢١ .

إن لفظ « قديسين » فى مفهومنا الحالى لا يُطلق إلاَّ على مَنْ انتقلوا إلى العالم الآخر ، وعاشوا حياة القداسة على الأرض . أما فى عصر الرسل فكانت تطلق على أعضاء الكنيسة الأحياء ... ظلت هذه التسمية شائعة ، يطلقها المسيحيون على بعضهم بعضاً حتى ما بعد منتصف القرن الثانى ، لكن ما لبثت أن إختفت تدريجياً بعد ذلك ، إذ لم يعد للمسيحيين الشجاعة على دعوة أنفسهم « قديسين » بعد أن بدأت تظهر عليهم أعراض الضعف الروحى وبدأت تأثيرات العالم تأخذ طريقها إليهم (١٧٨) .

+ وإذا كانت التسمية « مؤمنين وقديسين » ، هى تعبير عن علاقتهم بالله ، **فالتسمية الثالثة « إخوة وأخوات » تعبير عن علاقتهم بعضهم ببعض كأعضاء فى جسد المسيح الواحد** (١٧٩) . تلك العلاقة الحبية التى كانت تدعو إلى الدهشة والإعجاب ، كما أشرنا إلى ذلك قبلاً ... إنها تسمية تلائم سلوكهم المسيحى (١بط٢ : ١٧ ؛ ٥ : ٩) ... وأسفار العهد الجديد وكتابات الآباء الرسوليين وبخاصة كتابات كليمنضس الرومانى وتعاليم الرسل Didache . تكشف لنا عن سمو حياة المسيحيين الأوائل وحياتهم الأخوية ...

أما التسمية « **مسيحيين** » الشائعة الآن ، فقد بدأت فى أنطاكية حينما « دعى التلاميذ مسيحيين فى أنطاكية أولاً » (أع ١١ : ٢٦) ... ولم يستخدم بولس هذه التسمية فى رسائله ، ولا نجدها فى أى موضع فى العهد الجديد كتسمية أطلقها المسيحون على أنفسهم ... فلم ترد إلاَّ فى موضعين ، ويبدو أنها مقتبسة مما تردد على ألسنة خصومهم (١بط ٤ : ١٦ ؛ أع٢٦ : ٢٨) ... ومن ناحية أخرى لا نجد لها أى أثر فى كتابات الآباء الرسوليين ما عدا أغناطيوس الأنطاكى الشهيد الذى إستخدمها كثيراً ... لقد أطلقت هذه التسمية للسخرية والاستهزاء بأولئك الذين عبدوا المسيح الإله دون الإمبراطور الرومانى . وقد بدأت السلطات الرومانية تستخدمها منذ عهد تراجان (٩٨ ــ ١١٧ م) (١٨٠) .

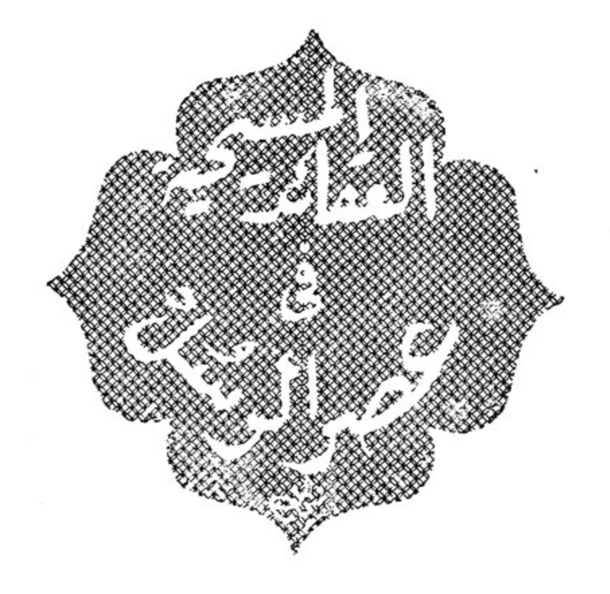
---

(178) Harnach, Missions ..., p. 405.

(١٧٩) انظر : أع ١٤ : ٢ ؛ ١٧ : ١٠ ؛ ١٤ ؛ ٢٨ : ١٤ ؛ رو١٦ : ١٤ ؛ ١ كو١٦ : ١٢ ، ٢٠ ؛ غل ١ : ٢ ؛ فى ١ : ١٤ ؛ ٤ : ٢١ ؛ ١تى ٤ : ٦ ؛ عب ٢ : ١١ ؛ ١ يو ٣ : ١٤ .

(180) Harnack, Missions ..., pp. 405-412; Wuest, The Pastoral Epistles, p. 83.

الباب الخامس



ماذا عن إيمان كنيسة الرسل ؟

هل كان مجرد إيماناً ساذجاً بشخص الرب يسوع المسيح وخلاصه، قوامه حياة التعبد والتقوى الخالصة فقط، دون أن يلتزم المؤمن بعقائد إيمانية محددة ؟

الواقع أنه يخطىء مَنْ يظن هذا الظن، أو يتصور الكنيسة الأولى بهذه الصورة ... لقد كانت لكنيسة الرسل عقائد إيمانية أساسية محددة، صاغتها فى قانون إيمان، عُرف فيما بعد باسم قانون إيمان الرسل. وقد حفظ كل راغب فى العماد هذا القانون، وكان يعلنه لحظة عماده، متعهداً بالتمسك به (1) ...

يقول الأستاذ تشارلس جور (2) Charles Gore : [**إن تصوير المسيحية الأولى على أنها مجرد طريق للحياة بدون عقيدة لاهوتية ـ على نحو ما تصورها العظة على الجبل ـ ولا شيء غير ذلك ـ أمر ليس فيه إنصاف، ولا تؤيده الأسانيد التاريخية** ... لقد وجد منذ البداية إيمان عام واحد، كثيراً ما أشار إليه العهد الجديد تحت اسم « التقليد » (١كو١١ : ٢)، « صورة التعليم التى تسلمتموها » (رو٦ : ١٧)، « تعليم الرسل » (أع٢ : ٤٢)، « صورة الكلام الصحيح » (٢تى١ : ١٣) ؛ « الإيمان المسلّم مرة للقديسين » (يه٣) ... وإيمان الكنيسة كما عبر عن ذاته فى الحياة والعبادة والغيرة والاستشهاد كان قوياً سليماً، ويشير إلى أن مصدره هو تعليم الرسل وكتاباتهم ..] .

كانت هناك إذن عقائد إيمانية محددة فى كنيسة الرسل ... وقد دافع الرسل عنها وحاربوا الخارجين عنها الذين ـ بحسب تعبير معلمنا بطرس ـ « يدسون بدع هلاك » وحذروا المؤمنين منهم ومن ضلالاتهم . وقطعت الكنيسة

---

(1) Rawson Lumby; The History of The Creeds, pp. 1-11.

انظر : تفسير المؤرخ روفينوس لقانون إيمان الرسل ـ وقد أشرنا إليه فى موضع آخر فى هذا الفصل .

(2) The Incarnation of the Son of God, pp. 93, 94.

من شركتها كل مَنْ يخرج عن إيمانها السليم (٣) ... بل وصل الأمر بالقديس يوحنا الرسول ــ الذى كان يتصف بالرقة والوداعة ــ أن أمر المؤمنين بألاّ يسلموا على أمثال هؤلاء المبتدعين، ولا يقبلوهم فى بيوتهم، وإلاّ اعتبروا شركاءهم فى أعمالهم الشريرة (٢ يو ١٠ ، ١١) ...

ونجد الغيرة واليقظة على الإيمان، واضحة أيضاً فى كتابات الآباء الرسوليين :

فالقديس أغناطيوس الشهيد لم يكتف بتحذير المؤمنين من سماع أقوال المبتدعين الهراطقة، بل نعتهم بأقبح النعوت فقال عنهم إنهم : ذئاب خاطفة بمظاهر خداعة، وحيوانات مفترسة فى صورة بشرية، ونعوش ومقابر، وأغصان طــفيلية تحمل أثماراً مسمومة لم يغرسها الرب، وجيف منتنة . يعلمون تعليماً فاسداً يفسد الإيمان، ونصيبهم النار المؤبدة . ويمزجون السم الزعاف بالخمر لينشروا الموت ... ويحذر أهل سميرنا قائلاً : [تجنبوهم ولا تتحدثوا معهم لا منفردين ولا مجتمعين] (٤) ... **وهكذا يفعل القديس بوليكاربوس فى رسالته إلى أهل فيلبى** (٥) .

ونشير فى هذا الفصل إلى العقائد المسيحية الأساسية فى عصر الرسل ... ونلفت النظر إلى أننا فى تعرضنا لهذه العقائد، لا نعالجها كمواضيع عقيدية يدلل على صحتها من أسفار الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، ومن أقوال آباء الكنيسة فى مختلف عصورها، ومن قرارات المجامع المسكونية مثلاً، ومن وسائل الأثبات، لكننا عرضنا لها كعقائد مسيحية فى كنيسة الرسل ... ولم نتجاوز فى إثباتها كتابات الآباء الرسل الواردة فى أسفار العهد الجديد، وأقوال الآباء الرسوليين ... وفى موضوع لاهوت السيد المسيح، تركنا جانباً أقوال المسيح نفسه الواردة فى البشائر الأربع حتى لا يكون هو شاهداً لذاته ...

(٣) انظر : رو ١٦ : ١٧ ، ١٨ ؛ غل ١ : ٦ - ٩ ؛ كو ٢ : ٤ ، ٨ ؛ تى ٣ : ١٠ ؛ عب ١٣ : ١٩ ؛ ٢ بط ٢ : ١ ؛ ١ يو ٤ : ١ .

(4) Ignatius: phild, 2.3.6; Smyrn., 4.5.6; Eph., 16; Trall., 6,11.

(5) Polycarp, Phil., 7.

أولاً - العقائد الأساسية

١ - عقيدة التجسّد :

هى عقيدة المسيحية الأولى ، أن الله ظهر فى الجسد ... أن المسيح ابن الله الكلمة أخذ ناسوتاً كاملاً من العذراء مريم ... يقول القديس يوحنا الرسول : « **والكلمة صار جسداً** » (يو١ : ١٤) ... ويقول فى رسالته الأولى : « **الذى كان من البدء ، الذى سمعناه ، الذى رأيناه بعيوننا ، الذى شاهدناه ولمسته أيدينا** » (١يو١ : ١) ... « **ونحن قد عاينا** ونشهد أن الآب قد أرسل الابن مخلصاً للعالم » (١يو٤ : ١٤) .

وقد قاوم الآباء الرسل كل مَنْ أنكر التجسد الإلهى ، فكتبوا عن المنكرين يصفونهم بأضداد المسيح والمعاندين له . وحثوا المؤمنين على مجانبتهم ، وعدم مخالطتهم ...

يقول القديس يوحنا فى رسائله ... « أيها الأحباء لا تصدقوا كل روح ، بل إمتحنوا الأرواح هل هى من الله ، لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم . وبهذا تعرفون روح الله . **كل روح يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء فى الجسد فهو من الله . وكل روح لا يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء فى الجسد فليس من الله .** وهذا هو روح ضد المسيح ، الذى سمعتم أنه يأتى » (١يو٤ : ١-٣) ... « **لأنه قد دخل إلى العالم مضلون كثيرون لا يعترفون بيسوع المسيح آتياً فى الجسد . هذا هو المضل والضد للمسيح** ... إن كان أحد يأتيكم ولا يجيء بهذا التعليم ، فلا تقبلوه فى البيت ، ولا تقولوا له سلام . لأن مَنْ قال له سلام ، **فقد** إشترك فى أعماله الشريرة » (٢يو٧ ، ١٠ ، ١١) .

وعقيدة التجسد تؤلف بنداً فى قانون إيمان الرسل ، حيث يقول : [أؤمن بالله

الآب الكلى القدرة ، خالق السماء والأرض ، **وبابنه الوحيد يسوع المسيح ربنا ، الذى حُبل به من الروح القدس ، وولد من العذراء مريم (٦)]** .

والآباء الرسوليون يشهدون بهذه العقيدة :

فالشهيد أغناطيوس يقول :

[لا يوجد سوى طبيب واحد من لحم وروح ، مولود وغير مولود ، الإله المتجسد ، الحياة الحقيقية فى قلب الموت . المولود من مريم ومن الله ... يسوع المسيح ربنا] (٧) ... [صموا إذاً آذانكم عن تعاليم مَنْ لا يخاطبكم عن يسوع المسيح ابن الله ، الذى من ذرية داود ومن مريم ، المولود حقاً من الله ومن العذراء] (٨) ... وأنتم مقيمون على ثبات الاعتقاد بأن ربنا هو بالحقيقة من ذرية داود حسب الجسد ، وابن الله بإرادة الله وقدرته ، والمولود حقاً من عذراء] (٩) .

وبوليوكاربوس الشهيد يقول :

[كل مَنْ لا يعترف أن يسوع المسيح قد أتى فى الجسد هو ضد المسيح] (١٠) ويوستينوس الفيلسوف الشهيد ، يشهد بصدق هذا المعتقد فى دفاعه الأول (١١) ، وفى حواره مع تريفو اليهودى (١٢) .

٢ ـ عقيدة الفداء والصليب :

عقيدة الفداء فى المسيحية ــ أن الرب يسوع المسيح ، صنع فداءً للعالم أجمع وللبشرية كلها ــ نجدها واضحة كل الوضوح فى كتابات العهد الجديد بنفس المفهوم اليهودى القديم : إنه فدانا ، ومات نيابة عنا ، على نحو ما كان الحيوان

---

(6) The History of the Creeds; p. 7.

(7) Eph., 7.

(8) Trall., 9.

(9) Smyrn., 1.

(10) Phil., 7.

(11) 1 Apol. 33.

(12) Dial., 43.

البرىء يذبح ويموت نيابة عن إنسان مذنب ... **فالمسيح بقبوله الموت على الصليب . جعل نفسه بديلاً عن الإنسان ، ونقلت عقوبة الخطية ومسئولياتها التى على الإنسان ووضعت على رأس المسيح .** وهذا هو ما يعنيه إشعياء بقوله : « الرب وضع عليه إثم جميعنا » (إش ٥٣ : ٦) ...

ويوضح القديس بولس هذا المفهوم فيقول :

« المسيح افتدانا من لعنة الناموس ، إذ صار لعنة لأجلنا ، لأنه مكتوب ملعون كل مَنْ عُلِقَ على خشبة » (غل ٣ : ١٣) .

« الذى لم يعرف خطية ، صار خطية لأجلنا ، لنصير نحن بر الله **فيه** » (٢ كو ٥ : ٢١) . وواضح أن الرسول يتكلم فى هذه الآية كما لو كان المسيح ذبيحة خطية ... « إذ نحن نحسب هذا أنه إن كان واحد قد مات لأجل الجميع ، فالجميع إذاً ماتوا » (٢ كو ٥ : ١٤) ... « أسلم نفسه لأجلنا قرباناً وذبيحة لله ، رائحة طيبة » (أف ٥ : ٢) ... « لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة ، مولوداً تحت الناموس ، ليفتدى الذين تحت الناموس لننال التبنى » (غل ٤ : ٤ ، ٥) . « ومنه أنتم بالمسيح يسوع ، الذى صار لنا حكمة من الله وبراً وقداسة وفداءً » (١ كو ١ : ٣٠) .

ويوضح الرسول فعالية ذبيحة المسيح الفدائية الكفارية ، فيقول : « الذى فيه لنا الفداء ، **بدمه غفران الخطايا ،** حسب غنى نعمته » (أف ١ : ٧ ؛ كو ١ : ١٤) ... ويبيّن استمرار فعاليتها فيقول : « وليس بدم تيوس وعجول ، بل بدم نفسه دخل مرة واحدة إلى الأقداس ، **فوجد فداء أبدياً** » (عب ٩ : ١٢) ... أما عن حدودها ، فقد أوضح الرب يسوع نفسه أن فداءه يشمل كافة البشرية (مت ٢٠ : ٢٨ ؛ مر ١٠ : ٤٥) ... والرسول بولس يؤكد هذا المعنى فيقول : « الذى بذل نفسه **فدية لأجل الجميع** » (١ تى ٢ : ٦ ؛ ٢ كو ٥ : ١٤) .

الصـــليب :

ويتصل الصليب إتصالاً وثيقاً بعقيدة الفداء ... وقد اعتقدت الكنيسة

منذ نشأتها بأنه **قوتها وفخرها ومجدها** ... والأمر واضح فى كتابات القديس بولس والآباء الرسوليين :

فهو قوة الله ... « إن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة ، وأما عندنا نحن المخلصين فهو قوة الله ... نحن نكرز بالمسيح مصلوباً » (١ كو١ : ١٨ ، ٢٣) .

وهو موضوع تطلع المؤمنين الدائم « لأنى لم أعزم أن أعرف شيئاً بينكم إلاَّ يسوع المسيح وإياه مصلوباً » (١ كو٢ : ٢) ... و يعاتب الغلاطيين و ينسب لهم الغباء فى الفهم ، لأنهم يتجاهلون يسوع المسيح المصلوب ... « أنتم الذين أمام عيونكم قد رسم (١٣) يسوع المسيح بينكم مصلوباً » (غل٣ : ١) .

وهو موضوع فخر المؤمن « وأما من جهتى فحاشا لى أن أفتخر إلاَّ بصليب ربنا يسوع المسيح الذى به قد صُلِبَ العالم لى وأنا للعالم » (غل٦ : ١٤) .

ويقول أغناطيوس الشهيد فى رسالته إلى الأفسسيين : [إن روحى مكرسة للصليب ، الذى هو عثرة لغير المؤمنين ، لكنه خلاصنا وحياتنا الأبدية] (١٤) ... و يصوره فى موضع آخر بشجرة ، غصيناتها هم المؤمنون ، وعصارة الشجرة هى دم المسيح (١٥) .

والشهيد بوليكاربوس فى رسالته إلى أهل فيلبى يقول : [كل مَنْ لا يعترف بان يسوع المسيح قد أتى فى الجسد هو ضد المسيح . ومَنْ لا يعترف بموته على الصليب فهو من إبليس] (١٦) .

ويوستينوس الشهيد فى حواره مع تريفو اليهودى ، يتكلم كثيراً عن الصليب ورموزه فى العهد القديم (١٧) ... كما أشار إليه وإلى البركات النابعة منه كاتب رسالة برنابا (١٨) .

---

(١٣) اللفظ لا علاقة له بالرسم والتصوير . اللفظ اليونانى Prographo ومعناه يُشهر أو يُعلن .

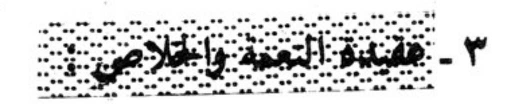
(14) Eph. 18.1

(15) Trall., 1.2; phild., 3.1.

(16) Phil., 7.1.

(17) Dial. Chs. 55, 86, 89-91.

(18) The Ep. of Barnabas; Ch. 11.



نعمة الله هى السبب فى كل ما يتمتع به البشر من بركات العهد الجديد ... فلولاها ما كان فداء ولا كان خلاص ولا شىء مما نتج عن ذلك ... لقد طرد الإنسان الأول من الفردوس بسبب عصيانه ، وأغلق على أثر ذلك ، وأقام الله « الكروبيم ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة » (تك٣ : ٢٤) ... لكن كيف أعيد الإنسان إلى رتبته الأولى ،- فهذا هو دور نعمة الله ...

ولفظ « نعمة xápic » فى أصله اللغوى اليونانى قبل المسيحية ، كان يستخدم للتعبير عن فضل أو إحسان قدمه إنسان لآخر عن جود قلبى طاهر ، دون أمل فى أن يرد هذا الآخر الجميل لصاحبه ... واستخدمت فى العهد الجديد عن جود الله المجانى الذى صنعه مع البشر عند الجلجثة ، حينما أخلى ذاته ، وتنازل عن مجده ، وحمل خطاياهم والعقوبة التى يستحقونها ... **ونلاحظ أن استخدام الكلمة فى اليونانية القديمة ، كان للتعبير عن الجميل أو المعروف الذى يقدَّم إلى صديق ، وليس إلى عدو . أما فى حالة الله ، فقد قدم إحسانه إلى أعدائه ... إلى البشر الخطاة الذين إمتلأ قلبهم كراهية نحو الله** [١٩] ... **ومهما يكن من أمر فإن كلمة « نعمة xápic » فى العهد الجديد هى كلمة جديدة ، بمفهوم جديد ، وأصبحت إصطلاحاً خاصاً** [٢٠] . وتتردد كلمتا النعمة والخلاص كثيراً فى أسفار العهد الجديد ، خاصة فى رسائل القديس بولس ... **لكن من الخطأ تصوّر أن القديس بولس هو صاحب هذه العقيدة ، وأصل هذا المفهوم . بل إن السيد المسيح هو مصدره ، وإن كان بولس أبرزه إبرازاً متميزاً واضحاً** ... فالسيد المسيح يعبر عن نعمة الله المحبة الرحيمة التى تريد خلاص جميع البشر ، و يصورها بكلمات وأمثال ، دون أن يضبطها فى تعبيرات وألفاظ محددة ... فوصيته أن نحب ــ ليس أحباؤنا فقط ــ بل أعداءنا أيضاً ، تشبهاً بالآب السماوى الذى

---

(19) Wuest; Studies in the Vocabulary of the greek N.T.; pp. 132-139.

(20) Torrance; The Doctrine of grace in the Apostolic Fathers; pp. 20,21.

يشرق بشمسه على الأشرار والصالحين ، ويمطر على الأبرار والظالمين (مت ٥ : ٤٣ ـ ٤٨) . ووصيته لتلاميذه « مجاناً أخذتم مجاناً أعطوا » (مت ١٠ : ٨) . وفى سعيه نحو الخطاة وجلوسه معهم ، وفى أمثلته التى ساقها عن محبة الله لخلاص الأشرار ، وحنوه فى معاملتهم كما فى حالة المرأة الزانية التى أمسكت فى ذات الفعل (يو٨ : ٣-١١) ... فى كل ذلك إعلان بالأمثال والتصرفات والإشارات لنمة الله الفائقة ، الحانية الشاملة ، المجانية ...

والنعمة مرتبطة إرتباطاً وثيقاً بموضوع الخلاص . فإن كانت نعمة الله ظهرت فى خلاص البشر . فيكون الخلاص من جانب البشر ، هو نوال هذه النعمة ... **وفيما يختص بموضوع نعمة الله وخلاصه ، فى المفهوم الرسولى ، نلاحظ الآتى :**

(أ) إن هذه النعمة ، وهذا الخلاص ــ من جانب الله ــ هما هبة مجانية ، بلا مقابل ، ولا تتوقف على إستحقاقات البشر وأعمالهم ...

فالبشر جميعاً شملتهم الخطية ، وملكت عليهم ، يستوى فى ذلك الوثنى واليهودى ... « لأنه لا فرق . إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله » (رو٣ : ٢٢ ، ٢٣) ... والناموس ــ وهو مجموع الوصايا التى أعطاه الله لشعبه اليهودى ، لم يكن له القدرة على تخليصهم « لأنه بأعمال الناموس كل ذى جسد لا يتبرر أمامه » . وكل ما استطاع الناموس أن يفعله ، هو أنه كشف لهم سوء أحوالهم وإحتياجهم لله « لأنه بالناموس معرفة الخطية » (رو٣ : ٢٠) ... « وأما الناموس فدخل لكى تكثر الخطية » (رو٥ : ٢٠) ... وهكذا فقد كان الناموس بمثابة مرآة تستعمل لاقناع ذى الوجه القذر بقذارته ، دون أن يكون لها القدرة على تنظيفه ...!!

والنتيجة التى وصل إليها القديس بولس بعد أن استعرض حالة العالم الأدبية الروحية والشرور الكثيرة التى غرق فيها ... **النتيجة** ... « يستد كل فم و يصير كل العالم تحت قصاص من الله » (رو٣ : ١٩ ، ٢٣) ... **وكنتيجة لهذه النتيجة** تظهر نعمة الله المخلّصة المجانية « متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذى بيسوع المسيح . الذى قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه ، لإظهار بره من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله » (رو٣ : ٢٤ ، ٢٥) ... بهذا نستطيع أن نفهم كلمات الرب

يسوع : « لا يقدر أحد أن يقبل إليَّ إن لم يجتذبه الآب » (يو٦ : ٤٤) ... لا إستحقاقات للبشر فى هذه النعمة ، وإلاً لـو كان للبشر إستحقاقات ما كانت تعتبر نعمة « فإن كان بالنعمة فليس بعد بالأعمال (٢١) ، وإلاً فليست النعمة بعد نعمة . وإن كان بالأعمال (٢١) فليس بعد نعمة » (رو١١ : ٦) ... « الله الذى هو غنى فى الرحمة من أجل محبته الكثيرة التى أحبنا بها ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح . بالنعمة أنتم مخلصون ... ليظهر فى الدهور الآتية غنى نعمته الفائق باللطف علينا فى المسيح يسوع . لأنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان ، **وذلك ليس منكم . هو عطية الله . ليس من أعمال** (٢١) **كيلا يفتخر أحد** » (أف ٢ : ٤-٩) (٢٢) ...

ونلفت النظر ــ فيما يختص بكلام الرسول السابق عن التبرير بالنعمة المجانية ، وليس بالأعمال ، أن المقصود هو حياة البشر عامة وأعمالهم السابقة للفداء الذى تم على الصليب ، ولا يقصد بها بحال أعمال الإنسان المسيحى المؤمن فى ظل الفداء والصليب ، فنعمة الله التى ظهرت فى عمل المسيح الكفارى كانت ــ بحسب تعبير القديس بولس : **« صفحاً عن الخطايا السالفة »** (رو٣ : ٢٥) ... على نحو ما يصدر رئيس دولة عفواً عاماً عن المسجونين السياسيين مثلاً ... فليس معنى هذا أن يعود هؤلاء المسجونون المحررون أو غيرهم إلى نفس جرائمهم أو جرائم مشابهة ، إحتماء فى العفو السابق ، أو إستغلالاً له ... وسنعود إلى مناقشة هذا الموضوع فيما بعد .

(ب) أن هذه النعمة المجانية المخلّصة عامة لجميع البشر منذ آدم وإلى نهاية العالم ... فإن كانت خطية آدم الأول شملت كافة البشر ، فنعمة المسيح الفائقة أقوى بما لا يقاس ... « كما فى آدم يموت الجميع ، هكذا فى المسيح سيُحيا الجميع » (١ كو١٥ : ٢٢) ... « ليس كالخطية هكذا أيها الهبة . لأنه إن كان بخطية واحد مات الكثيرون . فبالأولى كثيراً ، نعمة الله ، والعطية بالنعمة التى بالإنسان الواحد يسوع المسيح ، **قد إزدادت للكثيرين** » (رو٥ : ١٥) ...

---

(٢١) المقصود بالأعمال هنا ، أعمال البشر السابقة للفداء .

(٢٢) انظر : أف ١ : ٤ - ٦ ؛ ٢ تى ١ : ٩ ؛ رؤ ٢١ : ٦ ؛ ٢٢ : ١٧ .

« مخلصنا الله ، الذى يريد أن **جميع الناس** يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون ... الذى بذل نفسه فدية **لأجل الجميع** » (١تى٢ : ٣-٦) ... ويقول يوحنا الرسول « وهو كفارة لخطايانا . ليس لخطايانا فقط . بل لخطايا **كل العالم** أيضاً » (١يو٢ : ٢) .

(جـ) وأن هذه النعمة العامة المجانية من أجل خلاصنا ، نستحقها بالإيمان فى شخص المسيح الفادى وعمله الخلاصى .

فلا شك أن الإيمان بالمسيح الفادى وبعمله الكفارى الخلاصى **هو المدخل** لهذه النعمة ... نقول المدخل ولا نقول إنه كل شىء ... هكذا يقول القديس بولس : « ... ربنا يسوع الذى به أيضاً **قد صار لنا الدخول بالإيمان إلى هذه النعمة** التى نحن فيها مقيمون » (رو٥ : ١ ، ٢) ... فالإنسان الذى هو خارج الدائرة يحتاج أن يُدخل أولاً ، وبعد ذلك يقال له ماذا ينبغى أن يفعل فى الداخل ... « متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذى بيسوع المسيح ... بالإيمان بدمه » (رو٣ : ٢٤ ، ٢٥) ... « لأنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان » (أف ٢ : ٨) ...

على أن هذه الآيات التى ترسم لنا التبرير بالإيمان بالنعمة المجانية ، إنما هى توضيح للجانب الإلهى . لكن الخلاص الأبدى الأخير لا يناله الإنسان إلاَّ بما يقوم به هو من أعمال صالحة كتجاوب مع نعمة الله ... وسنعرض لهذا فيما بعد .

(د) قلنا فى النقطة السابقة إن النعمة العامة المجانية **نستحقها** بالإيمان فى شخص المسيح ، **ولم نقل إننا ننالها بالإيمان** ... وقلنا عن الإيمان إنه **المدخل فقط ،** لأنه هو الخطوة الأولى التى تفتح القلب لقبول الخلاص . **ومع ذلك فليس الإيمان هو الذى يخلص الإنسان ، إنما الذى يخلص الإنسان هو المعمودية** [٢٣] ... « مَنْ آمن واعتمد **يخلص** ومَنْ لم يؤمن يدان » (مر١٦ : ١٦) ... فالإيمان

(٢٣) الأنبا غريغوريوس : مفهوم الخلاص فى الكنيسة الأرثوذكسية ـ محاضرة فى مؤتمر خريجى الكلية الإكليريكية فى الفترة من ٦ إلى ٩ فبراير سنة ١٩٦٧ .

يجعل القلب فى حالة القبول والاستعداد للخلاص ، لكنه لا يخلص . والخلاص لا يتم بغير المعمودية ، التى ينقل بها الروح القدس إلينا إستحقاقات المسيح الكفارية ، وخلاصه الذى تممه بالصليب . نلاحظ قول الرب : « مَنْ آمن واعتمد » ، ولم يقل « مَنْ آمن » فقط . وأما قوله « ومَنْ لم يؤمن يدان » فلأن الإيمان هو الخطوة الأولى التى تمهد للخلاص . فإذا لم يوجد لدى الإنسان الإيمان ، فإنه يدان على عدم إيمانه ، ولكن إذا وجد الإيمان ، فليس بالإيمان يخلص ، ما لم تأت الخطوة التالية وهى المعمودية .

٤ - عقيدة موت المسيح وقيامته :

موضوع موت المسيح وقيامته عقيدة أساسية فى كنيسة الرسل ، ونلمسها واضحة فى الأسفار المقدسة (٢٤) . فمنذ اليوم الأول الذى تأسست فيه الكنيسة المسيحية ، نرى موت المسيح وقيامته يحتل حجر الزاوية فى التعليم ، على أنها حقيقة حدثت تماماً لنبوات الأنبياء قديماً ...

ففى عظة بطرس يوم تأسيس الكنيسة نراه يؤكد هذا الأمر « بأيدى أثمة صلبتموه وقتلتموه . الذى أقامه الله ناقضاً أوجاع الموت » (أع ٢ : ٢٣ ، ٢٤) ... ونفس الكلام تكرر فى الهيكل اليهودى ، ومرتين أمام مجمع السنهدرين (٢٥) ... وأكد الكلام السابق استفانوس فى خطابه النارى أمام المجمع (أع ٧ : ٥١ ، ٥٢) ... ولا شك أن موضوع موت المسيح وقيامته كان هو موضوع كرازة فيلبس للخصى الحبشى الذى كان يقرأ من إشعياء الفصل الخاص بآلام المسيح (أع ٨ : ٣٢) ... وكان هو أيضاً موضوع كرازة بطرس لكرنيليوس (أع ١٠ : ٣٨-٤٠) ... وهكذا فعل بولس فى المجمع بأنطاكية بيسيدية (أع ١٣ : ٢٨-٣٠) .

ويروى معلمنا بولس أن التقليد الخاص بموت المسيح وقيامته ، تسلمه من

(24) Weiss, Earliest Christianity, Vol. 1, pp. 94-96.

(٢٥) انظر : أع ٣ : ١٥ ؛ ٤ : ١٠ ؛ ٥ : ٣٠ - ٣٢ .

الكنيسة وقبله كعقيدة أساسية ... « **فإننى سلمت إليكم فى الأول ما قبلته أنا أيضاً** ، أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب . وأنه دفن ، وأنه قام فى اليوم الثالث حسب الكتب » (١ كو١٥ : ٣ ، ٤) ... و يوصى أهل كورنثوس أن يحفظوا هذه الذكرى مرتبطة بالأفخارسيتا (١ كو١١ : ٢٦) ... و يقول لأهل فيلبى : « لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه متشبهاً بموته » (فى٣ : ١٠) . و يقول للتسالونيكيين : « لأنه إن كنا نؤمن أن يسوع مات وقام ، فكذلك الراقدون بيسوع سيحضرهم الله أيضاً معه » (١تس٤ : ١٤) . **وموت المسيح وقيامته هو جوهر قانون إيمان الرسل** ... [أؤمن بالله الآب الكلى القدرة ، خالق السماء والأرض ، وابنه الوحيد يسوع المسيح ربنا ، الذى حبل به بالروح القدس ، وولد من العذراء مريم . تألم على يد بيلاطس البنطى ، وصلب ومات ودفن ونزل إلى الجحيم . وقام من الأموات فى اليوم الثالث ، وصعد إلى السموات ، وجلس عن يمين الله الآب الكلى القدرة] (٢٦) ...

وهو واضح أيضاً فى كتابات الآباء الرسوليين :

يذكره **أكليمنضس الرومانى** (٢٧) مستشهداً بما جاء فى (إش٥٣) ... و يذكره **أغناطيوس الأنطاكى الشهيد** فى رسائله (٢٨) . وكذلك بوليكاربوس الشهيد فى رسالته إلى أهل فيلبى (٢٩) و يوستينوس الشهيد فى دفاعه الأول (٣٠) ، وحواره مع تريفو اليهودى (٣١) ، وفى كتابه عن القيامة (٣٢) ...

---

(26) The History of Creeds; p. 7.

(27) Clement of Rome, Ep. to the Corinthians, Chs. 16, 24.

(28) Mag., 11; Tral. 1,2,9; Phild., Chs. 6,8, Smyrn. Chs. 1,6,7.

(29) Ch. 2.

(30) 1 Apol., Chs. 13, 31, 35, 50.

(31) Dial., Chs. 54, 95-110.

(32) Ch. 19.

٥ - عقيدة لاهوت المسيح :

اعتقدت الكنيسة المسيحية منذ تأسيسها ، اعتقاداً أساسياً وراسخاً ، أن الرب يسوع المسيح هو الله الظاهر فى الجسد ، وأنه هو الله الكلمة (اللوغوس) ، وأنه ابن الله الوحيد الجنس ، وأنه هو المخلص الوحيد . ويتضح ذلك من النقاط الآتية التى نعرضها فى إيجاز[٣٣] .

أولاً - كانت تقدم له العبادة :

كانت الكنيسة منذ البداية ــ جماعة وأفراد ــ تقدم العبادة للرب يسوع :

+ **هكذا صلت الكنيسة فى علية صهيون** لانتخاب خلفاً ليهوذا الاسخريوطى (أع ١ : ٢٤) .

+ **وبطرس فى عظة يوم الخمسين** إقتبس من نبوءة يوئيل « ويكون كل مَنْ **يدعو باسم الرب** (يصلى باسم الرب يسوع) يخلص » (يوئيل ٢ : ٣٢ ؛ أع ٢ : ٢١) .

+ **واستفانوس أول شهداء المسيحية** ــ فيما كانوا يرجمونه ــ كان « **يدعو ويقول أيها الرب يسوع إقبل روحى** » (أع ٧ : ٥٩) ... لقد ختم إستفانوس حياته وهو يردد عبارتين من العبارات السبع ، التى قالها الرب يسوع على الصليب ... « أيها الرب يسوع إقبل روحى ... يارب لا تقم لهم هذه الخطية » (أع ٧ : ٥٩ ، ٦٠) ... وبينما وجه الرب يسوع عبارتيه للآب ، فإن استفانوس وجههما للرب يسوع . ومثال إستفانوس له قيمته ، خاصة فى تلك اللحظات الحاسمة التى رأى فيها مجد الله والسموات مفتوحة ، وكان وجهه يضىء كوجه ملاك . وهو الشخص الذى شهد عنه الكتاب المقدس أنه كان مملوءاً من الإيمان والروح القدس

(٣٣) نحن لا نثبت هنا لاهوت المسيح من العهد القديم أو من كلام السيد المسيح الوارد فى الأناجيل ، بل من كتابات الآباء الرسل والآباء الرسوليين فقط . لأن قصدنا هو إظهار عقيدة كنيسة الرسل فيما يختص بشخص المسيح .

(أع ٦ : ٥ ؛ ٧ : ٥٥ ، ٥٦) ... **على أن صلاة إستفانوس وأسلوبها ، لم تكن حدثاً . فمما لا شك فيه أنها كانت نموذجاً وامتداداً لصلواته السابقة التى إعتادها ، بل ولصلوات الكنيسة كلها آنذاك** (٣٤) .

+ **وفى قصة إيمان بولس** ، نقرأ عن المسيحيين أنهم كانوا **يدعون باسم الرب يسوع** (٣٥) أى يصلون باسمه . هكذا قال حنانيا للرب يسوع . وهذا ما علق به كل مَنْ سمع بولس يكرز بالمسيح فى دمشق عقب إيمانه (أع ٩ : ١٤ ، ٢١) . وبعد أن التقى حنانيا بشاول (بولس) قال له : « والآن لماذا تتوانى . قم واعتمد واغسل خطاياك . **داعياً باسم الرب** » (أع ٢٢ : ١٦) (٣٦) ، أى صل للرب (يسوع) ... وبعد فترة وجيزة ، كتب بولس رسالة إلى كنيسة كورنثوس عنونها : « إلى القديسين مع جميع الذين **يدعون باسم ربنا يسوع المسيح** (٣٧) فى كل مكان » (١ كو ١ : ٢) .

+ والقديس بولس الرسول كان يصلى للرب يسوع فى الهيكل بأورشليم (أع ٢٢ : ١٧ - ٢١) .

+ ويقول لأهل فيلبى : « على أنى **أرجو فى الرب يسوع** أن أرسل إليكم سريعاً تيموثاوس » (فى ٢ : ١٩) . وفى (١ تى ١ : ١٢) يقول : « وأنا **أشكر المسيح يسوع ربنا** الذى قوانى أنه حسبنى أميناً إذ جعلنى للخدمة » ... وكلا التعبيرين يظهران أن الرب يسوع كان هو محور تفكير الرسول بولس ، على نحو ما نطلق التعبيرات المعتادة ، إن شاء الله ، وأشكر الله ... إن الرب يسوع هو الإله الذى عبده بولس ، والذى ظهر له فى الجسد .

+ وواضح من كلام بولس بخصوص شوكة جسده ، أن صلواته كان يقدمها

---

(34) The Divinity of Our Lord; p. 377.

(٣٥) هكذا فى القبطية ⲉⲧⲧⲱⲃϩ ⲙ̀ⲡⲉⲕⲣⲁⲛ; ⲛ̀ⲛⲏⲉⲧⲧⲱⲃϩ ⲙ̀ⲡⲁⲓⲣⲁⲛ
بمعنى صلى أو طلب و تضرع .

(٣٦) هكذا فى القبطية ⲉⲕⲧⲱⲃϩ ⲙ̀ⲡⲉϥⲣⲁⲛ

(٣٧) لا جدال فى أن هذا التعبير معناه الصلاة ـــ انظر : **Hastings**, Dictionary of the Bible, p. 744.

للرب يسوع ... « من جهة هذا تضرعت إلى الرب ثلاث مرات ... فبكل سرور أفتخر بالحرى فى ضعفاتى لكى تحل علىَّ قوة المسيح » (٢ كو١٢ : ٨-١٠) .

+ ولم تكن الكنيسة المجاهدة على الأرض هى وحدها التى تقدم العبادة للرب يسوع المسيح ، بل إشتركت معها فى ذلك كل الخلائق سواء فى السماء أو على الأرض ... يقول معلمنا بولس عن الرب يسوع : « متى أدخل البكر إلى العالم ، يقول ولتسجد له ملائكة الله » (عب ١ : ٦) . ويقول أيضاً : « لذلك (من أجل تواضعه) رفعه الله وأعطاه اسماً فوق كل اسم ، لكى تجثو باسم يسوع كل ركبة ممَنْ فى السماء ومَنْ على الأرض ومَنْ تحت الأرض » (فى ٢ : ٩ ، ١٠) ...

من هذه الآيات يتضح أن الرب يسوع ــ الإله المتجسد ــ عبده الملائكة والبشر وأرواح المنتقلين ... ولم تكن صلوات عبيده وخدامه على الأرض ، إلاَّ إنعكاساً لصلوات الكنيسة المنتصرة فى السماء . والأمر واضح فى رسائل يوحنا ورؤياه ... يقول :

« وهذه هى الثقة التى لنا عنده ، أنه إن طلبنا شيئاً حسب مشيئته يسمع لنا . وإن كنا نعلم أنه مهما طلبنا يسمع لنا ، نعلم أن لنا الطلبات التى طلبناها منه ... » (١ يو٥ : ١٤ ، ١٥) ...

هذه التوسلات من الكنيسة المجاهدة على الأرض تتوافق مع العبادة التى تقدم للرب يسوع المسيح فى السماء .

« ورأيت فإذا فى وسط العرش خروف قائم كأنه مذبوح » (رؤ٥ : ٦) ... ثم يرسم لنا يوحنا صورة ثلاثة فئات تقدم العبادة للمسيح « الخروف القائم كأنه مذبوح » ... الفئة الأولى : الأربعة حيوانات غير المتجسدين والأربعة وعشرون كاهناً ... والفئة الثانية : ربوات وألوف من الملائكة ... والفئة الثالثة ، يقول عنها يوحنا : « كل خليقة مما فى السماء وعلى الأرض وتحت الأرض ، وما على البحر كل ما فيها » (رؤ٥ : ٨-١٤) .

قد يختلف المفسرون فى مدلولات رموز سفر الرؤيا النبوية ، لكن لن يختلف إثنان فى مَنْ يكون الحمل المذبوح ، وطبيعة العبادة التى تقدم له ... إن السجود والعبادة تختص بالله وحده (تث ٦ : ١٣ ؛ ١٠ : ٢٠ ؛ مت ٤ : ١٠) ... والعبادة التى كانت تقدم للمسيح فى العصر الرسولى ، هى نفس العبادة الواجبة لله وحده ... وقد سلمت كنيسة الرسل هذه العقيدة إلى الأجيال التالية .

+ والآباء الرسوليين يشيرون فى كتاباتهم إلى عبادة ربنا ، كشىء غير قابل للنقاش .

فالقديس أغناطيوس الأنطاكى الشهيد ، يطلب من مؤمنى رومية قائلاً : [إسألوا المسيح أن يجعل منى ضحية بواسطة هذه الحيوانات] (٣٨) .

+ والقديس بوليكاربوس يفتتح رسالته إلى أهل فيلبى ببركة هى فى حقيقتها صلاة ليسوع المسيح ربنا ... وفى وقت إستشهاده قدم صلاته للمسيح (٣٩) .

وتقول قصة إستشهاد بوليكاربوس التى كتبتها كنيسة سميرنا عقب إستشهاده مباشرة ، أن اليهود أدركوا رغبة المسيحيين فى إختطاف جسد بوليكاربوس من النار ، فحرضوا الوالى ألاَّ يسلم الجسد للمسيحيين ، لئلا يتركوا المصلوب و يعبدوا بوليكاربوس ... ثم يعلقون على ذلك بقولهم عن اليهود : **[غير عالمين أننا لن نترك المسيح الذى تألم من أجل خلاص كل العالم ولن نعبد آخر]** (٤٠) .

• **والمدافعون المسيحيون أشاروا إلى هذه العبادة .** فقد إتهمهم الوثنيون فى ذلك الوقت المبكر بعبادة آلهة متعددة . لذلك نجد يوستينوس الفيلسوف الشهيد يقول فى دفاعه أن المسيحيين يعبدون الله وحده ، لكنه يؤكد أن الابن والروح القدس يشتركان مع الآب فى العبادة التى تقدم إليه (٤١) ... وفى حواره مع تريفو

(38) Rom. 4. 3.

(39) Mart. St. Polyc. ch. 14.

(40) Martyrdom of Polycarp; ch. 17.

(41) Justin; 1, Apol., 6. 17.

اليهودى ، أثبت له أن الأنبياء تنبأوا عن عبادة المسيا (٤٢) .

• **والليتورجيات القديمة تقطع بأن العبادة كانت تقدم للسيد المسيح . ففى ليتورجية القديس يعقوب أخ الرب** (٤٣) ، يقول الكاهن فى صلاة رفع البخور ... « يا ربنا وملكنا يسوع المسيح ، يا كلمة الله ، الذى قدم ذاته بإرادته ، لله الآب ، ذبيحة بلا عيب على الصليب ... » . وأيضاً « يا ربنا وإلهنا يسوع المسيح ، الذى من أجل صلاحه الفائق ، ومحبته التى لا تعاق ، صلبت ، ولم ترفض أن تطعن بالحربة وتثقب بالمسامير. الذى أعطانا هذه الخدمة السرية المخوفة ...] .

ويرتل الشماس قائلاً : « أنت هو ابن الله الوحيد وكلمة الله غير المائت ، الذى تنازلت من أجل خلاصنا ، وأخذت جسداً من والدة الإله القديسة مريم الدائمة البتولية ... أنت أيها المسيح إلهنا ، دست الموت بموتك » .

وفى ليتورجية القديس مار مرقس (القداس الكيرلسى) ، يصلى الكاهن « أنت هو الذى خلق الإنسان كصورتك وكشبهك ، وخلقت كل الأشياء بحكمتك . نورك الحقيقى ابنك الوحيد ربنا وإلهنا ومخلصنا وملكنا كلنا يسوع المسيح ، هذا الذى من قبله نشكر ونقرب لك معه ومع الروح القدس الثالوث المقدس المساوى غير المفترق هذه الذبيحة الناطقة وهذه الخدمة غير الدموية » (٤٤) .

• **والتسابيح والمزامير التى إستخدمت فى العبادة فى الكنيسة الأولى** تشهد بذلك . ويسجل لنا يوسابيوس المؤرخ عبارة وردت فى مؤلف قديم تقول [مزامير الأخوة وتسابيحهم ، التى كتبها المؤمنون منذ أيام المسيحية الأولى ، كلها تقدم التسبيح للمسيح كلمة الله ، وتعلن لاهوته] (٤٥) .

---

(42) Justin; Dial., ch. 68.

(٤٣) يؤكد كثير من العلماء صحة نسبتها إليه ــ انظر : A.N.F., Vol. 7; pp. 537, 538.

(44) A.N.F., Vol 7; p. 555.

(45) H.E., 5, 28, 5.

ويشير أوريجينوس إلى أن التسابيح وجهت لله فقط ، وابنه الوحيد الكلمة الذى هو الله أيضاً (٤٦) .

ومازالت بين أيدينا تسابيح مما كانت تستخدمها الكنيسة الأولى فى عبادتها ، وجميعها مقدمة للمسيح ... وهناك تسبحة قديمة تقول : « أيها الرب الإله حمل الله ابن الآب حامل خطايا العالم إرحمنا » (٤٧) .

وفى التقرير الذى أنفذه بلينى الأصغر Pliny حاكم بيثينية سنة ١١٢ م إلى الإمبراطور تراجان ، يصف فيه عبادة المسيحيين ، يقرر [أنه كان من عادتهم أن يجتمعوا معاً فى يوم معين من الأسبوع قبل الفجر و ينشدون بالتناوب ترنيمة للمسيح باعتبار أنه الله] (٤٨) .

ثانياً - كتابات الآباء الرسل :

وليس موضوع تقديم العبادة للرب يسوع المسيح وباسمه ، هو الوحيد الذى يقوم شاهداً على لاهوت المسيح ، بل إن كتابات الآباء الرسل ، التى حواها كتاب العهد الجديد تقطع بذلك ... فقد لقب الآباء الرسل السيد المسيح بكل الألقاب الإلهية ، كما نسبوا إليه جميع الصفات الإلهية ، التى لا يلقب بها غير الله :

١ - الألقاب الإلهية :

(أ) اللـــه :

« وبالإجماع عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد » (١ تى ٣ : ١٦) .

(46) Contra Celsus; 8, 67.

(47) The Divinity of Our Lord; pp. 394, 395.
مازالت هذه الفقرة فى تسبحة الملائكة ضمن صلاة باكر المستخدمة فى الكنيسة حتى الآن .

(48) Documents of the Christian church, pp. 4, 5.

سأل حافظ سجن فيلبى بولس وسيلا عما يفعله لكى يخلص. أجاباه: «**آمن بالرب يسوع فتخلص أنت وأهل بيتك**» ... وبعد أن اعتمد «تهلل مع جميع بيته إذ كان قد **آمن بالله**» (أع١٦: ٣١، ٣٤) ... واضح من هاتين الآيتين اللتين دونهما القديس لوقا فى سفر الأعمال، أن الإيمان بالرب يسوع، هو بعينه الإيمان بالله. يقول المرتل فى (مز٤٥: ٦، ٧): «كرسيك يا الله إلى دهر الدهور» ... ويقتبس بولس هذه الآية، فيقول فى (عب١: ٨): «وأما عن الابن، كرسيك يا الله إلى دهر الدهور». وواضح هنا أن الابن هو الله.

وفى مدينة ميليتس، حث القديس بولس قسوس أفسس أن يرعوا «كنيسة الله التى إقتناها بدمه» (أع٢٠: ٢٨). وضمير الغائب المفرد فى كلمة «دمه» تعود على الله، والذى سفك دمه هو المسيح. واضح أن المسيح هنا هو الله.

(ب) يهوه (الله فى العهد القديم):

فى الأصحاح العاشر من رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس يسوق الرسول بولس مثلين على ذلك، وهو يتكلم عن بنى إسرائيل الذين خرجوا من مصر مع موسى، وظلوا فى البرية أربعين سنة. قال:

« لأنهم كانوا يشربون من **صخرة روحية تابعتهم، والصخرة كانت المسيح**» (١كو١٠: ٤). وبالرجوع إلى (خر١٧: ٦، ٧) حيث سجل هذا الحادث، نجد أن موسى دعا اسم ذلك الموضع «مسّة ومريبة» من أجل تجربتهم للرب قائلين، **أفى وسطنا الرب أم لا** ... وبمقارنة النصين يتضح أن يهوه (الله) كان فى وسطهم، الذى كشف عنه بولس أنه المسيح [٤٩]. «ولا نجرب المسيح كما جرب أيضاً أناس منهم فأهلكتهم الحيات» (١كو١٠: ٩). وبمقارنة هذه العبارة بالحادث المشار إليه فى العهد القديم (عدد٢١: ٥، ٦). ومع ما ذكره

---

(٤٩) موضوع الصخرة موضوع جدير بالملاحظة والتأمل، خصوصاً بعد أن كشف معلمنا بولس أن «الصخرة كانت المسيح». فحينما طلب موسى أن يرى مجد الله، أمره الرب **أن يقف على صخرة** (خر٣٣: ١٨-٢٣). هل فى ذلك إشارة إلى أنه لن يرى الله إلاَّ مَنْ يقف على الصخرة أى يكون على أساس المسيح ؟! انظر وتأمل فى (مز١٠٥: ٤١؛ ١١٤: ٨) بعد ربط الصخرة بالنهر والمياه والينابيع ...

معلمنا بولس فى (عب٣ : ٧-١٠) ، يتضح أن المسيح هو يهوه العهد القديم ، الذى تذمر عليه بنو إسرائيل فى البرية .

إن الدارس لرسالة معلنا يعقوب يستطيع أن يدرك على أنه يتكلم عن السيد المسيح على أنه هو يهوه العهد القديم [٥٠] ... وبمقارنة (يع٤ : ١٢) حيث يتكلم عن الله واضع الناموس والديان ، مع (يع٥ : ٩) حيث يتكلم عن المسيح الديان ، يزداد الأمر وضوحاً .

(جـ) صورة الله غير المنظور :

قال القديس بولس « الذى (يسوع المسيح) إذ كان فى صورة الله ، لم يحسب مساواته لله إختلاساً » (فى٢ : ٦) ... **يقول الأستاذ الدكتور وست** [٥١] Wuest : **[هذه الآية وحدها كافية لدحض إدعاء منكرى لاهوت المسيح]** ... لابد إذن من وقفة عند هذه الآية التى تتكلم عن المسيح « صورة الله » ...

فى الآية السابقة ، الكلمة اليونانية المترجمة صورة هى Morphi وكلمة صورة لا تعبر بدقة عن المعنى المقصود . وعلى كلٍ ، فلا يوجد فى اللغات الحالية ـــ سواء العربية أو غيرها ـــ لفظ واحد يعبر عن معنى الكلمة اليونانية ... **هى لا تعنى الشكل الجسدى ، بل كانت تعبيراً يونانياً (فلسفياً) يعبر به عن الكائن الذى يحمل فى ذاته الطبيعة والصفة المميزتين للكائن الذى ينسب إليه ... فهى** والحال هذه تدل على الوصف الخارجى الذى ينبع من الداخل والذى يعبر به الكائن عن طبيعته فى أعمق أعماقها . كان ربنا يسوع فى صورة الله بهذا المعنى الذى أشرنا إليه . ولفظ « الله » ورد فى النص اليونانى بدون أداة تعريف ، لذا **فهو** يشير إلى الجوهر الإلهى ...

ومن هنا يتضح المعنى : فتعبير الرب يسوع الخارجى لأعمق أعماقه الداخلية بالنسبة لطبيعته ، إنما هو تعبير عن جوهر اللاهوت الإلهى . وحيث

---

(٥٠) انظر : يع ٥ : ٤ ، ٧ ، ٨ ، ١٠ ، ١١ ، ١٤ ، ١٥ ؛ ٢ : ١ .

(٥١) الأستاذ السابق للغة العهد الجديد اليونانية بمعهد مودى للكتاب المقدس فى شيكاغو.

أن ذلك التعبير الخارجى ــ الذى يدل عليه لفظ « صورة » ــ نابع من الكيان الداخلى ، ويصوره تصويراً حقيقياً ، فإنه يتبع ذلك ، أن ربنا يسوع ــ من جهة طبيعته يملك جوهر اللاهوت الإلهى ، ويشترك مع الله الآب ، والله الروح القدس فى نفس جوهر اللاهوت ...

وثمة ملاحظة أخرى على هذه الآية ... عبارة « إذ كان » فى أصلها اليونانى لا تشير إلى الزمن الماضى ، الذى تم وانقضى ، بل هى فى الصيغة التى تعبر عن حالة فى الماضى تمتد إلى الحاضر ... والمعنى أن الرب يسوع ــ من جهة حوزته جوهر اللاهوت ــ لم يتوقف عن ذلك حينما (أخلى ذاته) بالتجسد ... وبعبارة أخرى ، أن الرب يسوع كان بجوهر اللاهوت ، ليس فقط قبل تجسده ، بل بعد هذا التجسد أيضاً .

عبارة « **لم يحسب** » فى اليونانية ، تفيد الحكم المبنى على حقائق .

« **مساوياً لله** » ... ومرة أخرى كلمة الله بدون أداة تعريف ، وتعنى اللاهوت فى جوهره . والمساواة هنا لا يقصد بها المساواة بين أقانيم الثالوث القدوس ــ أى أنها لا تشير إلى مساواة الرب يسوع للأقنومين الآخرين ، فيما يختص بجوهر اللاهوت . إنما هى تشير هنا إلى مشاركة الرب يسوع للأقنومين الآخرين فى التعبير عن الجوهر الإلهى الأقدس . وهذه نقطة هامة . لأنه حينما « أخلى ذاته » ، لم يُخل ذاته من حوزة اللاهوت ، بل أخلى ذاته من التعبير عنه (٥٢) « آخذاً صورة عبد ، صائراً فى شبه الناس » .

● **وعن المسيح « صورة الله »** يقول معلمنا بولس أيضاً « الذى هو **صورة الله** غير المنظور » (كو١ : ١٥) ... « المسيح الذى هو **صورة الله** » (٢ كو٤ : ٤) وهنا كلمة صورة فى النص اليونانى هى εἰκών = eikon . وتعنى فى معناها الأصلى المماثلة . وأنها نموذج مطابق تماماً للأصل . وهى تختلف عن كلمة يونانية أخرى homoioma وتفيد معنى التشابه ... أى أن الابن هو نفس صورة الآب (صورة طبق الأصل للآب) .

---

(52) Wuest; philippians in the Yreek N.T.; pp. 62;65.

هكذا نفهم كلمات الرب يسوع « من رآنى فقد رأى الآب » (يو١٤ : ٩) . أى أن الابن هو نفس صورة الآب (صورة طبق الأصل للآب) ... إنها تفيد الاعلان عن المخفى واظهاره (٥٣) ... **وثمة فكرة أخرى تنطوى عليها كلمة « صورة »** ... فالابن (اللوغوس) هو إظهار للآب غير المنظور « الله لم يره أحد قط . الابن الوحيد الذى هو فى حضن الآب هو خبّر » (يو١ : ١٨) .

(د) إله : « المسيح ... الكائن على الكل إلهاً مباركاً إلى الأبد » (رو٩ : ٥) « فان فيه يحل (٥٤) كل ملء اللاهوت جسدياً » (كو٢ : ٩) ... « هذا هو الإله الحق والحياة الأبدية » (١يو٥ : ٢٠) ... « الإله الحكيم الوحيد مخلصنا له المجد والعظمة والقدرة والسلطان » (يه ٢٥) .

(هـ) رب : انظر (أع ٢ : ٣٦ ؛ ١ كو ٨ : ٦ ؛ ١٢ : ٣ ؛ ٢ كو ٤ : ٥ ؛ أف ٤ : ٥ ؛ فى ٢ : ١١ ؛ ٢تس ٢ : ١٦ ؛ ٢بط ١ : ١ ؛ رؤ١١ : ٨ ، ١٥) ... بل دعى رب الأرباب (رؤ١٩ : ١٥) ودعاه القديس يعقوب « رب المجد » (يع ٢ : ١) .

(و) ابن الله الوحيد الجنس : انظر (أع ٩ : ٢٠ ؛ رو ١ : ٣ ؛ ٨ : ٢٩ ، ٣٢ ؛ أف ٤ : ١٣ ؛ كو١ : ١٤ ؛ عب ١ : ٢ ؛ ٢ يو٣) .

وتعبير ابن الله الوحيد الجنس هو التعبير الذى أطلقه رب المجد يسوع على ذاته واستخدمه ليبيّن لليهود وللبشر علاقته بالآب ... أو العلاقة بين الله غير المنظور (الآب) وقد أصبح منظوراً فى المسيح (الابن) . وعبارة ابن الله معناها أنه مساو لله ... هكذا فهم اليهود هذا التعبير « فازداد اليهود لأجل هذا طلباً لقتله ... لأنه كان يقول أن الله أبوه ، مساوياً نفسه بالله » (يو٥ : ١٨) . فعبارة أن الله أبوه معناها أنه مساوٍ لله فى الجوهر (من ذات جوهر الآب) ...

---

(53) Wuest; Colossians in the Yreek N.T.; pp. 181-183.

(٥٤) كلمة « يحل » فى النص اليونانى الأصلى يفيد عنصر الدوام والاستمرار ولا يعنى الحلول المؤقت .

(ز) كلمة الله (اللوغوس) : (يو١ : ١ ، ١٤ ؛ ١يو١ : ١ ؛ ٥ : ٧) .

٢ ـ الصفات الإلهية :

+ **الخالق :** (يو ١ : ٣ ، ١٠ ؛ رو ١١ : ٣٦ ؛ كو ١ : ١٦ ؛ عب ١ : ٢ ، ١٠) .

+ **أزلي أبدى :** (١ تى ٦ : ١٦ ؛ عب ١ : ١٠ - ١٢ ؛ ١ يو ٥ : ٢٠ ؛ رؤ١ : ٤ ، ٨ ، ١٨) .

+ **روح الله هو روحه :** « وأما أنتم فلستم فى الجسد بل فى الروح ، إن كان روح الله ساكناً فيكم ، ولكن إن كان أحد ليس له روح المسيح ، فذلك ليس له » (رو٨ : ٩) .

+ **قدوس :** أع ٣ : ١٤ ، ١٥ ؛ ٤ : ٢٧ ؛ ١٣ : ٣٥ ؛ عب ٧ : ٢٦) .

+ **لا يتغير :** « يسوع المسيح هو هو ، أمساً واليوم وإلى الأبد » (عب١٣ : ٨) ... ونلاحظ أن الرسول بولس بعد هذه الآية مباشرة ، يقول للعبرانيين : « لا تساقوا بتعاليم متنوعة وغريبة » . وفى ذلك تحذير من بعض الهرطقات التى ظهرت فى ذلك الوقت مشوهة لاهوت المسيح .

+ **الديان :** (أع ١٠ : ٢٢ ؛ رو ١٤ : ١٠ ، ١٢ ؛ ١ كو ٤ : ٥ ؛ ٢ كو٥ : ١٠ ؛ ٢تى٤ : ١ ، ٨ ؛ ١بط٤ : ٥ ؛ رؤ٢٢ : ١٢) .

+ **هو الحياة ومصدرها وواهبها ، وله سلطان الموت :** (يو ١ : ١- ٤ ؛ ١يو٤ : ٩ ؛ ٥ : ١٠- ١٢ ؛ فى ٣ : ٢٠ ، ٢١ ؛ ١تس٤ : ١٦) .

+ **عالم بكل شىء :** (٢ بط ١ : ١٤ ؛ رؤ ٢ : ٢٣) .

+ **قادر على كل شىء ويمنح القوة :** (٢ كو ١٢ : ٩ ؛ فى ٤ : ١٣ ؛ كو١ ٢٨ ، ٢٩ ؛ ٢تى٤ : ١٧ ، ١٨ ؛ رؤ١ : ٨) .

+ **بلا خطية :** (عب ٤ : ١٥ ؛ ٧ : ٢٦ ؛ ١ بط ٢ : ٢٢ ؛ ١ يو ٣ : ٥) .

+ **غافر الخطايا والمطهر من كل إثم :** (أع ٥ : ٣١ ؛ ٧ : ٥٩ ، ٦٠ ؛ ١٠ : ٤٣ ؛ ٢٦ : ١٨ ؛ كو ٣ : ١٣ ؛ ١ يو ١ : ٧ ، ٩ ؛ ٢ : ١٢) .

+ **مخلص البشر وحده :** « ليس بأحد غيره الخلاص . لأن ليس اسم آخر تحت السماء قد أعطى بين الناس به ينبغى أن نخلص » (أع ٤ : ١٢) .

+ **المؤمنون يعمدون باسمه :** (أع ٢ : ٣٨ ؛ ٨ : ١٦ ؛ ١٠ : ٤٨) .

+ **البشر يدعون عبيده وقديسيه :** (أع ٩ : ١٣ ؛ رو ١ : ١ ، ٥ ؛ غل ١ : ١٠ ؛ فى ١ : ١) .

+ رجاء المؤمنين : (رو ٥ : ٢ ؛ ١ كو ١٥ : ١٩ ؛ أف ١ : ١٢ ؛ ١ تس ١ : ٣ ؛ ١ تى ١ : ١) .

+ **أعداؤه نهايتهم الهلاك الأبدى :** (فى ١ : ٢٧ ، ٢٨ ؛ ٣ : ١٨ ، ١٩ ؛ ٢ تس ١ : ٩ ؛ يه ٤ ، ٥) .

+ **اليوم الأخير هو يومه :** (٢ بط ٣ : ١٠ ، ١٢) .

+ **الملكوت الأبدى هو ملكوته :** « لأنه هكذا يقدم لكم بسعة دخول إلى ملكوت ربنا ومخلصنا يسوع المسيح الأبدى » (٢ بط ١ : ١١ ؛ ٢ تى ٤ : ١) .

ثالثاً ـ كتابات الآباء الرسوليين :

ولاهوت السيد المسيح واضح كل الوضوح فى كتابات الآباء الرسوليين ... وكعينة لذلك نعرض لشخص المسيح فى كتابات القديس اكليمنضس الرومانى ، وأغناطيوس الأنطاكى الشهيد ...

يقول اكليمنضس الرومانى :
[فلنحدق بأبصارنا فى دم المسيح . ولنعلم أنه ثمين فى نظر أبيه ، لأنه سفك

لأجل خلاصنا ، وأتى بنعمة التوبة لكل العالم] (٥٥) .

[وكل مَنْ يؤمن بالله و يترجاه سينال الفداء يوم الرب] (٥٦) .

[فلنكرم الرب يسوع الذى سفك دمه عنا] (٥٧) .

[هذا هو السبيل يا أحبائى ، حيث نجد خلاصنا يسوع المسيح ، رئيس كهنة تقدماتنا ، المدافع والمعين لضعفنا] (٥٨) .

أما أغناطيوس فرسائله مليئة بالتصريحات عن لاهوت المسيح من جوانب متعددة .

يقول عن ميلاده وآلامه وموته وقيامته :

[لا يوجد سوى طبيب واحد من لحم وروح ، مولود وغير مولود ، الله المتجسد ، الحياة الحقيقية فى قلب الموت ، المولود من مريم ومن الله . متألم أولاً والآن غير متألم ، يسوع المسيح ربنا] (٥٩) ... « لأن الله ــ يسوع المسيح ــ حملته أحشاء مريم ، حسب الترتيب الإلهى] (٦٠) ... [يسوع المسيح إلهنا لم يتراءى لنا بأفضل نوع إلاَّ بعد رجوعه إلى حضن أبيه] (٦١) ... [أشكر يسوع المسيح إلهنا الذى ألهمكم حكمة كهذه . فقد اتضح لى أنكم متحدون بإيمان وطيد ، مسمرون ــ كما يقال ــ بصليب سيدنا يسوع المسيح ، جسداً ونفساً ، وثابتون بالمحبة بدم المسيح . وأنتم مقيمون على ثبات الاعتقاد بأن ربنا هو بالحقيقة من نسل داود حسب الجسد ، وابن الله بإرادة الله وقدرته . المولود حقاً من عذراء ، والمعتمد من يدى يوحنا ليكمل كل بر . الذى ثقب جسده بالمسامير لأجلنا ، على عهد بيلاطس البنطى وهيرودس رئيس الربع . وقد صارت لنا الحياة بثمرة صليبه ، وبآلامه المقدسة الإلهية . وهكذا رفع رايته على كل الأجيال بقيامته ، ليجمع قديسيه ومؤمنيه ، من اليهود ومن الشعوب ، فى جسد واحد هو كنيسته] (٦٢) ...

(55) Corinthians, 7. 4.

(56) Corinthians, 12. 7.

(57) Corinthians, 21, 6.

(58) Corinthians, 36. 1.

(59) Eph., 7. 2.

(60) Eph., 18. 2.

(61) Rom., 3. 3.

(62) Smyrn., 1.

ويقول لصديقه بوليكاربوس : [أسأل يسوع المسيح إلهنا أن يوليكم القوة والشجاعة فى كل شيء] (٦٣) ... ويقول لكنيسة أفسس [ربنا وإلهنا يسوع المسيح ابن الله الحى، عمل أولاً ثم علم كما يشهد لوقا ... لا يخفى شيء عن الرب، بل إن أسرارنا العميقة مكشوفة له . فلنعمل كل شيء كمَنْ يسكن الله فيهم، حتى ما نكون هياكل له، ويكون هو داخلنا كالله] (٦٤) .

● **ويقول عن أزليته :** [المسيح المولود من الآب قبل الدهور، هو الله الكلمة الابن الوحيد . ويبقى هكذا إلى الأبد، لأن ليس لمُلكه نهاية كما يقول دانيال النبى] (٦٥) .

● **وعن إتحاده بالآب يقول :** [إذا كان **ابن الإنسان** يشير إلى إتحاده بجنس البشر، **فابن الله** يشير إلى علاقته بالله، وأنه واحد معه] (٦٦) ... وأيضاً [يسوع المسيح الواحد، الذى خرج من الآب الواحد، ومازال متحداً به، ثم عاد إليه] (٦٧) ويتكلم أغناطيوس كثيراً، وبأسلوب عذب عن إتحاد المسيح بالله الآب فى وحدة كاملة تامة] (٦٨) .

● ثم أن **المسيح هو اللوغوس .** المسيح ليس لوغوس a logos بل هو اللوغوس The Logos ـــ وهو أيضاً ابن الله الوحيد ...

إن كتابات القديس أغناطيوس تظهر لنا بوضوح تام لا لبس فيه ولا إبهام، أن الرب يسوع المسيح هو الله الظاهر فى الجسد .

---

(63) Polyc., 8.3; Smyrn., 3.1. f; cf. 2. 1; Tarll. 9. 2; Rom. 7. 3.

(64) Eph., 15.

(65) Magn., 6. دانيال ٢ : ٤٤ ؛ ٧ : ١٤ ، ٢٧ ؛ لو ١ : ٣٣

(66) Eph., 20. 2.

(67) Magn., 7. 2.

(68) Magn., 1. 2; Trall. 2. 2; cf. Phild. 4. 1; 7. 2; 8. 1; 9. 1; Polc. 1. 2; 5. 2; Magn. 13. 2; 7. 1. f; Smyrn., 3.3; Eph. 3, 2; 5: 1.

ولذا يقول أغناطيوس « دم الله » : [إنكم متمثلون بالله . وبعد أن أضرمتم عملكم الأخوى بدم الله ، أكملتموه على أتم وجه] (٦٩) . **ولا يتردد أغناطيوس أن يدعو المسيح ، الله بصريح العبارة** (٧٠) . **ويقول الأستاذ الدكتور توماس تورانس عن عقيدة أغناطيوس فى المسيح : [أنه المسيح الله** ... He is the Christ God **]** (٧١) .

- أما عن **الخلاص بدم المسيح وحده** ، فيقول أغناطيوس :

[لا يضلن أحد . أن سكان السماء أنفسهم ، والملائكة رغم كل مجدهم ، والسادات المنظورين وغير المنظورين ، سوف يدانون إن لم يؤمنوا بدم المسيح . مَنْ يستطيع الفهم فليفهم] (٧٢) .

٦ - عقيدة الإله الواحد المثلث الأقانيم :

آمنت كنيسة الرسل بإله واحد (٧٣) **مثلث الأقانيم . وهذا واضح من أسفار العهد الجديد وكتابات الآباء الرسوليين ...**

والتثليث بحسب المفهوم الرسولى هو حقيقة دينية ، وليست فلسفية ... ولم يأت التعليم بالتثليث لفظاً فى الكتاب المقدس ، وإنما أتى فيه معنى ، ووردت أسماء الأقانيم فى العهد الجديد ...

ففى قصة البشارة تحددت الأقانيم الثلاثة الإلهية ... فالله الآب هو الذى أرسل جبرائيل رئيس الملائكة المبشر . وبُشرت العذراء بأنها ستحبل وتلد ابن العلى

---

(69) Eph., 1. 1.

(70) Eph., 7.2; 18.2; Rom., 3.3; Smyrn., 1.1; - cf., Polc., 2.2; 8.3; Rom., 6.3; 7.3; Eph., 1.1.

(71) Torrance; The Doctrine of grace in the Apostolic Fathers; pp. 57, 58.

(72) Smyrn., 6. 1.

(٧٣) المسيحية ديانة توحيدية ــ انظر : مت ١٩ : ١٧ ؛ مر ١٢ : ١٩ ؛ ٣٢ ؛ يو١٧ : ٣ ؛ أع ١٠ : ٣٦ ؛ رو٣ : ٣٠ ؛ ١٠ : ١٢ ؛ ١ كو٨ : ٤ ، ٦ ؛ ١٢ : ٦ ؛ غل٣ : ٢٠ ؛ أف ٤ : ٦ ؛ اتس ١ : ٩ ؛ ١ تى٢ : ٥ ؛ رؤ١ : ٨ ، ١٧ ؛ ٢٢ : ١٣ .

(لو١ : ٣١ ، ٣٢) . والذى حبل فى العذراء هو من الروح القدس (مت١ : ٢٠ ؛ لو١ : ٣٥) ... **وفى قصة العماد** (الظهور الإلهى) ، نلاحظ أقنوم الآب ينادى من السماء « هذا هو ابنى الحبيب » (مت٣ : ١٧ ؛ لو٣ : ١٢) ؛ وأقنوم الابن فى الماء ــ وهو المعنى بهذا القول ؛ واقنوم الروح القدس هو الذى ظهر بهيئة جسمية مثل حمامة (مت٣ : ١٦ ؛ لو٣ : ٢٢) ... كما نجد أيضاً ذكر للأقانيم الثلاثة فى كلام السيد المسيح عن عمل الروح القدس (يو١٤ : ٢٦ ؛ ١٥ : ٢٦) ... والسيد المسيح قبيل صعوده إلى السماء ، قال لتلاميذه : « إذهبوا وتلمذوا جميع الأمم ، وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس » (مت٢٨ : ١٩) .

وفى البركة الرسولية التى ختم بها القديس بولس رسالته الثانية إلى كنيسة **كورنثوس يقول** : « نعمة ربنا يسوع المسيح ، ومحبة الله (الآب) ؛ وشركة الروح **القدس مع جميعكم** » (٢ كو١٣ : ١٤) ... وفى رسالته إلى كنيسة غلاطية ، يتكلم عن مسحة الروح القدس للمؤمنين ، فيقول : « ثم بما أنكم أبناء ، أرسل **الله روح ابنه** إلى قلوبكم » (غل٤ : ٦) ...

ويقول يوحنا الحبيب : « فإن الذين يشهدون فى السماء هم ثلاثة : الآب والكلمة والروح القدس . وهؤلاء الثلاثة هم واحد » (١يو٥ : ٧) .

وفى كتاب تعليم الرسل الإثنى عشر Didache يتكلم عن العماد ويقول : [فيما يختص بالعماد ، هكذا تعمدون ... عمدوا باسم الآب والابن والروح القدس فى ماء حى] (٧٤) .

وفى ليتورجية القديس يعقوب أخ الرب يقول الكاهن أمام المذبح : « المجد للآب والابن والروح القدش ، النور المثلث الواحد للاهوت ... لأن الثالوث هو الله الكلى القدرة ، الذى تعلن السموات مجده] (٧٥) ...

وذكرت الأقانيم الثلاثة فى البركة الختامية فى بعض رسائل الآباء

(74) Didache; ch. 7. 1, 3.

(75) A.N.F.; p. 537.

الرسوليين مثل أغناطيوس الشهيد [٧٦] وفى قصة إستشهاد بوليكاربوس ، التى كتبتها كنيسة سميرنا عقب إستشهاده مباشرة [٧٧] .

ويوستينوس الشهيد فى دفاعه الأول يذكر الثلاثة أقانيم وهو يدحض الإتهام بتعدد الآلهة الذى حاولوا لصقه بالمسيحية ، وأيضاً فيما كان يشير إلى المعمودية والافخارستيا [٧٨] . أشار إلى الثالوث أيضاً ثاوفيلوس الأنطاكى [٧٩] . وليس ثمة تناقض فى الإيمان المسيحى بين القول بالوحدانية ، والقول بالثالوث القدوس . فالله واحد فى جوهره ، ولكن يوجد فى هذا الجوهر الواحد ثلاثة أقانيم ... والأقنوم هو خاصية ، أو صفة ذاتية فى الله ... أى صفة أو خاصية تقوم بها الذات الإلهية ؛ وبدونها تنعدم الذات الإلهية . وعلى ذلك ففى الجوهر الإلهى ثلاث خواص أو صفات ذاتية : الخاصية الأولى وهى خاصية الوجود ، وهى ما نسميها بالآب [٨٠] . والخاصية الثانية ، هى خاصية العقل والحكمة ، وهى ما نسميها بالابن . والخاصية الذاتية الثالثة هى خاصة الحياة وهى ما نسميها بالروح القدس [٨١] .

٧ - عقيدة الخلاص بالإيمان والأعمال [٨٢] :

كلمة عامة :

إن لزوم الأعمال الصالحة لخلاص الإنسان الأبدى ، عقيدة أساسية فى كنيسة الرسل . وهى واضحة كل الوضوح فى كتابات العهد الجديد والآباء الرسوليين ...

---

(76) Eph., 21; Trall., 13; Phild., 11; Smyrn., 13; Polyc., 8.

(77) The Martyrdom of Polycarp; Ch. 22.

(78) 1 Apol. chs. 6, 63 - 65.

(79) Theophilus to Autolycus, B. 2, ch. 15.

(٨٠) الآب كلمة سريانية معناها الأصل أو الوجود أو الكيان الإلهى .

(٨١) أنبا غريغوريوس : الواحد فى الثالوث (مذكرات لطلبة الكلية الإكليريكية) .

(٨٢) انظر كتاب « الخلاص فى المفهوم الأرثوذكسى » لنيافة الأنبا شنوده .

والتعليم الذى ينادى به البروتستانت ــ الخلاص بالإيمان وحده دون الأعمال ــ تعليم غريب عن المسيحية. ومنشأوه الفهم الخاطىء لبعض آيات فى رسائل القديس بولس تهاجم الأعمال. لكن هذه الأعمال التى هاجمها بولس أو أظهر عدم نفعها، كانت إما أعمال الناموس اليهودى التى كان بعض المغالين من اليهود المتنصرين ينادون بوجوب التمسك بها ... وإما أعمال البشر عامة ــ وثنيين و يهود ــ السابقة للفداء ... وهكذا يتضح أن مهاجمة بولس لم تكن لمبدأ الأعمال الصالحة ولزومها. والدليل على ذلك الآيات الكثيرة التى سنوردها لهذا الرسول وغيره.

وقبل أن نورد هذه الأدلة نود الإشارة إلى نقطة هامة ... لا صحة مطلقاً لما يدعيه البروتستانت من أن العصر الرسولى، لم يصل دفعة واحدة للوعى الكامل لكنوز الحق المستودعة إياه، وأن السنوات الأولى من حياة الكنيسة كانت أشبه بطور الطفولة الساذجة من جهة المعرفة الدينية (٨٣) ... ولا صحة مطلقاً للنظرة الخاطئة للآباء الرسل. وتقسيمهم إلى متحرر كبولس، ومتزمت كيعقوب، ووسط بين الاثنين كبطرس. وأن رسالة يعقوب تمثل المسيحية فى مستوى منخفض وفى بدائيتها، بينما رسائل بولس تمثلها فى إكتمالها (٨٤) ... لقد علم كل من هؤلاء الرسل الحق كاملاً، وقاوموا كل تعليم غريب، و حذروا منه ...

إن الكتاب المقدس هو إعلان الله للبشر. وهو إعلان كامل، موحى به بالروح القدس (٢بط ١: ٢٠، ٢١). الروح القدس هو كاتب الكتاب المقدس كله من أوله إلى آخره. ولا يوجد فيه سفر أفضل من سفر أو كلام أقدس وأسمى من كلام. على نحو ما تطاول مارتن لوثر ــ زعيم البروتستانت ــ ودعا رسالة يعقوب [رسالة من القش] (٨٥)، لأنها تشدد على وجوب التمسك بالأعمال الصالحة مع الإيمان كشرط للخلاص، الأمر الذى أراد أن يتحلل منه، لأنه يتنافى مع حركته

---

(83) De Pressensé, Vol. 1. p. 223.

(84) Schaff; Vol. 1; pp. 517 - 525.

(٨٥) فى مقدمته للعهد الجديد طبعة سنة ١٥٢٤ انظر : Schaff, Vol. 1, p. 521.

ودعوته ... إن أسفار الكتاب المقدس كلها مجتمعة ، تقدم لنا الحق الإلهى الذى نحتاجه لخلاصنا ، كاملاً متكاملاً ، خالياً من خطأ أو زلل أو نقص .

إن الإيمان بشخص الرب يسوع المسيح ، وبعمله الفدائى الكفارى الخلاصى ، هو حجر الزاوية فى التعليم المسيحى . وتجاهله أو إسقاطه أو الإقلال من أهميته القصوى ، هو هدم للمسيحية فى صميم جوهرها ... كذلك فإن إسقاط مبدأ وجوب الأعمال الصالحة فيه هدم للمسيحية كلها ، بما تمتاز به من روحانية وفضيلة ... ولا أعتقد أننا نعدو الحقيقة إن قلنا أن ما نادت به البروتستانتية منذ أوائل القرن السادس عشر ، بعدم إلتزام المسيحيين بالأعمال الصالحة كشرط لخلاصهم إلى جانب الإيمان هو من الأسباب التى لا يمكن تجاهلها ، التى أوصلت العالم الغربى ـ وفيه كثرة من البروتستانت ـ إلى ما وصل إليه من إنحلال خلقى وفساد أدبى .

والاعتقاد بلزوم الأعمال الصالحة لخلاص الإنسان إلى جانب الإيمان ، إعتقاد واضح كل الوضوح من كلمات رب المجد نفسه ، ومن كتابات كل الآباء الرسل وتلاميذهم .

أولاً ـ تعليم السيد المسيح :

قال رب المجد يسوع « فإنه تأتى ساعة يسمع جميع الذين فى القبور صوته ، فيخرج الذين **فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة ، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة** » (يو٥ : ٢٨ ، ٢٩) ... « كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها حساباً يوم الدين . لأنك بكلامك تتبرر وبكلامك تدان » (مت ١٢ : ٣٦ ، ٣٧) ... « إن ابن الإنسان سوف يأتى فى مجد أبيه مع ملائكته ، وحينئذ **يجازى كل واحد حسب عمله** » (مت ١٦ : ٢٧) ...

« كل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تقطع وتلقى فى النار [٨٦] . فإذاً من ثمارهم

(٨٦) نلاحظ أن هذه هى نفس كلمات يوحنا المعمدان (مت ٣ : ١٠) ... ومعنى هذا ، أنه لا خلاف فى هذه العقيدة بالذات بل هى لازمة فى كل زمان ، وتحت ظل أية شريعة دينية .

تعرفونهم » (مت ٧ : ١٩ ، ٢٠) ...

« ومَنْ سقى أحد هؤلاء الصغار كأس ماء بارد فقط باسم تلميذ ، **فالحق أقول** لكم إنه لا يضيع أجره » (مت ١٠ : ٤٢ ؛ مر٩ : ٤١) ...

ودينونة اليوم الأخير ، ومصير الإنسان الأبدى ستقرره أعماله « ومتى جاء ابن الإنسان فى مجده ... يقول الملك للذين عن يمينه **تعالوا إلىَّ يا مباركى أبى رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم. لأنى جعت فأطعمتمونى. عطشت فسقيتمونى. كنت غريباً فآويتمونى. عرياناً فكسوتمونى. مريضاً فزرتمونى. محبوساً فأتيتم إلىَّ** ... ثم يقول أيضاً للذين عن اليسار إذهبوا يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته . لأنى جعت فلم تطعمونى عطشت فلم تسقونى . كنت غريباً فلم تأوونى . عرياناً فلم تكسونى . مريضاً ومحبوساً فلم تزورونى .. » (مت ٢٥ : ٣١-٤٦) .

ثانياً ـ تعليم الآباء الرسل :

١ ـ القديس بولس :

● أمام الملك أغريباس شرح بولس قصة إهتدائه للمسيحية ، ولخص أسلوبه الكرازى بقوله : « أخبرت أولاً الذين فى دمشق وفى وأرشليم حتى جميع كورة **اليهودية ثم الأمم ، أن يتوبوا ويرجعوا إلى الله ، عاملين أعمالاً تليق بالتوبة** » (أع٢٦ : ٢٠) ونلاحظ أن هذا التعليم الواحد ــ الخاص بالأعمال الصالحة ووجوبها ــ كان لليهود والأمم ... ولم يكن هناك تعليم خاص باليهود وآخر يناسب الأمم .

● وقال للرومان : « الذى (الله) **سيجازى كل واحد حسب أعماله . أما** الذين **بصبر**[٨٧] **فى العمل الصالح** ، يطلبون المجد والكرامة والبقاء فبالحياة

(٨٧) فى الأصل اليونانى hupomoné ومعناها الثبات والمثابرة . ولذا فقد وردت فى الترجمة الإنجليزية by patient continuance والمعنى الثبات والمثابرة فى العمل الصالح .

الأ بدية » (رو٢ : ٦ ، ٧) .

● و يقول لتلميذه الأسقف تيطس : « أريد أن تقرر [٨٨] هذه الأمور ، **لكى يهتم الذين آمنوا بالله أن يمارسوا أعمالاً حسنة . فإن هذه الأمور هى الحسنة والنافعة للناس** » (تى٣ : ٨) ... ونلاحظ أنه قبل هذه الآية مباشرة التى يحض فيها على التمسك بالأعمال الحسنة ، يقول « لا بأعمال فى بر عملناها نحن ، بل بمقضتى رحمته خلّصنا ... حتى إذا تبررنا بنعمته .. » (تى٣ : ٥ ، ٧) ... وواضح من ذلك أن الرسول يشير فى (تى٣ : ٥) إلى الأعمال السابقة لفداء المسيح العظيم ، بينما فى (تى٣ : ٨) يشير إلى الأعمال التى يجب أن يعملها المؤمنون ...

● وفى رسالته إلى كنيسة أفسس يقول : « لأنكم بالنعمة مخلّصون بالإيمان ، وذلك ليس منكم هو عطية الله **ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد .** لأننا نحن عمله مخلوقين فى المسيح يسوع **لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدها لكى نسلك** [٨٩] **فيها** » (أف٢ : ٨-١٠) مرة ثانية ـــ وفى عبارتين متجاورتين متصلتين ـــ يفصل الرسول بين الأعمال السابقة للصليب ، والأعمال فى ظل الإيمان ... موضحاً عدم جدوى الأ ولى وقيمتها ، وأهمية الثانية والحاجة إليها .

● و يقول أيضاً لتيطس : « وليتعلم مَنْ لنا أيضاً أن يمارسوا أعمالاً حسنة ... حتى لا يكونوا بلا ثمر » (تى٣ : ١٤) .

● و يتكلم الرسول فى اصحـــاح بأكمله عن المحبة الأخوية (١ كو١٣) ... و يتعرض للإيمان فيقول : « إن كان لى كل الإيمان حتى أنقل الجبال ، ولكن ليس لى محبة ، فلست شيئاً » ... ومعنى هذا الكلام أن المحبة تفوق الإيمان ولا قيمة له بدون المحبة . وقد أوضح فى نفس الاصحاح أن المحبة أعظم من الإيمان والرجاء .

---

(٨٨) فى الأصل اليونانى diabainö ، ومعناها « يؤكد بقوة » .

(٨٩) يعلق القديس يوحنا الذهبى فمه على كلمة « نسلك » فيقول [لا يجب علينا مجرد البدء فقط ، بـل يجب علينا أن « نسلك فيها » . فنحن فى حاجة إلى فضيلة دائمة ، تستمر إلى يوم وفاتنا] on the Ephesians, Hom. 4.

والمحبة التى يتحدث عنها الرسول هنا هى المحبة الاخوية العملية وليست اللفظية ... تلك التى قال عنها الرسول يوحنا أنها تظهر بالعمل « يا أولادى ، لا نحب بالكلام ، ولا باللسان ، بل بالعمل والحق » (١ يو٣ : ١٨) .

• و يقول بولس — رسول الإيمان كما يسمونه — أيضاً عن هذه المحبة العاملة : « لا تكونوا مديونين لأحد بشىء إلاَّ بأن **يحب بعضكم بعضاً . لأن مَنْ أحب غيره فقد أكمل الناموس .** لأن لا تزن لا تسرق لا تشهد بالزور لا تشته ، وإن كانت وصية أخرى ، هى مجموعة فى هذه الكلمة ، أن تحب قريبك كنفسك . المحبة لا تصنع شراً للقريب . فالمحبة هى تكميل الناموس » (رو١٣ : ٨-١٠) ... وماذا نسمى « لا تزن لا تقتل لا تسرق ... » أليست هذه هى الأعمال الصالحة ؟!

• وفى (غل ٥ : ٦) يوضح أن المسيحى يلزمه **« الإيمان العامل بالمحبة »** ... وهنا — وفى عبارة واضحة من ثلاثة كلمات ، يقرن الرسول الإيمان بالأعمال .

• وماذا يقول معلمنا بولس — رسول الإيمان أيضاً ؟ يقول لأهل غلاطية : « فإن الذى يزرعه الإنسان إياه يحصد أيضاً . لأن مَنْ يزرع للجسد فمن الجسد يحصد فساداً ، ومَنْ يزرع للروح فمن الروح يحصد حياة أبدية . فلا نفشل فى عمل الخير ، لأننا سنحصد فى وقته إن كنا لا نكل » (غل٦ : ٧-٩) ... وما أجمل هذا التشبيه الذى إستخدمه الرسول لإظهار أهمية أعمال الإنسان الصالحة ... إنها كالزرع فى حياة الإنسان الجسدية ، والحصاد فى حياته الأبدية ... والجزاء من نوع العمل .

• « متذكرين بلا إنقطاع **عمل إيمانكم** ، وتعب محبتكم وصبر رجائكم ... » (١ تس ١ : ٣) ... هنا يقرن الرسول العمل بالإيمان .

• و يقول لتلميذه تيطس « يعترفون بأنهم يعرفون الله ، ولكنهم **بالأعمال ينكرونه .** إذ هم رجسون غير طائعين . ومن جهة **كل عمل صالح** مرفوضون » (تى ١ : ١٦) .

● وأخيراً ، يقول الرسول لأهل فيلبى « **تمموا خلاصكم بخوف ورعدة** » (فى ٢ : ١٢) ... ومعنى هذا أن الخلاص الذى أتمه السيد المسيح على الصليب ، لكى نظفر به ، يحتاج أن نتممه من جانبنا بخوف ورعدة .

٢ ـ يعقوب وبطرس ويوحنا :

ماذا قال هؤلاء الرسل المعتبرون أعمدة فى الكنيسة الأولى ، بشهادة بولس نفسه (غل ٢ : ٩) ؟

يؤكد القديس يعقوب أهمية جانب الأعمال ... والأمر واضح كل الوضوح فى رسالته :

« ما المنفعة يا إخوتى إن قال أحد أن له إيماناً ولكن ليس له أعمال . هل يقدر الإيمان أن يخلصه ... هكذا الإيمان أيضاً ، إن لم يكن له أعمال ميت فى ذاته . لكن يقول قائل أنت لك إيمان وأنا لى أعمال . أرنى إيمانك بدون أعمالك ، وأنا أريك بأعمالى إيمانى . أنت تؤمن أن الله واحد . حسناً تفعل ، والشياطين يؤمنون و يقشعرون . ولكن هل تريد أن تعلم أيها الإنسان الباطل أن الإيمان بدون أعمال ميت . ألم يتبرر إبراهيم أبونا بالأعمال إذ قدم إسحق ابنه على المذبح . فترى أن الإيمان عمل مع أعماله ، وبالأعمال أكمل الإيمان . وتم الكتاب القائل فآمن إبراهيم بالله فحسب له براً . ودعى خليل الله . ترون إذن أنه **بالأعمال يتبرر الإنسان لا بالإيمان وحده ... لأنه كما أن الجسد بدون روح ميت ، هكذا الإيمان أيضاً بدون أعمال ميت** » (يع ٢ : ١٤-٢٦) .

وفى موضع آخر من رسالته ، يعتبر القديس يعقوب أن الأعمال هى الديانة الطاهرة « الديانة الطاهرة النقية عند الله الآب هى هذه : افتقاد اليتامى والأرامل فى ضيقتهم ، وحفظ الإنسان نفسه بلا دنس من العالم » (يع ١ : ٢٧) .

و يقول أيضاً « مَنْ يعرف أن يعمل حسناً ولا يعمل فذلك خطية له » (يع ٤ : ١٦) .

• **والقديس بطرس – فى رسالتيه – يحض على الفضيلة ويهاجم الشر** والرذيلة بصفة عامة ... يقول « الذى (الله) يحكم بغير محاباة **حسب عمل كل واحد** فسيروا زمان غربتكم بخوف » (١ بط ١ : ١٧) ... « لذلك بالأكثر إجتهدوا أيها الإخوة أن تجعلوا دعوتكم واختياركم ثابتين (بالأعمال الصالحة) (٩٠) . لأنكم إذا فعلتم ذلك لن تزلوا أبداً » (٢ بط ١ : ١٠) (٩١) ... و يقول « **إن كان البار بالجهد يخلص** فالخاطىء والفاجر أين يظهران » (١ بط ٤ : ١٨) .

• **والقديس يوحنا الرسول حبيب الرب ، فى رسائله الثلاث يتكلم عن المحبة القلبية العملية** « يا أولادى لا نحب بالكلام ولا باللسان بل **بالعمل والحق** » (١ يو ٣ : ١٨) .

و يقول « إن علمتم أنه بار هو ، فاعلموا أن كل مَنْ **يصنع البر** (٩٢) **مولود منه** » (١ يو ٢ : ٢٩) و يتكلم فى رؤياه عن الأمور العتيدة أن تكون فيقول :

« ودين **الأموات** مما هو مكتوب فى الأسفار **بحسب أعمالهم** » (رؤ ٢٠ : ١٢ ، ١٣) .

« ها أنا آتى سريعاً وأجرتى معى **لأجازى كل واحد كما يكون عمله** » (رؤ ٢٢ : ١٢) .

ثالثاً - تعليم الآباء الرسوليين :

سنرى ونحن نستعرض ما جاء بتعاليم الرسل Didachê ، وأقوال الآباء الرسوليين تلاميذ الرسل ، أن عقيدة لزوم الأعمال الصالحة لخلاص الإنسان الأ بدى ، واضحة كل الوضوح ... لكن العلماء البروتستانت ، ومَنْ إليهم عوض عن أن يقتنعوا و يقروا بصحة هذه العقيدة ، يقولون عن هذه الكتابات وهؤلاء الآباء ،

---

(٩٠) هكذا فى الترجمة اللاتينية الشائعة للقديس إيرونيموس . وكذلك فى الترجمة القبطية .

(٩١) انظر : ١ بط ١ : ١٣ - ١٦ ؛ ٢ : ١١ ، ١٢ ؛ ٣ : ٢ ، ١٢ .

(٩٢) الفعل اليونانى Poieō ، و يقصد به الأعمال والممارسات المتعددة .

أنها وإنهم متأثرون بتأثيرات يهودية ناموسية (٩٣) !!

١ - **تعاليم الرسل الإثنى عشر** Didachê : مليئة بالتحذيرات من الخطايا التى يسميها طريق الموت ، وبالحث على الأعمال الصالحة التى يسميها طريق الحياة ... تقول : [على المؤمن أن يجاهد ضد الخطايا وأن يتحرر منها ...] (٩٤) .

وتقول أيضاً : [إسهروا لحياتكم . لا تدعوا مصابيحكم تنطفىء ، ولا أحقاءكم غير ممنطقة . بل كونوا مستعدين لأنكم لا تعلمون متى يأتى ربنا ، إجتمعوا دائماً وفتشوا عن الأمور النافعة لأرواحكم ، **فزمان إيمانكم كله لا ينفعكم إلاّ إن وجد كاملاً فى الوقت الأخير**] (٩٥) .

٢ - **أكليمنضس الرومانى** : رسالته الأولى إلى كنيسة كورنثوس ، مليئة بتأكيد وجوب التمسك بالأعمال الصالحة . ونجد رسالته كلها فى الفصل ٦٢ منها ، يقول :

[لقد كتبنا إليكم أيها الإخوة بما يكفى . وتعرضنا للأمور التى تمس عبادتنا ، وكلها نافعة لحياة الفضيلة . لأولئك الذين يريدون أن يقودوا خطواتهم فى التقوى والبر . لقذ أشرنا إلى كل نواحى الإيمان والتوبة والمحبة الحقيقية وضبط النفس والعفة والصبر وذكرناكم أنكم ملزمون بإرضاء الله الكلى القدرة بالقداسة فى البر والحق والاحتمال . وأن تعيشوا فى وفاق ، بلا شر فى المحبة والسلام بلطف قلبى] (٩٦) .

---

(93) Torrance; The Doctrine of grace in the Apostolic Fathers; p. 55.

(94) Didachê; 5. 2.

(٩٥) Didachê, 16. 2. — يعلق أحد علماء اللاهوت البروتستانت على هذه العبارة بقوله : « لم تقبل الكنيسة الأولى بوجه عام الاعتقاد بعدم وجود مغفرة بعد العماد . لكن يبدو أنها أتت بسرعة إلى الاعتقاد أنه لا يوجد غفران مجانى بعد العماد . لقد ارتدت إلى الإنسان الطبيعى الذى يؤمن أنه يخلص بالأعمال الصالحة . وفى نفس الوقت عرف على وجه الخصوص أن الجهود البشرية تحتاج إلى معونة إلهية وأن التوبة والغفران لا غنى عنهما » (Moody; The childhood of the Church; p. 76.).

(96) Clement; 1 Corinthians, ch. 62.

ويقولها اكليمنضس بصراحة ووضوح : [**نحن نتبرر بالأعمال ، وليس بالكلام**] (٩٧) .

ويقول أيضاً : [فلنلاحظ أن جميع الأبرار تحلوا بالأعمال الصالحة وابتهجوا بها . وإذ لنا هذا المثال ، لنتبع إرادة الله بلا توان . ولنعمل أعمال البر بكل قوتنا] (٩٨) .

ويقول عن دم المسيح أنه [أتى بنعمة التوبة لكل العالم] (٩٩) . والمعنى المقصود هنا [المقدرة على التوبة] .

والأستاذ الدكتور تورانس Torrance بعد أن درس مفهوم النعمة فى رسالة أكليمنضس إلى كورنثوس يقول : [إن المعنى العام لكلمة نعمة Xàpic فى هذه الرسالة يفهم على أنها القوة المعينة التى تُمنح للمستحقين (المجاهدين) وهذا هو الاستعمال الشائع للكلمة فى كتابات تلك الفترة المبكرة] (١٠٠) .

٣ ـ أغناطيوس الثاوفوروس الأنطاكى الشهيد :

والتبرير عند أغناطيوس هو بالإيمان والمحبة أى بالإيمان والأعمال (١٠١) ... يقول : [لا يخطىء مَنْ يعترف بالإيمان ، ولا يبغض مَنْ إقتنى المحبة . فالشجرة تُعرف من ثمارها . هكذا مَنْ يعترفون أنهم للمسيح يظهرون بأعمالهم فالعمل ليس بالاعتراف المذكور. لكنه يظهر بقوة الإيمان . إن واصل الإنسان حتى النهاية] (١٠٢) .

وأغناطيوس يخشى أن يفقد خلاصه ... يقول فى رسالته إلى الترالليين [مازلت فى

---

(97) Clement; 1 Corinthians, 30. 3. Cf. 33.8; 32.3; 58.2; 59.1, 35.3.

(98) Clement; 1 Corinthians, 33. 7.

(99) Clement; 1 Corinthians, 7.4.

(100) The Doctrine of grace; p. 54.

(101) The Doctrine of grace in the Apostolic Fathers, pp. 67-70.

(102) Eph. 14. 2.

خطر لكن الآب أمين فى يسوع المسيح ، ويحقق صلواتكم وصلواتى] (١٠٣) .. وفى رسالته إلى أهل أفسس يقول : [وعلى الرغم من أنى أسير لأجل الاسم (مسيحى) فلست بعد كاملاً فى يسوع المسيح . فأبدأ الآن أن أكون تلميذاً وأكلمكم كشركائى فى التعلم . فإنى أحتاج أن أستعد فى الإيمان] (١٠٤) .. و يقول أيضاً للأفسسيين : [إنها الأزمنة الأخيرة ، فلنكن إذن متواضعين ، ونخشى إحتمال الله الطو يل لئلا يديننا . لذا فلنخشى الغضب الآتى أو نحب النعمة الكائنة . فلنكن على أى حال فى المسيح يسوع فى حياة سليمة] (١٠٥) ... ومعنى ذلك أن نعمة الله هى التى حالت دون غضبه فى هذا الدهر ، وقدمت فرصة للتوبة ، حتى ما نستفيد بحنوه .

و يقول لكنيسة سميرنا : [لاحظوا أولئك الذين لهم آراء غريبة فيما يختص بنعمة يسوع المسيح التى وافتنا . وانظروا كيف أن هذه الآراء مضادة لشريعة الله . إنهم لا يأبهون للمحبة ولا للأرملة ولا لليتم ولا للحزين ولا للمنكوب ولا للمسجون ولا للمفرج عنه ، ولا للجائع أو العطشان] (١٠٦) .

٤ ـ بوليكاربوس الشهيد أسقف سميرنا :

فى عقيدة بوليكاربوس أن الجهاد فى أعمال البر ، جزء لا غنى عنه لخلاص المسيحى (١٠٧) . يقول فى رسالته إلى أهل فيلبى : [ساهرين فى الصلوات ، مثابرين على الأصوام ، مقدمين إبتهالات إلى الله الذى يرى كل شىء ، حتى لا يدخلنا فى تجربة] (١٠٨) ... و يقول أيضاً : [إن صنعنا مشيئته وسلكنا فى وصاياه ، وأحببنا ما يحبه ، وابتعدنا عن كل إثم وحسد ومحبة مال وكلام شرير وشهادة زور...] (١٠٩) ... [فلنجاهد إذن بلا إنقطاع فى رجائنا والاشتياق إلى برنا ، الذى

---

(103) Trall., 13. 3.

(١٠٤) Eph., 3. 1. ــ لنلاحظ إتضاع هذا العملاق الروحانى . أن كلامه فى هذه العبارة ، وسابقتها ، تجسيد لكلمات القديس بولس : « تمموا خلاصكم بخوف ورعدة » (فى ٢ : ١٢) ... أين هذا الكلام من اعتداد مَنْ يقول فى كبرياء « أنا خلصت » !!

(105) Eph., 11. 1.

(106) Smyrn., 6.2.

(107) Doctrine of grace in the Apostolic Fathers; p. 93.

(108) Phil., 7.2.

(109) Phil., 2. 2.

هو يسوع المسيح] (١١٠) .

٨ ـ عقيدة قيامة الأجساد والدينونة العامة :

وهى من العقائد الأساسية التى علمت بها الكنيسة الأولى ، إمتداداً لما علّم به العهد القديم .وقد أوضح الآباء الرسل مدى أهمية هذا المعتقد ... فالقيامة الأخيرة للبشر ، ترتبط بقيامة المسيح من بين الأموات . حتى إنه إن كان الموتى لا يقومون فلا يكون المسيح قد قام . وإن لم يكن المسيح قد قام فباطل إيماننا ... إذن فالموضوع حيوى وجوهرى ، ويرتبط بإيماننا كله ، وبحياتنا هنا فى الجسد ، وبأبديتنا ...

وفى أصحاح بأكمله ــ هو الخامس عشر من الرسالة الأولى إلى كنيسة كورنثوس ــ يوضح القديس بولس عقيدة القيامة ، مدللاً عليها بأدلة قوية ، محذراً من الهراطقة الذين ينكرون القيامة ، مجيباً على التساؤلات التى ثارت بشأنها (١١١) .

« لكن إن كان المسيح يُكرز به أنه قام من الأموات ، فكيف يقول قوم بينكم أن ليس قيامة أموات . فإن لم تكن قيامة أموات ، فلا يكون المسيح قد قام . وإن لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا ، وباطل أيضاً إيمانكم ... لأنه إن كان الموتى لا يقومون فلا يكون المسيح قد قام . وإن لم يكن المسيح قد قام فباطل إيمانكم . أنتم بعد فى خطـايا كم ... إن كان لنا فى هذه الحياة فقط رجاء فى المسيح ، فإننا أشقى جميع الناس . ولكن الآن قد قام المسيح من الأموات ، وصار باكورة الراقدين » (١ كو١٥ : ١٢-٢٠) .

ويوضح معلمنا بولس فى هذا الفصل أن قيامة الأموات هى الدافع لكل القديسين الذين يقابلون الأهوال من أجل الرب « إن كان الأموات لا يقومون ...

---

(110) Phil., 8. 1.

(١١١) انظر : سمعان سليدس ؛ الصلاة عن المنتقلين ص ٤ ــ ٣١ .

لماذا نخاطر نحن كل ساعة . إنى ... أموت كل يوم » (١ كو١٥ : ٢٩-٣١) . وهى الدافع على الجهاد وحياة الفضيلة ... « إن كان الأموات لا يقومون فلنأكل ونشرب لأننا غداً نموت » (١ كو١٥ : ٣٢) ... وفى الرسالة إلى فيلبى يعبر بولس أن قيامة الأموات هى أمله ، فيقول : « لعلى أبلغ إلى قيامة الأموات » (فى ٣ : ١١) .

وفى رسالته الثانية إلى كورنثوس عاد بولس يؤكد حقيقة القيامة ... « عالمين أن الذى أقام يسوع ، سيقيمنا نحن أيضاً بيسوع ، ويحضرنا معه » (٢ كو٤ : ١٤) ... « لأنه لابد أننا جميعاً نظهر أمام كرسى المسيح ، لينال كل واحد ما كان بالجسد ، بحسب ما صنع خيراً كان أم شراً » (٢ كو٥ : ١٠) ... **ويقول لتيموثاوس :** « صادقة هى الكلمة أنه إن كنا قد متنا معه فسنحيا أيضاً معه . إن كنا نصبر فسنملك أيضاً معه » (٢ تى ٢ : ١١ ، ١٢) (١١٢) .

وقد أعلن بولس حقيقة الدينونة العامة وقيامة الأجساد فى الآريوس باغوس أمام الفلاسفة الأبيقوريين والرواقيين ، وأمام مجلس اليهود الأعلى (السنهدرين) ، وشهد بذلك أمام الوالى فيلكس والملك أغريباس (١١٣) .

● **وقد وضع الآباء الرسل قانون إيمان يحفظه طالب العماد** ويتلوه إعلاناً لإيمانه وقت عماده . وهو فى نفس الوقت بمثابة تعهد بحفظ هذا الإيمان ... والدينونة العامة وقيامة الأجساد تؤلفان نقطتين جوهريتين فى هذا القانون .

وبعض نقاط هذا القانون أشار إليه معلمنا بولس فى (عب٦ : ١ ، ٢) حينما قال : « لذلك ونحن تاركون كلام بداءة المسيح ، لنقدم إلى الكمال . غير واضعين أساس التوبة من الأعمال الميتة ، والإيمان بالله ، تعليم المعموديات ، ووضع

---

(١١٢) انظر : ٢ تى ١ : ١٠ ، ١٢ ؛ ٤ : ١ ، ٨ ؛ أع ١٠ : ٤٢ ؛ ١ تس ٤ : ١٤ ، ١٦ .
(١١٣) انظر : أع ١٧ : ٣١ ؛ ٢٣ : ٦ ؛ ٢٤ : ١٥ ، ٢٥ ؛ ٢٦ : ٢٢ ، ٢٣ .

الأيادى . **قيامة الأموات والدينونة الأبدية** » (١١٤) .

وجاء فى قوانين الرسل عن القيامة والدينونة العامة ... [الله الكلى القدرة نفسه سيقيمنا بربنا يسوع المسيح حسب وعده الصادق ـــ يقيمنا مع جميع الذين رقدوا منذ بدء العالم . وسنكون كما نحن الآن فى صورتنا الحالية ، دون عطب أو فساد . وسنقوم بغير فساد ، سواء متنا فى البحر ، أو بعثرت أشلاؤنا فى الأرض ، أو قطعت الحيوانات أو الطيور المفترسة أوصالنا . سيقيمنا الله بقوته ، فيده تضبط العالم كله] (١١٥) ...

الآباء الرسوليون :

وعقيدة قيامة الراقدين واضحة فى كتابات الآباء الرسوليين :

فالقديس أكليمنضس الرومانى يقول : [ليتنا نضع فى إعتبارنا يا أحبائى كيف أن الرب يثبت لنا دائماً أنه ستكون قيامة فى المستقبل ، تلك التى كان الرب يسوع المسيح باكورتها] (١١٦) ...

والقديس بوليكاربوس فى رسالته إلى كنيسة فيلبى يقول : [مَنْ لا يعترف بشهادة الصليب هو من إبليس . وكل مَنْ يعوّج أقوال الرب من أجل شهواته ، ويقول إنه ليس قيامة ولا دينونة ، **فهو بكر الشيطان**] (١١٧) .

وقد كتب الفيلسوف يوستينوس الشهيد كتاباً عن قيامة الموتى ، ضاع معظمه ، ولم يتبق منه سوى شذرات تحوى عشر **فصول قصيرة** (١١٨) .

---

(١١٤) يشير معلمنا بولس إلى قانون الإيمان هذا فى (رو ٦ : ١٧ ؛ غل ٦ : ١٦) .

Rufinus; Acommentary on the Apostles' Creed (N.P.N.F., series 2) Vol. 3, pp. 541-563.

انظر أيضاً : Rawson Lumby; The History of the Creeds, pp. 1-11.

Documents of the Christion Church, pp. 33, 34.

(115) Apost. Const. B. 5, ch. 7.

(116) Clement, 1 Corinthians, ch. 24.

(117) Phil., 7. 1.

(118) Fragments of the Lost work of Justin Martyr on the Resurrection A.N.F.) Vol. 1, pp. 294-299.

٩ - التقليد في كنيسة الرسل

يتحتم علينا ونحن نعالج موضوع العقائد المسيحية فى كنيسة الرسل ، أن نشير إلى التقليد ... ولا نقصد التقليد بمفهومه اللغوى (المحاكاة والتمثيل) لكن قصدنا المصطلح الكنسى ، ويعنى بصفة عامة التعليم والنظم الدينية المسلّمة إلينا شفهياً من السلف (١١٩) .

فإيماننا المسيحى إنتقل شفوياً ، وكذا كثيراً من التعاليم وأنظمة العبادة : ليس من الضرورى أن كل تعليم أو ممارسة عبادية نجد لها آية أو آيات تنص عليها فى الإنجيل ... فالإنجيل لا يحوى كل التعاليم وأنظمة العبادة ، لكنه ــ على حد تعبير القديس يوحنا الرسول ــ للإيمان أن يسوع هو المسيح ابن الله ، ولنوال الحياة باسمه بالإيمان (يو٢٠ : ٣١) .

من أجل هذا ، تعتبر الكنيسة التقليد المصدر الثانى للتعليم المسيحى بعد الكتاب المقدس . ثابت تاريخياً أن التعليم المسيحى فى الفترة المبكرة من تاريخ الكنيسة ، إنتقل شفوياً قبل أن يكتب أى إنجيل أو رسالة (١٢٠) .

• **فالسيد المسيح سار فى تعليمه على الطريقة السائدة فى زمانه ، وهى طريقة التعليم الشفوى ،** التى كان يتبعها معلمو اليهود ومدارسهم ... لقد تلمذ السيد المسيح تلاميذاً ، استودعهم الحق ولم يسلمهم كتاباً مكتوباً ... وكانت آخر وصاياه لهم : « إذهبوا وتلمذوا جميع الأمم ... وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم

---

(١١٩) فى اللغات الأخرى ــ غير العربية ــ لكل من هذين المعنيين لفظ خاظ فالتقليد بمعنى المحاكاة فى الإنجليزية والفرنسية imitation والتقليد بالمعنى الكنسى tradition . وفى اليونانية Paradocis وهى نفسها فى القبطية .

(120) Carrington; Vol. 1, pp. 51, 210, 273; Schaff, Vol. 1, p. 571.

به » (مت ٢٨ : ١٩ ، ٢٠) ...

وهذه الوصية تعنى أن ينقل تلاميذه الحق الذى قبلوه منه إلى غيرهم بنفس الأسلوب ، أسلوب التلمذة ... هكذا نفهم كلمات الرسول يوحنا الذى رأيناه وسمعناه نخبركم به ، لكى يكون لكم أيضاً شركة معنا ... وهذا هو الخبر الذى سمعناه منه ونخبركم به ... » (١ يو ١ : ٣ ، ٥) .

● **والرسل أسسوا الكنائس ونشروا الإنجيل شفاهاً بدون كتب مكتوبة ...** وما لبثوا أن أقاموا نواباً عنهم ، ليقيم هؤلاء مَنْ يخلفهم ، وهكذا على التوالى ... وهؤلاء جميعاً كانوا يسلمون الايمان شفهياً ... « **وما سمعته** منى بشهود كثيرين ، **أودعه** أناساً أمناء ، يكونون أكفاء أن **يعلموا** آخرين أيضاً » (٢ تى ٢ : ٢) .

والكلمات الثلاث الواردة فى هذه الآية « **سمعته ، أودعه ، يعلموا** » ، تعبر عن التعليم الشفوى .. لم يهتم الرسل بأن يكتبوا تعليمهم ، بل أن كثيرين منهم لم يكتبوا شيئاً ، بينما خلص كثيرون بسبب كرازتهم ... والذين كتبوا ، إنما فعلوا ذلك لا ليؤسسوا كنائس بكتابتهم ، وإنما كتبوا للكنائس التى كانوا قد أسسوها ليثبتوها فى الايمان ، أو ليدحضوا هرطقات ظهرت فيها ويحذروا منها ، أو ليجيبوا على أسئلة وجهت إليهم من مؤمنيها ، أو كملاحظات لهم على سلوك هؤلاء (١٢١) .

يؤكد هذه الحقيقة يوسابيوس المؤرخ الكنسى ... يقول : [إن أولئك الرجال العظماء اللاهوتيين حقاً ... أقصد رسل المسيح ... أذاعوا معرفة ملكوت السموات فى كل العالم ، **غير مفكرين كثيراً فى تأليف الكتب**] (١٢٢) ... ونحن لا نقرأ عن يهود أو أمم إنضموا إلى الايمان — فى تلك الفترة المبكرة — بعد أن قرأوا كتباً مقدسة ، بل قبلوا الايمان بالتبشير والتعليم ، كما نقرأ عن قصة إيمان وزير كنداكة الحبشى ، وكرنيليوس قائد المائة هو وكل بيت ، الذى أرسل إلى بطرس ليسمع منه (أع ٨ ؛ ١٠) ... ونود الإشارة هنا إلى أن كلمة (**إنجيل**) فى كتاب العهد

---

(١٢١) انظر ١ كو ٥ : ١ ؛ ٧ : ١ ؛ ٨ : ١ ؛ ١١ : ١٨ ؛ ١٥ : ١٢ ؛ ١٦ : ١ ؛ غل ١ : ٦ ، ٧ ... إلخ .

(122) H.E. 3, 24, 3; De Pressensé; Vol. 1, pp. 217, 218.

الجديد ، لا يقصد بها الكتاب المكتوب نفسه ، بل المقصود فحوى التبشير ، وبشرى الخلاص المفرحة ، كما يدل على ذلك الأصل اللغوى اليونانى للكلمة (١٢٣) ...

أما أدلة التقليد الكنسى من كتابات الآباء الرسل ، فهى كثيرة ، نورد أمثلة منها :

• لقد ختم يوحنا الرسول إنجيله بقوله : « وآيات أخرى كثيرة صنع يسوع قدام تلاميذه لم تكتب فى هذا الكتاب ، وأما هذه فقد كُتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله . ولكى تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه » (يو٢٠ : ٣٠ ، ٣١) ... وواضح من هذه العبارة ، أن الأناجيل لا تحوى كل تعاليم الرب يسوع ... وفى رسالتيه الثانية والثالثة يقول : « إذ كان لى كثير لأكتب إليكم ، لم أرد أن يكون بورق وحبر ، لأنى أرجو أن آتى إليكم وأتكلم فماً لفم ، لكى يكون فرحنا كاملاً » (٢يو٢١ ؛ ٣يو١٣ ، ١٤) .

• **والقديس لوقا الإنجيلى** روى أن الرب يسوع بعد قيامته ، استمر يظهر لتلاميذه مدة أربعين يوماً يكلمهم عن الأمور المختصة بملكوت الله (أع١ : ٣) ... لكن أحداً من البشيرين لم يدون لنا هذه الأحاديث ، أو أشار إليها . وكانت هذه الأحاديث دون أدنى شك على جانب كبير من الأهمية ، خاصة بعد موت المسيح وقيامته ...

• **والقرار الذى أصدره مجمع أورشليم** فى معالجة مشكلة التهود فى الكنيسة ، كان مقتضباً جداً ... أما السر فى ذلك ، فلأن اعتمادهم الأكبر كان على التبليغ والشرح الشفوى ، الذى كلفوا به برنابا وبولس ويهوذا وسيلا ... « رأينا وقد صرنا بنفس واحدة أن نختار رجلين ونرسلهما إليكم مع حبيبينا برنابا وبولس ... يهوذا وسيلا ، **وهما يخبرانكم بنفس الأمور شفاهاً** » (أع١٥ : ٢٥-٢٧) .

---

(١٢٣) انظر مر ١ : ١٥ ؛ ١٣ : ١٠ ؛ ١٤ : ٩ ؛ ١٦ : ١٥ ؛ رو ٢ : ١٦ ؛ ١٦ : ٢٥ ؛ غل ٢ : ٢ ؛ كو١ : ٢٣ ؛ ١ تس ٢ : ٩ . — انظر أيضاً : Hastings; Dictionary of the Bible, p. 304.

• **وفى رسائل القديس بولس** نجد الأمر واضحاً .

يقول لكنيسة كورنثوس عن الافخارستيا « لأننى تسلمت من الرب **ما سلّمتكم أيضاً** ، أن الرب يسوع فى الليلة التى أسلم فيها أخذ خبزاً وشكر ... إلخ . » (١ كو١١ : ٢٣) ... وواضح أنه سلمهم التعليم المختص بالافخارستيا شفهياً ، لأن هذه هى رسالته الأولى إليهم ، وهو يكلمهم بصيغة الماضى « **سلمتكم** » ...

وقال للكورنثيين عن بعض الملاحظات الأخرى « **أما الأمور الباقية ، فعندما أجىء أرتبها** » (١ كو١١ : ٣٤) .

وأقام تيطس أسقفاً على كريت ، وتركه فيها ليكمل ترتيب الأمور الناقصة ويقيم قسوساً فى كل مدينة حسبما أوصاه (تى ١ : ٥) .

ويوصى أهل فيلبى قائلاً : « وما تعلمتموه وتسلمتموه وسمعتموه ورأيتموه فىَّ فهذا إفعلوا » (فى ٤ : ٩) ... **ويوصى تلميذه الأسقف تيموثاوس** أن يتمسك بصورة التعليم الصحيح الذى سمعه منه (٢ تى ١ : ١٣) ...

ويوصى أهل تسالونيكى بقوله : « اثبتوا إذاً أيها الإخوة ، **وتمسكوا بالتقاليد** (١٢٤) **التى تعلمتموها سواء بالكلام أم برسالتنا** » **(٢ تس ٢ : ١٥) .**

ونلاحظ هنا أنه يضع التعليم الشفوى على قدم المساواة فى الأهمية مع التعليم المكتوب (= سواء بالكلام أم برسالتنا) ... ويوصيهم أن يتجنبوا كل أخ لا يسلك بحسب التقليد (١٢٤) الذى أخذه منه (٢ تس ٣ : ٦) ... وقد مدح أهل كورنثوس لأنهم يحفظون التقاليد (١٢٤) كما سلمها إليهم (١ كو١١ : ٢) .

• وثمة ملاحظة هامة ... فقد قال بولس الرسول لقسوس أفسس « متذكرين

---

(١٢٤) لفظ « تقليد وتقاليد » فى هذه الآيات ، ورد فى الترجمة العربية البيروتية البروتستانتية المتداولة « تعليم وتعاليم » وهى ترجمة خاطئة للكلمة ، وقد وردت تقليد وتقاليد فى اليونانية واللاتينية والقبطية واللغات الحديثة ... والعجيب أن مترجمى الترجمة العربية ، ترجموا نفس الكلمة اليونانية الواردة فى (مت ١٥ : ٦) بكلمة « تقليد » . وذلك فى الموقف الذى يذم فيه السيد المسيح تقليد الكتبة والفريسيين !

كلمات الرب يسوع أنه قال مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ » (أع ٢٠ : ٣٥) ... هذه الكلمات المنسوبة للسيد المسيح لم ترد فى البشائر الأربع ، أو أى سفر من أسفار العهد الجديد ... إذن من أين أتى بها بولس ؟ ثم أن كلمة « متذكرين » الواردة فى العبارة السابقة ، تدل على أن هذا القول كان شائعاً ومعروفاً ، وهو يذكرهم به ... هذا وقد لاحظ العلماء أن كلمات السيد المسيح المستشهد بها فى كتاب تعاليم الرسل Didachê ، ورسالة برنابا ، وإن كانت قريبة جداً مما ورد فى أسفار العهد الجديد المعروفة ، لكن هناك بعض إختلافات ظاهرة ... كل هذا حمل العلماء ، ويحملنا على الاعتقاد بوجود تقليد شفوى غير الأناجيل الحالية ، كان منتشراً ومعروفاً لدى الناس فى العصر الرسولى ، وكان يلقن لطالبى العماد (١٢٥) .

الآباء الرسوليون :

• يقول يوسابيوس المؤرخ عن **أغناطيوس الثاؤفوروس الشهيد** : [وفى أثناء رحلته وسط آسيا ـــ وكان تحت حراسة مسلحة شديدة ـــ كان يشدد الكنائس فى المدن المختلفة أينما يحط رحاله ، وذلك بعظات ونصائح شفوية . وكان فوق كل شيء يحثهم ليحترسوا أشد الاحتراس من الهرطقات ، التى كانت قد بدأت تنتشر وقتئذ ، وينصحهم بالتمسك بتقاليد الرسل] (١٢٦) .

• **وبابياس** ـــ أحد الذين تتلمذوا على يوحنا الحبيب ـــ فى مقدمة كتابه « تفسير أقوال الرب » يقول : [ولكننى لا أتردد أيضاً عن أن أضع أمامكم مع تفسيرى كل ما تعلمته بتدقيق من الشيوخ ، وحفظتها بحرص فى ذاكرتى ، **مؤكداً** لكم فى الوقت نفسه صحته . لأنى ـــ لست كالكثيرين ـــ أجد لذة فيمن يتكلمون كثيراً ، بل بمَنْ يعلمون الحق ... وكلما كان يأتى أحد ممَنْ كانوا يتبعون الشيوخ ، كنت أسأله بتدقيق عن أقوالهم : عما قاله فيلبس أو توما أو يعقوب أو يوحنا أو

(125) Daniélou, Vol. 1, pp. 68, 69.

(126) H.E. 3, 36,4.

متى أو أى واحد من تلاميذ الرب . ماذا قال أرستيون و يوحنا الشيخ ، تلميذاً الرب . **فإنى أعتقد أن ما يحصل عليه الإنسان من الكتب لا يفيدنى بمقدار ما يصلنى من الصوت الحى الدائم**] (١٢٧) .

What was to be got from books, was not so profitable to me as what came from the living and abiding voice (١٢٧) .

لننظر بعمق ، كيف يدعو بابياس التقليد [الصوت الحى الدائم] !! وكيف أنه يستفيد منه أكثر مما يستفيد من الكتب .. لم تكن هذه نظرة بابياس وحده ، لكنها كانت نظرة الكنيسة كلها للتقليد أو التعليم الشفوى ، أو التسليمات الشفوية عموماً ...

و يعلق De Pressensé على عبارة بابياس السابقة بقوله :

[لفترة طويلة فضلت الكنيسة الكلمة الحية عن الكلمة المكتوبة ... كان من الطبيعى جداً فى العصر الأول حينما كان الجيل الأول من المسيحيين مايزال على قيد الحياة ، أن تفضل كلماتهم على كتاباتهم . والرسل أنفسهم إهتموا بكرازتهم الشفوية ، أكثر من إهتمامهم برسائلهم المكتوبة . وكانوا يعتقدون أن سلطانهم على الكنيسة سيكون أقوى بحضورهم عن رسائلهم المكتوبة ... ومن أمثلة ذلك ما قاله يوحنا الحبيب من أنه لا يريد أن تكون كتابته بورق وحبر ، بل يريد أن يتكلم معهم فماً لفم] (١٢٨) .

● **وبوليكاربوس الشهيد أسقف أزمير** يقول لأهل فيلبى محذراً من الهراطقة [لنرجع إلى الكلمة التى تسلمت إلينا منذ البداية] (١٢٩) .

---

(127) Fargments of Papias, ch. 1 (A.N.F., Vol. 1, p. 153); Eusebius H.E. 3, 39.

(128) De Pressensé, Vol. 1; pp. 218, 219.

(129) Phil., 7.

ثانياً - الأسرار الكنسية

السر فى المصطلح الكنسى يعنى عملاً مقدساً ، به ينال المؤمن نعمة غير منظورة تحت مادة أو علامات منظورة ... والسيد المسيح هو مؤسس أسرار الكنيسة السبعة المعروفة ، وواضعها ، من أجل نفع المؤمنين وخيرهم الروحى .

والأسرار الكنسية بهذا المفهوم ، ليست طقوساً خارجية ، أو مباشرات رمزية تميز المسيحيين عن غيرهم . وليست هى وسائل ملموسة لتنمية الإيمان لكن المؤمنين ينالون بها نعماً حقيقية وإن كانت غير منظورة . الأسرار ــ والحال هذه ــ هى الوسائط التى وضعها ربنا يسوع المسيح ، لتنقل للبشر بركات الخلاص الذى تفجر بالصليب ... وهى بمثابة القنوات الموصلة بين بحر الخلاص وبين الإنسان طالب الخلاص ...

والروح القدس هو الفاعل فى الأسرار ... هو يأخذ مما للمسيح ويعطينا (يو١٦ : ١٤ ، ١٥) ... وقد آمنت الكنيسة منذ تأسيسها بهذه الأسرار السبعة وباشرتها . **يقول القديس بولس :** « فليحسبنا الإنسان كخدام المسيح **ووكلاء أسرار الله** » (١ كو٤ : ١) ... يقول أغناطيوس الشهيد فى رسالته إلى التراليين بعد أن تكلم عن الأسقف والقسوس ... [وعلى الشمامسة المقامين **لخدمة أسرار يسوع المسيح** أن يحسنوا لدى الجميع فى كل شىء . فهم ليسوا فقط موزعى طعام وشراب ، بل هم خدام كنيسة الله ، وعليهم أن يتجنبوا ــ تجنب النار ــ كل ما يلامون عليه] (١٣٠) .

وتقتضينا الدراسة أن ننبه إلى ملاحظة هامة ... لقد تميزت المباشرات المتعلقة

---

(130) Trall., 2. 3.

بالعبادة، التى مارستها الكنيسة الأولى، بالبساطة. وهى فى ذلك تتمشى بطبيعة الحال مع وضع الكنيسة والمؤمنين وقتئذ، كجماعة مضطهدة مطاردة، تتعبد خفية فى البيوت أو الكهوف أو السراديب، وتقيم إجتماعاتها مستترة بظلام الليل، تتوقع مهاجمتها فى أية لحظة ... فلا نعجب إذن إن راعت الكنيسة الأولى البساطة وعدم التطويل فى ممارسات العبادة فى ذلك العصر ... لكن ما أن تمتعت الكنيسة المسيحية بالحرية الدينية، حتى بدأت تمارس عباداتها براحة أكثر ... ولا مانع فى هذه الحالة من الإسهاب. تعويضاً عن أزمنة الضيق والخفية (١٣١) ...

لكن ذلك ـــ وهذا هو ما يهمنا الإشارة إليه ـــ لم يمس الجوهر فى شيء ... فمثلاً المعمودية التى مارستها كنيسة الرسل هى عينها وفى جوهرها المعمودية التى تمارسها الكنيسة اليوم. وسر الافخارستيا الذى به يتناول المؤمنون جسد المسيح ودمه الأقدسين اليوم، هو بعينه سر الافخارستيا الذى مارسته كنيسة الرسل ... ليس معنى الإطالة فى بعض الصلوات، عما كان متبعاً فى كنيسة الرسل، أن هذا السر أو تلك العقيدة مستحدثة ... فالعقيدة واحدة والأسرار بجوهرها لم تتبدل ولم تتغير فى جوهرها، وكذا النعمة المصاحبة لها فى فعاليتها ونفعها للمؤمنين ... وما قلناه هنا خاصاً بالأسرار ينطبق على العبادة بوجه عام ...

١ - سر المعمودية :

المعمودية سر مقدس به يتمم البشر الحكم الصادر عليهم من الله بالموت نتيجة المعصية الأولى (تك٢ : ١٧). بالمعمودية يموتون مع المسيح ويدفنون معه ـــ لكن فى الماء بدلاً من القبر ـــ ويقومون أيضاً معه (رو٦ : ٣- ٧؛ كو٢ : ١٢).

---

(١٣١) ومن الأمثلة التى سارت الكنيسة على نهجها أنه فى شريعة خروف الفصح أمر الرب شعبه أن يأكلوه بعجلة وأحقاؤهم مشدودة وأحذيتهم فى أرجلهم وعصيهم فى أيديهم (خر١٢ : ١١). لكن اليهود بعد حصولهم على الراحة بدخولهم أرض الميعاد غيروا أسلوبهم فى أكل خروف الفصح تدليلاً على وصولهم إلى الراحة. فكانوا يأكلونه وهم متكئين. وهكذا مارسه السيد المسيح (مت٢٦ : ٢٠؛ مر١٤ : ١٨؛ لو٢٢ : ١٤) ... هكذا نرى أن هذا الإجراء من جانب الكنيسة هو أمر مشروع.

المعمودية هى السبيل الذى رسمه الرب لينال المؤمن الخلاص ، فلا خلاص بدون معمودية ، والإيمان وحده لا يخلص . قال السيد المسيح : « مَنْ آمن واعتمد يخلص [١٣٢] ومَنْ لم يؤمن يدان » (مر١٦ : ١٦) ... ليس الإيمان هو كل شىء [١٣٣] . وليست المعمودية مباشرة طقسية كما مارسها اليهود . ولا هى معمودية توبة كمعمودية يوحنا ...

المعمودية هى ميلاد ثان روحانى ، من الماء والروح [١٣٤] ، بها نأخذ طبيعة جديدة بالروح القدس ، بسر فائق لعقولنا . وبها ننال مغفرة جميع الخطايا الأصلية والفعلية السابقة للمعمودية [١٣٥] ... هى عملية ختان روحية (كو٢ : ١١-١٤) ، وتجديد روحى (فى٣ : ٥) ؛ واستنارة روحية [١٣٦] (عب٦ : ٤-٦) ... المعمودية هى الشرط الأول لعضوية الكنيسة والتمتع بكل بركات العهد الجديد .

ما قبل المعمودية :

كان طالب العماد ــ قبل عماده ــ يلقن بعض مبادىء الديانة المسيحية خاصة النواحى الأدبية ، وبعض العقائد الإيمانية الأساسية ، كالتى تضمنها قانون إيمان الرسل ... والتعليم السابق للعماد واضح فى كتاب تعاليم الرسل Didachê ــ وهى أقدم ما وصل إلينا عن نظام المعمودية وطقسها وكذا فيما كتبه يوستينوس الشهيد [١٣٧] ... أما القول بأن العماد كان يتم بمجرد إعلان الشخص لإيمانه كما فى حالة يوم الخمسين والخصى الحبشى وشاول الطرسوسى وكرنيليوس وسجان فيلبى ...

---

(١٣٢) هذه هى الترجمة الدقيقة للآية ــ يخلص وليس خلص كما فى الترجمة البيروتية البروتستانتية ، هكذا فى الأصل اليونانى والترجمة القبطية وفى الترجمة اللاتينية القديمة وكل الترجمات .

(١٣٣) انظر هذا الموضوع فى الفصل الخاص بعقيدة الخلاص بالإيمان والأعمال .

(١٣٤) انظر : يو ٣ : ٣ ، ٧ ؛ تى ٣ : ٥ ؛ يع ١ : ١٨ ؛ ١ بط ١ : ٣ ؛ ٤ ، ٢٣ .

(١٣٥) أع ٢ : ٣٨ ؛ ٢٢ : ١٦ ؛ ١ كو٦ : ١١ ؛ أف ٥ : ٢٦ ؛ تى ٣ : ٥ ؛ عب ١٠ : ٢٢ ؛ ١ بط ٣ : ٢١ .

(136) Justin Martyr; 1 Apol.; 61.

(137) Didachê, 7; Justin, 1 Apol.; 65.

فبالإضافة إلى أنه وضع استثنائى ، فقد تم بموجب إعلان إلهى لكل من فيلبس وحنانيا وبطرس (١٣٨) .

وقد أخذت الكنيسة المسيحية بمبدأ تعليم طالب العماد مبادىء الدين قبل عماده ، عن المجمع اليهودى . فقد كان يتحتم على المهتدين ضرورة تعلم أصول الدين بطريقة السؤال والجواب Catechism ... وقد التزمت الكنيسة المسيحية بهذا المبدأ ، وعمقته أكثر ، لتحصن نفسها من صور الوثنية ، لتكون كنيسة الله المقدسة (١٣٩)

* كان على المعمد أن يصوم يوماً أو يومين قبل العماد ، و يصوم معه الكاهن الذى سيعمده ، ومَنْ إستطاع أن يصوم معه (١٤٠) .

طقس المعمودية :

* فى الفترة المبكرة من تاريخ الكنيسة ، كان الأسقف وحده هو الذى يقوم بالعماد . وأقدم ما وصلنا عن ذلك ما ذكره أغناطيوس الشهيد (١٤١) ، لكن ما لبث ــ بعد أن تكاثر عدد المقبلين إلى الإيمان ــ أن أعطى هذا الحق للقسوس (١٤٢) .

* كان العماد يتم فى « ماء جار » كما تشير إلى ذلك تعاليم الرسل ... والتعبير اليونانى هو hudor zon ومعناه الحرفى (الماء المعطى للحياة) ... هكذا نفهم التشابه الجميل بين المعموديةوالماء الجارى (١٤٣) . وإن لم يتوفر الماء الجارى كانوا يعمدون فى ماء آخر ، وإنت تعذر العماد فى ماء بارد ، كانوا يعمدون فى ماء دافىء . وفى الأحوال الاستثنائية التى لا يتوفر فيها ماء ، أو بسبب المرض مثلاً ، كان يصب ماء ثلاثاً على رأس المعمد على اسم الآب والابن والروح القدس (١٤٤)

---

(١٣٨) انظر : أع ٨ : ٢٦ ؛ ٩ : ١٠ ، ١١ ؛ ١٠ : ١٩ ، ٢٠ .

(139) Harnack; The Mission ..., p. 391.

(140) Didachê; 7.

(141) Smyrn., 8.

(142) Apos. Const., 8. 11.

(143) Danielou; Vol. 1, p. 69.

(144) Didachê, 7.

... كما كان يرسم بالزيت على جبهة المعمد بعلامة الصليب .

* كان يسبق طقس العماد مباشرة ، جحد الشيطان apotaxis ، وإعلان التمسك بالمسيح Suntaxis (١٤٣) . كان المعمد ــ قبل مباشرة سر العماد ــ يجهر بإيمانه (١٤٥) ... كان يردد صيغة معينة تتضمن العقائد الإيمانية الأساسية ــ تلك التى عرفت فيما بعد باسم قانون إيمان الرسل (١٤٦) وقد وردت عن ذلك إشارات متعددة فى العهد الجديد (١٤٧) ... و يقول المؤرخ De Pressensé [من المحتمل جداً أن طالب العماد قبيل عماده مباشرة ، كان يقدم إعتراف قصير بإيمانه ، وهو ما أشار إليه بطرس الرسول بعبارة « سؤال ضمير صالح نحو الله » (١٤٥) ... والجهر بالإيمان شرط أساسى كما يقول القديس بولس فى (رو١٠ : ٩) .

* بعد ذلك كان طالب العماد يغطس ثلاث مرات فى الماء على اسم الثالوث القدوس ، الآب والابن والروح القدس ... وإتمام العماد بالتغطيس ، أمر ثابت تاريخياً دون أدنى جدال (١٤٨) .

* كان يصاحب العماد التراتيل ، وهى موضوعة بصورة تعبر عن التعاليم المناسبة للعماد والحياة الجديدة فى المسيح . و يذكر كثير من العلماء أن رسالة معلمنا بولس إلى أهل أفسس تتضمن جزء من ترنيمة العماد « لذلك يقول ، إستيقظ أيها النائم وقم من الأموات فيضىء لك المسيح » (أف ٥ : ١٤) ... نلاحظ مطلع الآية « لذلك يقول » (١٤٩) ... كما كانوا يرتدون الثياب البيضاء إشارة إلى البراءة

---

(145) De pressense Vol. 1, p. 374; L'Eglise primitive, p. 367.

(146) R. Lumby; The History of the Creeds; pp. 1-111; Documents of the christian church, pp. 33, 34.

(147) Gore; The Incarnation of the Son of God; pp. 93, 94.

(١٤٨) أع ٨ : ٣٨ ؛ كو ٢ : ١٢ ؛ رو ٦ : ٤ ؛ ١ كو ١٠ : ١ ، ٢ . ــ انظر أيضاً :
Didachê, 7; Epistle of Barnabas. 11: Hermas, Similitude, 9, 16; Dictionary of christian, Antiquitus, Vol. 1, p. 161; De Pressensé, Vol 1, p. 374; Hill, pp. 351 - 355.
Schaff; Vol. 1, pp. 468, 469.

(149) Les Premiers Chretiens, p. 82. C.F. Liddon; The Divinity of our Lord p. 332.

والفرح . والإشارات عن هذا الأمر كثيرة جداً فى كتابات الآباء [150] .

أوقات العماد وأماكنه :

* لا نعتقد أنه فى الفترة المبكرة من تاريخ الكنيسة ، كانت قد تحددت مناسبات معينة للعماد ، كما حدث فيما بعد ، حينما كانوا يعمدون فى أعياد القيامة والخمسين والظهور الإلهى (الغطاس) ... لكن العماد كان يتم فى أى وقت .

* وبالنسبة للمكان أيضاً ، لم يشترط مكان معين ، حيث أنه لم تكن قد شيدت كنائس ثابتة . كانوا يعمدون فى البيوت والسراديب والكهوف ، وفى أى مكان ... وهكذا إعتمد الخصى الحبشى على جانب الطريق (أع٨ : ٣٦- ٣٨) ، وغالباً تمت معمودية شاول (بولس الرسول وكرنيليوس وأهل بيته فى المنازل التى كانوا فيها) ... و يشهد يوستينوس الشهيد بذلك [151] .

عماد الأطفال :

عماد الأطفال فى كنيسة الرسل شىء مؤكد يشهد به التاريخ [152] ... ولدينا شهادة قيمة عن ذلك مما ذكره إيريناوس تلميذ بوليكاربوس تلميذ يوحنا الرسول الذى ولد حوالى سنة ١٣٠ م [153] . وترتليانوس فى القرن الثانى الذى يشهد أن عماد الأطفال ... كانت تمارسه الكنيسة فى زمانه . والعلامة أوريجينوس [154]

(150) Dictionary of christian Biography, Vol. 1, p. 163.

(151) Justin, 1 Apol. 79.

(152) Dictionary of christian Antiquities, Vol. 1, pp. 169-170; Fisher, pp. 565,566; Daniélou, p. 161, Schaff, Vol. 1, pp. 469-471.

(153) Against Heresies, 2. 39.

(154) Origen; Hom., 8 on Leviticus, Hom. 19 on St. Luke; Comment. Romans, 5. 16.

ـ وشهادته لها قيمتها ـ يذكر أن عماد الأطفال تقليد رسولى ... **وكذلك أيضاً من** المشابهة بين الختان الذى كان رمزاً للمعمودية ، وكان يتم فى اليوم الثامن لميلاد الطفل حتى لو وقع فى يوم سبت ... وهذا واضح من (كو٢ : ٢) ، ومن كتابات الآباء الأولين ، وفى مقدمتهم يوستينوس الشهيد فى حواره مع تريفو اليهودى .

٢ - سر التثبيت

وهو السر الثانى الذى يناله المؤمن بعد عماده ، وبه يحل الروح القدس على المعمد للإمتلاء به ، على نحو ما حدث للسيد المسيح بعد عماده فى الأردن ، إذ شوهد الروح القدس نازلاً ومستقراً عليه (١٥٥) .

وهو سر منفصل عن المعمودية ، وقد مارسته الكنيسة الأولى بوضع أيدى الرسل (١٥٦) ، وبعد ذلك صار يتمم بمسحة الميرون المقدسة (١٥٧) ... « ولما سمع الرسل الذين فى أورشليم أن السامرة قد قبلت كلمة الله أرسلوا إليهم بطرس ويوحنا ، اللذين لما نزلا **صليا لأجلهم لكى يقبلوا الروح القدس** . لأنه لم يكن قد حل بعد على أحد منهم ، غير أنهم كانوا معتمدين باسم الرب يسوع . **حينئذ وضعا الأيادى عليهم فقبلوا الروح القدس** » **(أع٨ : ١٤-١٧) .**

وفى أفسس وجد بولس مؤمنين معتمدين بمعمودية يوحنا فقط . ولما أفهمهم أن معمودية يوحنا كانت للتوبة فقط « اعتمدوا باسم الرب يسوع . **ولما وضع بولس يديه عليهم حل الروح القدس عليهم** » (أع١٩ : ١-٦) .

وقد أشار القديس بولس إلى سر التثبيت بقوله : « ولكن الذى يثبتنا معكم فى المسيح ، وقد مسحنا هو الله . الذى **ختمنا أيضاً وأعطى عربون الروح** فى قلوبنا »

---

(١٥٥) مت ٣ : ١٦ ؛ مر ١ : ١٠ ؛ لو ٣ : ٢٢ ؛ يو ١ : ٣٢ .

(156) Schaff, Vol. 1, p. 471.

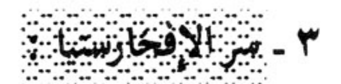
(١٥٧) ميرون كلمة يونانية قبطية معناها دهن أو طيب ـ انظر :

Daniélou; The Bible and the Liturgy, pp. 114, 115.

(٢ كو١ : ٢١ ، ٢٢) .

ويقول القديس يوحنا فى رسالته « أما أنتم فلكم **مسحة من القدوس ،** وتعلمون كل شىء ... وأما أنتم **فالمسحة التى أخذتموها منه ،** ثابتة فيكم ولا حاجة بكم إلى أن يعلمكم أحد ، **بل كما تعلمكم هذه المسحة عينها عن كل شىء** » (١يو٢ : ٢٠ ، ٢٧) ... ولا شك أن المسحة التى تعلّم كل شىء هى مسحة الروح القدس بالميرون ... فالروح القدس كما قال السيد المسيح « يعلّمكم كل شىء » (يو١٤ : ٢٦) .

من الأقوال السابقة ، نلاحظ أن الرسل يشيرون إلى هذا السر ويسمونه وضع الأيادى وتثبيتاً وختماً ، ومسحة ... وواضح من أسفار العهد الجديد أن حلول الروح القدس والإمتلاء منه ، كان يؤلَف سراً منفصلاً عن المعمودية ... ويقول ثاوفيلس الأنطاكى (١١٥ - ١٦٨ / ١٨١) [على هذا الأساس نحن ندعى مسيحين ، لأننا ممسوحين بزيت الله] (١٥٨) .

٣ - 

ولعله أكثر أسرار الكنيسة السبعة وضوحاً وتلألأ ... به يتناول المؤمن جسد المسيح ودمه الحقيقيين الأقدسين ، تحت أعراض الخبز والخمر ، بعد إستحالتهما بفعل الروح القدس الذى يستدعيه الكاهن فى صلوات التقديس ...

والرب يسوع المسيح نفسه هو مؤسس هذا السر ، **وقد مارسته كنيسة الرسل ،** ودعته « كسر الخبز » (١٥٩) ، والافخارستيا (١٦٠) (الشكر) ، وذلك لأن الرب يسوع فى إتمامه لهذا السر ، شكر وكسر ، كما أننا نشكر الرب على كل إحساناته ،

---

(158) Theophilus to Autolycus, B. 1, Ch. 12.

(١٥٩) أع ٢ : ٤٢ ، ٤٦ ؛ ٢٠ : ٧ - ١١ .

(160) Didachê; 9: 10, 14.

وفى مقدمتها ذبيحة جسده ودمه غير الدموية ، التى هى إمتداد لذبيحة الصليب ، والتى بها ننال غفران خطايانا ، وثباتاً فى شخصه بل واتحاداً معه ... ثم فى النهاية حياة أبدية .

نظرة كنيسة الرسل للافخارستيا :

١ - تمسكت كنيسة الرسل بما تسلمته من الرب (١ كو ١١ : ٢٣) ، من أن الخبز والخمر البسيطين ــ فى سر الافخارستيا ــ يتحولان بفعل الروح القدس ، إلى جسد حقيقى ودم حقيقى لعمانوئيل إلهنا ... وقد أكد القديس بولس هذه العقيدة فى رسالته الأولى إلى كنيسة كورنثوس (ص ١٠، ١١) وحذر المتهاونين من الكورنثيين وكشف لهم حقيقة هذا السر ... « إذا ، أى من أكل هذا الخبز وشرب كأس الرب بدون إستحقاق ، يكون مجرماً فى جسد الرب ودمه . لكن ليمتحن الإنسان نفسه ، وهكذا يأكل من الخبز و يشرب من الكأس . لأن الذى يأكل و يشرب بدون إستحقاق يأكل و يشرب دينونة لنفسه غير مميز جسد الرب » ... ثم هو يكشف لهم بعض نتائج إستخفافهم وتهاونهم بهذا السر فيقول : **« من أجل هذا ، فيكم كثيرون ضعفاء ومرضى وكثيرون يرقدون »** (١ كو١١ : ٢٧-٣٠) .

وكلام الرسول فى غاية الوضوح ، ولا يحتاج إلى تعليق أو إيضاح ...

وفى نهاية صلوات التقديس ، فى **كتاب تعاليم الرسل ــ وهو أقدم لما وصل إلينا عن صلوات الافخارستيا ، يقول : « مَنْ كان طاهراً فليتقدم ، ومَنْ ليس كذلك فليتب »** (١٦١) .

ويقول أغناطيوس الشهيد [ليس لى مسرة بالطعام البائد أو بملذات هذه

---

(١٦١) Didachê, 10. 6 ــ فى موضوع الافخارستيا ، طبقت تعاليم الرسل قول الرب : « لا تعطوا القدس للكلاب » (مت ٧ : ٦) على غير المؤمنين ، وأنهم يجب ألاَّ يتناولوا من الافخارستيا (Didachê, 9.5) ــ وهنا نلاحظ كيف تدعى الافخارستيا قدساً .

الحياة ، **أشتهى خبز الله الذى هو جسد يسوع المسيح** الذى كان من نسل داود ، وأود أن أشرب دمه] (١٦٢) .

وقد حذرت الكنيسة المؤمنين من الهراطقة الذين ينكرون وجود جسد يسوع المسيح فى الافخارستيا ... قال أغناطيوس الشهيد : [**يمتنعون من الافخارستيا والصلاة ، لأنهم ينكرون وجود جسد يسوع المسيح مخلصنا فى الافخارستيا ، ذاك الجسد الذى تألم لأجل خطايانا** ، والذى أقامه الآب بصلاحه . وهكذا ، فإن الذين ينكرون عطية الله ، يلقون الموت من جراء إنكارهم واعترافاتهم ... تجنبوهم] (١٦٣) .

٢ - وآمنت كنيسة الرسل أن الافخارستيا ذبيحة غير دموية ، وأنها فى طبيعتها وجوهرها إمتداد لذبيحة الصليب :

تقول تعاليم الرسل (١٦٤) : [فى كل يوم أحد اجتمعوا معاً ، واكسروا الخبز ، وقدموا الشكر بعد أن تكونوا قد اعترفتم بآثامكم ، حتى ما تصبح **ذبيحتكم** طاهرة . ولا يشترك معكم مَنْ كان على خلاف مع رفيقه ، حتى يتصالحا (١٦٥) ، لئلا تتدنس **ذبيحتكم** . فهذا ما قاله الرب : فى كل مكان وزمان يقرب لى ذبيحة طاهرة ، لأنى ملك عظيم ، يقول الرب ، واسمى عجيب بين الأمم] (١٦٦) .

واضح أن الافخارستيا فى تعاليم الرسل ــ تلك الوثيقة المبكرة ــ تدعى ذبيحة بكلمات صريحة وبصورة قاطعة ... **وليس ذلك فقط ، بل أن العلماء الذين فحصوا كتاب تعاليم الرسل هذا Didachê ، اعتبروا ما ذكر فيها عن الافخارستيا ، شاهداً على وجود الله الحقيقى فى هذا السر، وأنه ليس رمزاً** (١٦٧) .

---

(162) Rom., 7. 3.   (163) Smyrn., 7.   (164) Didachê, 14.

(١٦٥) هذه الكلمات صدى لكلمات السيد المسيح الواردة فى العظة على الجبل (مت ٥ : ٢٣ ، ٢٤) .

(١٦٦) ملاخى ١ : ١١ ، ١٤ .

(167) The Riddle of the Didache, pp. 4, 5.

ويوستينوس الشهيد فى حواره مع تريفو اليهودى ، يدعو **الإفخارستيا** ذبيحة مقبولة (١٦٨) .

٣ ـ وأنها شركة جسد المسيح ودمه ، وإتحاد به ، ومع بعضنا البعض ... قال القديس بولس : « كأس البركة التى نباركها أليست هى **شركة دم المسيح .** الخبز الذى نكسره أليس هو **شركة جسد المسيح .** فإننا نحن الكثيرين خبز واحد ، جسد واحد ، لأننا جميعنا نشترك فى الخبز الواحد » (١ كو١٠ : ١٦ ، ١٧) .

يقول أغناطيوس الشهيد : [من ثم احرصوا ألاَ يكون لكم سوى إفخارستيا واحدة . لأنه يوجد جسد واحـد لربنا يسوع المسيح ، وكأس واحدة ، **للإتحاد بدمه ،** ومذبح واحد] (١٦٩) .

وفى تعليم الرسل تشبيه لطيف لاتحاد المؤمنين فى هذا الجسد ... فكما أن حبات كثيرة من القمح المزروع فى جهات متفرقة وعلى التلال ، إشتركت فى الخبز الواحد ، الذى تقدس ، هكذا تطلب الكنيسة من الله أن يجمعها من أقاصى الأرض (١٧٠) .

يقول الأستاذ ليتزمان Lietzmann [جميع آكلى هذا الخبز ـ الذى هو جسد المسيح ـ يصيرون متحدين فى جسد واحد معاً] (١٧١) .

٤ ـ وإنها ذكرى عينية لموت المسيح وقيامته :

قلنا إن ذبيحة الافخارستيا هى عينها ذبيحة الصليب ، وأنها إمتداد لها فى طبيعتها وجوهرها ... ومن ثم تصبح الافخارستيا ذكرى عينية لذبيحة الجلجثة ... هذا ما عناه الرب حينما قال : « اصنعوا هذا لذكرى »(لو٢٢ : ١٩ ؛ ١ كو١١ :

---

(168) Dial., 117.

(169) Phild., 4.

(170) Didachê, 9. 4; Les Premiers Chrétiens, p. 85.

(171) Leitzmann, pp. 150, 151.

٢٥) ... أى أننا كلما قدمنا هذه الذبيحة نتذكر آلام الرب وموته وقيامته « فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجىء » (١ كو١١ : ٢٦) ... وعبارة « إلى أن يجىء » تفيد استمرار تقديم هذه الذبيحة بهذا المفهوم حتى مجىء الرب (١٧٢) ...

٥ ـ وان التناول من جسد الرب ودمه ذو بركات روحية جمه :

فهو يمنحنا غفراناً للخطايا ، وثباتاً فى المسيح ، وحياة أبدية (١٧٣) ... وهو غذاء دائم لأرواحنا وأنفسنا وأجسادنا .

يقول يوستينوس الشهيد : [نحن لا نتناول (الافخارستيا كخبز عادى أو شراب عادى ... هكذا تعلمنا أن الغذاء الذى يتقدس بالصلاة التى نطق بها هو (يسوع المسيح) ، وبه يتغذى لحمنا ودمنا ، بواسطة الاستحالة هو لحم ودم يسوع ذاك الذى تجسد] (١٧٤) .

آمنت كنيسة الرسل بمفاعيل هذا السر العجيبة الفائقة ، فاستفادت منه إلى أقصى حد ، وعلمت المؤمنين أن يواظبوا على شركة الجسد والدم الأقدسين ... تلك الشركة التى تعطى حياة وثباتاً واستنارة ...

ما أجمل العبارة التى ذكرها الدكتور تورانس Torrance بعد أن فحص كتابات الآباء الرسوليين ... قال : [كانت الحياة المسيحية تطعم فى المؤمن بواسطة الافخارستيا بنوع خاص] (١٧٥) .

---

(١٧٢) هذا ما تردده الكنيسة فى صلوات القداس الإلهى ، سواء ما يقوله الكاهن أو الشعب « ... تبشرون بموتى وتعترفون بقيامتى وتذكروننى إلى أن أجىء » ...

(١٧٣) مت ٢٦ : ٢٨ ؛ يو ٦ : ٥١، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٨ .

وهذا ما تعبر عنه الكنيسة فى القداس الإلهى ... « إجعلنا مستحقين كلنا يا سيدنا أن نتناول من قدساتك طهارة لأنفسنا وأجسادنا وأرواحنا » .

(174) 1 Apol., 66.

(175) The Doctrine of grace in the Apostolic Fathers; p. 64.

أليس هذا هو نفس المعنى الذى رمى إليه القديس بولس بتشبيهه المؤمن بغصن زيتونة برية ، طعم فى الزيتونة الجيدة ربنا يسوع المسيح ، وهكذا يصير شريكاً فى أصل الزيتونة ودسمها (رو١١ : ١٧ ، ٢٤) .

ويوستينوس الشهيد فى دفاعه الأول يصف خدمة الإفخارستيا فى زمانه ، **ويخبرنا أن جميع المؤمنين الذين يحضرون الخدمة كانوا يتناولون من الجسد والدم كل يوم أحد ... أما الغائبون ، الذين كانت ظروفهم لا تسمح لهم بالحضور، فكان الخدام يحملون إليهم جزء من الجسد** (١٧٦) .

هذه الشهادة المبكرة ترسم لنا صورة حية للمؤمنين القديسين ، وتفصح لنا عن سر قداستهم وثباتهم فى الرب ...

إن التناول من جسد المسيح ودمه هو شركة حية مع المسيح إلهنا ، يجب ألاَ تتوقف ... إنه غذاء روحى ، لا غنى للإنسان عنه ... إنه كالمن الذى كان بنو إسرائيل يقتاتون به فى غربتهم فى البرية ... هكذا نحن أيضاً يجب أن نغتذى بهذا المن الروحى السماوى طيلة مدة غربتنا فى هذا العالم حتى نصل إلى أورشليم السماوية ...

لذا أقولها فى حسرة وأسى : كم يخطىء المسيحى إلى ذاته حينما يتهاون فى تناول جسد الرب ودمه ... بل يمضى على البعض سنوات طويلة دون تناول ... والبعض لا يتناول إلاَّ فى المناسبات ...

يقول أغناطيوس الشهيد : [لا يضلن أحد . مَنْ يبتعد عن المذبح يحرم نفسه من خبز الله] (١٧٧) ... لنذكر كلمات رب المجد دائماً : « إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم » (يو٦ : ٥٣) .

٤ - سر الاعتراف :

ويسمى أيضاً سر التوبة ، وهو السر المختص بفعالية الروح القدس فى الخاطىء التائب ، الذى يقدم ندامة كاملة عن خطاياه التى إرتكبها ، ويعترف بها أمام كاهن الله ، فينال الغفران بفعل الروح القدس الذى يستدعيه الكاهن فى صلاة التحليل ... **وقد مارست كنيسة الرسل هذا السر...**

(176) 1 Apol. 65, 67.

(177) Eph., 5.

نقرأ فى **سفر الأعمال** أن « كثيرين من الذين آمنوا كانوا يأتون مقرين ومخبرين بأفعالهم » (أع ١٩ : ١٨) .

والقديس يعقوب فى رسالته يقول : « أمريض أحد بينكم **فليدع قسوس الكنيسة فيصلوا عليه ... وإن كان قد فعل خطية تغفر له . اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات** » (يع ٥ : ١٤-١٦) ... ولا حاجة بنا إلى إيضاح المغالطة التى يحاول البروتستانت أن يغالطوا بها ... فهم يقولون إن الرسول قال : « اعترفوا بعضكم لبعض » ، ولم يقل اعترفوا للقسوس ... لكن القرينة الموجودة فى الجملة « **فليدع قسوس الكنيسة** » توضح أن الاعتراف هو لهؤلاء القسوس ...

ووردت فى عدة نصوص خاصة بالاعتراف فى كتاب تعاليم الرسل Didachê [**عليك أن تعترف بخطاياك فى الكنيسة ،** ولا تقرب الصلاة بضمير شرير فهذا هو طريق الحياة] (١٧٨) ... [فى يوم الرب اجتمعوا معاً ، واكسروا الخبز وقدموا الشكر ، **بعد أن تكونوا قد اعترفتم بخطاياكم** حتى ما تصبح ذبيحتكم طاهرة] (١٧٩) .

وأظن أنه لا يجرؤ أحد أن ينكر هذه العبارات الناطقة ... وربما يقول واحد — من قبيل المكابرة — لم تذكر تعاليم الرسل صراحة الاعتراف على الكهنة وإنما قالت : **[تعترف بخطاياك فى الكنيسة]** ... ونحن نقول ما معنى الاعتراف بالخطايا فى الكنيسة ؟ إذاً كان الإعتراف على الله مباشرة ، فإن ذلك يجوز فى أى موضع ، لأن الله موجود فى كل الأماكن والمواضع لكن عبارة « فى الكنيسة » تعنى الآباء الكهنة (١٨٠) ..

وفى النص الثانى يقول : **[وفى يوم الرب اجتمعوا معاً ، واكسروا الخبز (الافخارستيا)]** ، والكلام هنا عن اجتماع الكنيسة ، لأن كسر الخبز

---

(178) Didaché, 4. 14.

(179) Didaché; 14. 1.

(١٨٠) يقول السيد المسيح : « إن أخطأ إليك أخوك فاذهب وعاتبه بينك وبينه وحدكما . إن سمع منك فقد ربحت أخاك ... وإن لم يسمع منهم فقل للكنيسة » (مت ١٨ : ١٧) — **والمقصود** بالكنيسة هنا كهنة الكنيسة .

(الافخارستيا) لا يكون إلاَّ فى الكنيسة ــ أينما كانت حتى لو كانت فى بيوت خاصة ــ وحيث الكنيسة هناك الكهنة (١٨٠) .

و يقول **القديس اكليمنضس الرومانى** فى رسالته إلى أهل كورنثوس : [لنتضرع طالبين الغفران عن كل تلك الخطايا . **لأنه خير للإنسان أن يعترف بخطاياه ، ولا يقسى قلبه ،** كما تقست قلوب أولئك الذين قاوموا موسى عبد الله] (١٨١) .

و يقول **أغناطيوس الشهيد** : [الله يغفر لكل مَنْ يتوب ، إن كانت توبته تؤدى إلى الإتحاد بالله والاشتراك مع الأسقف] (١٨٢) ... و يقول **الأستاذ تورانس Torrance معلقاً على ذلك : [يجب أن نتذكر أن أغناطيوس لم يذكر الغفران إلاّ مرتبطاً إرتباطاً وثيقاً بالكنيسة]** (١٨٣) .



٥ - سر مسحة المرضى :

وهو السر الذى به ينال المريض الشفاء من أمراضه الروحية والجسدية ، بعد أن يمسحه الكاهن بزيت ، مستمداً له ــ بصلاة الإيمان ــ النعمة الإلهية لشفائه ...

وقد مارست كنيسة الرسل هذا السر (١٨٤) ... يقول يعقوب الرسول : أمريض أحد بينكم ، فليدع قسوس الكنيسة ، فيصلوا عليه و يدهنوه بزيت باسم الرب . وصلاة الإيمان تشفى المريض والرب يقيمه ، وإن كان قد فعل خطية تغفر له » (يع ٥ : ١٤ ، ١٥) .

وكلام الرسول يعقوب ، يستدل منه أن ممارسة مسحة الزيت للمرضى ، كانت

---

(181) 1 Corinthians, 51. 3.

(182) Phild; 8. 1.

(183) Torrance; The Doctrine of grace in the Apostolic Fathers; pp. 77, 78.

(184) Cictionary of christian Antiquities, Vol. II, p. 2004.

عادة متبعة ... والرسول يذكر لهم هذا الأمر لمجرد التذكير، وليس كتعليم جديد ... يؤيد ذلك شهادة التاريخ ... يقول المؤرخ البروتستانتى موسهيم فى الباب الخاص بطقوس العبادة فى القرن الأول المسيحى ... [أن المسيحيين الأولين كلما مرضوا مرضاً خطيراً ، كانوا يدعون قسوس (شيوخ) الكنيسة حسب قول (يع ٥ : ١٤) . وبعد أن يعترف المريض لله بخطاياه يستودعه القسوس لله بالتضرعات الخشوعية ويدهنونه بزيت ، وأشياء كثيرة بخصوص هذا الطقس ... ومع أنه لا يرتاب بأنه كان دارجاً كثيراً فيما بين المسيحيين الأولين ، لكنه قلما يذكر فى كتب الأولين] (١٨٥) .

٦ - سر الزواج :

الزواج ناموس مقدس أسسه الله منذ البدء (١٨٦) ، وثبته الرب يسوع ورفعه إلى مرتبة السر المقدس ... به يتحد الرجل والمرأة إتحاداً مقدساً بالروح القدس ..

وقد دعا القديس بولس الزواج سراً عظيماً وشبه إتحاد الرجل والمرأة فى الزواج ، باتحاد المسيح بالكنيسة ... قال « أيها الرجال أحبوا نساءكم كما أحب المسيح أيضاً الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها لكى يقدسها ... من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً . **هذا السر عظيم ،** ولكننى أنا أقول من نحو المسيح والكنيسة » (أف ٥ : ٢٢-٣٢) .

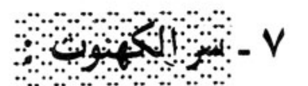
ويقول معلمنا بولس أيضاً لكنيسة كورنثوس : « المرأة مرتبطة بالناموس مادام رجلها حياً . ولكن إن مات رجلها فهى حرة ، لكى تتزوج بمَنْ تريد ، **فى الرب فقط** » (١ كو٧ : ٣٩) ... **وواضح من هذا الكلام أن الزيجة منذ عصر الرسل كانت تعقد باسم الرب ... أى أنها كانت عملاً دينياً مقدساً فى الكنيسة .**

---

(١٨٥) موسهيم : كتاب ١ قرن ١ قسم ٢ فصل ٤ . .

(١٨٦) تك ١ : ٢٧ ، ٢٨ ؛ ٩ : ١ .

يؤكد هذا المعنى **أغناطيوس الشهيد** بقوله : **[يجب على المتزوجين رجالاً ونساء ، ألاّ يعقدوا زواجهم ، إلاّ بموافقة الأسقف ، حتى ما يكون زواجهم بحسب الرب ، وليس من أجل شهواتهم . لتكن كل الأشياء من أجل مجد الله]** (١٨٧) .



٧ - سر الكهنوت :

وهو السر الذى يحول بعض الخدام ، السلطان لمباشرة الخدم الكنسية الروحية ، من أسرار وغيرها . ويتم بوضع اليد على رأس المختار لهذه الدرجة ... ويسمى فى اليونانية شرطونية χειρτονια ومعناها وضع اليد .

• **وقد مارس الآباء الرسل الخدمات الموكولة إليهم بهذا السلطان الكهنوتى المعطى لهم بالروح القدس (١٨٨) ، وتمموا الأسرار، وأقاموا أساقفة وقسوساً وشمامسة ...**

• **لقد دعى القديس بولس ذاته كاهناً (يباشر الخدمة الكهنوتية)** « ولكنى بأكثر جسارة كتبت إليكم قليلاً أيها الإخوة ، كمَنْ يذكركم بسبب النعمة التى وهبت لى من الله ، **لأكون خادماً** للمسيح يسوع فى الأمم ، **مباشراً خدمة إنجيل الله الكهنوتية** ، حتى يكون قربان الأمم مقبولاً ومقدساً بالروح القدس » (رو١٥ : ١٥، ١٦) (١٨٩) ... ويقول عن هذه الوظيفة الكهنوتية : « **لا**

---

(187) Polyc., 5.

(١٨٨) قال الرب يسوع لتلاميذه قبيل صعوده « كما أرسلنى الآب أرسلكم أنا . ولما قال هذا نفخ وقال لهم اقبلوا الروح القدس . مَنْ غفرتم خطاياه تغفر له . ومَنْ أمسكتم خطاياه أمسكت » (يو٢٠ : ٢١ ، ٢٢) ... هذه النفخة اقتبل بها الرسل الروح القدس ــ لا للإمتلاء ــ بل كسلطان كهنوتى لهم . أما حلول الروح القدس عليهم وامتلاؤهم منه ، فقد تم يوم الخمسين .

(١٨٩) هكذا فى النصين اليونانى واللاتينى . والكلمة المترجمة « **خادماً** » ليست diakonos بل leitourgos ــ وتعنى الخادم الذى يخدم خدمة الليتورجية أى خدمة الذبيحة والقداس . والكلمة المترجمة « خدمة إنجيل الله » هى leitourgeo وهى خدمة الكهنوت . انظر : (Wuest; Romans in the greek N.T., p. 249)

يأخذ أحد هذه الوظيفة بنفسه ، بل المدعو من الله كما هرون أيضاً » (عب ٥ : ٤) ... وقوله : « **يأخذ أحد هذه الوظيفة بنفسه** » ، إشارة إلى مَنْ يتجرأ ليباشر خدمة الكهنوت من تلقاء ذاته .

وقد تكلمت تعاليم الرسل عن الباكورات ، ووجوب تقديمها إلى رئيس الكهنة ... وهذا دليل قاطع على وجود الكهنوت المسيحى (١٩٠) .

● وقد أقام الرسل باكورة شمامسة العهد الجديد وعددهم سبعة الذين منهم استفانوس ، بوضع أيديهم (أع ٦ : ٦) .

● وأقام بولس وبرنابا قسوساً فى الكنائس التى أسسوها ، بالصلاة ووضع الأيادى ... « **وانتخبا** (١٩١) **لهم قسوساً** فى كل كنيسة . ثم صليا بأصوام واستودعاهم للرب ، الذى كانوا قد آمنوا به » (أع ١٤ : ٢٣) .

والكلمة اليونانية المترجمة « إنتخبا » هى χειΡοτονησαντες **ومعناها الحرفى وضع الأيدى** (١٩٢) ــ و يقصد بها الرســامة الكهنوتية ــ وكلمــة χειΡοτονια مستخدمة فى المصطلح الكنسى كما هى شرطونية ... **واللفظ أكثر وضوحاً فى القبطية** فقد جاءت العبارة كالآتى :

ⲁⲩⲭⲁ ϫⲓϫ ⲇⲉ ⲉ̀ϩⲣⲏⲓ ⲉϫⲉⲛ ϩⲁⲛⲡ̀ⲣⲉⲥⲃⲩⲧⲉⲣⲟⲥ

وترجمتها الحرفية « وضعا أياديهما على قسوس » ، وهو وضع اليد الخاص بالرسامة الكهنوتية . ووردت فى الترجمة اللاتينية الشائعة للقديس جيروم They had ordained to them priests.

وهكذا تصبح الترجمة الحرفية الدقيقة لهذه الآية « **رسما لهم قسوساً فى كل كنيسة بوضع أياديهما** »

وقال القديس بولس لتلميذه الأسقف تيطس : « من أجل هذا تركتك فى

---

(190) Didaché, 13 — (A.N.F., Vol. 7) انظر هامش ص ٣٨١ من مجموعة

(١٩١) الأصلح أن تترجم « رسما لهم » أو « شرطنا لهم » ...

(192) Liddell and scott's greek — English Lexicon.

كريت لكى تكمل الأمور الناقصة **وتقيم فى كل مدينة قسوساً** كما أوصيتك » (تى ١ : ٥) والكلمة اليونانية المترجمة « تقيم » هى Kathistemi ومعناها يرسم الرسامة الكهنوتية . ووردت فى القبطية هكذا :

ⲞⲨⲞϨ Ⲛ̀ⲦⲈⲔⲤⲈⲘⲚⲒ Ⲛ̀ϨⲀⲚ Ⲡ̀ⲢⲈⲤⲂⲨⲦⲈⲢⲞⲤ وترجمتها يرسم قسوساً

+ وجاء فى كتاب تعاليم الرسل فى الفصل الخاص بالأساقفة والشمامسة [لذلك سيموا لكم أساقفة وشمامسة لائقين بالرب] (١٩٤) ... ولفظة سيموا وردت فى اليونانية χειροτονὲω ومعناها وضع اليد كما سبق أن ذكرنا .

+ وفيلبس المبشر أحد السبعة شمامسة ، بشر فى السامرة (أع ٨ : ٥) ، وعمد مَنْ آمن منهم ... وعلى الرغم من أن آيات كثيرة كانت تجرى على يديه (أع٨ : ٦) ، إلاَّ أنه لم يستطع أن يمنحهم الروح القدس لأنه من أعمال الكهنوت ، ولم يكن فيلبس كاهناً ... لذا نجد أن الرسل فى أورشليم يرسلون بطرس و يوحنا إلى السامرة « اللذين لما نزلا صليا لأجلهم لكى يقبلوا الروح القدس ... حينئذ وضعا الأيادى عليهم فقبلوا الروح القدس » (أع٨ : ١٤- ١٧) ... ولقد أدهش هذا الأمر سيمون الساحر حتى أنه قدم دراهم لبطرس و يوحنا قائلاً : « **أعطيانى هذا السلطان** » . فكان رد بطرس عليه : « لتكن فضتك معك للهلاك لأنك ظننت أن تقتنى **موهبة الله** بدراهم » (أع٨ : ١٨- ٢٠) ... نعم فى سر الكهنوت هذين الأمرين : « السلطان ، والموهبة الخاصة » ... هذه الموهبة التى قال عنها القديس بولس لتلميذه الأسقف تيموثاوس : « أذكرك أن تضرم أيضاً **موهبة الله التى فيك بوضع يدى** » (٢ تى ١ : ٦) .

+ لقد أعطى السيد المسيح الكهنوت لرسله ، وهؤلاء ــ بوضع أيديهم على أساقفة ــ نقلوا إليهم حقوق الرسامات الكهنوتية . وهذا ما يُعرف باسم الخلافة الرسولية ...

وفكرة الخلافة الرسولية مفهومة ضمناً فى سفر أعمال الرسل ، ومذكورة

---

(194) Didaché, 15 — (A.N.F., Vol. 7) انظر هامش ص ٣٨١ من مجموعة

صراحة فى الرسالة المعاصرة لاكليمنضس الرومانى إلى أهل كورنثوس (١٩٥)
يقول : [لقد عرف الرسل أيضاً من ربنا يسوع المسيح ، أنه سيكون هناك جهاد بسبب وظيفة الأسقفية . ولهذا السبب ــ وإذ اقتنوا سبق معرفة كاملة ــ أقاموا أولئك الخدام الذين ذكرناهم لتونا ، وأعطوا فيما بعد تعليمات أنه حينما يتنيحوا يجب أن يخلفهم فى خدمتهم أناس آخرون لهم تزكية] (١٩٦) .

وقال أيضاً : [لقد بشرنا الرسل بالإنجيل كأمر ربنا يسوع المسيح ... ذهب الرسل وأعلنوا قرب ملكوت الله . وفيما يكرزون فى الأقاليم والمدن أقاموا باكورات خدمتهم ــ بعد أن أختبروهم بالروح ــ ليكونوا أساقفة وشمامسة] (١٩٧) .

وقد سبق لنا أن تكلمنا عن رتب الكهنوت الثلاث : الأسقفية والقسيسية والشماسية .



(195) The History of christianity in the light of Modern knowledge pp. 456, 457.

(196) 1 Corinthians, 44

(197) 1 Corinthians, 42.

ثالثاً - العبادة الكنسية

فى هذا الفصل ، نعرض لبعض جوانب العبادة فى كنيسة الرسل ... وقبل أن نتكلم عن هذه الجوانب ، نقف وقفة قصيرة لنعرف شيئاً عن الكنيسة من حيث أهميتها ...

الكنيسة المسيحية :

الكنيسة فى المفهوم الرسولى هى بيت الله ، عمود الحق وقاعدته (١ تى ٣ : ١٥) ... كل مَنْ لا يسمع منها فهو كوثنى وعشار (مت ١٨ : ١٧) ... هى عروس المسيح [١٩٨] ، التى خرجت من جنبه الذى طعن بالحربة على الصليب ، على نحو ما تكونت حواء من أحد أضلاع آدم وهو نائم .. هى مستودع النعم والأسرار والحياة ، التى بها يحيا كل مَنْ يؤمن باسم الرب يسوع ، كما أشرنا إلى ذلك فى الفصل السابق ...

هذه النعم التى ننالها بممارسة الأسرار الكنسية ، لن ننالها إلاّ فى الكنيسة وعن طريقها ... وبعبارة أخرى نقول انه لا خلاص خارجاً عن الكنيسة ... هذا هو تعليم رب المجد نفسه ، وما آمنت وعلمت به الكنيسة فى كل تاريخها ..

+ فى قصتى إيمان شاول الطرسوسى (بولس الرسول) ، وكرنيليوس قائد المائة ، نجد هذا الأمر واضحاً كل الوضوح ... فالرب يسوع نفسه بعد أن ظهر لبولس قرب دمشق ، لم يخلصه بكلمة من فيه ، بل أحاله إلى الكنيسة ــ إلى

---

(١٩٨) ٢ كو ١١ : ٢ ؛ رؤ ٢١ : ٢ ؛ ٩ ؛ ٢٢ : ١٧ .

حنانيا الرسول الذى عمده (أع ٩) ... وكرنيليوس الذى أرسل له الله ملاكاً فى رؤيا ظاهرة أمره ــ لكى يخلص ــ أن يرسل و يستدعى معلمنا بطرس من يافا .. وهذا أتى ، وبعد أن بشره عمده هو وأهل بيته (أع ١٠) ... أما كان يمكن أن يخلص هذان بدون الكنيسة ؟ لكن هكذا رسم الله ... وفى هاتين الحادثتين ، نلاحظ أن كلا من حنانيا وبطرس يمثل الكنيسة ، وكل منهما باشر سر المعمودية .

+ **إن الكنيسة المقدسة هى باب السماء** ... هذا هو ما شهد به يعقوب أب الآباء بعد حلمه الشهير الذى رأى فيه سلماً يصل الأرض بالسماء .. فقد قال : « ما أرهب هذا المكان . ما هذا إلاَّ بيت الله ، وهذا باب السماء » (تك ٢٨ : ١٠-١٧) ... إنه تعبير جميل دقيق ... الكنيسة هى باب السماء ... أيستطيع أن يدخل إنسان إلى موضع إلاَّ عن طريق بابه ؟.. وماذا يحدث لو حاول أن يطلع من موضع آخر .. مثل هذا يقول عنه رب المجد يسوع : « أما الذى لا يدخل من الباب ... بل يطلع من موضع آخر فذاك سارق ولص » (يو ١٠ : ١) ...

+ لقد شبه معلمنا بطرس الكنيسة بفلك نوح ، الذى خلص مَنْ كانوا فيه ، وهلك مَنْ كانوا خارجه (١ بط ٣ : ٢٠) ...

هكذا فهم المؤمنون هذه الحقيقة منذ البداية ... أنه لا خلاص خارجاً عن الكنيسة ... ومن هنا قال القديس كبريانوس الشهيد عبارته المشهورة : **[ما من أحد ، يقدر أن يجعل الله أباً له ، ما لم تكن الكنيسة أمه] .**

والآن نعرض لبعض جوانب العبادة فى كنيسة الرسل ...

١ - يوم الرب :

هو تنظيم مسيحى خالص ، يستند أساساً إلى حقيقة قيامة المسيح من بين الأموات فى يوم الأحد ... وظهرت عادة الإجتماع فى هذا اليوم فى الأسبوع التالى للقيامة ، حيث كان الرسل مجتمعين فى العلية (يو ٢٠ : ٢٦) ... وقد وردت عنه ثلاث إشارات فى أسفار العهد الجديد ... ورد باسم « أول الأسبوع » فى موضعين

(أع ۲۰ : ۷ ؛ ۱ كو١٦ : ٢) ، وذكر باسم يوم الرب (١٩٩) فى (رؤ١ : ١٠) .

وفى كتاب تعاليم الرسل (٢٠٠) Didaché ، **ذكر صراحة باسم [يوم الأحد]** Kyriake لأن المسيح رب Kyrios كل الأيام ... **وفى رسالة برنابا** (٢٠١) **يذكر باسم [اليوم الثامن]** ، أى اليوم التالى للسبت وهو اليوم السابع ، ويذكر سبب تقديسه ، أن الرب قام فيه ... **ويوستينوس الشهيد يذكره باسم [اليوم الأول من الأسبوع]** ، ويربطه بخلق العالم (٢٠٢) ، على اعتبار أن الله فى أول أيام الأسبوع خلق باكورة الخليقة ، وفيه أيضاً أعطى العالم باكورة ثمار القيامة المقدسة ... وهو اليوم الثامن ، لأن أيام الأسبوع السبعة ترمز إلى زمان هذا العالم بكل مشقاته ، واليوم الثامن ــ يوم الراحة المقدس ــ يرمز للراحة الأبدية (٢٠٣) . وقبل موت المسيح وقيامته لم يكن يوم الأحد يسمى يوم الرب ، بل اليوم الأول من الأسبوع .

وقد قدست كنيسة الرسل ذلك اليوم لأن الرب قام فيه من بين الأموات ، وبدأت كنيسة الرسل حياتها الجديدة فيه . كما كانوا يتوقعون مجىء الرب الثانى فى مجده فى يوم أحد ... ومن هنا فقد كانت الكنيسة تحتفل بعشاء الرب فيه ، بما يتضمن من إنتظار للرب [ماران أثا] (٢٠٤) .. **ومنذ البداية كان يوم الأحد هو يوم الأسبوع المقدس لجميع المسيحين** (٢٠٥) .

---

(١٩٩) المقصود هنا يوم الأحد المعروف ، وليس يوم الدينونة الأخير ، كما يحاول البعض تفسيره ــ يقول الأستاذ وست "Wuest" كان عبارة ــ يوم الرب ــ تعبيراً اصطلاحياً فى القرن الأول له معنى خاص ، ولا يمكن تفسيره بمعنى آخر ــ انظر : Wuest, golden Nuggets from the greek N.T., pp. 78, 79.

(200) Didaché, 14. 1.

(201) The Epistle of Barnabas; 15. 9.

(٢٠٢) 1 Apol.,67 ، وكلام يوستينوس فى غاية الوضوح ، فهو يسميه يوم الشمس The day of the sun (sunday)

(203) Daniélou, The Bible and the Liturgy, pp. 242, 243, 262.

(٢٠٤) كلمة آرامية معناها « تعالَ يا ربنا » .

(205) Leitzmann, A History of the Early church, pp. 68, 69.

وأغناطيوس الشهيد يشير صراحة إلى بطلان السبت القديم وحلول الأحد محله (٢٠٦) ، فيقول : [ليحفظ كل حبيب للمسيح يوم الرب كعيد (يوم القيامة) رأس كل أيام الأسبوع] .

وبلينى الأصغر فى خطـــابه إلى الامبراطور تراجان سنة ١١٢ م ، يشير إلى إجتماع المسيحيين فى يوم معين من الأسبوع قبيل الفجر ، ليرنموا ترنيمة للمسيح .

وأوفى ما وصل إلينا عن إجتماع الأحد ــ فى تلك الفترة المبكرة ــ كتبه يوستينوس الشهيد فى دفاعه الأول حوالى سنة ١٤٠ م . يقول : [وفى اليوم المسمى الأحد ، يجتمع كل مَنْ فى المدن والقرى معاً فى مكان واحد ... والأحد هو اليوم الذى نعقد فيه إجتماعنا المعتاد ، لأنه هو اليوم الأول الذى أجرى الله فيه تغييراً فى الظلمة والمادة وخلق العالم . وفى نفس اليوم قام يسوع المسيح مخلصنا من بين الأموات (٢٠٧) .

يقول المؤرخ فيليب كارنجتون Carrington [جميع المسيحيين يحفظون الأحد ... كل مسيحى يحفظ الأحد . كل واحد يعرف ما هو ، وليس ما يدعو لشرحه (فى الأسفار المقدسة) . ولم يحدث أن صار (الأحد) موضوعاً لنقاش .. إنه عادة « جامعة » بدأت فى العصر الرسولى ــ وكان جزءاً من التقليد الإنجيلى] (٢٠٨) .



+ أماكنها :

منذ البداية اجتمع المسيحيون فى بيوت خاصة للعبادة ، وأقامة عشاء الرب وولائم الأغابى . وقد تأسست الكنيسة فى يوم الخمسين فى علية فى منزل مريم أم

---

(206) Magn., 9. 1.

(207) 1 Apol., 67.

(208) Carrington, Vol. 1, p. 466.

يوحنا الملقب مرقس ... وكان أعضاء الكنيسة الموسرين ــ من أمثال مريم هذه فى أورشليم ، وكرنيليوس فى قيصرية ، وليديا فى فيلبى ، وياسون فى تسالونيكى ، ويستس فى كورنثوس ، وبريسكيلا فى أفسس ، وفليمون فى كولوسى ــ قد فتحوا بيوتهم بفرح لاجتماعات العبادة ... وفى المدن الكبرى كروما قسم المؤمنون أنفسهم إلى عدة مجموعات تجتمع فى بيوت خاصة ... لكن الرسول بولس يخاطبها فى رسائله كوحدة واحدة (٢٠٩) .

لم يحدث فى العصر الرسولى أن المسيحيين شيدوا كنائس خاصة للعبادة ، على الأقل بسبب الاضطهاد الذى كان يحل بهم ويتعقبهم (٢١٠) . كان الرسل ــ على نحو ما ذكرنا ــ يكرزون فى الشوارع والأسواق وعلى الجبال وفى السفن والكهوف والبرارى والبيوت الخاصة ... لكن ما أن نالت المسيحية الحرية الدينية حتى بنيت آلاف الكنائس الضخمة ، فى كل أنحاء العالم ، تكريماً للفادى المصلوب ، الذى فى أيام جسده لم يكن له أين يسند رأسه .

+ نظامها :

أقدم ما وصل إلينا عن نظام إجتماع يوم الأحد ، دونه لنا يوستينوس الشهيد (٢١١) ، وكتاب تعاليم الرسل (٢١٢) ، الذى قدم لنا صورة مبسطة لصلوات الافخارستيا ... كان الاجتماع يبدأ بقراءة فصول من البشائر ، وأحياناً أجزاء من كتابات الأنبياء حسب تعبير يوستينوس . قد يكون المقصود بالأنبياء ، أنبياء العهد القديم ، وقد يكون المقصود بها أيضاً كتابات ورسائل الرسل (٢١٣) ، وبعض كتابات معاصرة مثل كتابات كليمنضس الرومانى ، وكتب هرماس ، وقد كانت

---

(٢٠٩) انظر : رو ١٦ : ٥ ؛ ١ كو ١٦ : ١٩ .

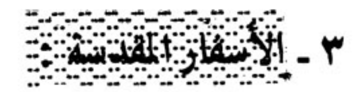
(210) Dictionary of christian Antiquities, Vol. 1, p. 366; Schaff, Vol. 1, p. 475.

(211) 1 Apol., 67.

(212) Didaché, chs. 8-10.

(٢١٣) انظر Didachê, 11 حيث يذكر الرسل باسم أنبياء .

منتشرة وذائعة الصيت (٢١٤) . ومن المؤكد أن رسائل بولس كانت تقرأ (٢١٥) .. يعقب ذلك عظة ، كان يلقيها مَنْ يرأس الإجتماع ، وغالباً ما كانت مرتبة على القراءات التى قرئت ... ثم ينهض الجميع و يصلون و يرفعون التضرعات من أجل أهم ما يعنى الكنيسة (٢١٦) ... بعد ذلك يقبّل الحاضرون بعضهم بعضاً قبلة السلام ... وتبدأ بعدها صلوات الافخارستيا (تقديس الخبز والخمر) ، والشعب يجاوب آمين ... و يتناول المؤمنون من الجسد والدم الأقديسين ... وتجمع الصدقات ... وهكذا ينتهى إجتماع العبادة الأسبوعى فى يوم الأحد .



+ العهد القديم :

استمر ليكون كتاب المسيحين المقدس ، كما كان بالنسبة لليهود .. كان هذا الإتجاه واضحاً . وكما أشرنا سابقاً ، فقد كانت تقرأ منه أجزاء ــ خاصة الأسفار النبوية ــ فى إجتماعات العبادة الأسبوعية . كان كتاب العهد القديم معونة جبارة للدعاية المسيحية . وعبثاً حاول اليهود الإحتجاج على ذلك بأنه ليس كتاب المسيحين . كان بالنسبة لكثير من الناس ، يشكل القنطرة الحقيقية التى عبروا بها إلى المسيحية ... ومن هؤلاء يوستينوس الفيلسوف الشهيد (٢١٧) ... **وقد أدى كتاب العهد القديم خدمات جليلة للمسيحية .** يكفى أن المسيحية قامت مرتكزة على هذا الكتاب الذى امتلأ بالنبوات عن المسيح ومجيئه وخلاصه . كما إستمدت منه المسيحية كثيراً من عقائدها وأنظمتها ... وأفاد المسيحيون من كل الإخلاقيات والفضائل وقصص معاملات الله مع البشر التى حواها هذا الكتاب .. هذا فضلاً عن سفر المزامير الذى استخدمته الكنيسة المسيحية منذ البداية فى صلواتها وعبادتها ...

---

(214) Daniélou, Vol. 1, p. 74.

(٢١٥) انظر : ١ تس ٥ : ٢٧ ؛ كو ٤ : ١٦ .

(216) See: Justin Martyr, 1 Apol., 65.

(217) Dial., 7.

بدأ المسيحيون فى عهد الرسل يقرأون العهد القديم ويفسرونه تفسيراً رمزياً ... والسيد المسيح نفسه هو الذى قادهم إلى ذلك، حين إلتقى بتلميذى عمواس عشية قيامته « وابتدأ من موسى وجميع الأنبياء يفسر لهما الأمور المختصة به فى جميع الكتب » (لو٢٤ : ٢٧) . ومرة أخرى ظهر لتلاميذه ولفت نظرهم إلى ما هو مكتوب عنه فى ناموس موسى والأنبياء والمزامير، « حينئذ فتح ذهنهم ليفهموا الكتب » (لو٢٤ : ٤٤، ٤٥) .

ونجد فى الرسالة التى تحمل اسم برنابا ، إشارة إلى الاعتماد على العهد القديم (٢١٨) ...

+ العهد الجديد :

وكانت الأناجيل ورسائل الرسل تتلى فى إجتماعات العبادة (٢١٩) . وسنتكلم عن أسفار العهد الجديد فى الباب القادم ... لكن ما نود أن نشير إليه هنا ، هو أنه بعد موت الرسل ، إزدادت أهمية كتاباتهم ورسائلهم كشىء بديل لتعليمهم الشفوى وحثهم المؤمنين ، وصارت تستعمل أكثر من كتابات العهد القديم (٢٢٠) .

٤ - ولائم الأغابى :

من الأمور التى عرفتها كنيسة الرسل ، ولائم المحبة التى عرفت باسم « الأغابى » Agape (٢٢١) .. وكانت وجبة طعام عادية يشترك فيها كل الاخوة المؤمنين ... وكانت الأغابى تعبيراً عن روح الاخوة المسيحية الحقيقية .. فقد كان

---

(218) Epist. Barnabas, 1.7; See, Harnack, History of Dogma, Vol. 1, pp. 175 f.

(٢١٩) انظر : ١ تس ٥ : ٢٧ ؛ كو ٤ : ١٦ .

(220) Schaff, Vol. 1, p. 462.

(221) Harnack, Missions, p. 156; De Pressensé, pp. 523, 524; Fisher, pp. 546-549.

الجميع يجلسون إلى مائدة واحدة ، و يتناولون طعاماً واحداً ، بصرف النظر عن المركز الإجتماعى والجاه والثروة والثقافة ... لقد أحس الجميع أنهم فعلاً أعضاء فى جماعة واحدة ، بل فى جسد واحد ، هو جسد المسيح .

ويبدو أن الأغابى كانت مقترنة فى بادىء الأمر بالافخارستيا . لكنها سرعان ما إنفصلت عنها ، وأصبح لكل وقت معين منفصل عن الآخر ... فبسبب نمو الكنيسة فى العدد ودخول عناصر كثيرة إليها ، لم يكن من السهل المحافظة على تلك الصورة الطفولية البريئة ...

يبدو أن الفصل بين الأغابى والافخارستيا حدث فى الجزء الأخير من القرن الأول ، إما لحكمة ارتأتها الكنيسة فى زيادة توقير سر الافخارستيا بعد أن سلك البعض إزاءه باستهتار، الأمر الذى إضطر معلمنا بولس إلى توبيخهم وتخويفهم كما نرى ذلك فى كورنثوس (١ كو١١ : ١٧- ٣٤) ... وإما بسبب الأوضاع السياسية وموقف المسيحيين من الدولة التى بدأت تضطهدهم وتنظر إليهم كجماعة سرية .. ونرى ذلك واضحاً كل الوضوح فى خطاب بلينى الأصغر حاكم بيثينية إلى الامبراطور تراجان سنة ١١٢ ... نعلم من ذلك الخطاب أن الافخارستيا كانت تقام فجر الأحد ، ووليمة الأغابى فى وقت آخر[٢٢٢] ... **فقد وجد المسيحيون لزاماً عليهم أن يحتفلوا بالافخارستيا خفية خشية مهاجمة السلطات أو الدهماء لهم أثناء إقامتها ... إحتفلوا بها فى فجر الأحد ، فى نفس الساعة تقريباً التى قام فيها الرب ناقضاً أوجاع الموت ... بينما أقاموا الأغابى فى وقت آخر ...**

كانت الأغابى وليمة طعام عادى كما قلنا ، لكنها كانت تبدأ بالصلاة ، وتختم أيضاً بالصلاة ، ويتخلل ذلك بعض الترانيم والتسابيح الروحية [٢٢٣] .

وقد أشار العهد الجديد إلى ولائم الأغابى ... قال يهوذا الرسول : « هؤلاء صخور فى **ولائمكم المحبية** (أغابى) صانعين ولائم معاً » (يه ١٢) . ولا شك أن

---

(222) Documents of the christian church, pp. 4, 5.

(223) Hastings, Dictionary of the Bible, p. 556.

هذا هو عين ما ذكره القديس بطرس « صانعين ولائم معكم » (٢ بط ٢ : ١٣) .

ونلمس اهتمام الكنيسة الأولى بولائم الأغابى ، مما ذكره **أغناطيوس الشهيد** فى رسالته إلى أهل سميرنا .. [غير مصرح بالعماد أو إقامة الأغابى بدون الأسقف] (٢٢٤) ...

نحن لا نعلم على وجه الدقة متى إختفت ولائم الأغابى . لكنها على أية الحالات كانت قائمة حتى القرن الرابع الميلادى (٢٢٥) .

٥ - الصلاة :

الصلاة وإن كانت معروفة ومستخدمة فى اليهودية والديانات الوثنية الأخرى لكنها أخذت فى المسيحية صورة أخرى ، وروحاً آخر ، إذ صارت تقدم فى دالة البنين بثقة إلى عرش النعمة ، فى اسم واستحقاقات الرب يسوع المسيح ، إلى آب سماوى ، قد صولحت البشرية معه بموت ابنه ... كان المسيحيون الأوائل يقرنون كل أعمالهم الخاصة بالصلوات . وقد حث القديس بولس المؤمنين أن يصلوا بلا انقطاع ... **ويهمنا أن نبرز هنا بعض جوانب فى الصلاة :**

+ بالإضافة إلى الصلاة الفردية والمثابرة فيها ، **أكد المعلمون المسيحيون من الرسل فصاعداً ، ضرورة الصلاة الجماعية وأهميتها** ... يقول القديس أغناطيوس الشهيد : [إذا كانت صلاة شخصين متحدين (٢٢٦) ، لها مفعول كبير ، فأى شىء لا تقدر عليه صلاة الأسقف متحدة بصلاة الكنيسة كلها] (٢٢٧) ...

ويقول أيضاً : [إحرصوا على أن تقيموا إجتماعاتكم بتواتر ... لأنه بكثرة

(224) Smyrn., 8.2.

(225) Ency. of Religion and Ethics, Vol. 1, pp. 171, 172.

(٢٢٦) يشير إلى قول السيد المسيح الوارد فى (مت ١٨ : ١٩ ، ٢٠) .

(227) Eph., 5.

إجتماعتكم تلاشون قوى الشيطان . وقدرته المفسدة تتبدد أمام إتفاق إيمانكم] (٢٢٨) .

+ **كانت العادة أن يصلى الناس ، إما وقوفاً والأيدى مرفوعة قليلاً نحو السماء ، وإما ركوعاً على الركبتين ، وإما سجوداً والوجه إلى الأرض** (٢٢٩) .

+ **كانوا يتجهون إلى الشرق فى الصلاة** ... وقد بدأت هذه العادة مع قيام المسيحية ... وقد ذكر هذا الأمر وأشير إليه صراحة فى قوانين الرسل ، وكتابات الآباء والمعلمين الأوائل مثل كليمنضس الاسكندرى وترتليانوس وغيرهما على أنه تقليد رسولى . كما يتضح من النقوش القديمة فى السراديب والقبور (٢٣٠) .

+ **كان الجنسان (الرجال والنساء) يصليان فى مكان واحد معاً** ، لكن منفصلين عن بعضهما ... وكان الرجال يصلون حاسرى الرؤوس ، بينما النساء يغطين رؤوسهن (٢٣١) (١ كو١١) .

استخدمت الصلاة الربية فى الصلوات (٢٣٢) .. و يقول المؤرخ شاف Schaff أنها استخدمت إحتراماً للنموذج الذى أعطاه ربنا يسوع المسيح نفسه (مت٦ : ٩-١٣) كما أنها أعطت إحساساً بالاخوة بين المسيحيين الأوائل ، وهم يصلون جميعاً إلى آب سماوى واحد « آبانا الذى فى السموات ... » (٢٣٢) . وقد أوجبت تعاليم الرسل إستخدام الصلاة الربية على المؤمنين ثلاث مرات فى اليوم (٢٣٣) .

---

(228) Eph., 13.

(٢٢٩) انظر : ١ تى ٢ : ٨ ؛ لو ٢٢ : ٤١ ؛ مت ٢٦ : ٣٩ .

(230) Dictionary of christian Antiquities, Vol. 1, p. 518; Vol. 2, p. 1684.

(٢٣١) كان الرجال فى اليهودية والوثنية على السواء ، يصلون ورؤوسهم مغطاة كعلامة للتحرر . لكن كشف الرأس بالنسبة للرجال فى المسيحية إشارة إلى أن المسيح قد اعتقهم . انظر :
Dictionary of chritstian Antiquities, Vol. 2, p. 1684.

(232) Schaff, Vol. 1, p. 463; Harnack, History of Dogma, Vol. 1, pp. 332-334; Fisher, p. 567; Leitzmann, A History of the Early church, p. 65.

(233) Didachê, 8.

واستخدمت الصلوات المكتوبة إلى جانب الصلوات الارتجالية ... ويقدم المؤرخ فيشر Fisher دليلاً على إستخدام الصلوات المكتوبة فى كنيسة الرسل ، يقول : [وفى آخر رسالة كليمنضس الرومانى الأولى إلى كنيسة كورنثوس (حوالى سنة ٩٦) ، نجد سلسلة من التوسلات المترابطة مقدمة لله . ويبدو أنها مقتبسة من ليتورجية موضوعة . ومن المحتمل جداً أنها أجزاء من الصيغة الثابتة لليتورجية التى إستخدمها كليمنضس فى كنيسته] (٢٣٤) .

وقد استخدمت كنيسة الرسل المزامير فى الصلوات (٢٣٥) ... ولا شك أن الكنيسة المسيحية قد نقلت هذا النظام عن المجمع اليهودى .. والرسول بولس فى كلامه إلى مؤمنى كورنثوس ، يؤيد استخدام المزامير ... « أيها الإخوة ، متى إجتمعتم فكل واحد منكم له مزمور ... » (١ كو١٤ : ٢٦) ... ويقول لأهل أفسس « مكلمين بعضكم بعضاً بمزامير وتسابيح .. » (أف ٥ : ١٩) .

٦ - التسابيح والترانيم :

وهى صورة من صور الصلاة فى قالب شعرى ... غالباً ما استخدمت فيها مزامير العهد القديم ، ذلك الكنز الذى لا ينضب للتهذيب والتعزية والخبرة الروحية ... وقد نقلتها الكنيسة المسيحية عن اليهودية ... والرب نفسه استخدم التسبيح فى العهد الجديد حينما أسس سر الافخارستيا (مت٢٦ : ٣٠ ؛ مر١٤ : ٢٦) ... والقديس بولس شجع المؤمنين على ذلك « مكلمين بعضكم بعضاً بمزامير وتسابيح وأغانى روحية ، مترنمين ومرتلين فى قلوبكم للرب » (أف ٥ : ١٩) ... « لتسكن فيكم كلمة المسيح بغنى . وانتم بكل حكمة معلمون ومنزرون بعضكم بعضاً بمزامير وتسابيح وأغانى روحية بنعمته ، ومترنمين فى قلوبكم للرب » (كو٣ : ١٦) .

لكن بالإضافة إلى مزامير العهد القديم ، أضافت الكنيسة تسابيح وترانيم

---

(234) Fisher; pp. 566-568.

(235) Schaff; Vol. 1, p. 463; Leitzmann; pp. 148, 149.

وتماجيد وتبريكات ، أمدت الأجيال التالية بمادة خصبة للشعر الديني والموسيقى الكنسية ، ومن أمثلتها تسبحة الملائكة عند ميلاد المخلص gloria (لو٢ : ١٤) ، وطلبة سمعان الشيخ (لو٢ : ٢٩) ، وتسبحة العذراء مريم (لو١ : ٤٦- ٥٥) ، وتسبحة زكريا الكاهن (لو١ : ٦٨- ٧٩) ... يضاف إلى ذلك مقتطفات من الترانيم مبعثرة فى الرسائل (٢٣٦) ، وماورد فى سفر الرؤيا من تماجيد وصلوات وتسابيح (٢٣٧) .

٧ - علامة الصليب :

كان صليب ربنا يسوع المسيح موضع فخر وتقديس وتكريم وتعبد المسيحين منذ نشأة الكنيسة . تكلمت عنه أسفار العهد الجديد والآباء الرسوليون من أمثال أغناطيوس وبوليكاربوس ، وكاتب رسالة برنابا . وتكلم عنه كثيراً وعن رموزه فى العهد القديم يوستينوس الشهيد فى حواره مع اليهودى تريفو، كما سبق أن ذكرنا ونحن نتكلم عن عقيدة الفداء والصليب ...

لا عجب إذن إن رأينا المسيحين منذ فجر المسيحية يرسمون بعلامة الصليب على جباههم وصدورهم . جاء فى قاموس الآثار المسيحية ، أن رسم علامة الصليب منذ تاريخ المسيحية المبكر إرتبط بما ورد فى (حزقيال ٩ : ٤ ؛ رؤ٧ : ٣ ؛ ٩ : ٤ ؛ ١٤ : ١) — ويشهد يوستينوس الشهيد باستعمال إشارة الصليب ورسمها على الإنسان المؤمن كقوة له ... كان يستخدمها المسيحيون فى كل حركة من حركاتهم منذ إستيقاظهم من نومهم حتى يأوون إلى فراشهم ...

واستخدام إشارة الصليب واضح فى الليتورجيات القديمة التى ترجع إلى الرسل

---

(٢٣٦) من أمثلتها الواضحة جداً والمتفق عليها بين العلماء ما جاء فى (أف ٥ : ١٤ ؛ ١ تى ٣ : ١٦) وهذا نتيجة دراسة قام بها بعض العلماء لهذه النصوص فى اليونانية انظر ...

Hill, p. 371; Schaff, Vol. 1, p. 464.

(237) Schaff, Vol. 1, pp. 463, 464; Leitzmann, pp. 148, 149.

أنفسهم ... بل كان هو علامة العبادة المسيحية ([238]) ... و يقول القديس باسيليوس الكبير أن علامة الصليب تسلمها المسيحيون ضمن التقاليد غير المدونة التى إنحدرت إليهم من رسل المسيح : [الذين علمونا أن نرسم بعلامة الصليب أولئك الذين وثقوا فى اسم الرب يسوع المسيح] ([239]) .

٨ - الصـــوم :

مبدأ الصوم ووجوبه ونفعه الروحى للمؤمنين ، واضح فى أسفار العهد **الجديد** ... **لكن ما نود الإشارة إليه هنا هو الأصوام المحددة التى رتبتها الكنيسة المسيحية فى عصر الرسل ... من هذ الأصوام :**

(أ) صوم يومى الأربعاء والجمعة أسبوعياً ([240]) ... يوم الأربعاء لأن فيه تشاور يهوذا على حياة السيد المسيح وتسليمه ، و يوم الجمعة لأن الرب تألم وصلب فيه . كان هذان اليومان يقابلان صوم يومى الاثنين والخميس عند اليهود ([241]) ... صام المسيحيون هذين اليومين بحزن وتذلل وتوبة ... وبلغ من تقديسهم ليوم الجمعة ، أنهم كانوا لا يبدأون فيه مشاريع جديدة بل يكتفون بتكميل ما بأيديهم ، لأنهم اعتقدوا أن أى عمل جديد لا ينال بركة الرب ([242]) ... وقد أوجبت تعاليم الرسل Didaché على المؤمنين صوم هذين اليومين بتذلل ([243]) .

(ب) صوم الأربعين المقدسة : وهو الصوم السابق لعيد القيامة (الفصح)

---

(238) Dictionary of christian Antiquities, Vol. 2, pp. 1895 - 1897.

(239) Daniélou, Bible and Liturgy, p. 54.

(٢٤٠) ما عدا أيام الفرح كالأعياد السيدية والخماسين .

(٢٤١) فى تقليد اليهود أن موسى صعد إلى الجبل ليتسلم الشريعة يوم الاثنين وهبط من الجبل يوم الخميس . هكذا صلى الفريسى فى الهيكل « أصوم مرتين فى الأسبوع » (لو١٨ : ١٢) .

(٢٤٢) مازال هذا الاحساس موجوداً حتى اليوم . فالناس تتشاءم من القيام بالأعمال الهامة والخطيرة يوم الجمعة .

(243) Didachê, 8. 1; Schaff, Vol. 1, pp. 479, 480; Hill, pp. 368-369; Leitzmann, pp. 66, 69.

وقد مارسته الكنيسة منذ فجر تاريخها المبكر، وصامه المسيحيون فى العالم كله (٢٤٤) **لا خلاف فى أنه كان هناك صوم سابق لعيد القيامة.**

وقد ظن البعض أنه أثير جدل حول مدة هذا الصوم فى تاريخ الكنيسة المبكر وذلك بسبب فهم خاطىء لعبارة وردت ضمن رسالة كتبها إيريناوس أسقف ليون (المولود حوالى سنة ١٣٠ م) ، إلى فيكتور أسقف روما ، بخصوص موعد تعييد الفصح (عيد القيامة) ، الذى كان مثار جدل وقتذاك ...

قال إيريناوس فى رسالته المذكورة [لأن النزاع غير قاصر على اليوم فقط بل على طريقة الصوم نفسها. فالبعض يظنون أنهم يجب أن يصوموا يوماً واحداً، وغيرهم يومين، وآخرون أكثر. والبعض يحسبون يومهم أربعين ساعة نهاراً وليلاً] (٢٤٥) .

وبسبب شولة Semicolon فى النص اليونانى لايريناوس ، أثار بعض العلماء جدلاً كبيراً حول هذه العبارة، وترجموها هكذا : [فالبعض يظنون أنهم يجب أن يصوموا يوماً واحداً ، وغيرهم يومين ، وآخرون أكثر، **والبعض أربعين.** وهم يحسبون ساعات النهار والليل معاً كيومهم] (٢٤٦) .

هكذا ظن البعض ـ نتيجة عبارة إيريناوس ـ أن ثمة خلاف فى الرأى كان موجوداً فى ذلك الوقت المبكر، فيما يختص بمدة الصوم الأربعينى ... لكن كلام إيريناوس لا ينصب على الصوم الأربعينى ومدته، بل على فترة الصوم الإنقطاعى السابقة لعيد الفصح ... فقد رأى البعض أن يصوموا يوماً واحداً (يوم جمعة الصلبوت) ، ورأى البعض أن يصوموا يومين (جمعة الصلبوت وسبت الفرح) ، ورأى البعض أن يصوموا أربعين ساعة ، وتحتسب من الساعة السادسة (١٢ ظهراً) من يوم الجمعة وهى الساعة التى صلب فيها المسيح ، إلى

---

(244) Dictionary of christian Antiquities, Vol. 2, p. 972.

(245) Eusebius, H.E., 5. 24. 12.

(246) See, footnote, p. 243 (N.P.N.F., series 2, Vol. 1.).

الساعة الرابعة فجر أحد القيامة التى قام فيها المسيح .

على أن عادة حفظ هذا الصوم ــ وكان يسبق عيد القيامة ــ لا ترجع إلى عصر إيريناوس ، بل قبله ، إلى العصر الرسولى ... يقول إيريناوس فى رسالته السابق الإشارة إليها ، التى أرسلها إلى فيكتور أسقف رومية : **[وهذا الاختلاف ، فى حفظ الصوم لم ينشأ فى أيامنا ، بل فى أيام آبائنا قبل ذلك بوقت طويل]** ... وواضح من هذه العبارة . أن الصوم السابق لعيد القيامة ، وجد منذ القرن الأول المسيحى ...

والصوم الأربعينى المقدس مارسته الكنيسة فى كل أنحاء العالم . ومازال اسمه يدل على أنه كان لمدة أربعين يوماً ... فيعرف فى اللغة اللاتينية باسم Quadragesima ، ومنها الكلمة الفرنسية Carême ، والإيطالية Quaresima وقد أشار إليه هيبوليتس Hippolytus فى القانون العشرين من قوانينه ، كما ذكره روفينوس المؤرخ ناسباً ذكره إلى أوريجينوس فى تفسيره لسفر اللاويين ، كما أشار إليه القانون الخامس من قوانين مجمع نيقية كشىء ثابت ومقرر فى الكنيسة المسيحية فى العالم كله (٢٤٧) ... وذكرته قوانين الرسل ، وقالت إنه اتباعاً لما فعله السيد المسيح (٢٤٨) .

(جـ) أسبوع البصخة :

وممارسة الكنيسة للصوم فى هذا الأسبوع بتقشف زائد ، أمر واضح ومتفق عليه من الجميع ... ولعل فيما ذكره أيريناوس فى رسالته إلى فيكتور أسقف رومية ، مايكفى لاثبات أن صوم أسبوع البصخة تقليد رسولى ... يقول المؤرخ كارنجتون Carrington فى تاريخه للقرن الأول المسيحى [كانت هناك عادة سنوية لحفظ

---

(247) Dictionary of christian Antiquities. Vol. 1, p. 972; Ency. of Religion and Ethics, Vol. 5, p. 766.

(248) Apostolical Constitutions, 5. 13.

البصخة فى صورتها المسيحية ... وهناك أدلة غير مباشرة على ذلك فى العهد الجديد . والإشارات الواردة فى الرسالة الأولى إلى كورنثوس عن الفصح ، ومصادر أخرى كثيرة ، تحملنا على الاعتقاد أنه كان هناك إهتمام كبير بها . والأناجيل ورسالة بطرس الأولى ، ورسالة اكليمنضس الرومانى ــ بصور مختلفة ــ تؤيد هذا الأعتقاد] (٢٤٩) .

٩ - الأعياد المسيحية :

يصعب تحديد الأعياد المسيحية التى إحتفلت بها الكنيسة فى العصر الرسولى . لكن يبدو أن معظم الأعياد المسيحية كانت تحويلاً لأعياد يهودية . لكن الشيء المؤكد أن الكنيسة إحتفلت بعيدى القيامة والخمسين ... الأول لقيامة رب المجد يسوع ، والثانى لحلول الروح القدس وتأسيس الكنيسة ... ولا غرابة فى ذلك ، فالمسيح المصلوب والقائم من بين الأموات والحى فى الكنيسة ، كان هو الفكر الذى استغرق فيه المسيحيون الأوائل ، وكان موضوع تأملهم ... وعلى نحو ما استبدلوا السبت بالأحد ، هكذا استبدلوا عيدى العهد القديم الكبيرين ــ الفصح والحصاد ــ ليصبحا عيدى القيامة والعنصرة (الخمسين) (٢٥٠) ... وقد وردت إشارات كثيرة عنهما فى سفر الأعمال والرسائل (٢٥١) .

١٠ - الصلاة على الراقدين :

من المؤكد أن الكنيسة فى عصر الرسل مارست طقساً خاصاً بالصلاة على

---

(249) Ency. of Religion and Ethics, Vol. 5, p. 766; Dictionary of christian Antiquities, Vol. 1, p. 779; Schaff, Vol. 1, p. 480; Carrington, Vol. 1, pp. 466, 467.

(250) Dictionary of christian Antiquuities, Vol. 1, pp. 669, 670; Schaff; Vol. 1, p. 480; Daniélou, Vol. 1, pp. 75, 76.

(٢٥١) انظر : أع ١٨ : ٢١ ؛ ٢٠ : ٦ ، ١٦ ؛ ١ كو ٥ : ٧ ، ٨ ؛ ١٦ : ٨ .

الراقدين (٢٥٢) . وبدأ المؤمنون فى البيئات الوثنية ــ كبلاد اليونان وآسيا الصغرى ــ يدفنون موتاهم ، بعد أن كانوا يحرقون أجسادهم ... ومما شجع على الاهتمام بأجساد القديسين والصلاة عنها ، العقيدة المسيحية الخاصة بقيامة الراقدين والحياة الأخرى . بعد موت إستفانوس رئيس الشمامسة ، حمل رجال أتقياء جسده ، وعملوا عليه مناحة عظيمة (أع٨ : ٢) ... **وقد صار هذا تقليداً متبعاً فى كل الكنيسة منذ ذلك الوقت . ويرجح أن الطقس الجنائزى كان يتألف من صلوات عن نفس المنتقل وعظات** (٢٥٢) **. على أن هذه الصلوات الجنائزية لم تكن مجرد طقوس إحتفالية ، بل مارستها الكنيسة إيماناً منها بنفعها من أجل راحة أنفس المنتقلين ،** الذين عاشوا حياة مقدسة ، لكن « لحقهم توان أو تفريط كبشر » ... فالكنيسة تصلى من أجل الهفوات والشهوات ، أو بتعبير يوحنا الرسول ، تصلى من أجل مَنْ لم يخطئوا خطايا مميتة « موجبة للموت » (١يو٥ : ١٦) . وهذا النص الذى أورده يوحنا هنا خاص بأنفس المنتقلين ، ولا يمكن أن يكون خاصاً بمَنْ لايزالون أحياء (٢٥٣) ... فالكنيسة ــ بلسان القديس بولس تأمر بنيها بالصلاة لأجل جميع الناس (انظر ١تى٢ : ١-٣) .

وهكذا أيضاً طلب القديس بولس الرحمة لنفس انيسيفورس « ليعطه الرب أن يجد رحمة من الرب فى ذلك اليوم » (٢تى١ : ١٨) . وكل الأدلة تدل على أن انيسيفورس كان قد مات فى ذلك الوقت ... وكون القديس بولس يطلب له رحمة من الرب فى ذلك اليوم ، معناه أن الصلاة تفيد الراقدين الذين قضوا حياتهم فى عيشة مقدسة مع الرب (٢٥٤) .

---

(252) De Pressensé, Vol. 1, p. 381.

(٢٥٣) انظر : سمعان سليدس ، الصلاة على المنتقلين ص ١٤٠ ــ ١٤٨ .

(٢٥٤) انظر : ٢ تى ١ : ١٦ ؛ ٤ : ١٩ . ــ Wuest, The Pastoral Epistles, p. 126.



صورة للعماد

رسم على إحدى المقابر بسراديب روما ـــ ويلاحظ إتمام السر بالتغطيس



رسم نوح يخرج من الفلك فى إحدى المقابر لسراديب روما . وكان رمزاً للمعمودية (١ بط ٣ : ٢٠ ، ٢١) .

الباب السادس







عرضنا فيما سبق ـــ ونحن نتكلم عن مولد الكنيسة ـــ للحالة الفكرية فى العالم الوثنى ... وقلنا فيما قلنا ان المسيحية كديانة ناشئة أخذت مكانها على مسرح الحياة فى العالم القديم وسط كثرة من الديانات المتنوعة ، والتيارات الفكرية المتباينة ، والفلسفات المختلفة ، التى كان يموج بها حوض البحر المتوسط ، حيث **مهد المسيحية وأشرنا إلى بعض المدارس الفلسفية** (١) .

وإن كانت هذه الفلسفات المختلفة بفلاسفتها ومعتنقيها ، قد مهدت للمسيحية فى بعض النواحى (١) ، لكنها شكلت صعوبة بالغة أمام الكنيسة المسيحية فى نواحى جوهرية خاصة فى فترة طفولتها ... حاول بعض المتنصرين من معتنقى هذه الفلسفات أن يجدوا تفسيراً للمسيحية على ضوء دياناتهم وفلسفاتهم االقديمة **أو قل ،** إنهم حاولوا أن يوفقوا بين هذه وتلك ... فكانت أعراض الإنحرافات اللاهوتية والعقيدية ، ومعها ظهرت الهرطقات بمفهومها الكامل ، التى أحدثت بلبلة فكرية كبيرة أقلقت الكنيسة واتعبتها ... ولذا نجد القديس بولس يحذر المؤمنين فى كولوسى قائلاً : « فكما قبلتم المسيح يسوع الرب ، اسلكوا فيه ، متأصلين ومبنيين فيه ، وموطدين فى الايمان كما علمتم متفاضلين فيه بالشكر. انظروا أن لا يكون أحد **يسبيكم بالفلسفة وبغرور باطل حسب تقليد الناس ، حسب أركان العالم ، وليس حسب المسيح** » (كو٢ : ٦-٨) .

---

(١) عن هذا الموضوع انظر : Smith, Dictionary of The Bible, Vol. 2, pp. 849 - 858.

كان الشيطان ــ عدو الكنيسة ــ دائماً وراء هذه البدع ، يستتر فيها ويحرض المنادين بها ... وكانت الكبرياء والاعتداد بالرأى تسير جنباً إلى جنب مع الهرطقات ... والهرطقة وإن كانت شراً ما فى ذلك شك ، لكن الله أخرج منها خيراً للكنيسة . فقد دفعت هذه الإنحرافات الإيمانية إلى البحث ، وحضت على الدفاع عن الإيمان المسلم مرة واحدة للقديسين (٢) .



هرطقات العصر الرسولى هى صور ممسوخة مشوهة (كاريكاتير) للمعتقدات السليمة ... ويمكن حصرها فى ثلاث صور أساسية ، أخذت تتجدد ، وتعاود الظهور على مر العصور فى تاريخ الكنيسة ، مع بعض تحويرات وتعديلات ... وهذه الصور الثلاث هى :

١ ـ التهود :

ويهدف أصحاب هذا الإتجاه إلى ربط أنفسهم بالناموس اليهودى القديم ، وإدماج المسيحية باليهودية ، بحيث يصبح الإنجيل هو الناموس القديم محسناً أو مكملاً . إنهم يعتبرون المسيح مجرد نبى ، أو موسى الثانى . وهم ينكرون أو يغفلون طبيعته الإلهية ووظائفه ككاهن وملك (٣) ...

كان هؤلاء المسيحيون المتهودون ، فى حقيقتهم يهوداً ، وفى ظاهرهم مسيحيين بالاسم ... وقد مارسوا واتموا ناموس موسى الأدبى والطقسى ، واعتبروه ملزماً لهم ، وأنه لازم للخلاص . ولم يفهموا المسيحية على أنها ديانة عامة مسكونية جديدة ، متحررة من الناموس القديم (٤) ...

---

(٢) انظر : مت ١٨ : ٧ ؛ أع ٢٠ : ٣٠ ؛ ١ كو ١١ : ١٩ ؛ ١ تى ٤ : ١ ؛ ٢ بط ٢ : ١ - ٣ .

(3) Schaff, Vol. 1, pp. 565, 566.

(٤) عن موضوع التهود بالتفصيل انظر الفصل الخاص به فى هذا الكتاب ، وأيضاً :
Wuest, Galatians in the Greek N.T., pp. 11 - 23.

٢ - ومن الناحية المقابلة ، قام بعض الأممين المتنصرين ، وحاولوا الإنفصال عن الماضى كلية ، وقطع أنفسهم عنه ، على عكس المسيحيين المتهودين . ومن هنا يمكن تسمية هذا النوع من الهرطقة [الهرطقة المتأممة] Paganizing Heresy أو [الغنوسية] Gnostic Heresy . واللفظ اليونانى غنوسيس Gnosis معناه (معرفة) ... والغنوسية هى محاولة فلسفية دينية ، رأت أن تطلق على ذاتها هذه التسمية ، لتعبر عن أنها لا تؤمن الإيمان الأعمى ، بل تعتمد على العقل والمعرفة . لقد وضع الغنوسيون العقل فوق الإيمان ، والفلسفة فوق الدين ، وجعلوا الفكر الخالص رقيباً على الوحى ، يستطيع أن يرفض منه ما لا يقبله العقل ... وإن كانت الغنوسية لم تظهر كهرطقة فى الكنيسة تحمل هذا الاسم إلاّ فى القرن الثانى ، لكن جذورها ومبادئها وتعاليمها وجدت فى العصر الرسولى . وهناك إشارات واضحة فى رسائل الرسل إليها ، خاصة رسائل كولوسى وتيموثاوس الأولى وتيطس وبطرس الثانية ، ويوحنا الأولى والثانية وسفر الرؤيا فى الرسائل الموجهة إلى أساقفة السبع كنائس (٥) .

وتتلخص الغنوسية (٦) فى أنها محاولة فلسفية لتفسير الشر والخلاص منه ، مع رفض كتاب العهد القديم ... وهى تمجد العلم أكثر من اللازم ، وتقلل من شأن الإيمان ، وهكذا حولوا الإيمان إلى معرفة عقلية لله ... وحاولوا تفسير وجود الشر بالقول بالاثنينية ، أى وجود أصلين للكائنات ، الروح الأعلى والمادة ، أو الخير والشر ... أما خلاص روح الإنسان المحبوسة فى المادة (الجسد) فيكون – حسب تعاليمهم – إما بالتزام النسكيات الصارمة والابتعاد عن كل ما هو مادى بقدر الإمكان ، وإما بالإنغماس فى كل ما هو شهوانى ، زاعمين الانتصار على الحس بالإنغماس فيه ... أما عقيدتهم فى المسيح ، فهى أنه خيال ، منكرين

---

(5) Schaff, Vol. 1, p. 566.

(٦) عن الغنوسية ومبادئها بالتفصيل ، انظر : Harnack, History of Dogma, Vol. 1, pp. 223 - 264.

ناسوته (٧) . وإلى هذه النقطة بالذات ــ إنكار ناسوته (٨) ــ أشار يوحنا الرسول فى رسالتيه الأولى والثانية « كل روح يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء فى الجسد فهو من الله . وكل روح لا يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء فى الجسد ، فليس من الله » (١ يو٤ : ٢ ، ٣) .

٣ ـ كما وجدت محاولات معاصرة لنشأة الكنيسة المسيحية ، لإدماج الديانة اليهودية فى الفلسفة الوثنية ، بخاصة فلسفتى فيثاغورس وأفلاطون وقد قام بهذه المحاولات الفيلسوف اليهودى الاسكندرى فيلو Philo فى القرن الأول الميلادى ، وبعض جماعات المتعبدين من الثيرابوت Therapeutae والاسينيين وغيرهم . وأخذ هذا الخليط العجيب يظهر فى المسيحية بالاسم المسيحى ، مكوناً إما يهودية مختلطة بالوثنية ، أو وثنية متهودة (٩) .

ومهما يكن الإختلاف بين هذه الأنواع الثلاثة من الهرطقات ، فإنها تكاد تصل فى النهاية إلى إنكار واضح للحق الجوهرى فى الإنجيل ، وهو تجسد ابن الله من أجل خلاص العالم . إنها تجعل من المسيح إما مجرد إنسان ، أو شخصية خيالية فائقة للطبيعة . وهى لا تعترف على أية الحالات بأى إتحاد حقيقى دائم بين اللاهوت والناسوت فى شخص المسيح . وهذه هى العلامة التى وضعها يوحنا الرسول لضد المسيح (١ يو٢ : ٢٣ ؛ ٤ : ١-٣) . إنها تقوض أساس المسيحية بلا منازع . لأنه إذا لم يكن المسيح هو الله المتأنس والوسيط بين الله والناس ، فإن المسيحية تختفى غارقة فى الوثنية أو اليهودية (١٠) .

---

(٧) فكرة إنكار الناسوت (الجسد) عند الغنوسيين ، مصدرها الاعتقاد القديم أن الجسد هو العنصر المادى الذى فسد بالشر . فكيف للمسيح القدوس الذى غلب الشر أن يأتى فى جسد ؟!

(٨) سمى هؤلاء المنكرين لناسوت المسيح Docetics من الفعل اليونانى dokei أى لاح وبدا . أى أن المسيح لم يولد من لحم ودم ، ولم يكن له جسد ولم يتألم ، لكن (شبه لهم) ــ انظر:
Carrington, Vol. 1, pp. 308, 309

(9) Schaff, Vol. 1, pp. 566. 567.

(10) Schaff, Vol. 1, p. 567.

... **والآن نعرض لأشهر الهراطقة المبتدعين فى العصر الرسولى :**



أول ما نلتقى به فى سفر الأعمال ، حيث نقرأ أنه كان « يستعمل السحر ويدهش شعب السامرة قائلاً إنه شىء عظيم . وكان الجميع يتبعونه من الصغير إلى الكبير قائلين هذا هو قوة الله العظيمة . وكانوا يتبعونه لكونهم قد اندهشوا زماناً طويلاً بسحره » ... ثم لما أتى الرسولان بطرس ويوحنا إلى السامرة ليمنحا الروح القدس للمعمدين ، ورأى سيمون العجائب التى كانت تجرى على أيديهما ، قدم لهما دراهم قائلاً : « اعطيانى أنا أيضاً هذا السلطان ، حتى أى من وضعت عليه يدى يقبل الروح القدس » (١١) فانتهره بطرس قائلاً له : « لتكن فضتك معك للهلاك لأنك ظننت أن تقتنى موهبة الله بدراهم . ليس لك نصيب ولا قرعة فى هذا الأمر . لأن قلبك ليس مستقيماً أمام الله ... » (أع ٨ : ٩-٢١) .

هذا كل ما جاء عن سيمون فى الإنجيل ... **لكن التاريخ الكنسى والمعلمين الأوائل يذكرون سيمون على أنه رأس الهراطقة أو [منشىء كل بدعة] بحسب تعبير يوسابيوس المؤرخ** (١٢) . وهكذا ذكره يوستينوس الشهيد فى دفاعه الأول وذكره هيجيسبوس وإيريناوس وغيرهم .

أول مَنْ أمدنا بمعلومات عن هرطقة سيمون هو يوستينوس ، الذى كان هو الآخر سامرياً . لذا فإن روايته عنه لها وزن كبير ... **يقول يوستينوس** (١٣) أن معظم السامريين والبعض من البلاد الأخرى ، عبدوا سيمون كالإله الأول . وربط به امرأة تدعى هيلانة التى أدعى سيمون أن فكره الأول ennoia تجسد منها وكانت هيلانة هذه امرأة عاهرة تتجول معه .

---

(١١) السيمونية فى الأصطلاح الكنسى ــ ويقصد بها الحصول على درجات الكهنوت مقابل المال ــ هى نسبة لسيمون الساحر.

(12) H.E., 2. 13. 6.

(13) 1 Apol., 26.

ومما قاله إيريناوس (١٤) ، أن سيمون قال بإله ذكر أعلى Sublimissima Virtus وبفكر ennoia منبثق من هذا الإله الأعلى ، أنثى موازية له . وهذه خلقت الملائكة الذين خلقوا العالم . وحبس هؤلاء الملائكة ennoia فى جسم امرأة ، وأوقعوا بها حسداً أنواعاً من الإهانات . وأن ennoia هذه هى هيلانة التى صارت زانية عاهرة فى مدينة صور ، وهى ما عبر عنها بالخروف الضال ، وأنه فداها وحررها .

ومما قاله سيمون أيضاً بحسب رواية القديس إيريناوس ، أن الإله الأعلى أظهر نفسه بصفة الابن يسوع بين اليهود ، وبصفة الآب بين السامريين فى شخص سيمون ، وفى بلاد أخرى بصفة الروح القدس .



الا بيونية بدعة نادى بها فريق من المسيحيين المتهودين ... وإن كان هذا الاسم الذى عرفوا به لم يظهر إلاَّ فى القرن الثانى الميلادى ، لكنهم كانوا موجودين بمبادئهم منذ عصر الرسل . فلا شك أنهم خلفاء أولئك « الإخوة الكذبة » الذين أشار إليهم بولس فى (٢ كو١١ : ٢٦ ؛ غل٢ : ٤) ، والذين اقلقوا سلام الكنيسة وخاصـــة فى أنطاكية وغلاطية ، وقاوموا قانونية رسوليته ، وتعقبوه من مدينة إلى أخرى ... ويذكر ابيفانيوس أنهم ظهروا بعد خراب أورشليم سنة ٧٠ م ، بين جماعة اليهود المتنصرين الذين لجأوا إلى بلا Pella قبيل خراب أورشليم ، وانتشرت أفكارهم فى فلسطين والأقطار المجاورة ، ومراكز الشتات ، بل وبلغت روما (١٥) .

أقدم ما وصلنا عنهم ذكره يوستينوس الشهيد فى حواره مع تريفو اليهودى حوالى منتصف القرن الثانى (١٦) ... وإن كان يوستينوس ذكر مميزاتهم دون اسمهم

---

(14) Against Heresies, 1. 23.

(15) Daniélou, Vol. 1, pp. 56, 57.

(16) Dial., 48

(ابيونيين) لكن إيريناوس (١٧) وأوريجينوس (١٨) و يوسابيوس (١٩) المؤرخ يؤكدون أن تلك المميزات التى ذكرها يوستينوس ليست سوى مميزات الابيونيين . .

والاسم [ابيونيون] من العبرانية أبيونيم وتعنى فقراء أو مساكين . وهذه التسمية إما أطلقوها هم على أنفسهم لينالوا الطوبى التى أعطاها السيد المسيح للمساكين بالروح ، وإما أطلقها المسيحيون عليهم لأنهم فقراء ومساكين فى أفكارهم (٢٠) .

أما عن أفكارهم ومبادئهم ، فهم فريقان بين متزمت ومعتدل : فالفريق المتزمت يحفظون ناموس موسى حفظاً حرفياً ، ويقدسون السبت ، ويعتبرون الختان لازماً للخلاص (٢١) . وأوجبوا على المسيحيين حفظ الناموس القديم كشرط لخلاصهم . ومن جهة إيمانهم فى المسيح ، فقد أنكروا لاهوته وأزليته ، ورفضوا إعتباره اللوغوس أو كلمة الله وحكمته ، وأنكروا ميلاده المعجزى من العذراء مريم ، واعتبروه إنساناً عادياً كسائر البشر ولد حسب الطبيعة من يوسف ومريم ، وأنه هو النبى الذى تنبأ عنه موسى . ورفضوا الاعتقاد أن المسيح خضع للموت . كما اعتقدوا فى مجيئه الثانى فى مجد ملكى . وأنه يعد لنفسه ولاتباعه ــ ولا سيما من أتقياء اليهود ــ مُلكاً ألفياً (٢٢) ...

والفريق المعتدل يحفظون ناموس العهد القديم ، لكنهم لا يلزمون به الجميع ، ولا يتعصبون ضد مَنْ يرفضون حفظه . وكانوا يحتفلون بيوم الأحد ، ولا يعترضون على آلام المسيح وموته ، ولا ينكرون ولادة المسيح من العذراء بغير زواج ، **وإن كانوا يشتركون مع المتزمتين فى إنكار لاهوت المسيح وأزليته** (٢٢) .

---

(17) Against Heresies 1. 26. 2.

(18) Contr. Cels., 2. 17.

(19) H.E., 2. 27. 1 - 2.

(٢٠) أنبا أغريغوريوس ، مذكرة عن الأ بيونية لطلبة الكلية الإكليريكية .

(٢١) انظر أع ١٥ : ١ .

(٢٢) أنبا غريغوريوس ، مذكرة عن الأ بيونية لطلبة الكلية الإكليريكية .

وثمة فريق ثالث من الا بيونيين ، كان للاسينيين والغنوسيين تأثيرات وأضحة على أفكارهم واتجاهاتهم ... وفيما كتبه القديس بولس (كو٢ : ٨-٢٣) إشارة إلى الميول الغنوسية التى تتمثل فى التأملات التصوفية والنسكيات الصارمة ... وإلى هذا الفريق تنسب بعض المؤلفات المزورة كالإكليمنضيات التى نسبوها للقديس كليمنضس الرومانى ، وهى مليئة بعبارات التمجيد للرسولين بطرس و يعقوب أخى الرب (٢٢) .



النيقولاويون

أشار إليهم سفر الرؤيا مرتين ... فى الأولى مدح الرب أسقف كنيسة أفسس لأنه يبغض «أعمال النيقولاويين» (رؤ٢ : ٦) ، وفى الثانية تحذير ووعيد لأسقف كنيسة برغامس لأن من بين رعيته مَنْ هو متمسك بتعاليمهم (رؤ٢ : ١٥ ، ١٦) .

و يؤكد المؤرخون واللاهوتيون القدماء أن هؤلاء النيقولاويين هم أتباع نيقولاوس الدخيل الأنطاكى أحد الشمامسة السبعة (٢٣) **(أع ٦ : ٥) ... ولقد ذهب البعض إلى أن النيقولاويين هم عينهم أتباع بلعام ،** إستناداً إلى أن نيقولاوس باليونانية وبلعام بالعبرية هما بمعنى واحد (٢٤) ... لكن واضح من سفر الرؤيا أن السيد المسيح يكلم أسقف برغامس عن هرطقتين متميزتين .

ومعلوماتنا عن النيقولاويين ضئيلة للغاية . فقد قيل إنهم أباحوا أكل ما يذبح للأوثان ، وشجعوا العبادة الوثنية . كما اتهموا بإنكارهم أن الله هو الذى خلق العالم ، وبنسبتهم عمل الخلق إلى قوى أخرى . كما نسب إليهم أنهم نادوا بمبدأ الإختلاط بالنساء فى غير إرتباط بالزوجية ، وأنهم كانوا يعيشون حياة خليعة مستترة (٢٥) .

---

(23) Iranaeus; against Heresies, 1. 26. 23; Eusebius, H.E., 3. 29. 1.

(24) Daniélou, Vol. 1, p. 59.

(٢٥) أنبا غريغوريوس ، مذكرة فى اللاهوت المقارن لطلبة الإكليريكية .

وثمة رواية شائعة عن نيقولاوس رواها إبيفانيوس ، وهى أن نيقولاوس كان متزوجاً بامرأة ذات جمال بارع ، كان يهيم بحبها . فلما أصبح مسيحياً ، أراد أن يسلك حياة العزوبة لأفضليتها ، فانفصل عن زوجته بعد أن اتفق معها . لكنهما ما لبثا أن عادا وعدلا عن حياة الفرقة ، واستأنفا حياتهما الزوجية ... فلما رأى نيقولاوس سلوكه منتقداً ، أراد أن يبرر نفسه ، فأخذ ينادى بتعاليم منافية للحق وللطهارة ، وأسلم ذاته لحياة الشر والخلاعة ، واقتدى به غيره . وهكذا تكونت منهم طائفة ... وقد صادق على هذه الرواية بعض آباء الكنيسة وعلمائها الأوائل من أمثال إيريناوس وترتليانوس وايلارى أسقف بواتييه وايرنيموس وغريغوريوس أسقف نيصص .

 Cerinthus

كان يهودياً متنصراً ، تحكم بحكمة المصريين ، قدم أورشليم فى زمان الرسل ، وأقام فيها بعض الوقت ، ثم إنتقل إلى قيصرية فلسطين فأنطاكية ، وعلم فيها ، وحط رحاله أخيراً فى أفسس التى كانت حقل خدمة يوحنا الرسول .

يخبرنا عنه إيريناوس أنه كان معاصراً للقديس يوحنا الرسول (٢٦) .. ويخبرنا **أبيفانيوس** أنه يهودى متنصر تمسك بالختان والسبت ، وأنه — بعد قيامة المخلص — انتظر مملكة المسيا الأرضية بصورة مادية خالصة (٢٧) .

وقد علم كيرينثوس أن العالم لم يخلقه الله ، بل قوة خارجة عن الإله الأعلى ، وأن إلهاً آخر الذى هو إله اليهود ، أعطى الشرائع والناموس . وأن الرب يسوع ولد من يوسف ومريم — ولم يكن سوى إنساناً بارزاً — وحل عليه المسيح فى صورة حمامة عند عماده ، آتياً من الإله الأعلى ، حتى ما يعلن عن الآب غير المعروف ، وأكد ذلك بالمعجزات التى صنعها . أخيراً فارق المسيح الإنسان يسوع قبيل الآلام والصلب ، وبعد ذلك تألم يسوع وقام ثانية ... والمسيح — والحال هذه — لم يكن

---

(26) Against Heresies, 3. 3. 4.

(27) Eusebius; H.E., 3. 28.

فى نظر كيرينثوس سوى نبى عظيم حلت عليه قوة الله (٢٨) ... ويربط ابيفانيوس بين كيرينثوس والابيونيين .

ويقول يوسابيوس المؤرخ ــ نقلاً عن ديونيسيوس البابا الاسكندرى ــ أن كيرينثوس كان [منغمساً] فى الملذات الجسدية ، وشهوانياً جداً بطبيعته . وتوهم أن الملكوت سوف ينحصر فى تلك الأمور التى أحبها ــ أى فى شهوة البطن والشهوة الجنسية (٢٩) ... وينسب له إيريناوس أوصافاً أشد قبحاً من ذلك . ويكفى لإظهار ذلك ، ما رواه إيريناوس عن يوحنا الرسول ، من أنه (يوحنا) دخل ذات مرة حماماً ليستحم . وإذ علم بوجود كيرينثوس فيه ، قفز فازعاً وخرج مسرعاً لأنه لم يطق البقاء معه تحت سقف واحد . ونصح مرافقيه أن يقتدوا به قائلاً لهم : [لنهرب لئلا يسقط الحمام ، لأن كيرينثوس عدو الحق موجود داخله] .



Menander

يذكر هيجسبوس الميناندريين ضمن الهراطقة (٣٠) ... **ويذكر يوستينوس** (٣١) أن ميناندر كان سامرياً وتلميذاً لسيمون الساحر ، وأنه أتى إلى أنطاكية وخدع كثيرين بسحره ... **وفيما ذكره يوستينوس ، أن ميناندر مارس السحر فى بادىء الأمر ،** وهى ظاهرة مميزة للغنوسيين السامريين . فالغنوسية لم تكن لاهوتاً خالصاً ، لكنها كانت أيضاً نوعاً من الشعوذة . ويشير يوسابيوس إلى أن ممارسات السحر هذه ساعدت الأوساط الوثنية على أن تفقد ثقتها فى المسيحيين ... وكان لهذا الأمر أسوأ الأثر ، حتى أن لوسيان وكلسوس عدوىّ المسيحية اللدودين فى القرن الثانى ، يدعون أن المسيح نفسه كان ساحراً .

وبناء على ما أورده يوستينوس ، **فقد علم ميناندر أن مَنْ يتبعه لن يموت ...**

(28) Iranaeus; Against Heresies., 1. 26.

(29) H.E., 3. 28.

(30) Eusebius; H.E., 4. 22. 5.

(31) Apol., 26.

وإيريناوس يذكر أن ميناندر ادعى أنه المخلّص المرسل من فوق من عالم الأيونات Aeons غير المرئية ، حتى ما يخلص البشر(٣٢) . فبواسطة المعمودية التى يمنحها هو ، يصير الإنسان أعلى من الملائكة المخلوقين .

ويمكن القول ان ميناندر هو الذى أعطى مبادىء وتعاليم سيمون صفة الغنوسية ، وقد مارس نشاطه واتسع نفوذه فى أنطاكية بين سنتى ٧٠ ، ١٠٠ م . وبواسطته إنتشرت الغنوسية فى غربى سوريا ، التى أصبحت فيما بعد إحدى مراكزها الرئيسية (٣٣) ...



---

(32) Ado, Haer., 1. 23.

(33) Daniélou, Vol. 1, pp. 61, 67.



كتاب العهد الجديد

ما أن قال رب المجد يسوع لتلاميذه قبيل صعوده : « إذهبوا إلى العالم أجمع ، واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها » (مر١٦ : ١٥) ، حتى انطلقوا للكرازة إتماماً لهذه الوصية ، بعد أن نالوا وعد الروح القدس ، قوة من الأعالى ... وبدأوا يذيعون إنجيل الخلاص ... وهكذا تأسست الكنيسة بالتعليم الشفوى والوعظ الشخصى ، بكرازة وشهادة وتقليد الرسل وتلاميذهم ...

وإذ إتسع حقل الرسل الكرازى ، تطلب الأمر إتصال الرسل بالكنائس التى أسسوها بواسطة الرسائل ... وتطلب الأمر ــ لحاجة الأجيال القادمة ــ سجلاً إيمانياً عن حياة السيد المسيح وتعليمه ، من شهود أمناء موثوق بهم . فالتقليد الشفوى بين البشر العاديين ، غير المعصومين من الخطأ ، عرضة لتغيرات على مدى السنين والأجيال ، تفقده صحته وصدقه ، كلما ابتعد عن مصدره الأصلى ... وفى النهاية يصبح من العسير معرفة الأخطاء والإضافات التى تتراكم فوقه ... كما كان هناك إحتمال خطر كبير فى التحريف والتشويه العمدى للتاريخ والعقيدة المسيحية ، بواسطة الهراطقة لا سيما المتهودين ومَنْ لهم ميول وثنية ، بل ومن أعداء المسيحية ... إذن **فقد أصبحت كتابة سجل يحوى كلمات وتعاليم وأعمال الرب يسوع وتلاميذه فى غاية الأهمية والضرورة ، ليس لتأسيس الكنيسة ، بل لحفظها من أى إنحراف ...**

ومن هنا كتب رسل المسيح سبعة وعشرين سفراً بإرشاد الروح القدس . كُتِبَ معظمها بين عامى ٥٠ ، ٧٠ ، باستثناء إنجيل يوحنا ورؤياه ورسائله فقد كُتبت بعد ذلك ... وهذه الأسفار تقدم لنا صورة موثوقاً بها لتاريخ وإيمان وممارسات الكنيسة الأولى ... « للتعليم والتوبيخ ، للتقويم والتأديب ، الذى فى البر » (٢ تى ٣ : ١٦) .

كانت مهمة الكنيسة الأولى هى جمع هذه الكتابات فى قانون ، لتصبح متميزة عن الكتابات الابوكريفا أو الكتابات المنسوبة زوراً للرسل ، وحتى عن الكتابات الأرثوذكسية لكنها نتاج بشرى خالص وليس بالهام الروح القدس ...

وهى فى قيامها بهذه المهمة كانت مسوقة ومرشدة بروح الله وإحساس بالحق ... وقد بدأ هذا العمل منذ القرن الأول المسيحى . وهذا واضح مما ذكره بطرس الرسول فى رسالته الثانية مشيراً إلى رسائل القديس بولس « كما كتب إليكم أخونا الحبيب بولس أيضاً ... كما فى الرسائل كلها أيضاً متكلماً فيها عن هذه الأمور » (٢ بط ٣ : ١٥ ، ١٦) ... وكانت هذه الكتب المقدسة معروفة ومتداولة فى الكنيسة كلها وعلى المستوى العام منذ النصف الأول من القرن الثانى الميلادى ...

والكتابات الرسولية على ثلاثة أنواع : تاريخية ، وتعليمية ، ونبوية ... والبشائر (الأناجيل الأربعة) ، وسفر أعمال الرسل ، تتبع النوع الأول والرسائل تتبع النوع الثانى ، وسفر الرؤيا يتبع النوع الثالث ... **فى الأناجيل نرى يسوع المسيح فى صورته الجسدية يسير على الأرض ويكمل عمل الفداء ، وفى الأعمال والرسائل نراه يؤسس الكنيسة ويملأها ويقودها بروحه . وفى رؤيا يوحنا ، يظهر فى مجده مع عروسه ــ كنيسة القديسين ــ يملك إلى الأبد فى الأرض الجديدة ، فى مدينة الله ...**

والآن نتقدم لنعرض فى عجالة لأسفار العهد الجديد (٣٤) ... على أنه لا يدخل فى نطاق بحثنا فى هذا الكتاب ، كتابة مقدمات للأسفار ، أو إثبات صحتها من الداخل ، لكننا فقط نلقى بعض الضوء عليها ونعرض للشهادة التاريخية لها ، وأنها رسولية .

---

(٣٤) انظر المقالات الخاصة بكتاب العهد الجديد وعن كل سفر من أسفاره فى :
Smith, Dictionary of the Bible (4 volumes).



المسيحية ديانة البهجة ، ومعها يأتى الفرح والسلام من السماء إلى الأرض ... يفتتح كتاب العهد الجديد بالأناجيل ... وإنجيل من الكلمة اليونانية وتعنى البشارة المفرحة بالمسيح وخلاصه. والأناجيل الأربعة ليست سوى تنوعات لنفس الموضوع، ووصف رباعى لنفس الشيء، هكذا يصفها ويتكلم عنها إيريناوس (٣٥) ... هى ليست سيرة كاملة لحياة السيد المسيح (٣٦) بل مجرد مذكرات أو مختارات لملامح هامة فى حياة السيد المسيح وعمله، كما تأثر بها كل إنجيلى، وناسبت غرضه الذى لأجله كتب، ومَنْ وجه إليهم الإنجيل. وهكذا فإن يوستينوس الشهيد فى دفاعيه المكتوبين حوالى منتصف القرن الثانى يدعو الأناجيل مذكرات عن المسيح أو الرسل. فكل واحد من **الإنجيليين** وصف السيد المسيح من وجهة نظره، ومن زاويته الخاصة، وكتب حسب حاجة مَنْ كتب إليهم. لكن الإنجيليين الأربعة يقدمون قصة المسيح كاملة ...

والأناجيل أربعة فقط ... هكذا اعترفت الكنيسة وعلمت منذ تاريخها المبكر. وطبقت رؤيا حزقيال فى العهد القديم التى رأى فيها الأربعة حيوانات، وكذا رؤيا يوحنا فى العهد الجديد عن الأربعة حيوانات غير المتجسدين (٣٧) أيضاً وقالوا إن الإنسان والأسد والثور والنسر تشير إلى الإنجيليين متى ومرقس ولوقا

---

(35) Against Heresies, 3. 11. 8.

(٣٦) يو ٢٠ : ٣٠ بالمقارنة مع ٢١ : ٢٥ .

(٣٧) حزقيال ١ : ١٥ ؛ ١٠ : ١ ـ ؛ ١١ : ٢٢ ؛ رؤ ٤ : ٦ ـ ٩ ؛ ٥ : ٦ ، ٨ ، ١١ ، ١٤ ؛ ٦ : ١ ، ٣ ـ ٧ ؛ ٧ : ١١ ؛ ١٤ : ٣ ؛ ١٥ : ٧ ؛ ١٩ : ٤ .

صفحة من الكتاب المقدس ـ النسخة الاسكندرانية (عن الإنجيل المحفوظ بالمتحف البريطانى) .

و يوحنا على التوالى وقد كتب إيريناوس (٣٨) بإسهاب عن هذا الموضوع ، وقال أوريجينوس : [إن الأناجيل الأ ربعة هى الوحيدة التى لانزاع بشأنها فى كنيسة الله تحت السماء] (٣٩) .

كتب متى إنجيله لليهود ، ومرقس للرومان ، ولوقا لليونانيين ، و يوحنا للمسيحيين المتقدمين .

إنجيل متى يقدم يسوع الناصرى كالمسيا ، معطى ناموس الملكوت السماوى ، الذى يطلب طاعتنا . وإنجيل مرقس يقدمه كالغازى القوى صانع العجائب الذى يثير دهشتنا . وإنجيل لوقا يقدمه كصديق ومخلّص للبشر الذى يطالبنا بثقتنا . أما يوحنا فيقدمه كابن الله الأ بدى ، الذى صار جسداً لأجل خلاصنا ، و يطالبنا بالسجود والعبادة ، حتى إذا آمنا به ننال حياة أبدية ... هكذا حرك روح الله هؤلاء الإنجيليين ، وكتبوا دون إتفاق سابق أو تواطؤ من أجل إحتياجات البشر .

بالنسبة لتاريخ كتابة الأناجيل ، فمن العسير إن لم يكن من المستحيل ، تحديد سنة كتابة كل إنجيل على وجه التحديد . لكن الشهادات الخارجية والأدلة الداخلية والنظريات العلمية الحديثة تحدد الستينات من القرن الأول للأناجيل الثلاثة الأولى ، قبل خراب أورشليم ، والتسعينات لإنجيل يوحنا ... فالأناجيل الثلاثة الأولى تتكلم عن خراب أورشليم كشىء لم يحدث لكنه وشيك الوقوع . ولو كان الإنجيليون كتبوا بعده ، لأشاروا حتماً إلى ذلك . فخراب أورشليم وهيكلها حدث ضخم لا يمكن تجاهله أو نسيانه .

هناك إجماع عام الآن بين العلماء على أن بشارة مرقس هى أقدم البشائر الأربعة . وتليها بشارة متى ثم بشارة لوقا . وهناك إحتمال ـــ بناء على رواية بابياس (٤٠) وغيره من آباء الكنيسة وعلمائها ـــ أن يكون متى كتب إنجيله أولاً باللغة الآرامية وفقد هذا الأصل الآرامى وذاعت الترجمة اليونانية ، لكننا لا نعرف

---

(38) Against Heresies; 3. 11. 8.

(39) Eusebius, H.E., 6. 25. 4.

(40) Eus., H.E., 3. 39. 16.

مَنْ نقل بشارة متى إلى اليونانية ، أو متى تم ذلك . أما لوقا فلابد وأن يكون قد كتب قبل سنة ٦٥ ، إذ أنه يشير فى فاتحة سفر أعمال الرسل إلى هذا الإنجيل بقوله : « الكلام الأول » (أع ١ : ١) ... وإذا كان سفر أعمال الرسل الذى ينتهى عند أسر بولس الأول فى رومية (٦١ - ٦٣) ، قد كُتِبَ قبل إستشهاد بولس ، فلابد وأن يكون الإنجيل قد كُتِبَ قبل ذلك ... أما إنجيل يوحنا ، فقد كُتِبَ آخراً بعد خراب أورشليم ، وذلك بشهادة التقليد العام ، والبشارة نفسها . ويرجح أنه كُتِبَ أواخر القرن الأول .

والأناجيل الأربعة تقدم لكل قارىء غير متحيز ، الدليل على صدقها الخالص . فهى تروى القصة بدون أى زخرف بيانى ، أو فصاحة لغوية ، بدون أى تعجب أو غرابة أو إعجاب ، بدون أية ملاحظة أو تعليق ... إنها تسجل بأمانة وصراحة ضعفات التلاميذ وسقطاتهم ، بما فى ذلك أنفسهم ... وتوبيخات السيد التى وجهها إليهم لثقل فهمهم الجسدى ، وحاجتهم إلى الإيمان ، جبنهم وانفضاضهم من حوله فى ساعة التجربة والشدة ، يأسهم بعد الصلب ، إنكار بطرس وخيانة يهوذا ...

والأناجيل لم تخف شيئاً ، ولم تعتذر عن شىء ، ولم تبالغ فى شىء ... وكاتبوها لم يهتموا بسمعتهم الخاصة ، بل أمسكوا عن ذكر أسمائهم ... كانت مهمتهم الوحيدة هى أن يرووا قصة الرب يسوع التى تحمل فى ذاتها قوة لا تقاوم ، وبهجة وإعجاب لكل قلب قارىء محب للحق .

جزء من بردية تحوى إنجيل متى ، ترجع إلى القرن الثالث ، عثر عليها فى البهنسا (محافظة بنى سويف) محفوظة فى متحف جامعة بنسلفانيا بالولايات المتحدة الأمريكية .



واضح أن إنجيل متى كتب لليهود ، ولليهود المتنصرين ... وهدفه إثبات أن يسوع الناصرى هو المسيا الموعود به ، رئيس الكهنة وملك إسرائيل ...

لذا ، فهو يذكر المواضع والعادات اليهودية دون تفسيرها كما نرى فى البشائر الأخرى ... و يتكلم عن مدينة أورشليم ، والكهنوت اليهودى والذبائح والممارسات الطقسية اليهودية (٤١) ... **وهو الإنجيل الوحيد الذى سجل كلمات المسيح أنه ما جاء لينقض الناموس والأنبياء ، وأنه لم يرسل إلاَّ إلى خراف بيت إسرائيل الضالة** (٤٢) ...

و يعتبر هذا الإنجيل حلقة الوصل بين العهد القديم والجديد ... أنه بمثابة إنذار « يهوه » النهائى لشعبه القديم : آمنوا أو استعدوا للهلاك **!!** تعرفوا على المسيا فى شخص يسوع ، أو انتظروه قاضياً لكم **!!** ومن هنا فإن متى كثيراً ما يشير إلى إكمال النبوات عن المسيا بعبارته المألوفة « لكى يتم ما قيل بالنبى القائل » أو « حينئذ تم » (٤٣) .

وتحقيقاً لهذا الهدف بدأ متى إنجيله بذكر نسب المسيح الجسدى ، مثبتاً أنه ابن ووارث داود الملك ، وإبراهيم الأب ، وأنه من جنس اليهود ، الذى عنه أعطيت

---

(٤١) انظر مت ٥ : ٣٥ ؛ ٢٣ : ١ ، ١٦ ؛ ٢٤ : ١٥ .

(٤٢) مت ٥ : ١٧ ؛ ١٥ : ٢٤ .

(٤٣) وردت العبارة الأولى عشر مرات فى إنجيل متى ١ : ٢٢ ؛ ٢ : ١٥ ، ٢٣ ؛ ٤ : ١٤ ؛ ٨ : ١٧ ؛ ١٢ : ١٧ ؛ ١٣ : ٣٥ ؛ ٢١ : ٤ ؛ ٢٦ : ٥٦ ؛ ٢٧ : ٣٥ — ووردت العبارة الثانية مرتين فى (٢ : ١٧ ؛ ٢٧ : ٩) ولم تردان فى مرقس ولوقا ، ووردت ٦ مرات فقط فى يوحنا .

المواعيد، وأن الهروب إلى مصر والعودة منها كملجأ هى إكمال لتاريخ إسرائيل التقليدى ... والعظة على الجبل تقابل تشريع سيناء. وأساسها، بل ومحور كل البشارة، أن المسيح جاء ليكمل الناموس والأنبياء، وأن المسيحية أسمى من اليهودية ... ويتكلم متى عن ملكوت السموات الذى جاء المسيح ليؤسسه فى العالم ... ويذكر هذا التعبير «ملكوت السموات» حوالى ٣٢ مرة، بينما يتكلم باقى الإنجيليين عن «ملكوت الله».

الشهادات التاريخية عنه (٤٤) :

• كان إنجيل متى معروفاً لكاتب كتاب **«تعليم الرسل الإثنى عشر» المعروف باسم Didaché الذى كتب بين سنتى ٨٠، ١٠٠ م، واقتبس منه كثيراً، خصوصاً العظة على الجبل.**

• كاتب **رسالة برنابا**، التى كتبت بين سنتى ٧٠، ١٢٠ م، اقتبس من إنجيل متى إقتباسات واضحة (٤٥).

• بابياس أسقف هيرابوليس (٧٠ — ١٥٥ م) بمقاطعة فيريجيا بآسيا الصغرى، صديق بوليكاربوس، وأحد الذين استمعوا إلى يوحنا الرسول يشهد بوجود إنجيل متى، **فيقول** فى كتابه «تفسير أقوال الرب» [وهكذا كتب متى الأقوال الإلهية باللغة العبرانية (**يقصد الآرامية**) **وفسرها كل واحد على قدر إستطاعته**] (٤٦).

• وموضوع وجود إنجيل لمتى الرسول بالآرامية لا يستند فقط إلى رواية بابياس، بل تأيد بشهادة آباء وعلماء لهم مكانتهم مثل إيريناوس (٤٧)،

---

(44) Salmon; A Historical Introduction to the Study of the Books of the New Testament, pp. 152 - 174; Schaff, Vol. 1, pp. 621 - 627.

(٤٥) قارن فصلى ٤، ٥ من رسالة برنابا مع مت ٢٢ : ١٤ ؛ ٩ : ١٣ .

(46) Eusebius, H.E., 3. 39. 16.

(47) Against Heresies, 3. 1. 1.

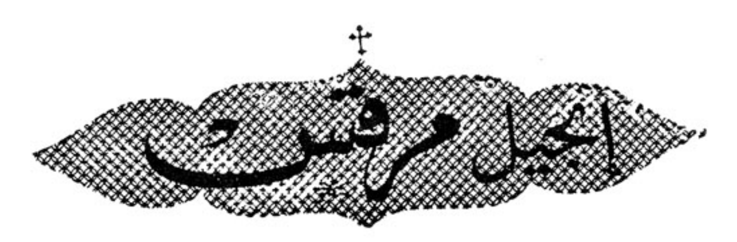
وبنتينوس (٤٨) ، وأوريجينوس (٤٩) ، ويوسابيوس (٥٠) وكيرلس الأورشليمى وابيفانيوس وأيرونيموس (جيروم) .

وثيقة موراتورى مثبت فيها الأسفار المقبولة كأسفار قانونية ويرجع تاريخها على الأقل إلى سنة ١٧٠ م

(48) Eusebius, H.E., 5. 10.

(49) Eusebius H.E., 6. 25.

(50) H.E., 3 - 24.



بإجماع الكنيسة الأولى ، مؤيداً بالأدلة الداخلية من الإنجيل ، كتب مرقس إنجيله فى روما ، ولقراء من الرومان وإن كان البعض ــ ومنهم يوحنا ذهبى الفم ــ قالوا إنه كتبه بمصر (٥١) . إن كان إنجيل متى هو إنجيل أقوال الله المقدسة ، فإن إنجيل مرقس هو إنجيل أعماله الفائقة الباهرة . ونلاحظ على مرقس أنه يروى أقوالاً قليلة ، ويسجل معجزات كثيرة . هو يبسط حياة الرب العامة فى صور حياة قصيرة فى تتابع سريع ، ويركز على المظهر الخارجى ... على الشخصية صانعة العجائب التى تثير إهتمام جماهير الرومان ... وبينما يكتب متى لقرائه من اليهود مثبتاً أن المسيح هو من نسل داود الملك ويجذب إنتباههم إلى إتمام النبوات ، نجد مرقس يكتب للأمم ، ويبدأ إنجيله هكذا « بدء إنجيل يسوع المسيح ابن الله » ... ويندر أن يقتبس من نبوات العهد القديم ، ويترجم لقرائه من الرومان الكلمات الآرامية والعوائد والأفكار اليهودية (٥٢) ...

إن الهدف الخاص لهذا الإنجيل هو إظهار المسيح فى قوته الإلهية ، منبداً أعمال إبليس ، قاهراً الخطية والموت ... وهذا الإنجيل ــ أكثر من أى إنجيل آخر ــ يبرز أمامنا عمل المسيح لأجل المقبوض عليهم من إبليس ، والمقيدين بقيوده ، ويعانون من نتائج الخطية ... نحن نرى فيه الأسد الخارج من سبط يهوذا ظافراً ، ويظفر دائماً . ومرقس هو الوحيد بين الإنجيليين الذى يتكلم عن ملكوت الله على أنه آت

---

(٥١) يذكر يوحنا ذهبى الفم أنه كتبه فى مصر (تفسير لإنجيل متى مقاله ١ : ٧) لكن يبدو أن هذا الرأى ليس له مَنْ يؤيده كثيراً ..

(٥٢) انظر : مر ٣ : ١٧ ؛ ٥ : ٤١ ؛ ٧ : ١ - ٤ ، ١١ ، ٣٤ ؛ ١٢ : ١٨ ؛ ١٥ : ٦ ، ٣٤ .

بقوة (٩ : ١) ... ومن هنا فإن لهذه البشارة دلالة خاصة للكنيسة فى كل عصورها . إنها تعطيها تأكيداً مباركاً أن مستقبلها فى يد ذاك الظافر المنتصر، القادر أن يخلص إلى التمام كل من يؤمن به .

الشهادات التاريخية عنه :

إن قانونية إنجيل مرقس تاريخياً لا يرقى إليها أدنى شك ... ذكره بابياس (٥٣) ، واقتبس منه بعض الآباء الرسوليين ، و يوستينوس الشهيد ، كما شهد له الثلاثة العلماء الكبار فى أواخر القرن الثانى ، وهم إيريناوس (٥٤) وإكليمنضس الاسكندرى (٥٥) ، وترتليانوس ، وأوريجينوس (٥٦) ، كما إقتبس منه آخرون على أنه كلام الله ، دون أن يذكروا اسمه ... وبالجملة ، فلا يوجد أى ظل من الشك بخصوص هذا الإنجيل فى الكنيسة الأولى (٥٧) .

هل إنجيل مرقس هو مذكرات بطرس وعظاته ؟

تعتقد كنيستنا القبطية أن القديس مرقس الإنجيلى هو أحد السبعين رسولاً الذين عينهم الرب (لو ١٠ : ١) ومن ثم تدعوه « ناظر الإله الإنجيلى مرقس الرسول » ... لكن هناك محاولة لتجريده من الرسولية ، وجعله مجرد تابع لبطرس الرسول آمن على يديه ، لأن بطرس فى رسالته الأولى يدعوه ابنه (١ بط ٥ : ١٣) ... وقالوا عن إنجيله إنه ليس إلاَّ **ملخصاً لعظات بطرس الرسول فى روما ...**

---

(53) Eusebius H.E., 3. 39. 15.

(54) Against Heresies, 3. 1.

(55) Eusebius, H.E., 2. 15.2.

(56) Eusebius, H.E., 6. 25. 5.

(57) Berkhof; N.T. Introduction; p. 88.

ومصدر كل هذه القصة ، رواية رواها **بابياس** أسقف هيرابوليس **فى مقاطعة** فريجيا فى كتابه « تفسير أقوال الرب » ، الذى فقد ، لكن إحتفظ لنا يوسابيوس فى تاريخه ببعض فقرات منه ... ونظراً لأن بابياس كتب متقدماً (فى النصف الأول من القرن الثانى) ، فقد أخذ عنه مَنْ جاءوا بعده من الآباء والعلماء ... **ورواية بابياس كما سجلها يوسابيوس هى :**

هذا ما يقوله (يوحنا) أيضاً : [أن مرقس إذ كان يترجم لبطرس كتب بدقة ، ولو من غير ترتيب ، كل ما تذكره عما قاله المسيح أو فعله . لأنه لا سمع الرب ولا تبعه ، ولكنه فيما بعد ــ كما قلت ــ تبع بطرس الذى جعل تعاليمه وفق إحتياجات سامعيه . ولم يقصد (بطرس) أن يروى سيرة متصلة لكل أحاديث الرب . ولهذا فإن مرقس لم يرتكب أى خطأ ، لأنه دون ما تذكره . لأنه كان حريصاً على أمر واحد : ألاَّ يغفل شيئاً مما سمع ، وأن لا يقرر أى شىء خطأ] . هذه هى رواية بابياس (٥٨) ...

ويوسابيوس المؤرخ الذى دون لنا رواية بابياس السابقة فى موضع آخر من تاريخه ــ يقول ــ بعد أن أشار إلى كرازة بطرس فى روما وأنه خلب بها عقول أهلها ... [توسلوا بكل أنواع التوسلات إلى مرقس ــ أحد تابعى بطرس ــ والذى لايزال إنجيله بين أيدينا ، لكى يكتب لهم أثراً مكتوباً عن التعاليم التى سبق أن وصلتهم شفوياً . ولم يكفوا حتى تغلبوا على الرجل . وهكذا سنحت الفرصة لكتابة الإنجيل الذى يحمل اسم مرقس . **ويقولون أن بطرس عندما علم بوحى من الروح بما حدث ، سرته غيرة هؤلاء الناس ، وأن السفر نال موافقته لاستعماله فى الكنائس .** وقد أيد هذه الرواية إكليمنضس فى الكتاب الثامن من **مؤلفه** « وصف المناظر » ، واتفق معه أيضاً أسقف هيرابوليس المسمى بابياس] (٥٩) .

ويعود يوسابيوس ويروى لنا رواية مختلفة بعض الشىء ، نقلاً عن

---

(58) Eus., H.E., 3. 39. 15.

(59) Eus., H.E., 2 - 15.

إكليمنضس الاسكندرى ، فيقول : [لما كرز بطرس بالكلمة جهاراً فى روما . وأعلن الإنجيل بالروح ، طلب كثيرون من الحاضرين إلى مرقس أن يدون أقواله لأنه لازمه وقتاً طويلاً ، وكان يتذكرها . وبعد أن كتب الإنجيل سلمه لمَنْ طلبوه . ولما علم **بطرس بهذا لم يمنعه من الكتابة ولا شجعه عليها**] (٦٠) .

وردا على ما أورده بابياس ــ من أن القديس مرقس [لا سمع الرب ولا تعبه] وأنه كان يترجم لبطرس ، نقول :

١ - تعتقد كنيستنا ــ استناداً للتقليد الكنسى ــ أن القديس مرقس هو أحد السبعين رسولاً (٦١) . وهذا واضح من كتابات علمائها ، وكتبها الطقسية القديمة ... ذكر هذه الحقيقة كل من العلامة أوريجينوس ، والقديس ابيفانيوس أسقف قبرص ... كما ورد مار مرقس فى تقاويم الكنائس القديمة باسم « الإنجيلى والرسول » (٦٢) ... يضاف إلى هذا ، إجماع آباء الكنيسة شرقاً وغرباً ، وعلماء الكتاب المقدس ــ ومنهم الكاثوليك ــ أن مار مرقس هو عينه الشاب الذى تبع المسيح ليلة القبض عليه ، وكان لابساً أزاراً على عريه ، فلما أمسكه الشبان ترك الأزار وهرب منهم عرياناً (مر١٤ : ٥١ ، ٥٢) . فكيف يتفق هذا مع قول بابياس عنه أنه [لا سمع الرب ولا تبعه] ؟!!

٢ - بإجماع الأراء شرقاً وغرباً ــ الأرثوذكس والكاثوليك والبروتستانت ــ **فإن بيت مار مرقس هو الذى أكل فيه الرب يسوع الفصح الأخير مع تلاميذه ، وغسل أرجلهم ، وأعطاهم عهده جسده ودمه الأقدسين .** وهو العلية التى كان يختفى فيها التلاميذ ، وفيه حل الروح القدس على التلاميذ ومَنْ معهم

---

(60) H.E.; 6. 14.

(٦١) الكاثوليك أنفسهم ــ الذين يحاولون أن يجعلوا من مرقس تلميذاً لبطرس وتابعاً له ــ يعترفون أن هذا رأى شائع وقديم وإن لم يأخذوا به (انظر : العهد الجديد طبعة اليسوعيين ــ القاهرة سنة ١٩٥١ ص ٤٩٢ ، الدبس المارونى تحفة الجيل فى تفسير الأناجيل ص ٣٧٣) .

(62) See: Dictionary of Christian Antiquites, Vol. 2, p. 1089; Smith Dictionary of the Bible, Vol. 2, p. 235; سنكسار الروم الكاثوليك تحت يوم ٢٥ نيسان

من المؤمنين ، فى يوم الخمسين ـــ يوم تأسست الكنيسة ... أضف إلى هذا أن مريم أم هذا القديس كانت إحدى النسوة اللائى تبعن الرب وخدمنه (٦٣) ... **فكيف** يقال بعد هذا أن مار مرقس الذى عاش فى هذا البيت التاريخى [لا سمع الرب ولا تبعه] ؟!!

٣ ـ نأتى للنقطة الثانية وهى أن مار مرقس كان ترجمان لبطرس ، وأن إنجيله ليس سوى تدوين لما كان يكرز به بطرس فى روما ... لقد أثبتنا سابقاً ، ونحن نتكلم عن أشهر الكنائس الرسولية ، أن القديس بولس الرسول هو الذى أسس كنيسة روما ، واشترك معه مار مرقس فى الكرازة هناك ...

ففى رسالة بولس إلى فليمون التى كتبها من روما بين سنتى ٦١ ، ٦٣ فى مدة أسره الأول ، يذكر مرقس فى مقدمة « العاملين معه » (فل ٢٤) ... وكذا فى رسالته إلى كولوسى التى كتبها فى نفس الفترة ، يحمل بولس إلى الكولوسيين سلام مرقس (كو٤ : ١٠ ، ١١) ... وفى الأسر الثانى فى روما ، عندما كان بولس يُسكب سكيباً ووقت إنحلاله قد حضر ، ولم يكن إلى جواره من الخدام غير لوقا ، أرسل يطلب حضور مار مرقس ليكون إلى جواره ليعاونه فى الخدمة ... يقول لتيموثاوس : « لوقا وحده معى خذ مرقس واحضره معك لأنه نافع لى للخدمة » (٢ تى ٤ : ١١) .

أما من جهة كرازة بطرس فى روما ، فإن بعض العلماء المحدثين يقطعون بعدم ذهاب بطرس إلى روما نهائياً ، ويرون أنه لم يستشهد بها ، بل فى مكان آخر ... والبعض الآخر ، يرون أن بطرس ـــ إن كان قد ذهب إلى روما ـــ فيكون ذلك فى آخر حياته ، ولم يذهب للكرازة ... وإذا كان بطرس لم يكرز فى روما ، فقد سقطت الدعوى بأن مرقس كان ترجمانه فيها ...

٤ ـ تقول الشهادات القديمة أن مرقس كان ترجمان بطرس ... قال البعض ـــ وقد أوردنا ذلك آنفاً ـــ إن مرقس سجّل ما تذكره من كرازة بطرس ... **وقال**

---

(٦٣) مت ٢٧ : ٥٥ ؛ مر ١٥ : ٤١ ؛ لو ٨ : ٣ .

البعض الآخر ـــ ومنهم ترتليانوس وأوريجينوس ـــ إن الإنجيل كان من إملاء بطرس .

وسواء هذا أو ذاك ، فقد فهم البعض ـــ ومنهم إيرنيموس ـــ أن كلمة ترجمان تفيد أن بطرس كان يملي وأن مرقس كان يكتب (Ep. ad Hedib, C. 2) (٦٤) ... ومن جهة الإدعاء أن إنجيل مرقس من إملاء بطرس ، فإن اسم الإنجيل يكذبه . لأنه لو أن بطرس أملى الإنجيل ، لكان قد حمل اسمه وصار « إنجيل بطرس » ، على نحو ما أن رسائل بولس التى أملاها منسوبة إليه وتحمل اسمه ، وعلى نحو ما أن رسالة بطرس الأولى التى كتبت بيد سلوانس (١ بط ٥ : ١٢) تحمل اسم بطرس (٦٥) ... إذن لا يمكن أن يكون الإنجيل نتاج إملاء بطرس .

٥ ـ يتبقى الإدعاء القائل أن إنجيل مرقس هو خلاصة عظات بطرس بحسب رواية بابياس ، وأن [السفر نال موافقة بطرس لاستعماله فى الكنائس] بحسب رواية إكليمنضس و يوسابيوس ... **هذا الكلام صعب جداً ، لأنه هدم للاعتقاد بأن إنجيل مرقس سفر مقدس وموحى به من الروح القدس** ... فإذا كان مرقس قد كتب إنجيله مسوقاً بالروح القدس شأن باقى كتبة العهد الجديد ، فهل كان يحتاج إلى موافقة بطرس لاستعماله فى الكنائس ؟! يقول الآباء اليسوعيون فى طبعتهم للكتاب المقدس : [وكان بطرس مؤازراً له (لمرقس) فى تدوينه (الإنجيل) حتى أتمه ، فثبته بطرس وأمر بتلاوته فى الكنيسة] (٦٦) . ماذا يقصد بهذه الأقوال ؟ هل يقصد بها أن الوحى كان عن طريق بطرس ، أو المقصود وضع هالة كبيرة حول شخصية بطرس ، ولو على حساب عقيدة الكنيسة فى فكرة الوحى وقدسية الأسفار المقدسة ؟!!

٦ ـ أما القول بأن الدليل على أن مرقس جمع مادة إنجيله من بطرس أو أنه خلاصة لعظاته ، هو تسجيله لضعفات بطرس واغفاله لما يمجده ، وأن بطرس فعل

---

(64) The Imperial Bible Dictionary, Vol. 2, p. 161.

(65) Berkhof, New Testament Introduction, p. 81.

(٦٦) انظر العهد الجديد طبعة اليسوعيين ـــ القاهرة ١٩٥١ ص ٤٩٢ .

ذلك على سبيل الاتضاع ، فادعاء مردود من واقع الدراسة التحليلية لإنجيل مرقس بالمقارنة مع باقى الأنجيل (٦٧) .

٧ ـ **لقد كان مار مرقس شاهد عيان لما أتاه المسيح** ... يضاف إلى ذلك أنه قد اتيحت له فرص رائعة لم تتح للوقا مثلاً الذى أخذ عن مصادر كثيرة موثوق بها ، ومن ضمنها « الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداماً للكلمة » (لو١ : ١ ، ٢) ... فبيت مار مرقس كان أول كنيسة فى العالم ، وكان الرسل يجتمعون فيه مع المؤمنين ، وكان يقال فى هذا البيت كل ما يختص بالسيد المسيح وأعماله وأقواله . فمن جهة المادة ، فإنها كانت متوفرة ، بالإضافة إلى شهادة العيان . فلماذا تحصر المعلومات فى بطرس ؟!!

٨ ـ وفضلاً عن هذا فهناك تناقض واضح فى الروايات التى أوردها يوسابيوس المؤرخ منسوبة لمَنْ سبقوه ...

فرواية بابياس تقول إن [بطرس عندما علم بوحى من الروح بما حدث سرته غيرة هؤلاء الناس . **وأن السفر نال موافقته لاستعماله فى الكنائس**] (٦٨) .

ورواية إيريناوس تقول [**وبعد ارتحالهما** (أى إستشهاد بطرس وبولس) نقل إلينا أيضاً مرقس ـــ تلميذ بطرس ولسان حاله ـــ كتابة تلك الأمور التى كرز بها بطرس] (٦٩) .

ورواية اكليمنضس الاسكندرى تقول إنه [لما كرز بطرس بالكلمة جهاراً فى روما وأعلن الإنجيل بالروح ، طلب كثيرون من الحاضرين إلى مرقس أن يدون أقواله لأنه لازمه وقتاً طويلاً ، وكان لايزال يتذكرها . وبعد أن كتب الإنجيل سلمه لمَنْ طلبوه . **ولما علم بطرس بهذا لم يمنعه من الكتابة ولا شجعه**

---

(٦٧) عن هذه النقطة ، انظر التحليل الدقيق الذى قدمه الأنبا شنوده فى كتاب « مرقس الرسول » ص١٠٩ ـــ ١١٤ .

(68) Eusebius, H.E., 2. 15.

(69) Eusebius, H.E., 5. 8. 3.

عليها] (٧٠) .

والتناقض واضح فى هذه الروايات الثلاثة :

فرواية بابياس تذكر أن بطرس وافق على الإنجيل قبل نشره بين الناس ورواية اكليمنضس يفهم منها أن مرقس كتب إنجيله وسلمه لمَنْ طلبوه قبل أن يعلم بطرس بذلك ، ورواية إيريناوس تذكر صراحة أن مرقس كتب إنجيله بعد استشهاد بطرس ...

هذا التناقض فى الروايات يحملنا على الإعتقاد بعدم سلامتها ، وبأن هناك يداً متهودة لها مصلحة فى تفخيم بطرس رسول الختان ... وقد عرضنا لهذا الأمر سابقاً بالتفصيل .

٩ ـ واضح مما سبق أن ما كتبه بابياس ، كان هو السبب فى هذا الخلط العجيب ، وعنه أخذ كل مَنْ أتوا بعده ... **فمَنْ يكون بابياس هذا ، وهل هو عمدة وحجة فيما كتب ؟ إننا نسجل هنا ما قاله عنه يوسابيوس المؤرخ الذى حفظ لنا أقواله ... يقول :**

[ويدون نفس الكاتب (بابياس) روايات أخرى يقول إنها وصلته من التقليد غير المكتوب ، وأمثالاً وتعاليم غريبة للمخلص ، وأمور أخرى خرافية ... وأظن أنه وصل إلى هذه الآراء بسبب إساءة فهمه للكتابات الرسولية ، غير مدرك أن أقوالهم كانت مجازية . إذ يبدو أنه (بابياس) كان محدود الإدراك جداً كما يتبين من أبحاثه . وإليه يرجع السبب فى أن الكثيرين من آباء الكنيسة من بعده ، اعتنقوا نفس الآراء مستندين فى ذلك على أقدمية الزمن الذى عاش فيه ، كإيريناوس مثلاً وغيره ممَنْ نادوا بآراء مماثلة] (٧١) .

وشهادة يوسابيوس هذه عن بابياس ـــ الذى خلق لنا هذا الاشكال ـــ غنية

---

(70) Eusebius, H.E.; 6. 14.

(71) Eus.; H.E., 3. 39. 11-13.

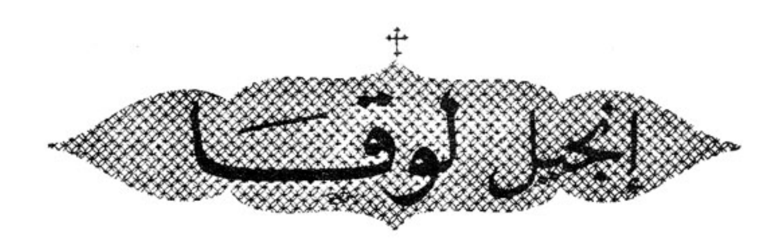
عن التعليق (٧٢) .

١٠ ـ أخيراً ، نسجل ما جاء بدائرة المعارف الفرنسية (وناشروها من الكاثوليك) عن موضوع بحثنا هذا [إن دعوى تتلمذ مرقس لبطرس لم تكن سوى خرافة بنيت على سقطات بعض الكتّاب] (٧٣) .



(٧٢) إن قداسة بعض آباء الكنيسة وعلو كعبهم فى العلوم الدينية ، لا ينفى عنهم الزلل ولا يعصمهم من الخطأ ، خاصة فى المواضيع التاريخية ... وعلى سبيل المثال : (انظر ما قاله يوسابيوس فى تاريخه ١ : ١٢ : ٢ نقلاً عن إكليمنضس الاسكندرى) .

(٧٣) عن كتاب مرقس الرسول للأنبا شنوده ص ٢٥ ، ٢٦ .



إنجيل لوقا

القديس لوقا ــ باعترافه ــ لم يعاين الرب يسوع بالجسد ... دوّن إنجيله وقدمه إلى شخص يدعى ثاوفيلس (= محب الله) ... و يبدو أن ثاوفيلس هذا كان ذا مركز إجتماعى ملحوظ ، بل ويحتمل أنه كان فى خدمة الدولة ، كما يظهر من لقب « عزيز » (٧٤) ، الذى يخاطبه به لوقا ... وقيل عن ثاوفيلس إنه كان أنطاكياً ، لكن الأرجح أنه كان اسكندرياً (٧٥) ... والثابت أن ثاوفيلس هذا كان متنصراً أو موعوظاً يستعد للعماد ، وذلك من قول القديس لوقا له : « لتعرف صحة الكلام الذى وعظت به » (١ : ٤) ...

كتب لوقا إنجيله للأمميين وعلى الأخص اليونانيين ، لذا فهو يشرح بإيجاز للقراء الأمميين موقع المدن الفلسطينية والمسافات بينها وبين أورشليم (٧٦) . وهو لا يرجع إلى النبوات و يشير إلى إتمامها فى يسوع الناصرى كما فعل متى ، لكنه يلقى نظرة عامة على المسيح كمخلّص جميع البشر (٧٧) ، ومتمم إشتياقات كل قلب ... ومن هنا فإن سلسلة نسب المسيح يرجعها ليس فقط إلى إبراهيم كما فعل متى ، بل إلى آدم ابن الله وأب جميع البشر (٣ : ٣٨) ، وهو يهتم إهتماماً خاصاً بإبراز

---

(٧٤) استخدم بولس الرسول هذا اللقب فى خطابيه أمام فيلكس وفستوس الواليين الرومانيين (أع ٢٣ : ٢٦ ؛ ٢٤ : ٣ ؛ ٢٦ : ٢٥) .

(75) Smith; Dictionary of the Bible, Vol. 3, pp. 1476, 1477;

الدرر النفيسة فى مختصر تاريخ الكنيسة جـ ١ : ص ١٠١ .

(٧٦) انظر : لو ١ : ٢٦ ؛ ٤ : ٣١ ؛ ٢٣ : ٥١ ؛ ٢٤ : ١٣ .

(٧٧) فكرة الخلاص واضحة جداً فى كتابات لوقا ، سواء إنجيله أو سفر الأعمال : (انظر لوقا ١ : ٤٧ ، ٦٩ ، ٧٧ ؛ ٢ : ١١ ، ٣٠ ؛ ٣ : ٦ ؛ ١٩ : ٩) .

أن المسيح مخلّص للأمم أيضاً (٧٨) ... والقديس لوقا يظهر المسيح الإنسان فى ملء بشريته ، وأنه مثلنا فى كل شىء ما خلا الخطية .. و يصوره فى كل البشارة على أنه صديق الخطاة الرحيم ، شافى المرضى ، معزى منكسرى القلوب ، راعى الخروف الضال ...

وهناك دلالات قوية على أن لوقا كتب إنجيله بين سنتى ٥٨ ، ٦٣ ... أما مكان كتابته فغير معروف ، والآراء مقسمة بين بلاد اليونان والاسكندرية وأفسس وقيصرية وروما . ويحتمل أن يكون العمل قد تم على مراحل فى هذه الأماكن كلها ، بينما كان يجمع لوقا مادة إنجيله (٧٩) من « الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداماً للكلمة » (لو١ : ٢) .

الشهادات التاريخية عنه :

اقتبس يوستينوس الشهيد عدة إقتباسات من إنجيل لوقا ، وإيريناوس ذكره بصراحة [إنجيل لوقا رفيق بولس] ... وذكرته **الوثيقة** التاريخية المعروفة باسم [وثيقة موراتورى] (٨٠) Muratorian Fragment التى ترجع إلى نحو منتصف القرن الثانى ، باسم إنجيل [لوقا الطبيب] ... والإنجيل موجود ضمن كل المخطوطات القديمة والترجمات ... هذا **فضلاً** عن شهادة بعض العلماء المبرزين الأوائل من أمثال أوريجينوس (٨١) .

---

(٧٨) انظر : لوقا ٢ : ٣٢ ؛ ٣ : ٦ ؛ ٤ : ٢٦ ، ٢٧ ؛ ١٧ : ١٢ - ١٨ ، وهو الوحيد الذى ذكر إرسالية السبعين رسولاً الذين يمثلون الأمم الوثنية مقابل الرسل الإثنى عشر الذين يمثلون أسباط إسرائيل (لو١٠ : ١) .

(79) Schaff, Vol. 1, pp. 670 - 675.

(٨٠) هى وثيقة هامة مثبت فيها الأسفار المقبولة كأسفار قانونية . سميت كذلك لأن أول مَنْ نشرها سنة ١٧٤٠ هو العالم الإيطالى Muratori من مخطوطة كانت فى مكتبة أمبروسيوس بميلان ، لكنها كانت أصلاً فى الدير الأ يرلندى الكبير فى بوبيو Bobbio — و يرجع تاريخها على الأقل إلى سنة ١٧٠ م إن لم يكن قبل ذلك (Salmon, pp. 42, 43) .

(81) Schaff, Vol. 1, p. 668.



الإنجيل الرابع ـــ إنجيل يوحنا ـــ هو إنجيل الأناجيل ، قدس أقداس كتاب العهد الجديد ... يشبهه إكليمنضس الاسكندرى بالروح بينما الأناجيل الثلاثة الأخرى هى الجسد ... و يدعوه أوريجينوس [تاج الأناجيل كما أن الأناجيل هى تاج جميع الكتابات المقدسة] ...

التلميذ المحبوب ، الذى كان يتكىء على صدر المسيح ، الذى أوكل إليه العناية بأمه ، الذى عمر أكثر من جميع الرسل ، هيأته النعمة أن يقدم للكنيسة أعماق رب المجد ... لقد إمتص فى شبابه المبكر أعمق كلمات سيده ، وحفظها فى قلبه الأمين ككنز ثمين ... وفى شيخوخته المتقدمة ، إستعادها بإلهام الروح القدس الحال فيه ، وأرشده إلى كل الحق ...

حين ننتقل من بشارة إلى أخرى فى نطاق البشائر الثلاث الأولى ، لا نشعر بتغيير جوهرى . لكن ما أن ننتقل من إيها إلى إنجيل يوحنا ، حتى نستنشق عبيق جو آخر مختلف ... إن إنجيل يوحنا هو الذى رفع الحجاب عن قدس الأقداس ، وكشف مجد الابن الوحيد المملوء نعمة وحقاً ... **وصدق القديس أغسطينوس** (٨٢) **فى تصويره حينما قال :** [لقد سار الإنجيليون الثلاثة الآخرون مع الرب على الأرض كما مع إنسان ، ولم يذكروا إلاَّ القليل عن لاهوته . أما يوحنا ، فكما لو كان يأبى السير على الأرض ، يدوى فى فاتحة إنجيله ويحلق ـــ ليس فوق الأرض وكل دائرة الهواء والسماء فحسب ـــ بل حتى فوق كل جيش الملائكة ، وكل

---

(82) St. Augustin, Troctates 36 on the Gospel of St. John (N.P.N.F. Vol. 7, p. 208).

رتب القوات غير المرئية ، و يصل إلى ذاك الذى به كان كل شىء] ...

ليس إنجيل آخر بين الأناجيل أكثر وضوحاً وعمقاً ... كلامه مفهوم وإن كان مفعماً بالأسرار. وهو بسيط كطفل سامياً كالسارافيم ... وديعاً كحمل جريئاً كنسر، عميقاً كبحر عالياً كالسموات ... لقد كتب آخر القرن الأول ، وكأنه شمس الغروب الذهبية لعصر الإلهام الرسولى ، وقد مدت خيوطها إلى كل أجيال الكنيسة ...

كتب يوحنا إنجيله فى أفسس أواخر القرن الأول الميلادى ... وهو لا يهدف إلى سرد تاريخ كامل لحياة السيد المسيح ، وإلاَّ كان تكراراً لما سجله الإنجيليون الثلاثة الذين سبقوه إلى الكتابة ... و يوحنا نفسه يذكر ذلك صراحة « وآيات أخر كثيرة صنع يسوع قدام تلاميذه لم تُكتب فى هذا الكتاب » (يو٢٠ : ٣٠ بالمقارنة مع ٢١ : ٢٥) .

أما السبب الذى حمله على الكتابة فهو « لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله . ولكى تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه » (يو٢٠ : ٣١) ... لقد صاغ يوحنا إنجيله تبعاً لحالة الكنيسة واحتياجاتها أواخر القرن الأول ، مفنداً البدع التى ظهرت وقتذاك ...

يذكر إيريناوس أن يوحنا الذى إتكأ على صدر الرب كتب إنجيله فى أفسس بآسيا (٨٣) ... وفى موضع آخر يجعل إيريناوس قيام الهرطقة الغنوسية الحافز على كتابة هذا الإنجيل (٨٤) ، و يؤيد ذلك جيروم وفيكتورنيوس (٨٥) (+ ٣٠٤) .

وهناك تقليد قديم يقول إن يوحنا كتب إنجيله بناء على طلب أساقفة آسيا شركائه فى الخدمة (٨٦) ...

وإنجيل يوحنا هو إنجيل التجسد « الكلمة صار جسداً » ... و يبدأ يوحنا

---

(83) Against Heresies, 3. 1.

(84) Ibid, 3. 11. 1.

(85) Schaff, Vol. 1, pp. 678, 679.

(86) Ibid, pp. 678, 679.

إنجيله بالكلام عن أزلية الكلمة (اللوغوس) ... وهو إنجيل الحب ، وفيه وحده تقرأ الآية الذهبية « هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد ، لكى لا يهلك كل مَنْ يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية » (٣ : ١٦) ... ونقرأ عن الوصية الجديدة « حبوا بعضكم بعضاً » (١٣ : ٣٤) .

الشهادات التاريخية عنه [٨٧] :

قبلت الكنيسة منذ البداية ، إنجيل يوحنا كسفر قانونى ، لا يلحقه أى ظل من الشك ، وأنه من كتابة يوحنا الرسول . والأدلة على ذلك قديمة جداً ، وترجع إلى بداية القرن الثانى ، بعد كتابته بفترة وجيزة جداً ... وهذه الأدلة تشمل شهادات أرثوذكسية وهرطقية ، وكتابات بعض الوثنيين من أعداء المسيحية ... ولا يشذ عن هذا الإجماع سوى صوت واحد مخالف لا يكاد يُسمع ، وهو الخاص بشيعة الألوجيين The Alogi [٨٨] الذين أنكروا هذا الإنجيل لأنهم كانوا يعارضون عقيدة اللوغوس ، التى إنفرد بها يوحنا فى إنجيله ، ومن ثم نسبوا إنجيله وسفر الرؤيا إلى عدوه كيرينثوس الهرطوقى ... والآن نعرض لأهم هذه الشهادات :

(أ) الشهادات الأرثوذكسية :

ونبدأ بشهادات القرن الرابع ونتدرج حتى نصل إلى عصر يوحنا نفسه ... جميع مخطوطات العهد الجديد القديمة اليونانية ــ بما فى ذلك النسخة السينائية والفاتيكانية التى ترجع إلى أوائل القرن الرابع ــ والتى هى منسوخة عن مخطوطات أقدم منها ترجع إلى القرن الثانى ، وجميع النصوص القديمة بما فى ذلك السريانية واللاتينية القديمة من القرنين الثانى والثالث ... جميع هذه ــ بلا إستثناء ــ تحوى إنجيل يوحنا . ولا شك أن هذه المخطوطات والنصوص تمثل إجماع الكنائس العام فى أنحاء العالم .

---

(87) Schaff, Vol. 1, pp. 701 - 714.

(٨٨) تسمية هذه الشيعة Alogi تتضمن معنى مزدوجاً : غير معقول ، وضد اللوغوس .

بعد ذلك لدينا شهادات جميع آباء الكنيسة حتى منتصف القرن الثانى بدون أى صوت مخالف، أو ظل من الشك. ومن هؤلاء إيرونيموس (جيروم) (+ ٤١٤) و يوسابيوس (+ ٤٣٠) وأوريجينوس (+ ٢٥٤) وهو عالم عصره الكبير ومفسر إنجيل يوحنا، وترتليانوس وإكليمنضس الاسكندرى (+ حوالى ١٩٠). وهو الفيلسوف المسيحى الذى تنقل وزار بلاد اليونان وإيطاليا وسوريا وفلسطين معلماً، وإيريناوس أسقف ليون منذ سنة ١٧٨، وهو مواطن من آسيا الصغرى وتلميذ بوليكاربوس تلميذ يوحنا الرسول، الذى بنى دفاعه الأساسى ضد هرطقة الغنوسيين على إنجيل يوحنا، و يشهد أن الأناجيل القانونية أربعة لا أكثر ولا أقل، كما قبلتها جميع كنائس العالم المسيحى فى زمانه باجماع عام، وثاوفليس الأنطاكى (+ ١٨٠) الذى إقتبس من إنجيل يوحنا وأشار إلى ذلك، ووثيقة موراتورى Muratorian Fragment التى تروى ظروف كتابة إنجيل يوحنا. وتتيان السورى (١٥٥ — ١٧٠) فى «خطابه إلى اليونانيين» يقتبس كثيراً من إنجيل يوحنا، وبدأ كتابه «الدياتيسرون» Diatessaron، الذى إنتشر إنتشاراً واسعاً فى الكنيسة الأولى، بافتتاحية إنجيل يوحنا، و يوستينوس الشهيد معلم تاتيان فى دفاعيه الأول والثانى وحواره مع تريفو اليهودى — قبيل منتصف القرن الثانى — اقتبس من إنجيل يوحنا، وكذلك الآباء الرسوليين. فقد اقتبس منه أغناطيوس [٨٩]، وكذلك بوليكاربوس [٩٠] تلميذ يوحنا نفسه إقتبس من رسالة يوحنا الأولى وهى شهادة بطريق غير مباشر للإنجيل لأنه إما أن نقبل هذين الكتابين أو نرفضهما معاً. ثم بابياس الذى اقتبس من إنجيله واستشهد برسالته الأولى.

(ب) شهادات الهراطقة :

فى الاكليمنضيات المزورة عدة إشارات واقتباسات من إنجيل يوحنا. وقد استخدم الغنوسيون فى القرن الثانى، إنجيل يوحنا بكثرة واستشهدوا به. وقد كتب هيراكليون Heracleon تلميذ فالنتينوس Valentinus المبتدع تفسيراً لإنجيل يوحنا.

---

(89) Rom., 7; Phild., 9.

(90) Phil. 7.

وقد حاول فالنتينوس نفسه ــ بناء على رواية ترتليانوس ــ أن يفسره . وباسيليدس Basilides الذى إشتهر حوالى سنة ١٢٥ إقتبس من هذا الإنجيل . وشهادات الهراطقة فى حد ذاتها قاطعة . كـان ممكن أن يرفض الغنوسيون الإنجيل الرابع كله . كما فعل مرقيون Marcion لتعارضه مع عقيدته . لكن الغنوسيين اعترفوا به فى ذلك الوقت المبكر ــ أول القرن الثانى ــ لأنهم كانوا لا يملكون إنكاره .

(جـ) شهادة الوثنيين :

والفيلسوف الوثنى كلسوس ــ عدو المسيحية اللدود ــ فى كتابه ضدها حوالى سنة ١٧٨ ، إستمد المادة التى هاجم بها المسيحية من الأناجيل الأربعة . ويذكر تفاصيل دقيقة لم ترد إلاَّ فى إنجيل يوحنا .

+ + +

والآن بعد أن عرضنا للشهادات التاريخية المختلفة لإنجيل يوحنا ، نختم بعبارة لطيفة دوّنها العالم والمؤرخ شاف Schaff ، يقول : **[لا يمكن لكاتب من القرن الثانى أن يخرج مثل هذا الكتاب الرائع (إنجيل يوحنا) ، الذى يسمو على كتابات يوستينوس الشهيد وإيريناوس وترتليانوس واكليمنضس وأوريجينوس ، أو أى أب آخر أو عالم أو مصلح . وما كان ممكناً لأى كاتب من القرن الأول أن يكتبه إلاَّ رسول ، ولا رسول آخر سوى يوحنا . ويوحنا نفسه ما كان يمكنه أن يكتبه دون وحى إلهى]** [٩١] .

(91) Schaff, Vol. 1, p. 714.



سفر أعمال الرسل

بإجماع الكنيسة الأولى ، فإن سفر أعمال الرسل (٩٢) هو تكملة للإنجيل الثالث ، وأن كاتبهما هو القديس لوقا ، وجههما إلى شخص يدعى ثاوفيلس ... والقديس لوقا فى إنجيله يسجل حياة المسيح وأعماله ، وفى سفر الأعمال يسجل عمل الروح القدس ، الذى نلمسه ظاهراً ملموساً فى كل خطوة . فكلمة « روح » و « الروح القدس » تتكرر مراراً عديدة فى سفر الأعمال أكثر من أى سفر آخر فى العهد الجديد .

وسفر أعمال الرسل كتاب مفرح كالإنجيل الثالث ... فهو مملوء من الغيرة الرسولية والرجاء ، ويسجل التوفيق والنجاح ، وحتى الاضطهاد والاستشهاد يحولهما إلى مناسبة للفرح والشكر ... إنه أول تاريخ للكنيسة الأولى .

أما عن وقت كتابته ، فلا شك أنه إحتاج إلى سنوات عديدة لتجميع المعلومات التى كان لوقا شاهد عيان لها حينما كان رفيقاً لبولس فى الخدمة والأسفار ... ويبدو أن القديس لوقا إنتهى من كتابته عقب الأسر الأول للقديس بولس فى روما مباشرة ، وقبيل الاضطهاد المروع الذى أثاره نيرون فى صيف عام ٦٤ ، لأنه لا يذكر عنه شيئاً ، ولو كان قد كتبه بعده ، لما أمكن تجاهله (٩٣) .

---

(٩٢) هكذا وردت هذه التسمية فى كتابات إكليمنضس الاسكندرى وترتليانوس فى وثيقة موراتورى وورد فى مخطوطه النسخة السينائية للكتاب المقدس باسم « الأعمال » ، وهكذا ذكره أوريجينوس ، وإن كان تسميته قد ذكرت بالكامل فى آخر السفر بالنسخة السينائية (Salmon, p. 294) .

(93) Schaff, Vol. 1, p. 728.

الشهادات التاريخية عنه [٩٤] :

لقد قبلت الكنيسة الأولى بالإجماع سفر أعمال الرسل ككتاب إلهى منذ فجر تاريخها ، ولدينا شهادات مباشرة كثيرة عن ذلك. لقد ذكره بالاسم كل من إيريناوس (٩٥) وإكليمنضس (٩٦) الاسكندرى وترتليانوس (٩٧) . وتضعه وثيقة موراتورى فى الترتيب عقب الأناجيل الأربعة مباشرة . وهناك إشارة قاطعة لهذا السفر فى خطاب كنائس فينا وليون (٩٨) سنة ١٧٧ ... أما الإقتباسات فكثيرة ... إقتبس منه إكليمنضس الرومانى (٩٩) قبل نهاية القرن الأول الميلادى ، وأغناطيوس الأنطاكى (١٠٠) ، وهرماس (١٠١) ، وبوليكاربوس (١٠٢) . ويذكر ديونيسيوس الكورنثى (١٠٣) فى القرن الثانى معلومات خاصة بديونيسيوس الأريوباغى تؤيد ما جاء عنه فى سفر أعمال الرسل . كما يستمد بابياس بعض معلوماته من سفر أعمال الرسل (١٠٤) . كما يمكن التعرف على آثاره فى كتابات يوستينوس الشهيد وتلميذه تاتيان (١٠٥) .



---

(٩٤) انظر المقالة الرائعة عن هذه النقطة فى .Smith; Dictionary of the Bible, Vol. I, pp. 25-43

(95) Against Heresies, 3. 14, 15.

(96) Strom, 5. 12.

(97) Against Marcion, 5. 1, 2.

(98) Eusebius, H.E., 5. 1, 2.

(99) Corinthians, chs. 2, 18.

(100) Smyrn., 3.; Phild., 2.

(101) Vis., 4. 2.

(102) Phil., 1.

(103) Eusebius, H.E., 4. 23. 3.

(104) See: Salmon, pp. 294 - 297.

(105) Berkhof, pp. 127, 128.

✝

رسائل بولس الرسول

يعتبر القديس بولس بحق ، أكثر مَنْ تعب من الرسل (١ كو ١٥ : ١٠) ، ليس فقط فى أعمال الكرازة ، بل وفيما خلفه للكنيسة من ثروة عظيمة قوامها الأربع عشرة رسالة التى تحمل اسمه ... وقد وجه بولس بعض رسائله إلى الكنائس التى أسسها ، والبعض الآخر إلى أشخاص ... كتب بعضا فى جولاته الكرازية ، والبعض الآخر كتبه وهو أسير ، ومع ذلك يفوح منها عبيق الإيمان والرجاء والفرح ... وآخر رسائله ــ التى كتبها فى الأسر أيضاً ــ (تيموثاوس الثانية) ، يختمها بصيحة الإنتصار ، حينما كان يُسكب سكيباً ووقت إنحلاله يقترب (٢ تى ٤ : ٦) .

كتب بولس رسائله فى فترة تتراوح بين ١٢ ، ١٤ سنة ــ بين سنتى ٥٢ أو ٥٣ ، ٦٤ أو ٦٧ . وقد قبلت الكنيسة الأولى هذه الرسائل التى مازالت بين أيدينا ، منذ تاريخها المبكر ، كأسفار مقدسة موحى بها من الله .

والآن نعرض للشهادات التاريخية القديمة عن قانونية هذه الرسائل :

١ ـ الرسالة إلى رومية :

لم يلحق قانونيتها ظل من الشك فى كل العصور ... شهد بقانونيتها الآباء الرسوليون ، وفى مقدمتهم إكليمنضس الرومانى وأغناطيوس و بوليكاربوس ثم يوستينوس الشهيد وإيريناوس وثاوفيلس الأنطاكى وإكليمنضس الاسكندرى وترتليانوس وأوريجينوس وغيرهم . كما وردت فى وثيقة موراتورى ، واعترف بها مرقيون الهرطوقى فى النصف الأول من القرن الثانى فى قانونه Apostolicon of Marcion [١٠٦].

---

(106) Berkhof, p. 155; Angus, p. 634.

٢ ـ الرسالة الأولى إلى كورنثوس :

ذكرها إكليمنضس الرومانى بالاسم فى رسالته إلى نفس الكنيسة قبيل نهاية القرن الأول ... وهناك إقتباسات كثيرة من هذه الرسالة فى رسالة برنابا وكتابات هرماس وأغناطيوس وبوليكاربوس وإيريناوس ... وقد شهد لها الهراطقة الغنوسيون ومرقيون ، كما وجدت فى وثيقة موراتورى (١٠٧) .

٣ ـ الرسالة الثانية إلى كورنثوس :

قبلت بالإجماع فى الكنيسة الأولى ... إقتبس منها بوليكاربوس . وشهد لها إيريناوس وإكليمنضس الاسكندرى وترتليانوس ووردت فى وثيقة موراتورى ، واعترف بها مرقيون الهرطوقى (١٠٨) .

٤ ـ الرسالة إلى غلاطية :

قبلت كسفر قانونى بإجماع الكنيسة الأولى منذ عصرها المبكر ... هناك إشارات إليها فى كتابات إكليمنضس الرومانى وأغناطيوس وبوليكاربوس ، ويوستينوس الشهيد وميليتو وأثيناغوراس . كما شهد لها آباء القرن الثانى مراراً . وهى مثبتة كسفر قانونى فى وثيقة موراتورى ، وأعترف بها مرقيون الهرطوقى (١٠٩) .

٥ ـ الرسالة إلى أفسس :

استخدمها إكليمنضس الرومانى (c. 46) ، وأغناطيوس فى رسالته إلى كنيسة أفسس (c. 12) ، وفى رسالته إلى بوليكاربوس (c. 5) ، وكذلك بوليكاربوس فى رسالته إلى أهل فيلبى (c. 12) ، وكـذا إقتبس منها هرماس عـدة إقتباسـات

(107) Berkhof, pp. 165, 166.

(108) Ibid p. 174.

(109) Berkhof, p. 187.

(Mandat 10.1,2) . وأدرجت فى وثيقة موراتورى واعترف بها مرقيون وشهد لقانونيتها إيريناوس وإكليمنضس الاسكندرى وترتليانوس (١١٠) .

٦ ـ الرسالة إلى فيلبى :

هناك إشارات عنها فى رسالة إكليمنضس الرومانى ، ورسائل أغناطيوس ، وأشار إليها صراحة وأكثر من مرة بوليكاربوس فى رسالته إلى كنيسة فيلبى . وهناك إشارات إليها فى الرسالة إلى ديوجنيتس وكتابات يوستينوس الشهيد وثاوفيلس الأنطاكى . وهناك إقتباس منها فى رسالة كنائس فينا وليون . واقتبس منها إيريناوس وإكليمنضس الاسكندرى وترتليانوس وغيرهم . وقد وردت مندرجة فى وثيقة موراتورى ، واعترف بقانونيتها مرقيون فى قانونه (١١١) .

٧ ـ الرسالة إلى كولوسى :

هناك إشارات لها فى كتابات إكليمنضس الرومانى وبرنابا وأغناطيوس واقتبس منها يوستينوس الشهيد عدة مرات فى حواره مع تريفو اليهودى (١١٢) وكذلك ثاوفيلس الأنطاكى (c. 22) ـــ كما شهد لها واقتبس منها بدون أدنى شك إيريناوس واكليمنضس الاسكندرى وترتليانوس ـــ وهى مندرجة فى وثيقة موراتورى . واعترف بقانويتها مرقيون الهرطوقى ضمن قانونه (١١٣) .

٨ ، ٩ الرسالتان إلى تسالونيكى :

هناك إشارات إليهما فيما كتبه إكليمنضس الرومانى (c. 38) ، وكذا فى

---

(110) Salmon, pp. 388, 389; Berkhof, pp. 197, 198.

(111) Berkhof, p. 207.

(112) Dial., 84, 85, 100, 138.

(113) Salmon, p. 282; Berkhof, p. 217.

رسائل أغناطيوس (١١٤) ، وفى رسالة بوليكاربوس إلى أهل فيلبى (١١٥) ، وفى حوار يوستينوس الشهيد مع تريفو(١١٦) والرسالة الثانية أشار إليها تعليم الرسل الاثنى عشر Didaché ، كما تكرر إستخدامها كسفرين قانونيين دون أدنى شك بواسطة إيريناوس وإكليمنضس الاسكندرى وترتليانوس . وهما مندرجان بين الأسفار القانونية فى وثيقة موراتورى ، واعترف بقانونيتهما مرقيون الهرطوقى فى قانونه (١١٧) .

١٠ ـ الرسالة الأولى إلى تيموثاوس :

وردت إشارات إليها فى كتابات إكليمنضس الرومانى وبوليكاربوس وهيجسبوس وأثيناغوراس وثاوفيلس الأنطاكى وهى مندرجة فى وثيقة موراتورى (١١٨) . وأشار إليها بالاسم إيريناوس وإكليمنضس الاسكندرى وترتليانوس .

١١ ـ الرسالة الثانية إلى تيموثاوس :

أشار إليها إكلمينضس الرومانى وأغناطيوس وبوليكاربوس ، ويوستينوس الشهيد ، وثاوفيلس الأنطاكى فى كتابتهم ، كما وردت فى وثيقة موراتورى كسفر قانونى مقدس (١١٩) .

١٢ ـ الرسالة إلى تيطس :

وردت إشارات إليها فى كتابات إكليمنضس الرومانى وأغناطيوس وبرنابا ويوستينوس الشهيد وثاوفيلس الأنطاكى . وهى مدرجة فى وثيقة موراتورى . واقتبس منها بالاسم إيريناوس وإكليمنضس الاسكندرى وترتليانوس (١٢٠) .

---

(114) Eph., 10; Polyc. 1.

(115) Phil. cc. 2, 4, 11.

(116) Dial., 110.

(117) Salmon, p. 368.

(118) Salmon, p. 398; Berkhof, pp. 250, 251.

(119) Salmon, p. 398; Berkhof, p. 255.

(120) Salmon, p. 398; Berkhof, p. 260.

١٣ ـ الرسالة إلى فيلمون :

هناك إجماع عام من الكنيسة الأولى بقانونيتها وصحتها ، ووجدت ضمن أقدم النسخ الخطية للكتاب المقدس . ووجدت مدرجة فى وثيقة موراتورى كسفر قانونى . إقتبس منها ترتليانوس . ولم يقتبس الآباء الآخرون منها لأنها رسالة شخصية وقصيرة (١٢١) .

١٤ ـ الرسالة إلى العبرانيين :

هى الرسالة الوحيدة التى أغفل فيها القديس بولس ذكر اسمه ... وقد فعل ذلك عن عمد ، حتى ما يجد كلامه قبولاً لدى اليهود الذين وجه إليهم الرسالة ، والذين كانوا يناصبونه العداء . هكذا علل اكليمنضس الاسكندرى هذا الإغفال (١٢٢) . وقد شهدت الكنيسة منذ فجر تاريخها بقانونية هذه الرسالة وأنها للقديس بولس . وقد إقتبس منها الآباء الأوائل أكثر من أى سفر آخر من أسفار العهد الجديد ... فالقديس اكليمنضس الرومانى اقتبس كثيراً من هذه الرسالة فى رسالته إلى كنيسة كورنثوس (١٢٣) . وهو لم يقتبس آيات متناثرة بل أجزاء بأكملها (١٢٤) ... كما اقتبس منها بوليكاربوس فى رسالته إلى الفيلبيين (c. 12) ، وفى صلاته الأخيرة قبيل استشهاده (١٢٥) . وكذلك يوستينوس الشهيد (١٢٦) ... ويشهد بقانونيتها وبأن كاتبها هو بولس . أيضاً اكليمنضس الاسكندرى ، وكذلك سلفه بنتينوس (١٢٧) ... واقتبس العلامة أوريجينوس كثيراً من هذه الرسالة على أنها كلام للقديس بولس . ويشير البابا ديونيسيوس الاسكندرى على أن رسالة العبرانيين هى للقديس بولس دون أدنى شك (١٢٨) .

---

(121) Berkhof, p. 264.

(122) Eusebius, H.E., 6. 14. 3.

(123) Eusebius, H.E., 3. 38. 1.

(١٢٤) انظر فصل ٣٦ من الرسالة المذكورة .

(125) Eusebius, H.E., 4. 15.

(126) I Apol., 63.

(127) Strom., 6. 8; Eusebius, H.E., 6. 14.

(128) Salmon, 415. 416.



وهى عبارة عن السبعة رسائل المنسوبة ليعقوب وبطرس و يوحنا و يهوذا ... وتسميتها « رسائل الكاثوليكون » تسمية قديمة ترجع إلى القرن الثانى ، ومعناها الرسائل الجامعة أو العامة تمييزاً لها عن رسائل القديس بولس التى كتبها لكنائس معينة أو لأشخاص بأسمائهم .

١ - رسالة يعقوب :

قبلت الكنيسة هذه الرسالة كسفر قانونى مقدس منذ فجر تاريخها . فهناك توافق كثير بين رسالة اكليمنضس الرومانى وبين هذه الرسالة ، الأمر الذى يدل على أنه اعتمد عليها . ونفس التوافق نجده بكثرة فى كتاب الراعى لهرماس . ولا يمكن أن يكون ذلك بمحض الصدفة . واقتبس إيريناوس نصوصاً كثيرة من هذه الرسالة . كما شهد بقانويتها إكليمنضس الاسكندرى ، بل قيل إنه وضع تفسيراً لهذا السفر (١٢٩) .

٢ ، ٣ - رسالتا بطرس :

قبلت الكنيسة بالإجماع الرسالة الأولى . وهناك توافق كثير بين ما جاء برسالة إكليمنضس الرومانى إلى كنيسة كورنثوس وما كتبه هرماس فى كتابه الراعى وبين هذه الرسالة . وقد إقتبس بوليكاربوس كثيراً منها فى رسالته إلى أهل فيلبى ، كما إقتبس منها بابياس (١٣٠) ... واشير إليها فى رسالة كنائس فينا وليون واقتبس منها

(129) Salmon, pp. 448 - 452.

(130) Ibid, p. 83.

إيريناوس واكليمنضس الاسكندرى وترتليانوس فى كتاباتهم (١٣١) .

أما الرسالة الثانية فقد إقتبس منها كاتب رسالة برنابا ، و يوستينوس الشهيد فى حوراه مع تريفو، وكذا إيريناوس ... وقد شهد لقانونيتها كليمنضس الاسكندرى ، بل وضع تفسيراً لها . وممَنْ إقتبس منها أيضاً العلامة أوريجينوس . ووضع ديديموس الضرير تفسيراً لرسائل الكاثوليكون ، ومن بينها هذه الرسالة (١٣٢) ... وفضلاً عن هذه الشهادات الخارجية ، فهناك أدلة داخلية تثبت صحتها وأن كاتبها هو القديس بطرس كاتب الرسالة الأولى (١٣٣) .

٤ ، ٥ ، ٦ - رسائل يوحنا الثلاث :

هناك إجماع بقانونية الرسالة الأولى ... إقتبس منها بوليكاربوس تلميذ يوحنا فى رسالته إلى أهل فيلبى (c. 7) وكذلك بابياس أحد الذين استمعوا إلى يوحنا ، واقتبس منها أيضاً إيريناوس واكليمنضس الاسكندرى وترتليانوس . وهى مثبتة فى وثيقة موراتورى عقب إنجيل يوحنا مباشرة . و يشهد لقانونيتها العلامة أوريجنيوس (١٣٤) ، أما الرسالتان الثانية والثالثة ، فقد قبلتهما الكنيسة الأولى كسفرين قانونيين وأن كاتبهما هو القديس يوحنا الرسول . ونظراً لقصرهما ، لم يقتبس منهما كثيرون من الآباء الأوائل . ومع ذلك فقد إقتبس إيريناوس من الرسالة الثانية . وشهد لقانونية الاثنين آباء وعلماء كنيسة الاسكندرية ومنهم إكليمنضس وأوريجينوس والبابا ديونيسيوس . كما إقتبس القديس مار إفرام السريانى من الرسالتين (١٣٥) .

---

(131) Salmon, pp. 434, 435.

(132) Ibid, pp. 484 - 487.

(١٣٣) هذه الرسالة تحمل اسم بطرس كاتبها ، و يذكر فيها أنه شاهد عيان لحادث التجلى ، وأن الرب يسوع أعلن له قرب إنتقاله (٢بط١ : ١٤-١٨) وأخوته لبولس (٢بط٣ : ١٥) ، وأنه هو كاتب الرسالة الأولى (٢بط٣ : ١) .

(134) Salmon, p. 193.

(135) Berkhof, p. 331.

٧ - رسالة يهوذا :

على الرغم من قصر هذه الرسالة فقد إقتبس منها اكليمنضس الاسكندرى فى أكثر من موضع من كتاباته ، وكذلك ترتليانوس ، وأويجينوس ... وهى مثبتة فى وثيقة موراتورى ... فضلاً عن ذلك فهناك إشارات إليها فى رسالة بطرس الثانية وكتابات بوليكاربوس واثيناغوراس وثاوفيلس الأنطاكى (١٣٦) .

خامساً - رؤيا يوحنا

قبلت الكنيسة هذا السفر ضمن أسفار العهد الجديد القانونية منذ عصرها الأول . شهد له يوستينوس الشهيد وبابياس . وهناك توافق بينه وبين ما أورده هرماس فى كتابه الراعى ... كما شهد له ديوناسيوس الكورنثى ، وإقتبس منه ثاوفيلس الأنطاكى وإكليمنضس الاسكندرى وإيريناوس وترتليانوس وأوريجينوس ... كما ورد مثبتاً فى وثيقة موراتورى (١٣٧) .



(136) Berkhof, p. 338.

(137) Salmon, pp. 204, 205; Berkhof, p. 352.



وطالما نحن قد عرضنا لأسفار العهد الجديد المقدسة القانونية ، نرى إتماماً للفائدة أن نشير إلى الأسفار الأ بوكريفا أى المزورة .

نستنتج مما جاء فى (لوقا ١ : ١ - ٤) ، أنه كان هناك عدد من القصص تروى حياة الرب يسوع وتعاليمه ومعجزاته منتشرة بين المسيحيين فى القرن الأ ول ... والواقع أن هذه الإشارة ليست قاصرة على الأسفار المقدسة التى قبلتها الكنيسة كأسفار موحى بها ، بل على أسفار أخرى غير موحى بها ، ونسبها كاتبوها لبعض رسل المسيح ، بقصد رواجها وتداولها بين أيدى المؤمنين ... وقد رفضت الكنيسة هذه الأسفار ودعتها « أبوكريفا » أى مزورة ، تمييزاً لها عن الأسفار القانونية التى كُتبت بوحى الروح القدس (٢تى٣ : ١٦ ؛ ٢بط١ : ٢٠ ، ٢١) ... وثمة نوع آخر كتبته بعض الشيع الهرطقية لخدمة آرائها المنحرفة ومبادئها الهدامة ، وهذه تنسب إلى كاتبيها ... والأسفار الأ بوكريفا كثيرة ، نأتى فيما بعد على أشهرها .

١ - الأناجيـــــل (١٣٨) :

(أ) إنجيل يعقوب : ويعرف باسم Protevangelium أى أول الأناجيل وهو من إنتاج القرن الثانى . ويروى الحوادث السابقة لميلاد المسيح ، خاصة قصة ميلاد العذراء مريم وحياتها المبكرة فى الهيكل ، وتركها له فى سن الثانية عشر ، وخطوبتها ليوسف ، وقصة البشارة ، وزيارة مريم لاليصابات ، وأحداث الميلاد . ويختم الكتاب بقصة إستشهاد زكريا وموت هيرودس . وقد إعتمد عليه ابيفانيوس

(138) Salmon, pp. 175-190; Hastings, Dictionary of the Bible, pp. 308-311.

فى القرن الرابع فى رده على الهراطقة . كما يشير إليه جيروم أيضاً . ففى كلامه عن الرأى الخاطىء القائل بأن المذكورين باسم « إخوة الرب » هم أولاد يوسف خطيب مريم العذراء من زوجة سابقة ، أشار إلى أن هذا الرأى مستقى من إنجيل يعقوب وإنجيل بطرس المزورين .

(ب) إنجيل بطرس : لم يصلنا منه شىء ، لأنه لم ينتشر إنتشاراً واسعاً . و يرجع إلى منتصف القرن الثانى . أشار إليه يوسابيوس (١٣٩) فى تاريخه كسفر رفضه سرابيون أسقف أنطاكية فى أواخر القرن الثانى بعد أن إكتشف ما فيه من آراء هرطقية . وهو يساير بدعة المشبهين Docetic heresy وأشار إليه أوريجينوس فى تفسيره لإنجيل متى ، ويحصيه يوسابيوس ضمن كتب الهراطقة . وهكذا فعل جيروم .

(جـ) إنجيل العبرانيين : لا يعرف كاتبه . ترجع كتابته إلى وقت مبكر . إنتشر تداوله فى الشرق فقط فى النصف الأخير من القرن الثانى . أشار إليه إكليمنضس الاسكندرى وأوريجينوس و يوسابيوس (١٤٠) . وحصل جيروم على نسخة منه باللغة الآرامية . كان منتشراً بين شيعتى الناصريين والأبيونيين . ومادة هذا الكتاب تشبه فى مجموعها ما ورد فى الأناجيل القانونية ، باستثناء بعض الأقوال المنسوبة للرب يسوع لم ترد فى الأناجيل المعترف بها .

(د) إنجيل توما : إنتشر نحو منتصف القرن الثانى بين جماعات الغنوسيين ، لا سيما إحدى شيعهم التى تسمى Naassenes والتى لا يعرف عنها شىء . كما كان له منزلة عظيمة لدى أتباع مانى المبتدع . و يتناول هذا الكتاب قصة طفولة المسيح وقوته ومعرفته ومعجزاته خلال سنى حياته المبكرة ، وقصة ذهابه إلى المدرسة ، وكيف كان يخلق عصافير من الطين !! وكان هذا الكتاب معروفاً لدى إيريناوس وهيبوليتس وأوريجينوس و يوسابيوس .

(هـ) إنجيل المصريين : وهو من أناجيل الغنوسيين وانتاجهم . يذكر

(139) H.E., 3. 25; 6. 12.

(140) H.E., 3. 25.

أجزاء بقايا إنجيل بطرس الأبوكريفا عثر عليها في أخميم

هيبوليتس أنه كان منتشراً بين إحدى شيعهم التى تسمى Naassenes . يحتمل أنه كان منتشراً بين المسيحيين المصريين الذين من أصل وثنى . أشار إليه كل من إكليمنضس الاسكندرى وأوريجينوس على أساس أن له قيمة تاريخية فقط . والآراء الغنوسية النسكية واضحة فيه .

(و) إنجيل نيقوديموس : ويضم جزئين مختلفى التأليف والتاريخ . الجزء الأول وهو ما عُرف باسم [أعمال بيلاطس] ويتكلم عن محاكمة الرب يسوع والتقرير الرسمى الذى قيل إن بيلاطس أرسله إلى الإمبراطور تيبريوس عن يسوع . وهذا الجزء قديم ويرجع إلى القرن الثانى . أما جزء الكتاب الآخر فيتضمن قصة نزول المسيح إلى الجحيم وقيامته وصعوده . وهو من النوع الوعظى الشبيه بميامر سير الشهداء . ويرجع هذا الجزء إلى زمان متقدم أيضاً .

(ز) إنجيل فيلبس : وقد إنتشر بين الغنوسيين فى مصر إبتداء من القرن الثالث .

(ح) إنجيل الرسل الاثنى عشر : وما نعرفه عنه هو بعض مقتطفات منه وصلتنا فى كتابات أبيفانيوس . وقد يرجع تاريخه إلى أوائل القرن الثالث .

(ط) وإلى جانب هذه الأناجيل المنسوبة إلى بعض رسل المسيح ، وجدت أناجيل أخرى كتبها بعض الهراطقة وتحمل أسماءهم ، وأهمها :

- **إنجيل باسيليدس** الغنوسى من القرن الثانى ، وأشار إليه أوريجينوس وامبروسيوس وجيروم .
- **إنجيل إندراوس** وهو أيضاً ذو ميول غنوسية ، وأشار إليه أوغسطينوس .
- **إنجيل كيرينثوس** الهرطوقى الذى عاصر يوحنا الرسول .
- **إنجيل فالنتينوس** الغنوسى الشهير ، وأشار إليه ترتليانوس فى أواخر القرن الثانى .

• **إنجيل مرقيون** المرطقوى ، وقد فقد . وغالباً ما اعتمد مرقيون فى مادة إنجيله على إنجيل لوقا بعد أن حذف منه الجزء الخاص بطفولة الرب يسوع ، وبعض أمور أخرى تتمشى مع المفاهيم المسيحية المتهودة ، التى كان يعارضها بشدة .

٢ ـ أعمال الرسل (١٤١) :

بحسب معتقد واضعيها ، يوجد منها الأبيونية والغنوسية والأرثوذكسية [لكنها غير قانونية] ، وما هو منقح عن الأصل الابيونى أو الغنوسى ... أما عن تواريخ تصنيفها ، فالغنوسى منها يرجع إلى النصف الثانى من القرن الثالث ، بينما الأنواع الباقية فترجع إلى القرن الثانى . ومن أمثلتها : **سفر أعمال بطرس ، وسفر أعمال بولس ،** ويرجعان إلى أواخر القرن الثانى ، وينسبان إلى لينوس Linus أسقف روما وتلميذ الرسل ثم هناك **سفر أعمال يوحنا وسفر أعمال إندراوس ، وسفر أعمال متى واستشهاده ، وسفر أعمال توما ، وسفر أعمال فيلبس ، وسفر أعمال برثولماوس ، وسفر أعمال بولس وتكلا ، وسفر أعمال برنابا .**



---

(141) Salmon, pp. 325-355; Dictionary of christian Biography, Vol. I, pp. 17-32.

(١٤٢)



وهذه كتابات كتبها تلاميذ الرسل وهم المعروفون باسم [الآباء الرسوليين] ، وكانت لها مكانتها وشهرتها الكبيرة فى الكنيسة الأولى . بعض هذه الكتابات ينسب للرسل أو يحمل اسم أحدهم ، لكن الرسل ليسوا هم كاتبوها . ومع ذلك تظل هذه الكتابات لها أهميتها من نواحى متعددة خاصة الناحية التاريخية نظراً لقدمها . وأهم هذه الكتابات :

١ - تعليم الرسل الاثنى عشر : ويعرف فى الأوساط العلمية باسم Didaché وهى كلمة يونانية تعنى (التعليم) . واسم الكتاب بالكامل [تعليم الرب للأمم بواسطة الرسل الاثنى عشر] . وإن كان من المقطوع به أن الرسل لم يكتبوه ، لكنه من ناحية أخرى هو تجميع لتعليمهم . ونحن نجهل كاتب الكتاب ومكان وزمان كتابته . لكن العلماء يرجحون أنه يهودى متنصر من فلسطين أو سوريا . ومن جهة تاريخ كتابته يرون أنه يرجع إلى أواخر القرن الأول بناء على دراسة محتوياته (١٤٣) ... والكتاب صغير ويتميز بالبساطة ويقع فى ستة عشر فصلاً (١٤٤) . ويتضمن :

(أ) ملخصاً للتعاليم الأدبية مؤسسة على الوصايا العشر ، ومحبة الله والإنسان مصورة بصورة رمزية فى طريقين أحدهما للحياة والآخر للموت .

(ب) إرشادات بخصوص ممارسة المعمودية والإفخارستيا والأغابى .

---

(142) Schaff, Vol. 2, pp. 631-691; Salmon, pp. 509-566.

(١٤٣) عثر على هذا الكتاب الهام العالم برينيوس Bryennios سنة ١٨٨٣ ، لكن توجد عنه إشارات كثيرة فى كتابات القرون الأولى ، وقد عرفه آباء الكنيسة الأوائل .

(١٤٤) مادته مندمجة ضمن الكتاب السابع لقوانين الرسل Constitions of the Holy Apostles.

(جـ) إرشادات بخصوص الخدام المختلفين (الأنبياء والمعلمين والأساقفة والشمامسة) وأسفارهم وإقاماتهم .

(د) حث على السهر إستعداداً لمجىء الرب وقيامة القديسين .

٢ - رسالة اكليمنضس الرومانى : هى بإجماع عام من كتابة القديس إكليمنضس اسقف رومية (٩٢ــ ١٠١) وتلميذ الرسل وإن كانت لا تحمل اسمه ، وهى أقدم مخلفات الآباء الرسوليين وأثبتها صلة بعصرهم . وقد كتبها إكليمنضس تدفعه إلى ذلك المحبة ، إزاء الإنقسام الذى كان حادثاً فى كنيسة كورنثوس ، وليس فى ذلك ما يدل على سلطة عليا لأسقف روما على كنيسة كورنثوس . فالرسالة لا تحمل اسم إكليمنضس على الإطلاق ، لكنها رسالة محبة روحية مرسلة من كنيسة الله فى رومية إلى كنيسة الله فى كورنثوس ... وقد حازت هذه الرسالة شهرة كبيرة جداً فى الكنيسة الأولى ، وكانت توضع ــ من حيث أهميتها ــ تالية لأسفار العهد الجديد وتعاليم الرسل ... وهناك كتابات أخرى منسوبة إلى إكليمنضس الرومانى لكن جميعها مزورة ، ولم يصلنا من كتاباته الأصلية سوى هذه الرسالة ــ كتبها إكليمنضس باليونانية . وقد أشار إليها آباء الكنيسة الأوائل ووجدت ضمن ــ النسخة الاسكندرانية ــ للكتاب المقدس المحفوظة الآن بالمتحف البريطانى .

٣ - رسائل أغناطيوس الأنطاكى : وهى سبع رسائل كتبها القديس أغناطيوس الشهيد ــ تلميذ الرسل وأسقف أنطاكية ــ سنة ١٠٧ وهو فى طريقه إلى روما ليلقى للوحوش . وهى إلى كنائس رومية وأفسس ومغنيسيا وترالس Tralles وفيلادلفيا وسميرنا (أزمير) ثم لصديقه بوليكاربوس أسقف أزمير وقد ضمن أغناطيوس رسائله أفكاره ودحض آراء الهراطقة ... وقد أشار إلى هذه الرسائل كل من إيريناوس وأوريجينوس . بل إن بوليكاربوس نفسه قد أشار فى رسالته لأهل فيلبى (١٤٥) إلى هذه الرسائل . كما أيد ذلك يوسابيوس المؤرخ (١٤٦) . وقد نالت هذه الكتابات تقديراً كبيراً بين المؤمنين فى الكنيسة الأولى .

---

(145) Phil., 13. 2.

(146) H.E., 3. 36.

٤ ـ **رسالة بوليكاربوس إلى أهل فيلبى :** كان القديس بوليكاربوس الشهيد أسقف سميرنا (أزمير) تلميذاً ليوحنا الرسول . وكان أقوى شخصية فى زمانه فى إقليم آسيا الصغرى . كتب عدة رسائل إلى بعض كنائس آسيا الصغرى ومؤمنيها لكنها فقدت ولم يصلنا سوى رسالته إلى الفيلبيين . وقد فند فيها آراء هراطقة عصره ، خاصة الغنوسيين منكرى التجسد وقد استخدم نفس عبارة القديس يوحنا الواردة فى (١يو٤ : ٣) .

٥ ـ **رسالة برنابا :** هى رسالة جامعة (عامة) لا يذكر كاتبها اسمه فيها ولا إلى مَنْ كُتبت ولا المكان أو الزمان ... والرسالة فى مجموعها عقيدية (ف١ ـ ١٧) ، مع الحث على السير فى طريق النور وتجنب طريق الظلمة (ف١٨ ـ ٢١) . وهى تكاد تعالج نفس موضوع الرسالة إلى العبرانيين ، وإن كانت أقل منها عمقاً وأصالة . تثبت الرسالة خطأ فكرة التهود والإلتزام بالناموس اليهودى القديم . و يعلن الكاتب الفصل الكامل بين المسيحية واليهودية ومن هنا فالرسالة لها قيمة تاريخية وعقيدية كبيرة ... وشدد كاتب الرسالة على وجوب تقديس يوم الأحد و يدعوه [اليوم الثامن] .. كان لهذه الرسالة منزلة قو ية فى الكنيسة الأولى ، حتى أنها وجدت ضمن النسخة السينائية للكتاب المقدس ، وتليها فى وضعها لسفر الرؤيا ، كما لو كانت جزءاً من أسفار العهد الجديد . و يبدو أنها كانت تقرأ فى الكنيسة ككتاب كنسى ثانوى ، كما كان الحال بالنسبة لرسالتى اكليمنضس الرومانى و بوليكاربوس وكتاب الراعى لهرماس ... أشار إليها إكليمنضس الاسكندرى وأوريجينوس على أنها من كتابة برنابا رفيق القديس بولس الرسول فى الخدمة و يبدو أن أوريجينوس اعتبرها ضمن الأسفار المقدسة ... و ينسبها جيوم و يوسابيوس أيضاً إلى برنابا ، لكنهما لا يعتبرانها من أسفار العهد الجديد ... أم عن تاريخ كتابتها ، فهناك إجماع من العلماء على أنها كتبت قبل نهاية القرن الأول على أن بعض العلماء الذين يعترفون بقدم هذه الرسالة يشكون فى صحة نسبتها لبرنابا رفيق بولس بناء على الدراسة الداخلية للرسالة ، و يرجحون أن كاتبها يهودى متنصر من الإسكندرية ، وربما كان يحمل اسم برنابا .

٦ ـ **كتاب الراعي هرماس** : وهو من الكتب الدينية التى راجت رواجاً كبيراً فى صدر المسيحية وقرونها الأولى ، ووضعته الكنيسة فى مصاف سفرى الحكمة وابن سيراخ . وثابت من الكتاب أن الكاتب اسمه « هرماس » ، وأنه استقى مادة الكتاب من ملاك التوبة الذى تراءى له فى زى راعى ــ ومن هنا جاءت تسمية الكتاب ... وكتاب الراعى هو أقدم كتاب كنسى يتضمن إستعارات ورؤى ، وإن كان لا يمكن الجزم عما إذا كانت هذه الرؤى حقيقية ، أم من خيال الكاتب ... ومهما يكن من أمر ، فالكتاب يقدم المبادىء الروحية فى ثوب قصصى مجازى إستعارى بقصد دعوة الناس للتوبة ، لأن يوم الدينونة قريب ... ويضم كتاب الراعى ثلاثة كتب :

(أ) **الرؤى** ، وهو عبارة عن أربع رؤى .
(ب) **الوصايا** Mandats ويشمل إثنــا عشرة وصية قدمها الملاك .
(جـ) **الأمثال** Similitudes وعددها عشرة .

أما عن هرماس واضع هذا الكتاب ، فقد راج رأى فى الكنيسة الأولى أنه هو عينه صديق القديس بولس الرسول الذى أرسل له تحياته فى الرسالة إلى رومية (رو١٦ : ١٤) . هذا هو رأى إيريناوس وإكليمنضس الاسكندرى وأوريجينوس وجيروم ويوسابيوس المؤرخ ... وهناك رأى آخر، أن هرماس كان معاصراً للقديس إكليمنضس أسقف رومية (٩٢ ــ ١٠١) ومهما يكن من أمر ، فالكاتب من الرجال الرسوليين .

المدارس اللاهوتية

كانت رسالة رسل المسيح الأولى هى الكرازة والتعليم ... وإهتمام الكنيسة الأولى الكبير بالتعليم، نراه واضحاً فى نشاط الرسل ورسائلهم المليئة بالحض على التزود بالعلم الإيجابى، والتحذير من البدع وأربابها. **وإن كانت مصادرنا الأولى لا تمدنا بمادة تذكر عن التعليم وطرقه، والمدارس التى أقيمت لخدمة هذا الغرض، لكننا نعتقد أن هذا الأمر كان طبيعياً ... فالمسيحية التى إنبثقت من اليهودية وأخذت عنها الكثير من أنظمتها، أخذت عنها أيضاً فكرة المدارس التى كانت ملحقة بالمجامع اليهودية، وكان أبناء اليهود والدخلاء يتلقون فيها العلم الدينى ...**

ويذكر **المؤرخ موسهيم** فى تاريخه عن القرن الأول، أن الرسل أقاموا مدارس عليا فى المدن الكبيرة لتأهيل الخدام الذين كرسوا أنفسهم لخدمة التعليم المقدسة. ويضرب مثلاً على ذلك، القديس يوحنا فى أفسس (١٤٧). ولا يبعد أن يكون فى قول مار بولس لتيموثاوس: «وما سمعته منى بشهود كثيرين اودعه أناساً أمناء يكونون أكفاء أن يعلموا آخرين أيضاً» (٢تى٢: ٢)، ما يشير إلى أمثال هذه المدارس ...

ولدينا إشارة عن ذلك أوردها القديس لوقا فى سفر الأعمال. فقد ذكر أن القديس بولس فى مدينة أفسس كان يعلم يومياً فى مدرسة إنسان اسمه تيرانس، واستمر على ذلك مدة سنتين ... ليس ما يمنع أن يكون القديس بولس قد جعل من هذه المدرسة مركزاً للتعليم إلى جانب التبشير والوعظ ... ونفهم مما ذكره القديس لوقا، أن تعليم معلمنا بولس فى هذه المدرسة لم يكن قاصراً على مدينة أفسس وحدها،

---

(١٤٧) ك ١ قسم ٢ ف ٣ ص ٣٨.

بل لقد « سمع كلمة الرب يسوع جميع الساكنين فى آسيا من يهود و يونانيين » (أع ١٩ : ٩ ، ١٠) .

وإن كنا لا نعرف شيئاً على وجه التحديد عن المدارس التى أقامها الرسل فى المدن الكبرى ، **لكن الشىء الثابت بإجماع عام أن القديس مار مرقس الذى كرز بالإيمان فى القطر المصرى أنشأ مدرسة لاهوتية مسيحية فى الاسكندرية** عهد بإدارتها العلامة يسطس الذى ظل مديراً لها فى عهد الأساقفة الأربعة الذين خلفوه. **وقد قدر أن تصبح لهذه المدرسة شهرة عالمية ، بل غدت المدرسة اللاهوتية المسيحية الأولى ، فى العالم كله دون منازع لعدة قرون ، وأسهمت بنصيب كبير فى دعم الإيمان المسيحى والذود عنه ضد هجمات الوثنيين والهراطقة على السواء.** وكان التعليم فى هذه المدرسة بالطريقة التقليدية آنذاك — طريقة السؤال والجواب Catechism ... وإن كانت تعوزنا المصادر عن جهود هذه المدرسة أواخر القرن الأول ، لكن شهرتها التى طبقت الآفاق إبتداء من القرن الثانى ، وعلماءها الأفذاذ يشهد بدورها الإيجابى فى تلك الفترة المبكرة فى دعم الإيمان المسيحى ونشره .



الباب السابع





موضوع حياة الرسل وكرازتهم وأعمالهم ، أمر يكتنفه كثير من الغموض ... وما أكثر القصص التى كُتِبَ عنهم وعن جهودهم الكرازية وأعمالهم المعجزية ... فى بعض هذه القصص نلمس بوضوح شطحات بعض الكتّاب والنساخ فى الخيال ، الأمر الذى يصطدم بالحقيقة والواقع ... ومن هنا كانت مهمة المؤرخ شاقة ، إذ عليه أن يستخلص الحقائق خالصة بعد تنقيتها مما علق بها من الشوائب الدخيلة التى إستحدثتها يد الزمان وبعض المعجبين برواد المسيحية الأوائل ... وفيما نعرض له الآن ، نقدم فى إيجاز ودقة ما نطمئن إلى صحته وأصالته بعد الدراسات المقارنة . ولكن إن وجدت المادة فى النهاية ضئيلة ، فمرجع ذلك إلى ندرة المصادر الأمينة التى نطمئن إليها ، التى حفظت لنا . تراجم رسل المسيح .

وثمة أمر آخر ينبغى أن نشير إليه ، وهو ضآلة تاريخ الرسل جميعاً ، إذا ما قورن بتاريخ بولس الرسول ... لكن ليس معنى ذلك أن الرسل لم يتعبوا ولم يجاهدوا .. حقيقة أنه تعب أكثر منهم جميعاً (١) ، لكن جميعهم تعبوا ، وجميعهم ـــ باستثناء يوحنا ـــ قضوا شهداء ، وقدموا حياتهم ثمناً لحبهم لمسيحهم ، وبرهاناً على إيمانهم برسالتهم ... أما السبب فى ذلك فيرجع إلى ضآلة ما حفظه لنا التاريخ عنهم ، على عكس بولس الذى لدينا سجل ـــ يكاد يكون وافياً عنه ـــ فيما كتبه عنه رفيقه فى الأسفار القديس لوقا فى سفر الأعمال ، وما كتبه هو نفسه فى رسائل لكنائس وأشخاص ...

---

(١) انظر : ١ كو ١٥ : ١٠ ؛ ٢ كو ١١ : ٢٣ - ٢٨ .

القديس بطرس

هو سمعان بن يونا ، ولد فى قرية بيت صيدا الواقعة على بحر طبرية ، قبل ميلاد السيد المسيح بعدة سنوات ، قد تصل إلى العشرة أو تزيد قليلاً ، وكان يشتغل بصيد السمك شأنه فى ذلك شأن الكثيرين من سكان قريته ... يحتمل أنه كان ــ مع أخيه إندراوس ــ تلميذاً ليوحنا المعمدان (٢) ... كان لقاؤه الأول بالرب يسوع ، بعد أن أخبره إندراوس أخوه ــ بناء على توجيه يوحنا ــ « قد وجدنا المسيا » ، واصطحبه إلى حيث المسيح ... وفى ذلك اللقاء قال له الرب : « أنت سمعان بن يونا ، أنت تدعى صفا » (يو١ : ٣٥- ٤٢) ... أما دعوته للتلمذة فكانت عقب معجزة صيد السمك الكثير، حينما طمأنه الرب بقوله : « لا تخف . مَنْ الآن تكون تصطاد الناس » . وحالما وصل بالسفينة إلى البر ترك كل شىء وتبعه ، هو وأخوه وابنا زبدى (لو٥ : ١-١١) ... وما لبث أن شرفه الرب بدرجة الرسولية ودعاه « بطرس » .

كان بطرس أحد التلميذين اللذين ذهبا ليعدا الفصح الأخير ، وأحد الثلاثة الذين عاينوا إقامة ابنة يايروس بعد موتها ، وتجلى المسيح على جبل طابور، وصلاته فى جثسيمانى ، وأحد الأربعة الذين سمعوا نبوته عن خراب أورشليم والهيكل .

كان بطرس ذا حب جم لسيده وغيرة ملتهبة ، لكنه كان متسرعاً ومندفعاً تحدوه إلى ذلك دوافع جسدية ... فهو الأول الذى اعترف بلاهوت المسيح ، والأول الذى بشر بالمسيح فى اليوم الخمسين . لكنه فى إندفاعه حاول أن يمنع المسيح أن يموت (مر٨ : ٣١- ٣٣) . ولما قال له المسيح أنه سينكره ثلاثة مرات قبل أن يصيح الديك مرتين ، أجاب فى تحدٍ « ولو اضطررت أن أموت معك لا أنكرك » ... وفى لحظة القبض على المسيح استل سيفه ليدافع عن ذاك الذى مملكته ليست من هذا العالم !!

---

(2) Dictionary of the Bible, Vol. 2, p. 798; De Pressensé, Vol. I. p. 33.

كان بطرس والحال هذه بحاجة إلى تجربة مرة تهزه وتعرّفه ضعفه ... فكان أن أنكر سيده ومعلمه بتجديف ولعن وقسم أمام جارية !! لكنه سرعان ما رجع إلى **نفسه** وثاب إلى رشده وندم ندماً شديداً وبكى بكاءاً مراً ، **وقصد قبر معلمه باكراً** جداً **فجر** يوم قيامته ... **وقد قبل** الرب توبته ، **وأظهر** له ذاته على بحر طبرية بعد قيامته ، وعاتبه فى رفق مخاطباً إياه باسمه القديم قائلاً له « يا سمعان بن يونا أتحبنى » ... وقد وجه إليه هذه الكلمات ثلاث مرات مقابل إنكاره المثلث ، ورده إلى رتبته الرسولية ثانية بقوله « إرع غنمى » ...

وعقب تأسيس **الكنيسة يوم الخمسين بدأ خدمته بين اليهود من بنى جنسه فى اليهودية والجليل والسامرة** ... وكان الرب يتمجد على يديه ببعض الآيات كشفاء المقد عند باب الهيكل الجميل (أع ٣) ، وشفاء إينياس فى مدينة اللد **وإقامة** طابيثا بعد موتها فى يافا (أع ٩) ...

وقد فتح الرب باب الإيمان للأمم على يديه فى شخص كيرنيليوس قائد المائة عقب رؤيا أعلنت له بخصوصه (أع ١٠) ... فلما خاصمه يهود أورشليم المتنصرين من أجل قبول الأمم ، شرح لهم الأمر وقال : « بالحق أنا أجد أن الله لا يقبل الوجوه ، بل فى كل أمة الذى يتقيه ويصنع البر مقبول عنده » (أع ١٠ : ٣٤ ، ٣٥) . **ومع ذلك فقد ظل ميدان العمل الأساسى لهذا الرسول هو تبشير اليهود (غل ٢ : ٧ - ٩) .**

ليس مَنْ ينكر الدور الرئيسى الذى قام به بطرس فى الطور الأول لتأسيس الكنيسة ، فالرسول بولس يذكره مع الرسولين يعقوب ويوحنا على أنهم معتبرون أعمدة فى كنيسة الله ... جال كارزاً بإنجيل الخلاص فى جهات متفرقة من العالم القديم ... كرز فى أنطاكية — لكنه ليس مؤسس كنيستها — وطاف بلاد بنطس وغلاطية وكبادوكية وبيثينية ، وبعض مقاطعات آسيا الصغرى ، وهى الأقاليم التى وجه إليها رسالته الأولى ... **أما الروايات التى تنسب لبطرس الكرازة فى بلاد اليونان ومصر وروما وكل جزء هام فى العالم ، فليست إلا من صنع المسيحيين المتهودين ليجعلوا من بطرس رسول الختان ، كارزاً للعالم**

أجمع ، ومبشراً كل الخليقة !

ويكاد يكون ثابتاً أن القديس بطرس ختم حياته فى روما ، حين حكم عليه بالموت صلباً فى عهد نيرون الطاغية ، وإن كنا لا نستطيع أن نحدد على وجه الدقة تاريخ إستشهاده لكنه على أية الحالات بعد يوليو سنة ٦٤ ...

على أن ذهاب القديس بطرس إلى روما لم يكن إلاَّ قبيل إستشهاده مباشرة . وهذا يؤكده أقوال آباء الكنيسة ومعلميها الأوائل ، وجداول الازمنة ، والأسفار التى قطعها فى رحلاته التبشيرية ... ولا صحة مطلقاً لما يدعيه الكاثوليك من أنه أسس كنيسة روما وأنه أسقفها الأول ، وأنه أمضى بها خمساً وعشرين سنة !! وقد يكون ذهابه إليها بقصد الاستشهاد بعد أن قبض عليه فى مكان ما فى حدود الامبراطورية ، وسيق إلى روما ليلقى حتفه على نحو ما سيق إليها القديس أغناطيوس الأنطاكى سنة ١٠٧ ليلقى للوحوش . فقد كانت هذه هى عادة الحكام الرومان أن يرسلوا إلى روما بعض البارزين لعرضهم على الشعب هناك ، كنوع من التحقير. إن كل الأدلة تجمع على أنه لم يذهب إلى روما إلاَّ أواخر حياته . وقد يكون ذهابه إليها بقصد اللحاق بسيمون الساحر الذى كان قد إلتقى به فى السامرة والتصدى له على نحو ما تروى بعض الروايات خاصة كتب الأبوكريفا .

تعليق على اسم بطرس :

وقبل أن ننتقل من سيرة هذا الرسول إلى غيره من الرسل ، نسجل تعليقاً بسيطاً على اسم بطرس ، الذى جعل الكاثوليك منه مؤيداً لنظريتهم فى رئاسة بطرس على سائر التلاميذ والرسل ، وبالتالى رئاسة خليفته فى نظرهم (بابا روما) على العالم المسيحى ، دون أن نناقش هذه النظرية ...

فيما كان السيد المسيح يسأل تلاميذه عن عقيدة الناس فيه ، إعترف بطرس بلاهوته « أنت هو المسيح ابن الله الحى » ، فطوبه السيد ، وقال له « أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبنى كنستى » (مت١٦ : ١٣- ١٨) ... لكن الكاثوكليك

يترجمون هذه الآية هكذا « أنت الصفاة . وعلى هذه الصفاة سأبنى كنيستى » ... وهم يقصدون بذلك أن المسيح بنى الكنيسة على بطرس كأساس لها ... هل هذا الخلط حدث من تجاور كلمتى « بطرس » و « صخرة » ؟!! **إن بطرس هو اللفظ اليونانى ، يقابله فى الآرامية « كيفا » وفى العربية « صفا » ... فهذه الأسماء الثلاثة واحدة ولكن بلغات مختلفة** ... وبطرس باليونانية لا يعنى « صخرة » ، فصخرة اسم مؤنث وهو « بترا » ، أما بطرس فاسم مذكر معناه حجر مقطوع من صخرة ... وهذه التفرقة بين بطرس واضحة فى كل اللغات القديمة اليونانية واللاتينية والسريانية والقبطية (٣) ..

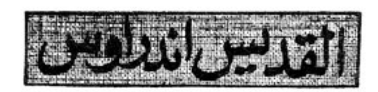
هذا ، والمسيح لم يؤسس كنيسته على بطرس (٤) ... **ولكنه أسسها على هذا الإيمان « المسيح ابن الله الحى »** . وكل مَنْ يريد أن يصير مسيحياً يجب أن يعترف أولاً ويبنى إيمانه على الصخرة التى هى « أؤمن أن يسوع المسيح هو ابن الله الحى » ... أما وضع بطرس فى الكنيسة فهو كحجارة فى أساسها ، شأنه فى ذلك شأن باقى الرسل ... هكذا صرح يوحنا فى رؤياه « وسور المدينة كان له اثنا عشر أساساً ، وعلى أسماء رسل الخروف الاثنى عشر » (رؤ٢١ : ١٤) ... ويقول القديس بولس « مبنيين على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية » (أف ٢ : ٢٠) ... يجب ألاَّ ننسى دائماً أن المسيح هو حجر الزاوية ، وهو نفسه الصخرة (١ كو١٠ : ٤) وهو أساس الكنيسة ... هكذا يقول معلمنا بولس : « فإنه لا يستطيع أحد أن يضع أساساً آخر غير الذى وضع ، الذى هو يسوع المسيح » (١ كو٣ : ١١) ... هذا هو إيما كل آباء الكنيسة ، وكمثال نذكر القديس أوغسطينوس فى العظة العاشرة على تفسير رسالة يوحنا الأولى (٥) .

---

(٣) انظر الترجمات اليونانية واللاتينية والقبطية للعهد الجديد ــ وبخصوص الترجمة السريانية ، انظر : تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية جـ ١ ص ٥٣ لمار سويريوس يعقوب توما ــ وانظر أيضاً :
Young's; Analytical Concordance to the Bible; Liddell and Scott's Greek — English Lexicon.

(٤) عن هذا الموضوع انظر : دكتور أسد رستم ، نحن وروما والفاتيكان .

(5) N.P.N.F., 1st. series, Vol. 7, p. 520.



القديس اندراوس

هو شقيق بطرس الرسول (يو ١ : ٤٠) كان فى بادىء أمره تلميذاً ليوحنا المعمدان. ومنه سمع عن الرب يسوع ، **فقصده** ومكث معه يوماً كاملاً ليعاين أعماله وأقواله ، **فأيقن** أنه المسيا المنتظر ... بعدها بشر أخاه بطرس بأنه وجد المسيا ... وبعد معجزة صيد السمك الكثير دعاه الرب مع أخيه بطرس ليكون صياداً للناس ، فترك السفينة والشباك وتبع المسيح ولم يفارقه منذ ذلك الحين ...

يذكره الإنجيل فى ثلاثة مواضع : فى معجزة إشباع الآلاف من خمس خبزات (يو٦ : ٨، ٩) ، وعند مجىء اليونانيين الذين أتوا لكى يروا يسوع ، تقدم إليه وسأله فى ذلك (يو١٢ : ٢٢) ... وعندما تقدم ليسأل الرب مع ثلاثة من التلاميذ عن خراب أورشليم ودمار الهيكل وانقضاء الدهر (مر١٣ : ٣) .

بدأ عمله الكرازى بعد يوم الخمسين ... وإن كنا لا نستطيع أن نحدد على وجه الدقة خط سيره الكرازى ، **لكن يبدو أنه ركز نشاطه التبشيرى فى مناطق شبه جزيرة البلقان ، وبعض مقاطعات آسيا الصغرى ... وبناء عن رواية أوريجينوس التى سجلها يوسابيوس (٦) فإنه بشر فى سكيثيا وهى المنطقة الواقعة شمالى بحر قزوين والبحر الأسود** ... إنتهى به المطاف فى مقاطعة أخائية فى بلاد اليونان ، يشهد بذلك جيروم وثيودوريت ... ونال إكليل الشهادة مصلوباً فى مدينة بتراس إحدى مدن هذه المقاطعة ... وصلب هذا الرسول فى بتراس يؤيده إجماع عام من جميع التقاليد القديمة (٧) . وقد قيل أن الصليب الذى صُلِبَ عليه كان على شكل (×) وهو المعروف باسم Crux decussata ، وفى رواية أخرى أنه لم يثبت فى الصليب بالمسامير، بل ربط إليه حتى تستطيل مدة تعذيبه . وإندراوس الرسول هو شفيع كل من الكنيستين الروسية واليونانية . الأولى لأنه كاروزها ، والثانية لأنه صُلب فى إحدى المدن التابعة لها ... ويذكر أن ذخائره نقلت إلى القسطنطينية سنة ٣٥٧ . وفى زمن الحملات الصليبية نقلت إلى مدينة Amalpae بإيطاليا حيث مازالت

---

(6) H.E., 3. 1.

(7) Smith, Dictionary of the Bible, Vol. 1, p. 129.

كاتدرائيتها تحتفظ بها حتى الآن .

القديس يعقوب الكبير

هو ابن زبدى وشقيق يوحنا الحبيب ... ويدعى أيضاً يعقوب الكبير تمييزاً له عن يعقوب الصغير (ابن حلفى) . كان من بيت صيدا من مدينة بطرس واندراوس . دعاه السيد المسيح للتلمذة مع أخيه يوحنا فى نفس المرة التى دعا فيها بطرس وأندراوس ، فتركا السفينة وأباهما وتبعاه (مت ٤ : ٢١ ، ٢٢) ... ويبدو أن يعقوب كان حاضراً معجزة الرب يسوع الأولى فى قانا الجليل حيث حوّل الماء خمراً (يو٢ : ٢) .

إختاره الرب يسوع مع بطرس ويوحنا ليكونا شاهداً لبعض الأحداث الهامة. فكان معه حينما أقام ابنة يايروس من الموت ، وفى حادث التجلى ، وفى بستان جثسيمانى ليلة آلامه ... وقد أحبه المخلّص مع أخيه يوحنا محبة خاصة ، فميزهما بلقب خاص ، إذ دعاهما بوانرجس أى إبنى الرعد (مر٣ : ١٧) ، تعبيراً عن حماستهما وغيرتهما .

أما عن جهوده الكرازية ، فمعلوماتنا عنها ضئيلة ، لكن التقاليد تجمع على أن ميدانه فى التبشير كان اليهودية والسامرة. أما القول بأنه كرز بالإنجيل فى أسبانيا فقول ليس له أسانيد تاريخية ... وقد كانت غيرته الرسولية سبباً فى إثارة عداوة اليهود ، فثاروا ضده ، وأحدثوا شغباً فى أورشليم ، فقبض الجند الرومان عليه وأحضروه أمام الملك هيرودس أغريباس [٨] ، **فأمر بقطع رأسه بحد السيف (أع ١٢ : ١) ، وكان ذلك سنة ٤٤ ... ويعتبر هذا الرسول أول من إستشهد من الرسل ، وهو الوحيد بين الرسل الذى سجل لنا كتاب العهد الجديد موته وكيفيته ...**

---

(٨) حفيد هيرودس الكبير قاتل أطفال بيت لحم ، وابن أخى هيرودس الثانى الذى قطع رأس يوحنا المعمدان .

ويذكر لنا يوسابيوس المؤرخ نقلاً عن إكليمنضس الاسكندرى إن الجندى الذى قاد هذا الرسول إلى المحاكمة تأثر عندما رأى شجاعته وصلابته ، وحركت النعمة قلبه ، فاعترف هو الآخر بالإيمان المسيحى ، فكان جزاؤه قطع رأسه مع الرسول فى وقت واحد (٩) . ويبدو أن الذى حرك الجندى إلى إعتناق الإيمان ، معجزة أجراها الرب على يدى الرسول وهو مسوقاً بواسطة ذلك الجندى ، فقد أبرأ مخلعاً كسيحاً ... وقد حفظ لنا التقليد ـــ وشهد بذلك أبيفانيوس ـــ أن هذا الرسول حافظ على البتولية طوال حياته (١٠) . وقيل أن جسده نقل إلى بلدة تدعى كومبوستيلا Compostella فى أسبانيا .

القديس يوحنا الحبيب

هو ابن زبدى ، وشقيق الرسول يعقوب الكبير ... هو التلميذ الذى كان يسوع يحبه (يو١٩ : ٢٦) ، وهو الذى أتكأ على صدره فى العشاء الأخير. **هو الرسول الذى جمع فى شخصه بين حب البتولية ، والعظمة الحقيقية ، والبساطة القلبية ، مع المحبة الفائقة العجيبة هو الذى إنفرد من بين التلاميذ فى سيره بدون خوف وراء المخلص ، فى الوقت العصيب الذى تركه الجميع وانفضوا من حوله** ... كان هو واسطة إدخال بطرس حيث حوكم الرب يسوع نظراً لأنه كان معروفاً عند رئيس الكهنة (يو١٨ : ١٥ ، ١٦) . وهو الوحيد الذى رافق الرب إلى الصليب فسلمه أمه العذراء مريم . ومن تلك الساعة عاشت معه (يو١٩ : ٢٥- ٢٧) ... كان أبوه زبدى يحترف مهنة الصيد ، ويبدو أنه كان فى سعة من العيش ، ويغلب علىَّ الظن أن أسرة يوحنا كانت تقيم فى بيت صيدا .

يبدو أنه تتلمذ بعض الوقت ليوحنا المعمدان ، وكان يتردد عليه (يو١ : ٣٥- ٤٢) ... دعاه السيد المسيح للتلمذة مع أخيه يعقوب فتبعه ـــ وقيل ـــ بناء على رواية القديس جيروم ـــ أن يوحنا فى ذلك الوقت كان فى الخامسة والعشرين .

(9) Eusebius, H.E., 2. 9.

(10) Smith; Dictionary of the Bible, Vol. 1, Part. 2, p. 1511.

كانت أمه واحدة من النسوة القديسات اللواتى تبعن يسوع وكن يخدمنه (مت ٢٧ : ٥٥ ؛ مر ١٠ : ٤٠ ، ٤١) .

كان يوحنا واحداً من التلاميذ المقربين إلى الرب يسوع مع يعقوب أخيه وبطرس . كان هو (مع إندراوس) أول مَنْ تبعه فى بشارته (يو ١ : ٤٠) ، وآخر مَنْ تركه عشية آلامه من بعد موته ... هو الذى سجل لنا خطاب الرب يسوع الرائع عن الإفخارستيا (يو ٦) . وهو الذى إنفرد بين الإنجليين بذكر لقاء الرب مع السامرية (يو ٤) وموقفه من المرأة الزانية التى أمسكت فى ذات الفعل (يو ٨) ، وشفاء المولود أعمى (يو ٩) ، وإقامة لعازر من الموت (يو ١١) ، وصلاته الوداعية (يو ١٧) ... ويوحنا هو واحد من التلاميذ الثلاثة الذى صحبه فى إقامة ابنة يايروس من الموت ، وفى حادث التجلى وفى جثسيمانى ليلة آلامه . وبكر مع بطرس وذهب إلى قبر المخلّص فجر أحد القيامة . وكان حماسه وحبه ظاهرين . حتى أنه سبق بطرس ووصل أولاً إلى القبر ... وهو الوحيد بين التلاميذ الذى إستطاع أن يتعرف على الرب يسوع حينما أظهر ذاته على بحر طبرية عقب قيامته ، وقال لبطرس « هو الرب » (يو ٢١ : ٧) .

والقديس يوحنا لم يكن ــ كما يتصوره البعض شاباً رقيقاً خجولاً ــ بل كان له وضع بارز فى الكنيسة الأولى . نقرأ عنه فى الاصحاحات الأولى من سفر الأعمال ونراه جنباً إلى جنب مع بطرس أكبر الرسل سناً . نراهما متلازمين فى معجزة شفاء المقعد عند باب الهيكل (أع ٣) ، وأمام محكمة اليهود العليا (السنهدرين) يشهدان للمسيح (أع ٤) . وفى السامرة يضعان أياديهما على أهلها ليقبلوا الروح القدس (أع ٨) .

يبدو أن خدمته الكرازية فى الفترة الأولى من تأسيس الكنيسة كانت فى أورشليم والمناطق القريبة منها . فالتقاليد القديمة كلها تجمع على بقائه فى أورشليم حتى نياحة العذراء مريم التى تسلمها من الرب كأم له ليرعاها [11]

---

(١١) تضاربت الآراء بخصوص تاريخ نياحة السيدة العذراء مريم ... منها ما يذكر أنها عاشت خمس سنوات فقط بعد صعود المخلص ، ومنها ما يجعل مدة هذه السنوات عشرة . ورأى يجعل نياحتها سنة

ومهما يكن من أمر فإن يوحنا الرسول ــ بعد نياحة العذراء مريم ــ إنطلق إلى آسيا الصغرى ومدنها الشهيرة، وجعل إقامته فى مدينة أفسس العظيمة متابعاً ومكملاً عمل بولس وأبولس الكرازى فى آسيا الصغرى (أع ١٨ : ٢٤-٢٨ ؛ ١٩ : ١-١٢) ... وأخذ يشرف من تلك العاصمة الشهيرة على بلاد آسيا الصغرى ومدنها المعروفة وقتذاك من أمثال ساردس وفيلادلفيا واللاذقية وأزمير وبرغامس وثياتيرا وغيرها، وهى البلاد التى وردت إشارات عنها فى سفر الرؤيا .

وبسبب نشاطه الكرازى قبض عليه فى حكم الامبراطور دومتيان (٨١ــ ٩٦)، وأرسل مقيداً إلى روما، وهناك ألقى فى خلقين (مرجل) زيت مغلى . فلم يؤثر عليه بل خرج منه أكثر نضرة، مما أثار ثائرة الإمبراطور، فأمر بنفيه إلى جزيرة بطمس [١٢]، ومكث بها حوالى سنة ونصف كتب أثناءها رؤياه حوالى سنة ٩٥ . ثم أفرج عنه بعد موت دومتيان وعاد إلى أفسس ليمارس نشاطه التبشيرى ... وكل التقاليد القديمة تؤيد بالإجماع نفى يوحنا إلى جزيرة بطمس فى ذلك التاريخ وكتابته رؤياه هناك ... ومن الآباء الذين شهدوا بذلك إيريناوس وإكليمنضس الاسكندرى وأوريجينوس وترتليانوس . و يوسابيوس وجيروم وغيرهم [١٣] .

٦٢، وآخر يذكر أنها تنيحت فى شيخوخة فى سن الثانية والسبعين . وهناك تقليد قديم يقرر أن نياحتها كانت حوالى سنة ٤٨ ... على أننا من مراجعتنا للأصحاح الثانى من الرسالة إلى غلاطية التى يشير فيها بولس إلى مجمع أورشليم نفهم أن يوحنا كان حاضراً هذا المجمع الذى إنعقد حوالى سنة ٥٠ . فالرسول بولس يقرر أن يوحنا مع يعقوب وبطرس أعطوه وبرنابا يمين الشركة ليكونا للأمم ... لكن يبدو أن يوحنا لم يكن موجوداً بأورشليم سنة ٥٨ وهى السنة التى زار فيها بولس أورشليم زيارة أخيرة . ففى هذه المرة لم يقابل من الرسل سوى يعقوب (أع ٢١ : ١٨)، مما يستنتج معه أن يوحنا لم يكن موجوداً بها وقتذاك، وربما كان فى مكان ما بفلسطين يكرز ويبشر [انظر : تاريخ الكنيسة السريانية الأنطاكية جـ ١ ص ٣٩، ٤٠ ؛ الخريدة النفيسة جـ ١ ص ٤٦، مروج الأخيار ص ٣٦٢، ٣٦٣ ؛ Schaff, Vol. I, p. 424, الطرفة النقية جـ ١ ص ١٣] .

(١٢) تعرف الآن باسم Patome أو بالموسا Palmosa من جزر بحر إيجة جنوب غربى أفسس . ومازالت فى الجزيرة حتى الآن معالم أثرية عن استقرار يوحنا فيها .

(13) Schaff, Vol. I, p. 426.

ومن الألقاب اللاصقة بيوحنا . لقب « الحبيب » ، فقد ذكر هو عن نفسه أنه كان التلميذ الذى يحبه يسوع (١٤) ... وقد ظل يوحنا رسول المحبة فى كرازته ووعظه ورسائله وإنجيله ... وكتابته كلها مفعمة بهذه الروح ... روى عنه أنه لما شاخ ولم يعد قادراً على الوعظ ، كان يحمل إلى الكنيسة ويقف بين المؤمنين مردداً العبارة : « يا أولادى حبوا بعضكم بعضاً » . فلما سأموا تكرار نفس هذه العبارة ، تساءلوا لماذا يعيد هذه الكلمات ويكررها . فكان جوابه لأنها هى وصية الرب وهى وحدها كافية لخلاصنا لو أتممناها ...

ومن القصص التى تروى عن حبه الشديد لخلاص الخطاة ، تلك القصة التى تروى أنه قاد إلى الإيمان أحد الشبان وسلمه إلى أسقف المكان كوديعة وأوصاه به كثيراً . لكن ذلك الشاب ما لبث أن عاد إلى سيرته الأولى وصار رئيساً لعصابة قطاع طرق ... عاد يوحنا بعد مدة إلى الأسقف وسأله ، عن الوديعة ، واستخبره عن ذلك الشاب ... تنهد الأسقف وقال [لقد مات] ... ولما إستفسر منه عن كيفية موته ، روى له خبر إرتداده ... حزن يوحنا واستحضر ذابة ركبها على الرغم من كبر سنه ، وأخذ يجوب الجبل الذى قيل أن هذا الشاب كان يكمن فيه ... أمسكه اللصوص وقادوه إلى زعيمهم ، الذى لم يكن سوى ذلك الشاب ... تعرف عليه الشاب ، وللحال فر من وجهه ، وأسرع يوحنا خلفه وهو يناشده أن يقف ويسمع له رحمة بشيخوخته ... فوقف الشاب وجاء وسجد بين يديه ، فأقامه ووعظه فتاب عن إثمه ورجع إلى الله ... **لكن على الرغم من محبته الشديدة للخطاة ، فقد كان يمقت الهراطقة جداً . ويظهر هذا الأمر واضحاً فى كتاباته المليئة بالتحذير من الهراطقة ...**

يذكر معلمنا بولس هذا الرسول على أنه أحد أعمدة الكنيسة الأولى ، وأنه من رسل الختان (غل ٢ : ٩) ... ويذكر بوليكراتس Polycrates أسقف أفسس أواخر القرن الثانى أن يوحنا كان يضع على جبهته صفيحة من الذهب كالتى كان يحملها رئيس أحبار اليهود (١٥) ، ليدل بذلك على أن الكهنوت قد إنتقل من

---

(١٤) انظر : يو ١٣ : ٢٣ ؛ ١٩ : ٢٦ ؛ ٢٠ : ٢ ؛ ٢١ : ٧ ، ٢٠ .

(١٥) انظر خروج ٢٨ : ٣٦ ، ٣٧ ؛ ٣٩ : ٣٠ ، ٣١ .

الهيكل القديم إلى الكنيسة ... لكن مع ذلك ، نستدل من مواقفه وكتاباته أنه كان معتدلاً غير متطرف ...

وبعد أن دوّن لنا هذا الرسول إنجيلاً ورؤيا وثلاث رسائل تحمل اسمه ، رقد فى الرب فى شيخوخة وقورة حوالى سنة ١٠٠ م .



يوحنا الحبيب

القديس يعقوب البار

هو يعقوب بن حلفى أحد الاثنى عشر رسولاً ، وهو أحد الأعمدة الثلاثة لكنيسة الختان حسبما دعاه معلمنا بولس (غل٢ : ٧- ٩) . عُرِفَ باسم يعقوب أخى الرب لأنه ابن خالته بالجسد من مريم زوجة كلوبا . فكلمة حلفى آرامية ويقابلها « **كلوبا** » (١٦) فى اليونانية . وعُرف باسم يعقوب الصغير (مر١٥ : ٤٠) تمييزاً له عن يعقوب الكبير ابن زبدى . وعُرف أيضاً باسم يعقوب البار نظراً لقداسة سيرته وشدة نسكه . كما عُرف باسم يعقوب أسقف أورشليم لأنه أول أسقف لها .

---

(16) Carrington, Vol. 1, pp. 31, 40.

وقد أثير جدل حول شخصيته ، وحول اللقب الذى عُرف به «أخ الرب» .

وهناك ثلاثة آراء بخصوص اخوة الرب :

١ ـ رأى يقول إنه ابن ليوسف ومريم بعد ميلاد رب المجد يسوع ... قال بهذا الرأى ترتليانوس (١٧) . وتبنى هذا الرأى بعده شخص يدعى هلفيديوس Helvidius الهرطوقى من روما سنة ٣٨٠ م ، مما دعا القديس ايرونيموس أن يرد عليه برسالة قوية سنة ٣٨٣ فند فيها كل هذه الادعاءات الباطلة (١٨) ، ودعا كلا من ترتليانوس وهلفيديوس منشقان على الكنيسة الجامعة ... وهذا الرأى هو رأى البروتستانت . وهو يتناقض مع روح الكتاب المقدس ونصوصه وعقيدة الكنيسة الجامعة منذ عصرها الرسولى . ونحن نرفض هذا الرأى ونشجبه لأن العذراء مريم ظلت عذراء أيضاً بعد ولادة المسيح ، **فهى** « العذراء كل حين » وهى لم تعرف يوسف خطيبها معرفة الزواج قبل وبعد ميلاد المخلص .

٢ ـ رأى ثان يقول إن المذكورين فى الإنجيل إخوة الرب ، هم فى الحقيقية أبناء ليوسف النجار من زوجة سابقة توفيت قبل خطبته لمريم العذراء ... وقد ظهرت هذه النظرية إلى عالم الوجود فى كتابات الأ بوكريفا المنسوبة للقديس يعقوب أخى الرب ومنها إنجيل يعقوب المعروف باسم Protevangelium (ف ٩) . **وقد أخذ بهذا الرأى بعض الآباء الشرقيين ــ وهذا هو رأى الكنيستين اليونانية والسريانية** (١٩) . وهذا الرأى ــ على ما فيه من أخطاء وثغرات لا محل للرد عليها

---

(١٧) عالم وقس من قرطاجنة بشمال أفريقيا . ولد حوالى منتصف القرن الثانى وتوفى بين سنتى ٢٢٠ ، ٢٤٠ . انضم آخر القرن الثانى أو أوائل الثالث إلى هرطقة المونتانيين Montanists . له عدة إنحرافات إيمانية عقيدية .

(18) N.P.N.F., Series 2, Vol. 6, pp. 334 - 346.

ترجم جزء من الرسالة دير السريان ، ونشرها كميمر للميلاد فى يناير سنة ١٩٦٢ باسم « ميمر الابن الوحيد » .

(١٩) انظر : تاريخ الكنيسة السريانية الأنطاكية جـ ١ ص ٨٩ .

هنا — فإنه لو كان هؤلاء المدعوين إخوة الرب أولاداً ليوسف من زوجة سابقة، لكانوا أكبر من الرب يسوع سناً وفى هذه الحالة لا يعتبر يسوع وارثاً لعرش داود (٢٠)، وفى هذا هدم لنصوص الكتاب ونبوات العهد القديم.

٣ - الرأى الثالث — وهو رأى كنيستنا القبطية الأرثوذكسية والكنيسة (٢١) اللاتينية أيضاً. بأن يعقوب هذا هو عينه ابن حلفى (كلوبا) وابن خاله السيد المسيح بالجسد من مريم أخرى شقيقة العذراء مريم، وذلك إستناداً لما جاء فى الإنجيل (٢٢) المقدس — وقد دافع عن هذا الرأى بحماس كبير كل من جيروم وأغسطينوس. **والغريب أن هذا الرأى الثالث يدافع عنه حالياً كثير من العلماء البروتستانت** (٢٣) ... وفضلاً عن ذلك، فليس أدل على صحة هذا الرأى من أن التقليد الكنسى القديم فى العالم كله، يجعل منهما — يعقوب بن حلفى و يعقوب أخا الرب — شخصاً واحداً (٢٤).

هذا وقد أثير جدل أيضاً حول وضع هذا الرسول فى الكنيسة الأولى من جهة رسوليته — هل كان رسولاً من الاثنى عشر أم لا ... فريق يؤكد رسوليته على إعتبار أنه ابن حلفى المذكور فى قوائم الرسل، وفريق يدعى أنه شخص آخر، وبالتالى ليس من الاثنى عشر ... بل ذهبوا إلى أبعد من هذا، **فقالوا بل إنه لم يؤمن بالسيد المسيح إلاَّ بعد قيامته، وظهوره له ظهوراً خصوصياً على نحو ما حدث لشاول الطرسوسى (بولس الرسول) قرب دمشق و يستند أصحاب هذا الرأى الأخير إلى ما جاء فى (يو٧ : ٥) «لأن أخوته أيضاً لم يكونوا يؤمنون به»، بالمقارنة مع ما قاله معلمنا بولس فى (١كو١٥ : ٧) عن ظهور الرب يسوع ليعقوب بعد قيامته المجيدة ...**

(٢٠) انظر مت ١ : ١٧ ؛ لو ١ : ٢٧ ؛ رو ١ : ٣ ؛ ٢ تى ٢ : ٨ ؛ رؤ ٢٢ : ١٦ — وأيضاً : Schaff, Vol. 1, p. 274.

(٢١) انظر : ترجمة هذا الرسول فى سنكسار الروم الكاثوليك تحت يوم ٩ تشرين الأول.

(٢٢) انظر : يو ١٩ : ٢٥ بالمقارنة مع لو ٢٤ : ١٠ ؛ مر ١٥ : ٤٠.

(٢٣) انظر التعليق على يوسابيوس ك ١ ف ١٢ : فى مجموعة : (N.P.N.F., series 2, Vol. 1, p. 99)

(24) Dictionary of Christian Biography, Vol. 1, p. 22.

لكن ليس فى هذا ما يثبت هذا الزعم . فقول يوحنا أن إخوة الرب يسوع لم يكونوا يؤمنون به ، لا يعنى عدم الإيمان كلية . لكن العبارة تحمل معنى عدم الإيمان الكامل بلاهوته ... ولهذا الأمر نظير فيما يختص بالرسل أنفسهم ، الذى قيلت عنهم أقوال مشابهة (٢٥) ... أما عن الآية التى أوردها القديس بولس الخاصة بظهور الرب له (١ كو١٥ : ٣-٧) ... فنقول أن ظهور الرب ليعقوب بعد قيامته ليس فيه أى دليل على أنه لم يكن مؤمناً ، ثم آمن بواسطة هذا الظهور كما فى حالة بولس الرسول . لأنه يوجد كثيرون أظهر الرب لهم ذاته بعد قيامته ، فلماذا يكون يعقوب هو الوحيد بين هؤلاء جميعاً الذى كان غير مؤمن ثم آمن بسبب هذا الظهور ؟!! **أما عن هذا الظهور الذى خص به يعقوب ، فهناك رأى قديم بخصوصه أورده كاتب إنجيل العبرانيين الأبوكريفا** ــ وهو من أقدم الأناجيل الأبوكريفا وأقلها مجانبة للصواب ــ ويتلخص فى أن يعقوب لما علم بموت المخلّص على الصليب تعاهد ألاَّ يذوق طعاماً إلى أن يقوم الرب من بين الأموات . وحدث فى صبيحة يوم القيامة أن الرب يسوع تراءى له وقدم له خبزاً وقال له : [قم يا أخى ، تناول خبزك لأن ابن البشر قام من بين الراقدين] (٢٦) ... وجدير بالذكر أن كاتب إنجيل العبرانيين يجعل من يعقوب ابن حلفى ويعقوب أخ الرب شخصاً واحداً (٢٧) .

ويؤكد رسولية هذا القديس وأنه من الاثنى عشر ، نص صريح ذكره القديس بولس الرسول فى رسالته إلى أهل غلاطية . يذكر بولس زيارته الأولى لأورشليم بعد إيمانه فيقول : « ثم بعد ثلاث سنين صعدت إلى أورشليم لأتعرف ببطرس ، فمكثت عنده خمسة عشر يوماً . **ولكننى لم أرى غيره من الرسل إلاَّ يعقوب أخا الرب** » (غل١ : ١٨ ، ١٩) ... **وواضح من هذه الآية أن يعقوب أخا**

---

(٢٥) انظر : مت ١٧ : ١٧ ؛ مر ٤ : ٤٠ ؛ ٩ : ١٩ ؛ ١٦ : ١٤ ؛ لو ٨ : ٢٥ ؛ ٩ : ٤١ ؛ ١٧ : ٥ ؛ ٢٤ : ٢٥ ؛ يو٦ : ٦٤ وانظر تلميذى عمواس ورأيهما المدون فى لوقا ٢٤ : ١٣-٢٧ .

(٢٦) ترجم هذا الاقتباس القديس جيروم من العبرية إلى اللاتينية واليونانية وأورده فى الفصل الثانى من كتابه مشاهير الرجال انظر : N.P.N.F. series 2 Vol. 3, p. 362.

(27) Schaff, Vol. 1, p. 266 (footnote).

رأس كنيسة أورشليم ، وصار أسقفاً عليها ، واستمر بها إلى وقت إستشهاده . ولا يعرف بالضبط متى صار أسقفاً على أورشليم . لكن هناك رأى يقول إن ذلك كان سنة ٣٤ م . وهذا التاريخ يتفق تقريباً مع شهادة جيروم التى ذكر فيها أنه ظل راعياً لكنيسة أورشليم نحو ثلاثين سنة (٢٨) . **وعمله كأسقف على أورشليم يوضح لنا حكمة الكنيسة الأولى وسياستها فى وضع الرجل المناسب فى المكان المناسب** ... فقد كان هذا الرسول يتمتع بشخصية قوية بحكم صلة القرابة الجسدية بالرب ، فضلاً عن تقواه الشديدة ونسكياته الصارمة . ومن هنا فقد تمتع بسلطان كبير بين اليهود المتنصرين ، بل تمتع بمكانة كبيرة بين اليهود أنفسهم ، ولذا وضع فى أورشليم معقل اليهودية فى العالم كله ، وإليها يفد الآلاف منهم ، ليكون كارزاً لهم ... وبناء على تقليد قديم دوّنه لنا أبيفانيوس ، كان يعقوب يحمل على جبهته صفيحة من الذهب منقوش عليها عبارة « قدس للرب » على مثال رئيس أحبار اليهود (٢٩) .

تمتع هذا الرسول بمكانة كبيرة فى كنيسة الرسل ... فقد رأس أول مجمع كنسى سنة ٥٠ وهو مجمع أورشليم ، الذى عرض لموضوع تهود الأمم الراغبين فى الدخول إلى الإيمان (أع ١٥) ، وكان رأيه فيه فصل الخطاب بالنسبة لموضوع ، كان يعتبر موضوع الساعة وقتذاك . بل يبدو أنه هو الذى كتب بنفسه قرار المجمع ، فقد لاحظ العلماء ، تشابهاً بين أسلوب ذلك القرار وأسلوب الرسالة التى تحمل اسمه (رسالة يعقوب) ، مما يدل على أن كاتبهما شخص واحد .

والرسول بولس يذكره كأحد أعمدة كنيسة الختان الثلاثة ، الذين أعطوه مع برنابا يمين الشركة ليكرز الأمم ، بل ويورد اسم يعقوب سابقاً لاسمى بطرس ويوحنا مما يدل على مكانته (غل ٢ : ٩) ... ويؤيد هذه المكانة أيضاً ، الخوف

---

(٢٨) خلاصة تاريخ كنيسة أورشليم الأرثوذكسية ص ٥ .

(٢٩) خر ٢٨ : ١٦ .

والارتباك اللذان لحقا ببطرس الرسول فى أنطاكية ، الأمر الذى جعله يسلك مسلكاً ريائياً وبخه عليه بولس علانية لمجرد وصول إخوة من عند يعقوب !! (انظر غل ٤ : ١١ - ١٤) .

أما عن نسكه فقد أفاض هيجيسبوس Hegesippus (٣٠) فى وصفه ، وقال إنه كان مقدساً من بطن أمه لم يعل رأسه موسى ، لم يشرب خمراً ولا مسكراً وعاش نباتياً لم يأكل لحماً ... وكان لباسه دائماً من الكتان . وكان كثير السجود حتى تكاثف جلد ركبته ،وصارتا كركبتى الجمل .

وبسبب حياته ونسكه ومعرفته الواسعة بالكتب المقدسة وأقوال الأنبياء نال تقديراً كبيراً من اليهود ، وآمن على يديه كثيرون منهم فى مدة أسقفيته .. بل أن يوسيفوس المؤرخ اليهودى الذى عاصر خراب أورشليم ، لم يتردد عن الاعتراف بأن ما حل باليهود من نكبات ودمار أثناء حصار أورشليم، لم يكن سوى إنتقام إلهى لدماء يعقوب البار...

لكن إنعطاف اليهود نحو القديس يعقوب أثار حنق رؤساء الكهنة والكتبة والفريسيين عليه فقرروا التخلص منه .

وذكر هيجيسبوس ــ وأيده فى ذلك إكليمنضس الاسكندرى ــ أن اليهود أوقفوه فوق جناح الهيكل ليشهد أمام الشعب ضد المسيح ... فلما خيب ظنهم وشهد عن يسوع أنه المسيا وهتف الشعب أوصنا لابن داود . صعدوا وطرحوه إلى أسفل ، أما هو فجثا على ركبتيه يصلى عنهم ، بينما أخذوا يرجمونه ، وكان يطلب لهم المغفرة . وفيما يصلى تقدم قصار ملابس وضربه بعصا على رأسه فأجهز عليه ، ومات لوقته (٣١) .

---

(٣٠) هو أحد علماء القرن الثانى المسيحيين ، كان يهودياً وآمن ، ويرجح أنه كان من فلسطين متأثراً بالعوائد اليهودية . كان كثير الأسفار فى سوريا واليونان وإيطاليا . كتب تاريخاً للكنيسة لكنه فقد ، وقد حفظ لنا يوسابيوس بعض فقرات منه H.E., 2 - 23.

(31) Eusebius, H.E., 2 - 23.

وكان ذلك فى سنة ٦٢ أو سنة ٦٣ بحسب رواية يوسيفوس وجيروم وفى سنة ٦٩ بحسب روايه هيجيسبوس . والرأى الأول هو المرجح .

وقد خلف لنا هذا الرسول ، الرسالة الجامعة التى تحمل اسمه والتى أبرز فيها أهيمة أعمال الإنسان الصالحة ولزومها لخلاصه إلى جانب الإيمان . أما عن تاريخ كتابتها ، فهناك رأى يقول إنه كتبها فى الأربعينات قبل مجمع أورشليم ، ورأى آخر يقول إنه كتبها قبيل إستشهاده بوقت قصير ... كما خلف لنا يعقوب الرسول الليتورجيا (صلاة القداس) التى تحمل اسمه ، والتى انتشرت فى سائر الكنائس (٣٢) . أما عن صحة نسبتها إليه ، فالتقليد الكنسى لجميع الكنائس الشرقية يجمع على ذلك (٣٣) .

القديس فيلبس

ولد فى بيت صيدا (يو ١ : ٤٤) ... ويبدو أنه عكف منذ صباه على دراسة الكتب المقدسة ، فنحن نجده سريعاً لتلبية دعوة الرب حالما قال له اتبعنى ، ونجد فى حديثه إلى « نثنائيل » « **قد وجدنا** الذى كتب عنه موسى فى الناموس والأنبياء ، يسوع ... » (يو١ : ٤٥) ، ما يدل على الإنتظار والتوقع ...

لم يرد ذكره كثيراً فى الأناجيل ... ذكر اسمه فى معجزة إشباع الآلاف من خمس خبزات وسمكتين ، حينما سأله الرب سؤال إمتحان « من أين نبتاع خبزاً ليأكل هؤلاء » . فكان جواب فيلبس « لا يكفيهم خبز بمئتى دينار ليأخذ كل واحد منهم شيئاً يسيراً » (يو٦ : ٥ - ٧) ... وجاء ذكره فى يوم الاثنين التالى لأحد الشعانين . حينم تقدم إليه بعض اليونانيين الدخلاء ، وسألوه أن يروا يسوع (يو١٢ : ٢٠ - ٢٢) ... وجاء ذكره أيضاً فى العشاء الأخير ، وفى الحديث الذى سجله لنا القديس يوحنا ، حينما قال للرب يسوع : « أرنا الآب وكفانا » فكان

---

(٣٢) خلاصة تاريخ كنيسة أورشليم الأرثوذكسية ص ٥ ، ٦ .

(٣٣) عن ليتورجية القديس يعقوب انظر : A.N.F., Vol. 7, pp. 529-550

جواب الرب عليه «أنا معكم زماناً هذه مدته ولم تعرفنى يا فيبلس . الذى رآنى فقد رأى الآب فكيف تقول أنت أرنا الآب . ألست تؤمن أنى أنا فى الآب والآب فىَّ» (يو١٤ : ٨-١٠) .

حمل بشرى الخلاص إلى بلاد فارس وآسيا الصغرى خاصة إقليم فريجيا ، وانتهى به المطاف فى مدينة هيرابولس (*) حيث إستشهد مصلوباً ، بعد أن ثار عليه الوثنيون . ونلاحظ الخلط بينه وبين فيلبس المبشر أحد السبعة شمامسة ، فى بعض الروايات .

القديس برثولماوس

يكاد يكون هناك إجماع بين العلماء أن برثولماوس هو عينه نثنائيل الذى ذكره يوحنا فى إنجيله ، أن فيبلس أحضره للمسيح (يو١ : ٤٥) ... والدليل على ذلك أن يوحنا يذكره فى أول بشارته وآخرها (٣٤) ، بينما البشائر الثلاث الأخر تذكر فيبلس وبرثولماوس بين أسماء الرسل (٣٥) استنتجوا من ذلك أن برثولماوس هو نثنائيل ويرجح أن نثنائيل هو اسم الرسول ، وبرثولماوس (معناها ابن تلماى Talmai) (٣٦) تفيد اللقب ... ومهما يكن من أمر هذا الرسول ، فقد لازم الرب يسوع حياته على الأرض ، وكان له شرف التمتع برؤيته بعد القيامة على بحر طبرية مع بعض التلاميذ (يو٢١ : ٢) ...

بشر فى بلاد اليمن وترك لهم نسخة من إنجيل متى باللغة العبرية ، وجدها العلامة بنتينوس عميد المدرسة اللاهوتية بالاسكندرية ، عندما ذهب إلى هناك حوالى

(*) مدينة هيرابولس Hierapolis مجاورة لكولوسى واللاذقية بآسيا الصغرى ـــ اندثرت وتدعى الآن بامبوك كليسى Pambuk Kalesi .

(٣٤) يو ١ : ٤٥ - ٥١ ؛ ٢١ : ٢ .

(٣٥) مت ١٠ : ٣ ؛ مر ٣ : ١٨ ؛ لو ٦ : ١٤ .

(36) Smith, Dictionary of the Bible, Vol. 1, Part 1, p. 358; Vol. 2, p. 467.

سنة ١٨٠ . وقد روى يوسابيوس (٣٧) المؤرخ هذه الرواية لكن ذكر الهند بدلاً من بلاد اليمن ... والأرجح أنها اليمن وليست الهند . ففى اليمن كانت توجد جالية يهودية كبيرة ، وبطبيعة الحال ، لا نفع للهنود من كتاب مكتوب بالعبرية (٣٨) !! ومن المقطوع به أنه بشر أيضاً فى أرمينيا . والكنيسة الأرمنية هناك مازالت تعتبره شفيعها ، بعد أن استشهد بها .

وقد إختلفت الروايات عن طريقة إستشهاده ، فمنها ما ذكر أنه صلب ، ومنها ما قال إنه سلخ جلده وقطعت رأسه .



القديس توما

كان من الجليل ، ومعنى اسمه التوأم كما ذكر يوحنا الإنجيلى (١١ : ١٦ ؛ ٢١ : ٢) ... دعاه الرب يسوع إلى شرف التلمذة ، فلبى الدعوة وتبعه ، ورافقه مع بقية التلاميذ ، ورأى آياته ، واستمع إلى تعاليمه الإلهية ... والمرات التى ذكر فيها اسمه فى الأناجيل ، تظهر لنا حبه وغيرته لسيده ...

لما عزم الرب يسوع على الذهاب إلى بيت عنيا ليقيم لعازر ، اعترضه الرسل بقولهم « يا معلم الآن كان اليهود يطلبون أن يرجموك وتذهب أيضاً إلى هناك . أما توما فالتفت إليهم وقال بلهجة المحب الوفى لنذهب نحن أيضاً لكى نموت معه » (يو١١ : ٨ ، ١٦) ...

ومرة ثانية ، فيما كان الرب يسوع يتكلم فى ليلة العشاء الأخير عن إرتحاله عنهم ، قال له توما « يا سيد ، لسنا نعلم أين تذهب ، فكيف نقدر أن نعرف الطريق . أجابه الرب أنا هو الطريق والحق والحياة . ليس أحد يأتى إلى الآب إلاَّ بى » (يو١٤ : ١-٦) .

---

(37) H.E., 5. 10.

(38) Smith, Dictionary of the Bible. Vol. 1, Part 1, p. 358.

واشتهر توما بمواقفه من قيامة الرب من بين الأموات . فلما أظهر الرب يسوع ذاته لتلاميذه مساء أحد القيامة ، لم يكن توما معهم . ولما أخبره بقية التلاميذ بهذا الظهور ، قال لهم « إن لم أبصر فى يديه أثر المسامير ، وأضع يدى فى جنبه لا أؤمن » ... وفى الأحد التالى أظهر الرب ذاته لتلاميذه فى العلية ومعهم توما . وعاتبه الرب عتاباً لطيفاً ، وألزمه أن يضع أصبعه فى أثر المسامير ، ويضع يده فى جنبه . فذاب توما خجلاً . ومن فرط اليقين صرخ « ربى وإلهى » ، فقال له يسوع « لأنك رأيتنى يا توما آمنت . طوبى للذين آمنوا ولم يروا » (يو٢٠ : ٢٦-٢٩) . وحينما أظهر الرب ذاته لبعض تلاميذه على شاطىء بحر طبرية بعد قيامته ، كان توما معهم (يو٢١ : ٢) ..

بشر أولاً فى اليهودية ... **وقيل أنه جال مبشراً فى بلاد ما بين النهرين (العراق) ، وقيل إنه عرج على بلاد العرب واجتاز البحر إلى بلاد الحبشة ، وكرز فى بلاد الهند والصين ... وقد قضى الشطر الأكبر من حياته الكرازية فى الهند** ... ومازال توما الرسول حتى الآن هو شفيع المسيحيين الهنود .

أنهى توما حياته بسفك دمه لأجل الرب يسوع . فقد هجم عليه بعض كهنة الأوثان فى ملابار Malabar وسلخوا جلده وهو حى ، ثم أخذوا يطعنونه بالرماح حتى مات .

القديس متى

كان من الجليل ، ويدعى لاوى ... كان عشاراً ، وكان العشارون جباة رسميين يعملون لحساب الرومان المستعمرين . لذلك كانوا ممقوتين لدى الشعب ، ومعتبرين خطاة فى نظر عامة الناس ... دعاه الرب أن يتبعه ــ وكان جالساً عند مكان الجباية ــ فترك كل شىء وقام وتبعه (مت٩ : ٩-٢٤) ... ولا شك أن هذا يدل على قلب عملت فيه نعمة الرب فليس للإنسان أن يعمل أكثر من ذلك : أن يترك كل شىء ، وليس فى إستطاعته أن يفعل أفضل من اتباع يسوع ...

لازم الرب يسوع وسمع تعاليمه وشاهد عجائبه ، وعاين قيامته المجيدة ، وامتلأ من الروح القدس يوم الخمسين . قيل إنه كرز بالإنجيل فى بلاد اليهودية وأثيوبيا وقيل إنه بشر فى بلاد الفرس والبارثيين (٣٩) .



متى الرسول

القديس يهوذا

ويدعى أيضاً تداوس ولباوس ويهوذا أخا يعقوب تمييزاً له عن يهوذا الاسخريوطى الذى أسلم الرب (٤٠) ... والتقليد القديم يؤكد أنه أخو يعقوب كما ذكر القديس لوقا فى إنجيله وفى سفر الأعمال ـ وليس ابن يعقوب كما فى الترجمة السريانية (٤١) ... وهو أحد الأربعة المذكورين فى كتاب العهد الجديد إخوة الرب ... لا يذكر الإنجيل متى دعى هذا الرسول للرسولية ، لكن الأناجيل وسفر الأعمال تذكره ضمن جداول الرسل الإثنى عشر ... لا يذكره الإنجيل إلاَّ فى

(39) Smith, Dictionary of the Bible. Vol. 2, p. 274.

(٤٠) انظر : مت ١٠ : ٣ ؛ مر ٣ : ١٨ بالمقابلة مع لو ٦ : ١٦ ؛ أع ١ : ١٣ .

(٤١) انظر : تاريخ الكنيسة السريانية الأنطاكية جـ ١ ص ٦٨ .

موضع واحد . فحينما كان الرب يتكلم عقب العشاء الأخير وقال « الذى عنده وصاياى ويحفظها فهو الذى يحبنى . والذى يحبنى يحبه أبى وأنا أحبه وأظهر له ذاتى » قال يهوذا للرب « يا سيد ماذا حدث حتى أنك مزمع أن تظهر ذاتك لنا وليس للعالم » (يو١٤ : ٢١ ، ٢٢) .

أما عن كرازته ، فتذكر التقاليد أنه بشر فى بلاد ما بين النهرين وبلاد العرب وبلاد فارس . ويبدو أنه أنهى حياته شهيداً فى إحدى مدن بلاد فارس .

وإلى هذا الرسول تنسب الرسالة التى تحمل اسمه بين الرسائل الجامعة ، وهى رسالة قصيرة . ويذكر فى مقدمتها أنه « عبد يسوع المسيح وأخو يعقوب » . ولم يتفق العلماء على تاريخ هذه الرسالة ، ولا مكان كتابتها ، ولا مَنْ أرسلت إليهم ... وجل غرضها التحذير من المعلمين والمضلين والإخوة الكذبة .

القديس سمعان القانوى

ذكره كل من متى ومرقس باسم القانوى (مت ١٠ : ٤ ؛ مر ٣ : ١٨) ، وذكره لوقا فى إنجيله وسفر الأعمال باسم الغيور (لو٦ : ١٥ ؛ أع١ : ١٣) ويقال إن هذه التسمية « الغيور » هى المرادف اليونانى ، للكلمة العبرية « القانوى » [٤٢] ... وهذه التسمية تدل على أنه من ضمن جماعة الغيورين الثائرين الذين عرفوا بتمسكهم الشديد بالطقوس الموسوية .

يخلط البعض بينه وبين سمعان أحد المدعوين إخوة الرب ، وأخى يعقوب البار ويهوذا الرسول ، الذى صار أسقفاً لأورشليم حتى سنة ١٠٦ خلفاً ليعقوب البار ، لكن هذا خطأ ... فسمعان الذى نحن بصدده هو أحد الرسل الاثنى عشر .

ونكاد لا نعرف شيئاً محققاً عن جهود هذا الرسول الكرازية والأماكن التى

---

(42) Smith, Dictionary of the Bible, Vol. 3, p. 1320.

بشر فيها . قيل إن بشر فى سوريا وبلاد ما بين النهرين وبلاد فارس . وختم حياته شهيداً .

القديس متياس

كان ضمن السبعين رسولاً الذين عينهم الرب ، ولازمه منذ البداية وسمع تعاليمه وشاهد آياته . فلما سقط يهوذا الإسخريوطى من رتبته بعد خيانة سيده وانتحاره ، كان لابد أن يقام آخر عوضاً عنه إتماماً لنبوة المزمور عن يهوذا « لتصر داره خراباً ... وليأخذ وظيفته آخر » ، فاجتمع التلاميذ ليختاروا آخر بدلاً عنه . فتكلم بطرس وناشدهم أن يختاروا واحداً مَمَنْ إجتمعوا معهم كل الزمان الذى فيه دخل إليهم الرب يسوع وخرج منذ معمودية يوحنا إلى وقت صعوده ، ليشهد معهم بقيامته ... فأقام التلاميذ اثنين من السبعين يوسف المدعو برسابا الملقب يسطس ومتياس ، وصلوا إلى الرب طالبين إظهار إرادته فى أى الاثنين يختاره . ثم ألقوا قرعة فوقعت القرعة على متياس ، فحسب مع الأحد عشر رسولاً (أع ١ : ١٥-٢٦) .

إمتلأ من الروح القدس يوم الخمسين نظير سائر الرسل . ولا نعرف على وجه التحقيق حقول كرازته . قيل إنه بشر فى اليهودية والسامرة وبعض مقاطعات آسيا الصغرى . وختم حياته شهيداً .





القديس بولس (٤٣)


بولس الرسول

إننا نعرف عن هذا الرسول وعن نشاطه الكرازى ، أكثر مما نعرف عن أى رسول آخر ، وذلك بفضل ما دوّنه عنه القديس لوقا فى سفر الأعمال ، وبفضل رسائله التى كتبها ... **ولد فى طرسوس (٤٤) عاصمة ولاية كيليكية Cilicia جنوبى آسيا الصغرى** ، ومن أبوين يهوديين من سبط بنيامين كانت ولادته عقب مولد المسيح بسنوات قليلة ، فقد ولد حوالى سنة ٥ أو سنة ٦ ... سمى بالاسم العبرانى شاول على اسم أول ملوك إسرائيل الذى كان أيضاً من سبط بنيامين . كما دعى أيضاً بولس وهو اسم رومانى ، فقد كانت أسرته تتمتع بحقوق المواطنة الرومانية ــ وإن كنا لا نعرف

(43) Schaff, Vol. 1, pp. 286-333; De Pressensé Vol, 1, pp. 95-124; 143-204; Weiss, Earliest Christianity Vol. 1, pp. 180-185; Lietzmann, A History of the Early Church, pp. 104; Harnack, The Mission and Expansion of Christianity p.p. 73 -- ; Smith, Dictionary of the Bible, Vol. 2, pp. 731-763.

(٤٤) بناء عن رواية جيروم التى يحتمل أن يكون أخذها عن أوريجينوس أن والدى شاول نزحا من جيشالا Gischala وهى مقاطعة يهودية شمالى الجليل إلى طرسوس . ولعل فى ارسال شاول ليتعلم فى أورشليم ، ووجود أخت له متزوجة فيها (أع ٢٣ : ١٦ - ٢٢) ما يؤيد هذا الرأى .

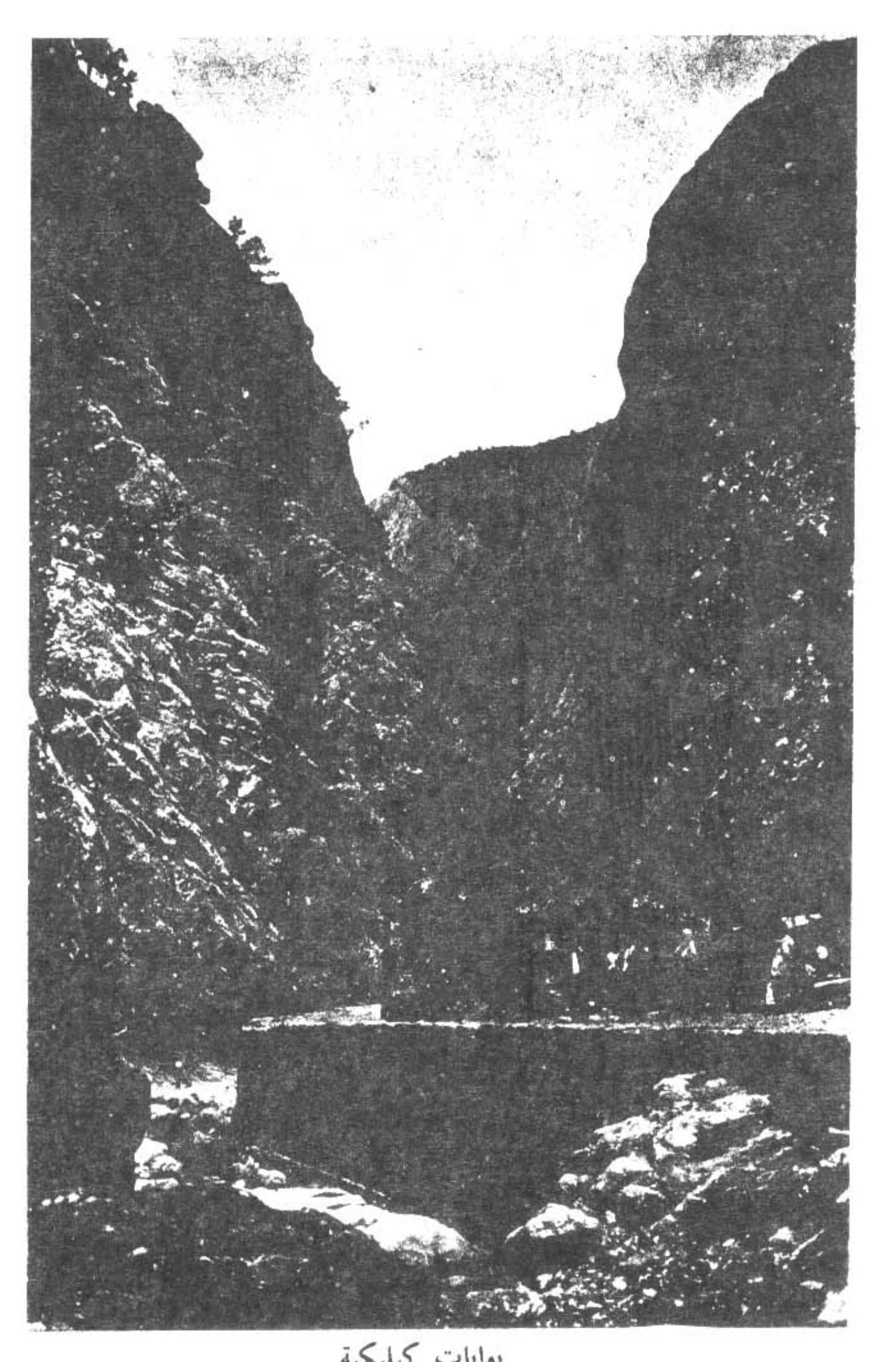
كيف ولماذا ... **ذكرت عدة أسباب لتسمية بولس**، لكننا نستبعد أن هذا الاسم اطلق عليه بعد إيمان الوالى سرجيوس بولس فى قبرص ...

كانت هناك عادة منتشرة أن يحمل الشخص اسمين، أحدهما عبرانى والآخر يونانى أو رومانى، والأمثلة على ذلك كثيرة فى العهد الجديد ... كان أبوه فريسياً، فنشأ هو أيضاً فريسياً متحمساً لشريعة آبائه ... تلقى تعليمه الدينى فى أورشليم فى مدرسة غمالائيل (الأول) وهو أعظم معلمى اليهود فى زمانه. و يبدو أن بولس أتى إلى أورشليم حدثاً. وهكذا نستنتج من قوله «ربيت مؤدباً عند رجلى غمالائيل» (أع ٢٢: ٣) ... **كان لبولس إلمام كبير بالثقافة اليونانية واللغة اليونانية، بفضل البيئة الهيلينية التى نشأ وترعرع فيها فى طرسوس (*). وكان يجيد اليونانية إجادة تامة، ويظهر ذلك** من أسلوبه فى حديثه ورسائله، **ووقوفه** على بعض آداب الديانة الوثنية وأقوال فلاسفتها وشعرائها وإستشهاده بها. **كما كان يجيد العبرية الفصحى بالإضافة إلى الآرامية (٤٥) وهى العبرية الدارجة،** حتى أنه أثار دهشة سامعيه فى الهيكل (أع ٢٢: ٢) وهكذا جمع بولس فى شخصه **اليهودية والهيلينية والرومانية، بما أهله أن يصبح رسولاً للعالم أجمع ... وإلى جانب هذه الثقافة** تعلم صناعة الخيام ـــ حسب تقليد معلمى اليهود ـــ حتى ما تكون عوناً له فى مواجهة الحياة ومصاعبها، إذا تطلب الأمر.

نلتقى ببولس. أول ما نلتقى فى كتاب العهد الجديد ـــ فى حادث رجم إستفانوس، إذ كان يحرس ثياب الراجمين، وبعد هذا الحادث، يبرز بولس كأكثر مضطهدى الكنيسة حركة ونشاطاً. فما أن إنتهى من أعماله التخريبية الانتقامية فى أورشليم، حتى قصد دمشق مزوداً بسلطان من رؤساء الكهنة، لكى ينزل الاضطهاد بالمؤمنين هناك.

(*) يشهد الجغرافى سترابو Strabo بأن مدارس مقاطعة كيليكية كانت تنافس مدارس أثينا والاسكندرية.

(٤٥) يتضح هذا من إستخدامه بعض الكلمات الآرامية فى رسائله مثل «ماران أثا» (١ كو١٦: ٢٢)، وأبا (غل ٤: ٦؛ رو٨: ١٥).



بوابات كيليكية

وهى ممرات فى جبال طوروس إجتازها بولس الرسول فى طريقه إلى مدن غلاطية أثناء جولاته الكرازية .

إهتداؤه للمسيحية :

أما إهتداؤه للمسيحية فكان عند مشارف دمشق ، حينما أعلن له الرب يسوع ذاته وأرشده إلى ما ينبغى أن يفعله. بعد هذه الرؤيا ، كان وهو مفتوح العينين لا يبصر. فاقتادوه إلى داخل دمشق ، وظل صائماً ثلاثة أيام لا يأكل ولا يشرب ... وفى نفس الوقت أعلن الرب إلى حنانيا أسقف دمشق فى رؤيا خبر شاول ، وأمره أن يذهب إليه وعين له مكانه ... ذهب حنانيا ووضع عليه يديه فامتلأ من الروح القدس ووقع من عينيه شىء كأنه قشور ، فأبصر فى الحال وقام واعتمد (٤٦) ... كان هذا على أرجح الآراء سنة ٣٦ أو سنة ٣٧ م ... **ما أن اعتمد وامتلأ من الروح القدس حتى تحول من مضطهد إلى مجاهد ، ومن يهودى متعصب لبنى جنسه إلى رسول عملاق ، يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون** « وللوقت جعل يكرز فى المجامع بالمسيح ، أن هذا هو ابن الله » (أع ٩ : ٢٠) .

بعد ذلك أمضى بولس ثلاث سنوات فى العربية (٤٧) ، وهى الصحراء المقابلة لدمشق شرقاً (غل ١ : ١٧ ، ١٨) انطلق إلى العربية ــ ليس فى مهمة تبشيرية كما يعتقد يوحنا ذهبى الفم ــ بل كان غرضه الأساسى من هذه الخلوة هو التأمل والصلاة ودراسة أسفار العهد القديم بروح جديدة ، على ضوء بركات العهد الجديد. ولا شك أن هذه السنوات الثلاثة هى مقابل السنوات الثلاث التى أمضاها التلاميذ فى الإعداد والتلمذة للرب يسوع ... هناك فى هذه الخلوة أمكنه أن يدرس التناقض العجيب بين الحرف الذى يقتل والروح الذى يحيى ... بين خدمة الموت وخدمة الروح (٢ كو ٣ : ٦-٩) **وقد قبل الكثير من هذه الحقائق بواسطة الإعلانات الإلهية** ... « وأعرفكم أيها الإخوة الإنجيل الذى

---

(٤٦) أع ٩ : ١ - ١٨ ؛ ٢٢ : ٦ - ١٦ ؛ ٢٦ : ١٢ - ١٨ .

(٤٧) المقصود بها مملكة النبوطيين التى كانت تمتد من دمشق شمالاً إلى بترا Petra العاصمة جنوباً ــ وقد ورد ذكر النبوطيين فى سفر المكابيين الأول (٥ : ٢٥) ــ وكان يُطلق على سكانها اسم العرب انظر : Hastings, Dictionary of the Bible, p. 46.

بشرت به ليس بحسب إنسان ، لأنى لم أقبله من عند إنسان ، ولا علمته ، بل بإعلان يسوع المسيح » (غل ١ : ١١ ، ١٢) .

بعد ثلاث سنوات من إيمانه ــ أى من سنة ٤٠ تقريباً إلى وقت إستشهاده فى سنة ٦٧ أو ٦٨ ــ قام بولس بثلاث رحلات تبشيرية كبيرة ، إلى جانب بعض رحلات صغيرة أخرى ، وزار أورشليم خلالها خمس مرات ، وأمضى أكثر من أربع سنوات أسيراً فى قيصرية وروما ... ونلاحظ أن القديس بولس اتخذ أنطاكية عاصمة سوريا آنذاك قاعدة لرحلاته التبشرية ، وأصبحت كنيستها الكنيسة الأم لكنائس الأمم ، ينطلق منها للتبشير و يعود إليها . وفى نفس الوقت إحتفظ بصلاته بكنيسة أورشليم التى كانت بمثابة الكنيسة الأم لكنائس الختان ...

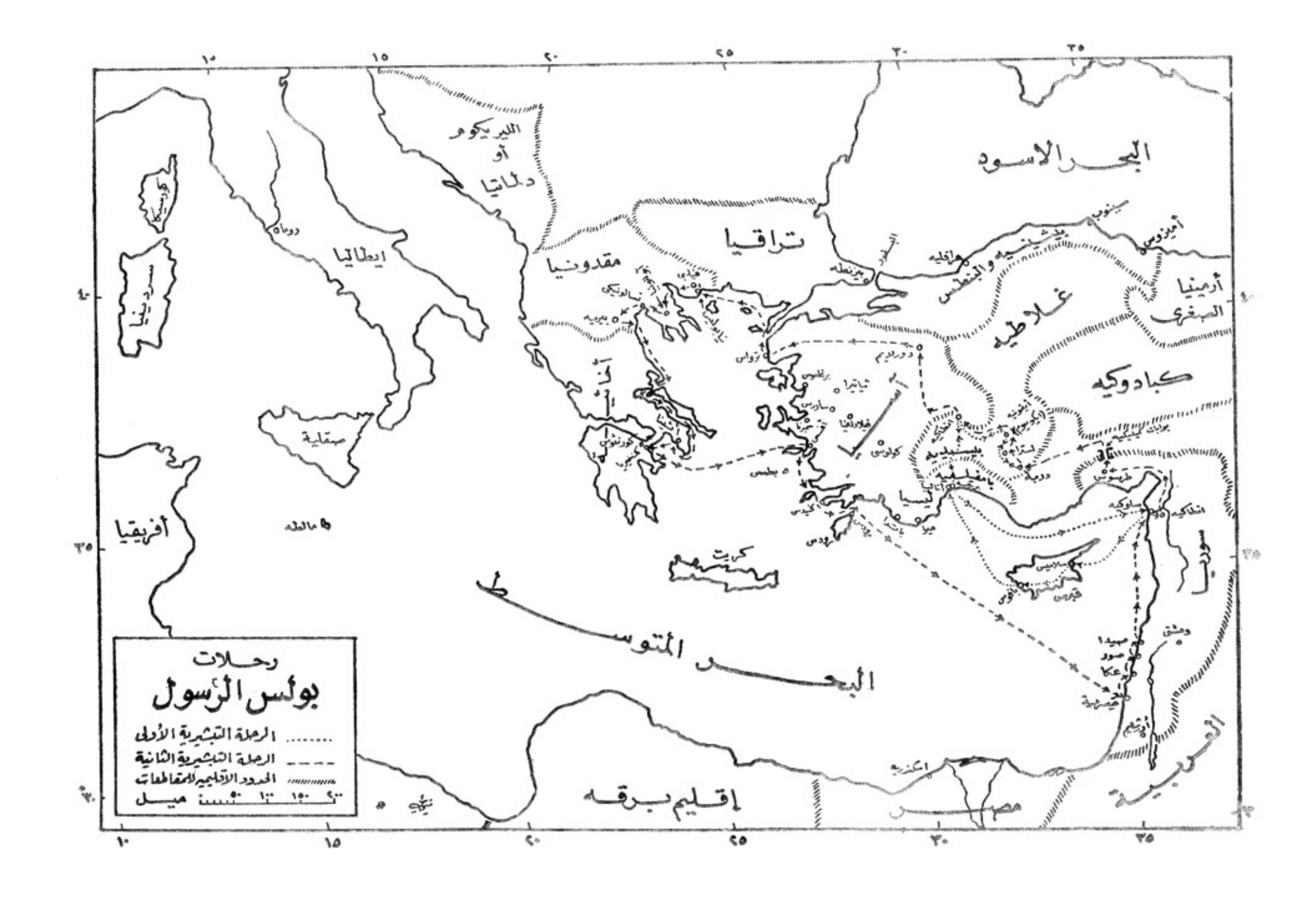
ويمكن دراسة هذه الفترة على النحو التالى :

١ ـ الفترة من سنة ٤٠ إلى سنة ٤٤ م :

بعد أن عاد بولس من خلوته فى العربية ، بدأ خدمته العامة ... بدأها بغيرة زائدة فى دمشق ، مبشراً بالرب يسوع ، فى نفس المكان الذى اقتبل فيه الإيمان ودعى للعمل ... أثار نشاطه وخدمته حفيظة اليهود ، حتى أنهم استعدوا عليه والى دمشق العربى الحارث الذى شدد فى حراسة أبواب المدينة بقصد القبض عليه . لكن الإخوة المؤمنين دبروا أمر هربه بأن دلوه من طاقة فى سل بواسطة الحبال (أع ٩ : ٢٣ - ٢٥ ؛ ٢ كو١١ : ٣٢ ، ٣٣) .

بعد ثلاث سنوات صعد إلى أورشليم ليتعرف ببطرس [٤٨] ومكث معه

(٤٨) لم يصعد بولس إلى بطرس ليتلقى منه تعليمات ، أو ليستمد منه سلطاناً أو تعليماً . فالرسول بولس يقول إلى أهل غلاطية : « وأعرفكم أيها الإخوة الإنجيل الذى بشرت به أنه ليس بحسب إنسان . لأنى لم أتسلمه أو أتعلمه من إنسان بل باعلان يسوع المسيح » و يقول بعدها ــ مشيراً إلى حادث إيمانه ــ « ولا صعدت إلى أورشليم إلى الرسل الذين قبلى » (غل ١ : ١١ ، ١٢ ، ١٧) . لكن ليس معنى هذا أن بولس إستقى كل معلوماته عن المسيحية من الله رأساً ، لكنه بالتأكيد إستلم بعضها من الكنيسة ، بالإضافة إلى بعض الأسرار العميقة التى أعلنت له من الله والتى ميزت شخصيته وتعليمه بين الأمم انظر : De Pressensé Vol. 1, p. 115.



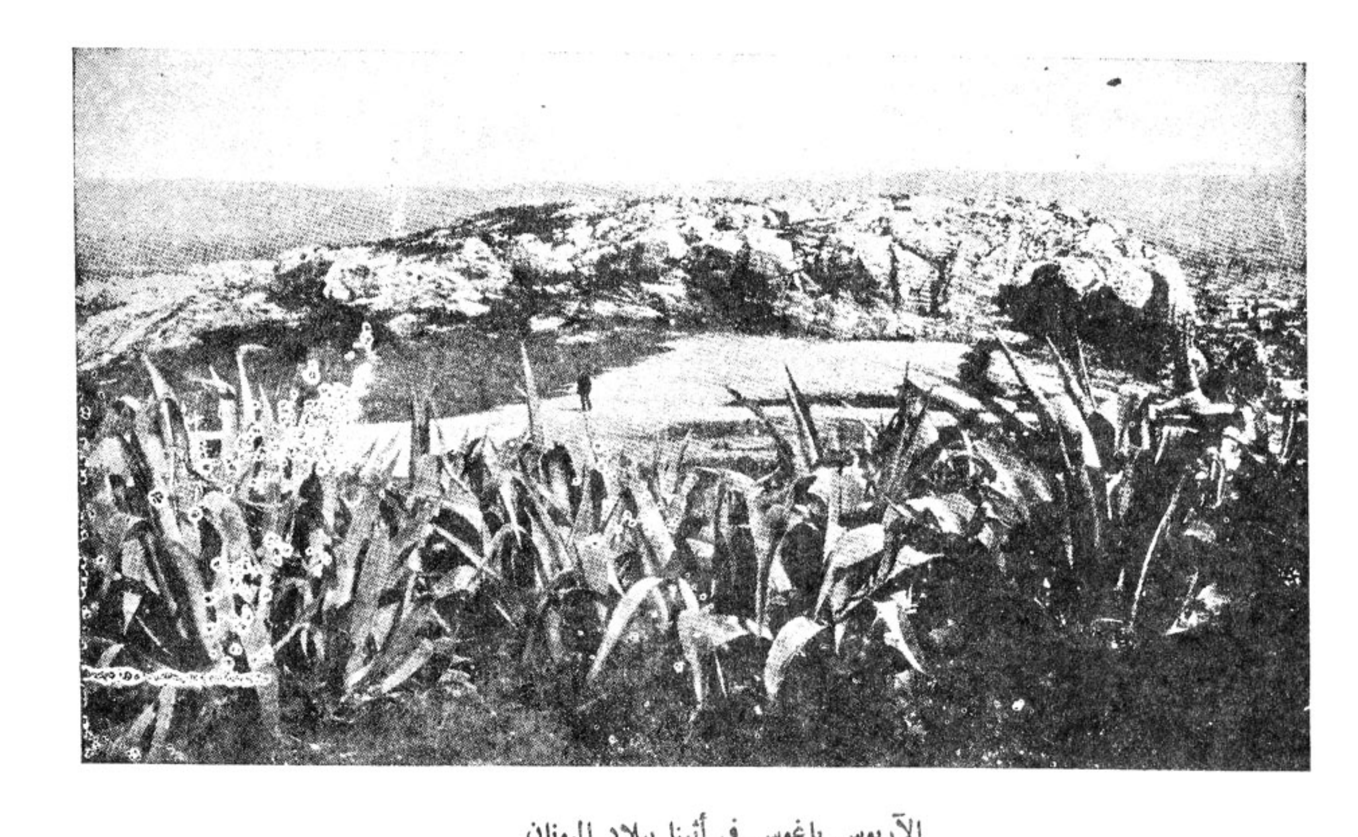
خمسة عشر يوماً. وقد التقى فى هذه المرة بيعقوب أخى الرب (غل١: ١٩) ... وقدمه برنابا إلى التلاميذ الذين كانوا فى بادىء الأمر خائفين منه. لكن لما سمعوا بالطريقة التى آمن بها، كانوا يمجدون الله، لأن الذى كان يضطهدهم قبلاً صار يبشر بالإيمان الذى كان قبلاً يتلفه (أع٩: ٢٦، ٢٧؛ غل١: ١٨-٢٤) ... وفى هذه الزيارة الأولى إلى أورشليم أعلنت له رؤيا من الرب يسوع فى الهيكل، وقال له: «إسرع واخرج عاجلاً من أورشليم لأنهم لا يقبلون شهادتك عنى ... إذهب فإنى سأرسلك إلى الأمم بعيداً» (أع٢٢: ١٧) ... وقد دبر اليهود مؤامرة لقتله ... لكن الإخوة أرسلوه إلى قيصرية ومنها إلى طرسوس. وظل فيها حتى جاءه برنابا وطلب منه الإشتراك معه فى الخدمة فى أنطاكية، فذهب معه وظل يخدم فيها لمدة سنة كاملة (أع١١: ٢٥، ٢٦).

لكنه بسبب المجاعة التى كانت وشيكة الوقوع ـ والتى تنبأ عنها النبى أغابوس ـ ذهب سنة ٤٤ ـ خلال السنة التى أمضاها بأنطاكية ـ إلى أورشليم ومعه برنابا، حاملاً تقدمة المسيحيين فى أنطاكية لمساعدة إخوتهم فى اليهودية ... وقد تمت هذه الزيارة فى الظروف التى قتل فيها يعقوب الكبير ابن زبدى، وسجن بطرس ... ونلاحظ أن **جزءاً كبيراً من السنوات الأربع الخاصة بهذه الفترة صرفت فى أعمال تبشيرية فى طرسوس وأنطاكية.**

٢ ـ الرحلة التبشيرية الأولى (سنة ٤٥ ـ سنة ٥٠):

بدأ بولس رحلته التبشيرية الكبرى الأولى مصحوباً ببرنابا ومرقس بإعلان الروح القدس بلسان الأنبياء فى كنيسة أنطاكية (أع١٣: ١، ٢) ... **إنحدر بولس وبرنابا ومرقس إلى سلوكية ميناء أنطاكية على البحر المتوسط، وأقلعوا منها بحراً إلى قبرص ... إجتازوا جزيرة قبرص، وانتقلوا منها إلى آسيا الصغرى.** لكن مرقس فارقهما فى برجة بمفيلية ورجع إلى أورشليم لأسباب لا نعلمها ...

ولعل **أهم الأحداث فى هذه الرحلة الأولى** هى إيمان والى قبرص الرومانى سرجيوس بولس، وتوبيخ ومعاقبة عليم الساحر اليهودى، والنجاح الذى صادفه



الآريوس باغوس فى أثينا ببلاد اليونان

فى هذا المكان التقى القديس بولس بجماعة من الفلاسفة الابيقوريين والرواقيين وبشرهم بالرب يسوع .

التبشير بالإنجيل فى أنطاكية بيسيدية ، ومقاومة اليهود ، وشفاء الرجل المقعد من بطن أمه فى لسترة ، ومحاولة الناس عبادتهم والذبح لهما هناك .

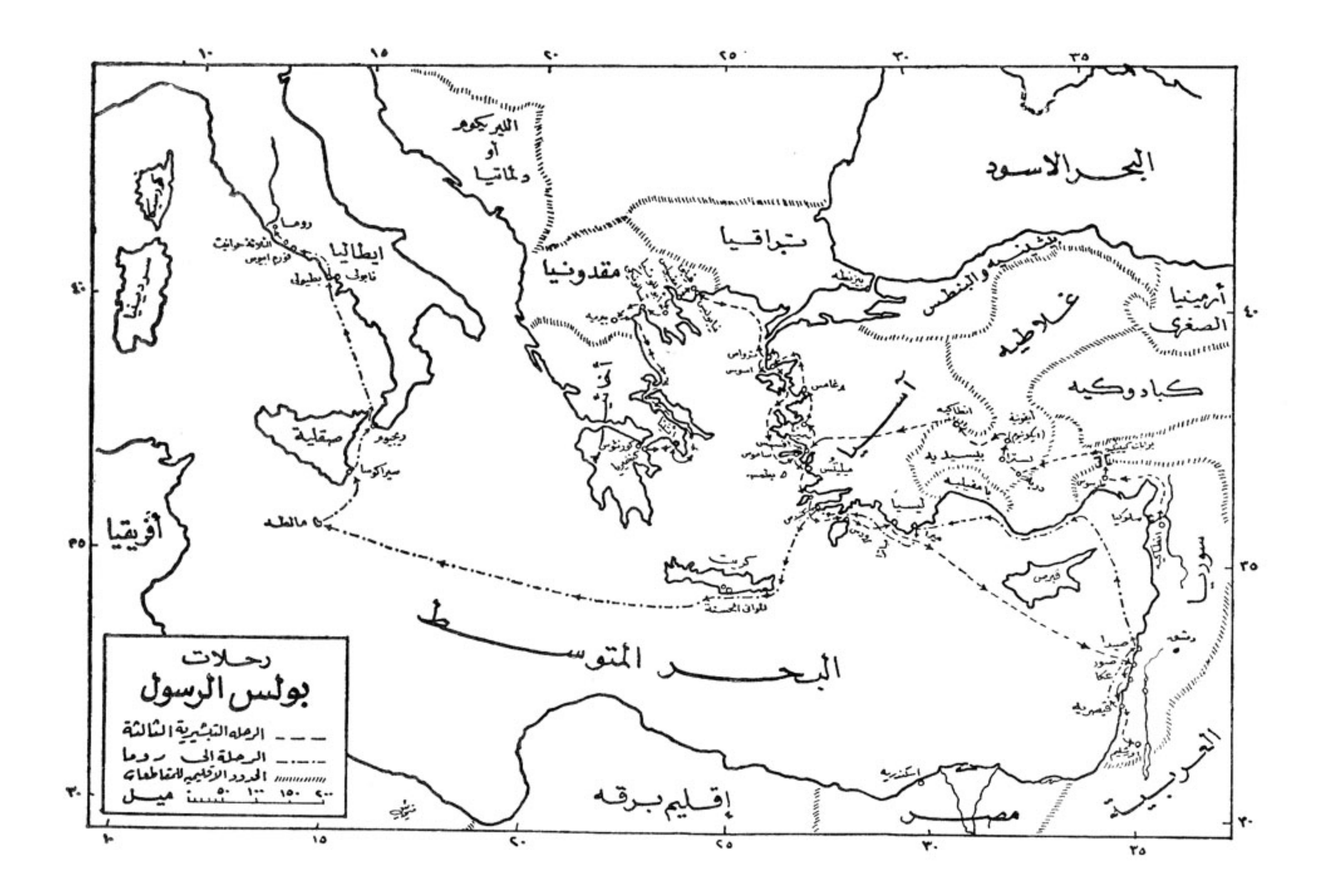
ثم التحول المفاجىء لهذه المشاعر إلى كراهية لهما كأعداء للآلهة بسبب تحريض اليهود ، وما ترتب على ذلك من رجم بولس فى لسترة وهربه هو وبرنابا من الموت ، وعودتهما المظفرة إلى أنطاكية (أع ١٣ ، ١٤) ... **وتنتهى هذه الفترة بالمجمع الرسولى الأول الذى عقد فى أورشليم سنة ٥٠ .**

٣ - الرحلة التبشيرية الثانية (سنة ٥١ ــ سنة ٥٤) :

بعد الإنتهاء من مجمع أورشليم بدأ بولس رحلة ثانية كبيرة سنة ٥١ ، كانت تهدف إلى تبشير اليونانيين ، وأخذ معه سيلا ... وبعد أن زار بولس الكنائس التى أسسها قبلاً ، إنطلق يرافقه سيلا وتيموثاوس الشاب الذى كان قد آمن جديثاً . إجتازوا أقاليم فريجية وغلاطية ، ومنعهم الروح القدس من أن يتكلموا بالكلمة فى آسيا . **إنحدروا إلى ترواس ، وهناك ظهرت لبولس رؤيا فى الليل ــ رجل مكدونى قائم يطلب إليه ويقول :** « اعبر إلى مكدونية وأعنا » **فكان هذا إعلان من الله بالإنطلاق إلى بلاد اليونان لتبشيرها (أع ١٦ : ٩ ، ١٠) .**

كرز بالإنجيل أولاً بنجاح كبير فى فيلبى حيث آمنت ليديا بائعة الأرجوان وحافظ السجن ... وفيها سجن بولس وسيلا . وبمعجزة انفتحت أبواب السجن وخرجا منه (أع ١٦) ... **بعد ذلك قصدا إلى تسالونيكى ،** وهناك قاومه اليهود واضطهدوه ، لكنه خلف وراءه كنيسة مزدهرة ... **وفى بيرية** أظهر اليهود غيرة عظيمة ، إذ قبلوا الكلمة بكل نشاط (أع ١٧) ...

ثم ذهب بولس وسيلا إلى أثينا مركز الأدب القديم والفلسفة . وهناك التقى بولس ببعض الفلاسفة الأبيقوريين والرواقيين . هناك ــ فى الأريوس باغوس الواقع على تل مارس ــ كشف لهم بكل حكمة عن الإله المجهول ، الذى كانوا يتقونه وهم يجهلونه وأقاموا له مذبحاً (أع ١٧) .. وإن كان بولس لم ينجح نجاحاً ملموساً


رحلات
بولس الرسول
الرحلة التبشيرية الثالثة
الرحلة الى روما
الحدود الإقليمية للمقاطعات
ميل
البحر الاسود
اللليريكوم
أو
دلماتيا
تراقيا
مقدونيا
ايطاليا
روما
صقلية
سيراكوسا
ريجيوم
مالطة
أفريقيا
كريت
البحر المتوسط
إقليم برقه
مصر
العربية
سوريا
انطاكيه
قبرص
صيدا
صور
عكا
قيصرية
اسكندرية
بيزنطة
بثينيه والبنطس
غلاطيه
كبادوكيه
أرمينيا الصغرى
أسيا
ليسيا
بيسيديه
بامفيليه
ميليتس
ساموس
ترواس
اسوس
ميرا
رودس

فى أثينا مهد الفلسفة لأنهم إستهزأوا به ، لكن دعوته للإيمان أثمرت فى نفر قليل منهم ديوناسيوس الأريوباغى — الذى صار أسقفاً على أثينا فيما بعد — وامرأة تدعى دامرس (أع١٧ : ٣٤) ... لكن سرعان ما إزدهرت المسيحية فى تلك البلاد فيما بعد بفضل البذار التى بذرها هذا الكارز العظيم ...

مضى بولس بعد ذلك إلى كورنثوس ، وكانت بمثابة القنطرة التجارية بين الشرق والغرب ، ومركزاً هاماً للثروة والثقافة ، وبؤرة للفساد والرذيلة (٤٩) .

أمضى بولس فى كورنثوس سنة ونصف ، إستطاع خلالها — فى ظروف قاسية جداً من **الإنحلال الخلقى — أن يؤسس فيها كنيسة بقوة كلمة الله ، وأنفذ إليها بعد ذلك رسالتين من أكثر رسائله أهمية .**

وفى ربيع سنة ٥٤ عاد بولس إلى أنطاكية ماراً بأفسس وقيصرية وأورشليم .. وفى خلال هذه الفترة كتب رسالتيه إلى التسالونيكيين .

٤ ـ الرحلة التبشيرية الثالثة (سنة ٥٤ — سنة ٥٨) :

فى أواخر سنة ٥٤ ، قصد بولس أفسس ، وكانت آنذاك المدينة الأولى فى آسيا حيث معبد الآلهة ديانا (أرطاميس) ومكث بها ثلاث سنوات ، جاعلاً منها قاعدة عمله الكرازى (أع٢٠ : ٣١) ... بعد ذلك زار للمرة الثانية الكنائس التى أسسها فى مكدونية وأخائية ، وأمضى ثلاثة أشهر فى كورنثوس ومجاوراتها ... وقد كتب فى هذه الفترة رسائله العقيدية إلى كنائس غلاطية وكورنثوس ورومية .

---

(٤٩) الرذائل التى أشار إليها بولس فى (رو ١ : ١٨ ـ ٣٢) — تلك الرسالة التى كتبها من كورنثوس إلى كنيسة رومية — إنما جاءت وصفاً لأنواع الفجور فى تلك المدينة التى إستشرى الفساد فيها ، حتى أن معبد الالهة فينوس فوق الأكربول كان يضم أكثر من ألف زانية مخصصة لإرتكاب ألوان الفحشاء إرضاء للالهة .. انظر : Schaff, Vol. 1, pp. 325, 326.

٥ - فترة أسره فى قيصرية ، وأسره الأول فى روما (سنة ٥٨ ـ ٦٣)

وتشمل هذه الفترة مدة أسر بولس مرتين بما فيها فترة الشتاء التى تخللت الاثنين ، والتى سافر فيها من قيصرية إلى روما ...

فى ربيع سنة ٥٨ سافر بولس للمرة الخامسة والأخيرة إلى أورشليم ماراً بفيلبى وترواس وميليتس (حيث إلتقى فيها بكهنة أفسس أع ٢٠) ، **وصور وقيصرية ، حاملاً معه إلى فقراء اليهودية ـ معونة مؤمنى بلاد اليونان** ... ولكن بعض اليهود المتعصبين الذين يمقتونه دبروا ثورة ضده فى مناسبة عيد الخمسين ، واتهموه بتدنيس الهيكل بإدخال يونانيين إليه ، وجروه خارج الهيكل حتى لا يدنسوه بدمه ... وكانوا سيقتلونه لا محالة ، لولا تدخل الضابط الرومانى ليسياس ، الذى كان على مقربة من المكان ... وشفعت له فى هذا الموقف حقوق المواطنة الرومانية التى كان يتمتع بها ، فأنقذه هذا الضابط من ثورة الدهماء ، وأوقفه فى اليوم التالى أمام السنهدرين . وبعد جلسة غير مجدية ، وبعد إكتشاف مؤامرة للفتك به ، **أرسله ليسياس تحت حراسة قوية إلى فيلكس الوالى الرومانى فى قيصرية ، ومعه شهادة تثبت براءته** (أع ٢١-٢٦) .

بقى بولس أسيراً فى قيصرية لمدة سنتين كاملتين (٥٨ ـ ٦٠) ـ فى إنتظار محاكمته ... وأمام فستوس الوالى الرومانى الذى خلف فيلكس سنة ٦٠ ، طلب بولس كمواطن رومانى أن ترفع دعواه إلى قيصر ، فوافق الوالى على ذلك . وهكذا عمل بولس على إتمام إرادة الله المعلنة له بأن يبشر روما عاصمة العالم القديم بمخلص العالم كله (أع ٢٣ : ١١) ... **وبعد أن دلل على براءته أكثر من مرة ، وشهد للمسيح أمام فستوس والملك هيرودس أغريباس الثانى وكل وجوه قيصرية ، أرسل فى خريف سنة ٦٠ مخفوراً إلى روما .**

كانت رحلة قاسية ، تحطمت فيها السفينة التى كان يستقلها بفعل العواصف ، وأمضى الشتاء فى جزيرة مالطة . **وفى مارس سنة ٦١ وصل بولس إلى روما ... وصلها أسيراً** ... أسير يسوع المسيح . لكنه كان فى حرية وقوة أكثر من الإمبراطور

الجالس على عرشه ... كانت السنة السابعة لتملك نيرون الطاغية ...

فى روما أمضى بولس على الأقل سنتين حتى ربيع سنة ٦٣ فى حياة سهلة ، منتظراً الفصل فى قضيته. لقد أقام تلك الفترة فى مسكن خاص إستأجره . ولعل ذلك راجع إلى أن تقرير الوالى الرومانى فستوس كان فى صالحه . وبناء عليه فقد مُنح الأسير بولس حرية أكثر من بقية الأسرى ... فحددت أقامته ، لكن كانت له الحرية أن يستقبل مَنْ يشاء ، غير أنه كان له حارس يلازمه وهو موثق بسلاسل ...

وفى خلال تلك الفترة بشر بولس جميع الذين كانوا يدخلون إليه بكل مجاهرة بلا مانع (أع٢٨ : ٣٠ ، ٣١) ... إبتدأ باليهود ، لكن تعصبهم أعماهم فلم يقبلوا بشارته . إتصل به المسيحيون الذين كانوا فى روما وضواحيها . وقد كان لكلامه تأثير حتى فى الجنود الذين يتناوبون حراسته (فى ١ : ١٢ ، ١٣) ... **وعلى الرغم من قيوده ، فقد وصل نشاطه إلى موظفى البلاط الإمبراطورى ، فكسب بعضهم وأدخلهم إلى حظيرة الإيمان ،** وحمل تحياتهم إلى الإخوة الذين فى فيلبى (فى ٤ : ٢٢) ... هكذا تمم بولس — على الرغم من قيوده — عمله الرسولى نحو الرب والكنيسة ، مثبتاً عملياً أن كلمة الله لا تقيد أبداً ... وفى هذه الفترة كتب رسائله إلى كولوسى وفليمون وأفسس وفيلبى .

٦ ـ الأسر الثانى فى روما :

يتوقف القديس لوقا كاتب سفر الأعمال فى سرده لجهود بولس الرسول التبشيرية عند ربيع سنة ٦٣ ولا يمدنا بمعلومات أخرى عن حياته بعد ذلك التاريخ ... لكن ليس معنى هذا أن رسالة بولس إنتهت عند هذا الحد الذى ختمه لوقا بقوله : « كارزاً بملكوت الله ومعلماً بأمر الرب يسوع المسيح بكل مجاهرة بلا مانع » (أع٢٨ : ٣١) ... ولم يذكر لوقا شيئاً عن إستشهاد بولس أو نهاية حياته ...

هناك تساؤلات كثيرة ، أثير حولها جدل كبير ، لم يصل المؤرخون وكبار

مفسرى الكتاب المقدس إلى رأى موحد إزاءها ، وهى تختص بحياة بولس وجهوده فى الفترة من ربيع سنة ٦٣ إلى وقت إستشهاده فى سنة ٦٧ أو ٦٨ .

المرجح أن بولس أطلق سراحه لفترة قصيرة أعيد بعدها إلى السجن فى روما ... وفى هذه المرة ظل مسجوناً تحت حراسة مشددة وبصورة أعنف من الأولى (٢تى ٤ : ١٦ ، ١٧) ... ورسالة القديس بولس إلى تلميذه تيطس هى إحدى الأدلة على إطلاق سراح بولس بعد أسره الأول . يقول له : « من أجل هذا تركتك فى كريت لكى تكمل ترتيب الأمور الناقصة ... » (تى ١ : ٥) لم يذهب بولس فى رحلاته التبشيرية الثلاث إلى كريت . لكن السفينة رست عليها وهو فى طريقه إلى روما أسيراً (أع ٢٧ : ٧ ، ٨) . وفى تلك المرة لم يكن معه تيطس .. فلابد وأنه بعد إطلاقه ذهب لتبشيرها وكان معه تيطس . **لقد كانت كل ظروف بولس فى أسره الأول فى صالحه ، مما يؤيد فكرة إطلاق سراحه . كما أن الرسائل التى كتبها فى مدة الأسر الأول تعكس نفسيته وتظهرها بمظهر الرجاء والفرح .**

فى الفترة القصيرة التى أطلق فيها سراحه بعد الأسر الأول كتب الرسالة إلى العبرانيين من مكان ما بإيطاليا ، كان يستعد منه للسفر للشرق ... ويعود بولس للظهور أسيراً للمرة الثانية فى روما فى أواخر سنة ٦٦ ... **فى الفترة ما بين الأسرين** ذهب إلى كريت ، وعهد إلى تلميذه تيطس العناية بشئون كنيستها ، وذهب إلى أفسس وغادرها إلى مكدونية حيث كتب رسالته الأولى إلى تلميذه تيموثاوس من إحدى مدنها ... وربما عرج على كورنثوس وميليتس وأمضى شتاء سنة ٦٥ ، سنة ٦٦ فى مدينة نيكوبوليس بإقليم إبيروس ، حيث كتب رسالته إلى تيطس يستدعيه (تى ٣ : ١٢) . ويبدو أنه عرج على ترواس حيث أودع قسماً من أمتعته (٢تى ٤ : ١٣) ... وفى رأى آخر أنه قبض عليه فى ترواس ورحل منها أسيراً إلى روما ليؤسر أسره الثانى . ويستدلون على ذلك من أنه لم يتمكن من أخذ متاعه ورقوقه التى لا يستغنى عنها . وهناك إحتمال أنه ذهب إلى أسبانيا ...

فى هذا الأسر الثانى والأخير كتب بولس آخر رسائله وهى الثانية إلى تيموثاوس ، وفيها يقول له : « فإنى أنا الآن أُسكب سكيباً ، ووقت إنحلالى قد



طريق ابيروس المؤدى إلى روما
هذا الطريق سلكه بولس الرسول فى وصوله إليها

حضر. قد جاهدت الجهاد الحسن ... وأخيراً وضع لى إكليل البر» (٢تى ٤ : ٦-٨) ... **ومهما يكن من أمر، فإن هذه الفترة الأخيرة من حياة ذلك الرسول المجاهد يكتنفها الغموض ويجمع المؤرخون القدامى على أن بولس قضى شهيداً بقطع رقبته بحد السيف فى عهد نيرون الطاغية فى مدينة روما ، فى سنة ٦٧ أو ٦٨ م .**

هذا العرض التاريخى المقتضب أقل من أن يصور لنا أن هذا الرسول العملاق على حقيقته ... إن مَنْ يريد أن يقف على سيرة كاملة له ، عليه أن يدرس حياة هذا الرجل القديس المجاهد من واقع كتاباته ، التى تبرز قوة شخصيته وجمال فضيلته وعمق إيمانه وفرط إتضاعه وأصالة نسكه ووفور غيرته وكنوز محبته ... كم من الأكاليل وضعت لذاك الذى تعب أكثر من جميع الرسل ، ودعا الناس أن يمتلئوا إلى كل ملء الله ، وكان كل همه أن يحضر كل إنسان كاملاً فى المسيح يسوع ، وأخيراً قدم حياته ثمناً لحبه لإلهه ومخلصه ...؟!

القديس برنابا

كان يهودياً من سبط لاوى . و يبدو أن أسرته إستقرت فى قبرص ، لكن كان له أقرباء فى أورشليم منهم أسرة مار مرقس الذى دعاه بولس ابن أخت برنابا (كو٤ : ١٠) ... **وتعتقد كنيستنا بناء عن تقليد قديم أن برنابا أحد السبعين رسولاً** (٥٠) ... **وقد دعى فى سفر الأعمال رسولاً . ودعاه بولس رسولاً بين الرسل نظيره ، ووضعه كوضع بولس تماماً ، فقد أعطتهما الكنيسة الأولى يمين**

---

(٥٠) سنكسار الكنيسة القبطية تحت يوم ٢١ كيهك ، الدرر النفيسة فى مختصر تاريخ الكنيسة جـ١ ص٧٧ . Eusebius, H.E., 1. 12: 1; Harnack, the Mission, pp. 52, 53.

الشركة (٥١) ... كان اسمه يوسف ودعاه الرسل برنابا (٥٢) (أع ٤ : ٣٦) .

يقدمه لنا القديس لوقا فى صورة مشرقة فى سفر الأعمال كواحد مِمَّنْ باعوا ممتلكاتهم من أجل صالح الجماعة (أع ٤ : ٣٦ ، ٣٧) ومرة ثانية يقول عنه إنه « كان رجلاً صالحاً ممتلئاً من الروح القدس والإيمان » (أع ١١ : ٢٤) ...

وبحكم كونه تلميذاً من التلاميذ القدامى وأحد السبعين رسولاً ، كانت له مكانة خاصة فى كنيسة أورشليم فهو الذى أوفدته كنيسة الرسل بأورشليم إلى أنطاكية حالما ترامى إلى سمعها أن الأمميين فيها قبلوا كلمة الله (أع ١١ : ٢٢) ... وهو الذى قدم بولس إلى الرسل والكنيسة فى أورشليم وأدخل الطمأنينة إلى نفوسهم بعد أن كانوا متوجسين مخاوفاً منه .

خدم برنابا فى أنطاكية ، ولما وجد الحقل متسعاً ويحتاج إلى آخرين معه ، ذهب إلى طرسوس وأحضر شاول ، حيث خدما معاً لمدة سنة كاملة فى أنطاكية (أع ١١ : ٢٢ - ٢٦) ... وفى أثناء هذه السنة صعدا معاً إلى أورشليم حاملين معهما تقدمات مؤمنى أنطاكية إلى إخوتهم فقراء اليهودية ... وفى عودتهما إلى أنطاكية أخذا معهما مرقس (أع ١٢ : ٢٥) .

وبناء عن إرشاد الروح القدس رافق بولس فى رحلته التبشيرية الأولى إلى قبرص موطن أسرته ... ولا شك أن إختيار قبرص كمكان للكرازة ، وإختيار مرقس ليصحبهما يرجع السبب فيه إلى برنابا ... ثم عادا ثانية إلى أنطاكية وبعد ذلك حضرا مجمع أورشليم موفدين من قبل الكنيسة فى أنطاكية للنظر فى موضوع تهود الأمم ... وبعد انتهاء المجمع حملا قراراته .

---

(٥١) أع ١٤ : ٤ ، ١٤ ؛ ١ كو ٩ : ٥ ، ٦ ؛ غل ٢ : ٩ —
Smith, Dictionary of the Bible, Vol. 1, Part 1, p. 358.

(٥٢) برنابا تفسيره فى بعض الترجمات ابن الوعظ ، وفى ترجمات أخرى ابن العزاء كما فى السريانية واللاتينية القديمة . والمعنى الحرفى لبرنابا ابن النبوة ، وربما دعى ابن الوعظ لأن الوعظ كان من أعمال أنبياء العهد الجديد (أع ١٥ : ٣٢) انظر :

Smith, Dict. of the Bible. Vol. 1, Part 1. p. 357.

لكن برنابا افترق عن بولس فى رحلته التبشيرية الثانية ، لأنه أصر أن يأخذ معه مرقس ، الأمر الذى لم يستحسنه بولس ، فحل سيلا محل برنابا كرفيق لبولس (أع ١٥ : ٣٦- ٤٠) ... ثم أبحر إلى قبرص ومعه مرقس وبعد ذلك لا يعود سفر الأعمال يذكر شيئاً عن برنابا . كل ما نعلمه أنه حتى سنة ٥٧ — وهو تاريخ كتابة الرسالة الأولى إلى كورنثوس — كان مايزال فى ميدان الكرازة والخدمة ... **ومما لا شك فيه أن برنابا كان شخصية هامة ومعروفة فى صدر المسيحية ، فقد أشار إليه القديس بولس فى رسائله إلى أهل كورنثوس وإلى أهل كولوسى ، كشخصية معروفة لديهم ، أو بعبارة أخرى معروفة فى بلاد اليونان وآسيا** (٥٣) .

لا نعلم شيئاً عن جهود برنابا الكرازية بعد إفتراقه عن بولس ، وتكاد التقاليد تجمع أنه إستشهد فى سلامينا بقبرص . وليس ما يمنع من قبول هذا الرأى حيث أن برنابا كان متعلقاً بالخدمة فيها . قيل إن اليهود قاموا عليه ورجموه ثم أحرقوه ، لكن جسده لم يحترق ، فدفنوه فى قبر سنة ٦١ ، وقيل إنه كشف فيما بعد عن جسده بموجب رؤيا أعلنت لأسقف المكان فى القرن الخامس .

وهناك رسالة مشهورة تحمل اسم برنابا ، يقرر العلماء أنها كتبت فى أواخر القرن الأول ، ولقيت شهرة كبيرة فى أجيال المسيحية الأولى ، وشهد لها بعض آباء وعلماء الكنيسة ، لكن البعض الآخر أنكر صحة نسبتها إلى هذا الرسول (٥٤) .



هو يوحنا الملقب مرقس الذى تردد اسمه كثيراً فى سفر الأعمال والرسائل (٥٥) .. كان يهودياً من سبط لاوى .. مستوطناً فى مدينة كيرين Cyrene إحدى الخمس

---

(٥٣) انظر : ١ كو ٩ : ٦ ؛ كو ٤ : ١٠ .

(٥٤) انظر ماكتبناه عن هذه الرسالة فى الباب السادس .

(٥٥) انظر : أع ١٢ : ١٢ ، ٢٥ ؛ ١٣ : ٥ ، ١٣ ؛ ١٥ : ٣٧ - ٣٩ ؛ كو ٤ : ١٠ ؛ ٢ تى ٤ : ١١ ؛ فل ٢٤ ؛ ١ بط ٥ : ١٣ .

مدن الغربية . لكن عائلته نزحت إلى فلسطين وطنها الأصلى ، وسكنت بأورشليم .

نشأ فى أسرة متدينة ، كانت من أقدم الأسرات إيماناً بالمسيحية وخدمة لها ... فأمه مريم كانت إحدى المريمات اللائى تبعن المسيح ، كما كان لكثير من أفراد الأسرة صلة بالسيد المسيح . كان مرقس يمت بصلة القرابة للرسل بطرس وبرنابا وتوما ... **أما هو فقد رأى السيد المسيح وجالسه وعاش معه ، بل إنه كان من ضمن السبعين رسولاً ، ولذا لقبته الكنيسة « ناظر الإله »** (٥٦) .

كان بيت مرقس من البيوت الشهيرة فى تاريخ المسيحية المبكر ... فيه صنع رب المجد الفصح الأخير وغسل أرجل تلاميذه . وكان هو العلية التى يجتمع فيها التلاميذ بعد القيامة ، والتى شهدت حلول الروح القدس ... وعلى هذا ، فقد كان بيت مرقس هو أول كنيسة مسيحية فى العالم ، إجتمع فيها المسيحيون فى زمان الرسل (أع ١٢ : ١٢) ويذكر التقليد أن مرقس هو الشاب الذى قيل عنه إنه تبع المخلص وكان لابساً أزاراً على عريه فأمسكه الشبان ، فترك الأزار وهرب منهم عرياناً (مر ١٤ : ٥١ ، ٥٢) ـــ هذه القصة التى لم ترد فى إنجيل آخر سوى إنجيل مرقس ، مما يدل على أنها وقعت معه ...

أما عن جهوده الكرازية ، فيسجل لنا سفر أعمال الرسل ، أنه صحب بولس وبرنابا فى رحلتهما التبشيري الأولى ، وتنقل من أنطاكية إلى قبرص ثم إلى آسيا الصغرى ... لكنه فارقهما عند برجة بمفيلية (أع ١٣ : ١٣) . وعاد إلى أورشليم ، ولم يكمل معهما الرحلة ... **لكنه عاد بعدها وتعاون مع بولس فى تأسيس بعض كنائس أوربا ، وفى مقدمتها كنيسة روما ... ويبدو أنه كرز فى بعض جهات آسيا** (٥٧) ... **وكرز فى أفريقيا وهى حقل كرازته الأساسية ، حيث بشر فى الخمس مدن الغربية بليبيا الحالية ، وفى الاسكندرية والأقاليم المصرية ...**

---

(٥٦) أنبا شنوده ، مرقس الرسول ص ١٤ - ١٦ .

(٥٧) يبلغ القديس بولس الكولوسيين فى آسيا الصغرى سلام مرقس (كو ٤ : ١٠) مما يدل على أنه كان معروفاً لديهم .

دخل القديس مار مرقس مدينة الاسكندرية ـ على الأرجح حوالى سنة ٦٠ ـ من الجهة الغربية قادماً من الخمس مدن ، وكان حذاؤه قد تمزق من كثرة السير ، فقصد إسكافى يدعى إينيانوس ليصلحه له ، وبينما كان إينيانوس يقوم بهذه المهمة ـ إذ بالمخراز يجرح يده ، فيصرخ ويقول : [أيها الإله الواحد] . تفل مار مرقس على الأرض وصنع طيناً ووضعه على الجرح ، فشفيت يده فى الحال . ثم دار حديث بينهما حول هذا الإله الواحد الذى إستغاث به إينيانوس ومن هذا المدخل ، أخذ مار مرقس يشرح له سر التجسد ، فآمن واعتمد ... وانتهى أمر إينيانوس برسامته أسقفاً ومعه ثلاثة قسوس وسبعة شمامسة .

ترك مار مرقس مصر إلى الخمس مدن الغربية ، وسافر منها إلى روما ، حيث كانت له جهود تذكر فى أعمال الكرازة عاون بها الرسول بولس (٥٨) ... لكنه ما لبث أن عاد إلى مصر ليتابع العمل العظيم الذى بدأه ...

وحدث بينما كان الرسول يحتفل برفع القرابين المقدسة يوم عيد الفصح ـ واتفق ذلك اليوم مع عيد الإله الوثنى سيرابيس ـ أن هجم الدهماء على الكنيسة التى كان المؤمنون قد أنشأوها عند البحر، فى المكان المعروف باسم بوكاليا ـ أى دار البقر. ألقوا القبض على مار مرقس ، وبدأوا يسحلونه فى طرقات المدينة وهم يصيحون [جروا التنين فى دار البقر] . ومازالوا على هذا النحو حتى تناثر لحمه وسالت دماؤه ... وفى المساء وضعوه فى سجن مظلم . وفى منتصف تلك الليلة ظهر له السيد المسيح ، وقواه ووعده بإكليل الجهاد ...

وفى اليوم التالى أعاد الوثنيون الكرة ، حتى فاضت روحه ، وأسلمها بيد الرب فى آخر شهر برمودة سنة ٦٨ م .

وإمعاناً فى التنكيل بجسد القديس ، أضرم الوثنيون ناراً عظيمة ووضعوه عليها بقصد حرقه . لكن أمطاراً غزيرة هطلت فأطفأت النار ... أخذ المؤمنون الجسد بإكرام جزيل وكفنوه ... وقد سرق بعض التجار البنادقة هذا الجسد سنة ٨٢٧ م

---

(٥٨) انظر كو ٤ : ١٠ ؛ ٢ تى ٤ : ١١ ؛ فل ٢٤ .

وبنوا عليه كنيسة فى مدينتهم . أما الرأس فماتزال بالإسكندرية وبنيت عليها الكنيسة المرقسية .

والقديس مرقس هو كاتب الإنجيل الذى يحمل اسمه ... وهو واضع القداس المعروف حالياً باسم القداس الكيرلسى نسبة للقديس كيرلس عمود الدين البطريرك الاسكندرى الرابع والعشرين ، لأنه كان هو أول مَنْ دوّن كتابه ، وأضاف إليه بعض صلوات ...

وللقديس مرقس الرسول الفضل فى إنشاء المدرسة اللاهوتية بالاسكندرية تلك المدرسة التى ذاع صيتها فى العالم المسيحى كله شرقاً وغرباً وأسدت للمسيحية خدمات جليلة بفضل علمائها وفلاسفتها الذين خرجتهم . **وحسب كاروزنا مار مرقس شهادة القديس بولس له ... ففى الرسالة إلى فليمون يذكره فى مقدمة العاملين معه (فل ٢٤) . وفى الرسالة إلى كولوسى يذكره بين القلائل العاملين معه بملكوت الله ــ بينما كان هو أسيراً مدة أسره الأول فى روما ... وفى أسره الثانى ــ بينما كان يستعد لخلع مسكنه ــ كتب إلى تيموثاوس يطلب إليه إرسال مرقس لأنه نافع له للخدمة** (٢ تى ٤ : ١١) .



هو ثالث الإنجيليين ، وكاتب سفر أعمال الرسل ، ورفيق القديس بولس فى أسفاره وكرازته وأتعابه ... إن التاريخ لا يمدنا بمعلومات عن حياته السابقة قبيل تعرفه على بولس الرسول ... **ويبدو أن التقليد القديم الذى يقول إنه كان من السبعين (٥٩) رسولاً ، وأنه أحد تلميذى عمواس اللذين إلتقى بهما الرب عشية قيامته ، أمر مشكوك فيه ، والأرجح أنه كان أنطاكياً أممياً (٦٠) وليس**

(٥٩) هذا هو رأى أبيفانيوس فى القرن الرابع ــ انظر : Smith, Dictionary of the Bible, Vol. 2, p. 151.

(٦٠) هكذا شهد يوسابيوس فى تاريخه (H.E. 3.4.7) ، وهكذا كل التقاليد القديمة ... ويؤكد ذلك ملاحظتنا لما يأتى : يعطينا لوقا معلومات أكثر من غيره عن كنيسة أنطاكية (أع ١١ : ١٩- ٣٠ ؛ ١٣ : ١- ٣ ؛ ١٥ : ١- ٣ ؛ ٢٢- ٣٥) ويرجع أساس تسمية « مسيحى » إلى أنطاكية (أع ١١ : ١٩) ، وحينما ذكر السبعة شمامسة ذكر نيقولاوس أنه أنطاكى (أع ٦ : ٥) دون أن يذكر جنسية أى شماس آخر .

يهودياً. فهو باعترافه لم يعاين الرب يسوع بالجسد، وأنه إعتمد فى كتابة إنجيله على ما تسلمه ممَنْ سبقوه، وعلى ما كان مكتوباً وشائعاً (لو١: ١، ٢). أما كونه أممياً ـ فبالإضافة إلى التقليد الكنسى القديم ـ نرى أن بولس فى رسالته إلى الكولوسيين يقول «يسلم عليكم أرسترخس المأسور معى ومرقس ابن أخت برنابا ... ويسوع المدعو يسطس الذين هم من الختان ... يسلم عليكم ابفراس ... يسلم عليكم لوقا الطبيب الحبيب وديماس» (كو٤: ١٠-١٤) ... وهنا نلاحظ أنه يذكر بعض أسماء فى الأول ويقول عنهم إنهم من الختان أى اليهود، أما الباقون ـ ومنهم لوقا ـ فمن الأمم. وهناك رأى آخر يجعل من لوقا أممياً إهتدى إلى اليهودية ... ولعل مصدر هذا الرأى هو الخلط بين اسم لوقا واسم لوكيوس الوارد فى (أع١٣: ١)، وكلاهما يرجع إلى أصل لغوى واحد ... والأرجح أن لوقا كان أممياً واهتدى إلى الإيمان المسيحى على يد أحد التلاميذ الذين نزحوا من أورشليم وقصدوا أنطاكية فى وقت مبكر حوالى سنة ٣٦ عقب التشتت الذى حدث بعد مقتل استفانوس ... وإن كان البعض يرجحون أنه آمن بالمسيح على يد بولس، وهذا هو رأى ترتليانوس من القرن الثانى (٦١).

ومهما يكن من أمر، فالثابت من رواية سفر الأعمال، أنه إلتقى بالقديس بولس أثناء رحلته التبشيرية الثانية فى مدينة ترواس عقب الرؤيا التى رأى فيها بولس رجلاً مكدونياً يقول «أعبر إلى مكدونيا وأعنا» (أع١٦: ٩) ويبدو أنه رافق بولس إلى فيلبى لأنه فى سفر الأعمال يتكلم بعد ذلك مباشرة بصيغة المتكلم الجمع بعد أن كان يتكلم بصيغة الغائب الجمع (٦٢) ... وفى أواخر رحلة بولس التبشيرية الثالثة يلتقيان ثانية معاً فى فيلبى ... ويبدو أن لوقا ـ بعد لقائه الأول مع بولس فى فيلبى سنة ٥١ ـ بقى فيها ليرعى الكنيسة الناشئة هناك. والدليل على ذلك أنه يستخدم ضمير المثنى الغائب بدلاً من ضمير المتكلم

(61) Smith, Dictionary of the Bible, Vol. 2, p. 151.

(٦٢) قارن بين أع ١٦ : ٦ - ٨ ؛ أع ١٦ : ١٠ وما بعدها .

الجمع (انظر أع١٧ : ١) . وبعد سبع سنين أخرى (سنة ٥٨) إلتقى بالرسول بولس مرة أخرى حين مر بفيلبى فى طريقه إلى أورشليم أثناء رحلته الأخيرة إليها ، بعد أن أمضى أسبوعاً فى ترواس (أع ٢٠ : ٥ ، ٦) ، لاننا نلاحظ أن لوقا يعود إلى إستخدام ضمير المتكلم الجمع ... و يبدو أن لوقا كان مرافقاً لبولس فى أورشليم ، أو فى القليل قريباً منه ، وكذا لمدة سنتى الأسر فى قيصرية . كما رافقه فى رحلته الأخيرة إلى روما حينما ذهب إليها محفوراً ، وبقى بالقرب منه هناك مدة الأسر الأول والثانى ... وظل الخادم الأمين والصديق الوفى إلى النهاية ...

أما عن بقية حياة لوقا فلا نعلم عنها شيئاً على وجه التحقيق . ولعل هذا دليلاً كبيراً على ما إتصف به هذا الرسول من إتضاع . لأنه على الرغم من أنه كتب الإنجيل الثالث ، ووضع كتاب « أعمال الرسل » ، وذكر ببعض الإسهاب ما حدث للرسول بولس فى حياته الرسولية ، فإنه أغضى عن ذكر نفسه وسكت عن أعماله ، حتى لقد ترك شيئاً من الشك يحوم حول شخصه والرسالة التى إضطلع بها ... إن أخر إشارة إلى لوقا ، وصلتنا فى كلمات بولس (٦٣) ، وفى أخر رسالة له كتبها من سجنه الأخير فى روما ، قبيل إستشهاده « **لوقا وحده معى** » (٢تى ٤ : ١١) ... وتذكر بعض التقاليد القديمة أنه عمر حتى سن الرابعة والثمانين ، وأنه مات مصلوباً على شجرة زيتون فى إيليا **Elaea** فى بلاد اليونان (٦٤) . ويذكر جيروم (٦٥) أن ذخائره ــ مع ذخائر إندراوس الرسول ــ نقلت من بترا **Patrae** فى أخائية إلى كنيسة الرسل فى القسطنطينية .

خلف لنا لوقا الإنجيل الذى يحمل اسمه ، الذى إعتمد فى كتابته على وثائق ثابتة مكتوبة وعلى ما إستقاه من التقليد الشفوى الثابت ... ويأتى فى مقدمتها ما سمعه من البتول القديسة مريم ، ويؤيد هذا تقليد كنسى قديم ...
ولا يعرف على وجه الدقة الوقت الذى كتب فيه لوقا إنجيله ، لكنه على أية

---

(٦٣) ذكر بولس الرسول القديس لوقا فى رسائله ثلاث مرات بكل تقدير (كو٤ : ١٤ ؛ ٢تى ٤ : ١١ ؛ فل ٢٤) .

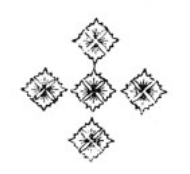
(64) Schaff, Vol. 1, p. 652.

(65) Lives of Illustrious Men, 7.

الحالات كُتِبَ قبل سنة ٧٠ م ، كما إختلف أيضاً فى مكان كتابته ... وقد بعث لوقا بإنجيله وسفر الأعمال إلى شخص شريف يدعى « ثاوفيلس » ــ وهناك إجماع بين العلماء أن هذا الشريف كان بالإسكندرية . **أما عن سفر الأعمال** ، فقد دوّن لوقا فيه أول تاريخ للكنيسة ، إبتداء من صعود الرب إلى نهاية السنة الثانية من أسر بولس الأول بروما ... وقد دون الحوادث بكل دقة ، حتى أن العالم المؤرخ شاف يدعوه [الأب الحقيقى لتاريخ الكنيسة المسيحية] (٦٦) .

كان لوقا ــ قبل إيمانه بالمسيح ــ يمتهن مهنة الطب ــ هكذا يذكره القديس بولس إلى الكولوسين « لوقا الطبيب » (كو ٤ : ١٤) ، لذا لا نعجب إن رأيناه فى الإنجيل الذى كتبه يظهر الرب يسوع كطبيب للبشرية ومخلص للعالم ... **كما جاء فى التقليد الكنسية القديمة ، إنه كان فناناً (٦٧) وإليه ينسب رسم أول صورة للسيدة العذراء مريم .**

وثمة أمر نود الإشارة إليه ، وهو أن لوقا كتب إنجيله بإرشاد الروح القدس شأن باقى الإنجيليين ، ولم يمل القديس بولس عليه شيئاً : ولا صحة مطلقاً للرأى الذى ارتآه العلامة أوريجينوس والمؤرخ يوسابيوس والقديس جيروم ، من أن بولس حينما ذكر فى رسائله كلمة « إنجيلى » (٦٨) ، كان يعنى إنجيل لوقا ، على إعتبار أنه أملاه على لوقا ... فكلمة إنجيل فى العهد الجديد ، لا تستخدم بمعنى سفر مكتوب ، بل يقصد بها مبادىء المسيحية التى كرز بها الكارزون ...



---

(66) Schaff, Vol. 1, p. 654.

(67) Smith, Dictionary of The Bible, Vol. 2, p. 151.

(٦٨) انظر : رو ٢ : ١٦ ؛ ١٦ : ٢٥ ؛ ٢ تى ٢ : ٨ .



وهؤلاء هم الذين عاونوا الرسل فى خدمة الكرازة وسيم البعض منهم أساقفة بأيديهم . وهناك أسماء كثيرة لأشخاص عاونوا الآباء الرسل فى كرازتهم وخدمتهم . لكننا نكتفى هنا بذكر أشهرهم .

القديس تيموثاوس

هو تلميذ القديس بولس الرسول ، ورفيقه فى أسفاره ، وشريكه فى أتعاب الكرازة ... يذكر لأول مرة فى سفر الأعمال فى بداية رحلة بولس البتشيرية الثانية (أع١٦ : ١) .

كان تيموثاوس من مدينة لسترة بإقليم غلاطية بآسيا الصغرى ... كان أبوه يونانياً ، لكن أمه وجدته كانتا يهوديتين تقيتين (٢تى١ : ٥) . وهكذا نشأ تيموثاوس منذ أيام طفولته المبكرة على التقوى والصلاح ... « وأنك منذ الطفولية تعرف الكتب المقدسة ، القادرة أن تحكمك للخلاص » (٢تى٣ : ١٥) ... **والمرجح أنه آمن على يد بولس ،** فكثيراً ما يدعوه الرسول ابنه فى الإيمان (٦٩) ... لكن يبدو أن هذا الأمر تم فى وقت سابق للقاء المذكور فى (أع١٦ : ١) ، لأن الرسول بولس حينما دخل لسترة كان هو « تلميذاً » أى مسيحياً ... وكان تيموثاوس مشهوداً له بالتقوى من كل أهل تلك المنطقة .

إختاره القديس بولس ليكون رفيقاً له فى أسفاره ، ومعاوناً له فى الخدمة لما رآه فيه من مواهب واستعداد للخدمة ... فأخذه بولس وختنه أولاً حتى لا يثير غضب اليهود عليه من أجل تهيئة الجو للخدمة ... بعد ذلك اصطحبه معه إلى فريجية

(٦٩) ١ كو ٤ : ١٧ ؛ ١ تى ١ : ٢ ؛ ٢ تى ١ : ٢ .

وغلاطية وترواس ، وطافا معاً بلاد اليونان ، وبشرا فى مدن فيلبى وتسالونيكى وبيرية . وقد بقى مع سيلا (سلوانس) فى بيرية ، بينما ذهب بولس إلى أثينا وكورنثوس ... بعد ذلك نجده يخدم مع بولس مدة إقامته الطويلة فى أفسس ، ومنها أرسله إلى مكدونية وكورنثوس (٧٠) . ونراه مرة ثانية مع بولس فى مكدونيا وقت كتابة الرسالة الثانية إلى كورنثوس (٢ كو١ : ١) ــ وصحب الرسول إلى كورنثوس (رو١٦ : ٢١) . ورافقه أيضاً فى طريق عودته إلى آسيا عن طريق مكدونيا (أع ٢٠ : ٣ ، ٤) ... ويحتمل أن يكون قد صحبه أيضاً إلى أورشليم فى زيارته الخامسة والأخيرة لتلك المدينة (١ كو١٦ : ٣) .

ويرد ذكر تيموثاوس فى رسائل الأسر ، مما يظهر له أنه كان مع بولس فى روما (٧١) ... بعد ذلك نقرأ عنه فى الرسالتين الرعويتين اللتين بعث بهما بولس إليه بعد أن سامه أسقفاً على أفسس (١ تى ٤ : ١٤ ؛ ٢ تى ١ : ٦) ... وإن كنا لا نعلم متى تمت الرسامة الكهنوتية التى كانت بوضع اليد ، لكننا نقرأ أن إقامته أسقفاً كانت بإعلان نبوى (١ تى ١ : ١٨) ... ويرجح أن يكون تيموثاوس قد أسر مع بولس فى روما ثم أطلق (٧٢) .

من هذه الأسفار الكثيرة واتعابه فى الخدمة والصفات التى خلعها الرسول بولس عليه تظهر لنا صورة ذلك الرجل الذى نجهل الكثير من أتعابه فى الخدمة وفضائله الروحية . إننا نلمس غيرته فى تركه لوطنه وبيته ، ونلمس إنكاره لذاته وحكمته وغيرته على عمل الرب ، حينما قبل أن يختتن (٢ تى ١ : ٤) ، على الرغم من إعتلال صحته الجسدية (١ تى ٥ : ٢٣) .

ذكره بولس على أنه « عامل معه » (رو ١٦ : ٢١) ، ودعاه « أخانا وخادم الله والعامل معنا فى إنجيل المسيح » (١ تس٣ : ٢) ، « الابن الصريح فى الإيمان » (١ تى ١ : ٢) ، « والابن الحبيب » (٢ تى ١ : ٢) ، « ابنى الحبيب والأمين فى الرب » (١ كو٤ : ١٧) .

(٧٠) أع ١٩ : ٢١ ، ٢٢ ــ انظر أيضاً ١ كو ٤ : ١٧ ؛ ١٦ : ١٠ ــ والرسالة إلى كورنثوس كتبها بولس من أفسس .

(٧١) فى ١ : ١ ؛ كو ١ : ١ ؛ فل ١ .

(٧٢) انظر : عب ١٣ : ٢٣ .

ويذكر التقليد الكنسي أن تيموثاوس عمرّ طويلاً بعد استشهاد معلمه وأبيه الروحي القديس بولس ... فقد قيل إنه استشهد سنة ٩٧ ... قتله الوثنيون في أفسس ضرباً بالعصي ورجماً بالحجارة في يوم من أيام أعيادهم .



(٧٣)

هو أحد تلاميذ القديس بولس الرسول الأوفياء ... لا يرد إسمه في سفر الأعمال ، وكل معلوماتنا عنه نستمدها من الرسالة الثانية إلى كورنثوس ، ومن رسالتي غلاطية وتيطس ...

لا نعرف شيئاً عن حياته الأولى السابقة للخدمة الكرازية ... كل ما نعرفه عنه أنه كان يونانياً أممياً (غل٢ : ١ ، ٣) يجمع العلماء على أنه إهتدى إلى الإيمان على يدي بولس ، فهو يدعوه ابنة في الإيمان (تي١ : ٤) ... لكن يبدو أن إيمانه هذا ، كان في وقت مبكر ، فقد حضر معه مجمع أورشليم سنة ٥٠ (غل٢ : ١) . وقبلها كان على صلة وثيقة ببولس وبرنابا في أنطاكية ، ورافقهما إلى أورشليم حين صعدا إليها لحضور ذلك المجمع ... ومن هنا ، فيحتمل أن يكون تيطس أنطاكياً .

أرسله الرسول بولس مرتين إلى كورنثوس بينما كان هو نفسه يخدم في أفسس ... المرة الأولى لما سمع بالشقاق الذي كان حادثاً فيها ، ويبدو أنه هو الذي حمل رسالة الرسول إلى تلك الكنيسة (٢كو٢ : ١٣) — والمرة الثانية أرسله ليجمع تقدمات لفقراء اليهودية (٢ كو٨ : ١٦ ، ١٧) . ويبدو أيضاً أنه هو الذي حمل رسالته الثانية إلى كورثنوس (٢كو١٢ : ١٨) ... ونستنتج مما ورد في (٢تي٤ : ١٠) أنه كان مرافقاً لبولس في بداية أسره الثاني في روما .

أقامه القديس بولس أسقفاً على كريت ليرعى الكنيسة في تلك الجزيرة ، وليقيم كهنة على كنائسها ... ويذكره للكورنثيين على أنه معاونه وشريكه والعامل معه في الخدمة (٢كو٨ : ٢٣) ويذكر التقليد أنه عمرّ طويلاً ، وزقد

(73) Smith, Dictionary of the Bible, Vol. 3. pp. 1518-1520.

فى الرب فى شيخوخة صالحة فى جزيرة كريت ، التى مازال أهلها حتى الآن يعتبرونه شفيعهم .

القديس سيلا [٧٤]

أول ما نلتقى به فى سفر الأعمال ، فى الكلام عن مجمع أورشليم الذى إنعقد لبحث مشكلة تهود الأمم. **لكن يبدو أنه كان له وضع متميز فى كنيسة أورشليم** (أع ١٥ : ٢٢) . ومن هنا فقد أوكلت إليه تلك الكنيسة مع يهوذا الملقب بارسابا ، أن يرافقا بولس وبرنابا لتبليغ كنائس أنطاكية وسوريا وكيليكية قرار المجمع ... ويقول عنه سفر الأعمال أنه ذهب ووعظ الإخوة بكلام كثير وقواهم لأنه كان نبياً (أع ١٥ : ٢٢ ، ٢٣) ... **كان مواطناً رومانياً نظير بولس (أع ١٦ : ٣٧) . ومن هنا جاء اسمه اللاتينى « سلوانس » ، أما « سيلا » فهو اسم يونانى مأخوذ عن الأصل الآرامى « شئيلا » .**

يبدو أنه عاد إلى أورشليم بعد أن أتم المهمة التى كلفته بها كنيستها (أع ١٥ : ٣٣) ، ويبدو أيضاً أنه ذهب بعدها ثانية إلى أنطاكية ، فقد **إختاره القديس بولس رفيقاً له فى الخدمة الكرازية خلفاً لبرنابا** (أع ١٥ : ٤٠) فى رحلته التبشيرية الثانية (أع ١٥ : ١٨- ٢٢) ... رافق القديس بولس حينما إجتاز فى سوريا وكيليكية يشدد الكنائس ، وكذا فى فريجية وكورة غلاطية ... وبعد أن ظهرت لبولس رؤيا الرجل المكدونى ، رافقه إلى فيلبى فى مقاطعة مكدونيا (أع ١٦ : ١٢ - ٣٩) . وفى فيلبى إحتمل سيلا مع القديس بولس الضرب بالعصى وزج به فى السجن ، حيث حدثت المعجزة وفتحت أبواب السجن وآمن حافظ السجن (أع ١٦ : ٢٥- ٣٤) ... ومن فيلبى رافق القديس بولس إلى تسالونيكى ثم إلى بيرية ... تخلف هو وتيموثاوس فى بيرية عن مصاحبة بولس إلى أثينا ، لكنه لحقه فيها بعد ذلك (أع ١٧ : ١٣-١٥) ورافق بولس فى كورنثوس [٧٥] (أع ١٨ : ٥) — ثم لا نعود نقرأ عنه شيئاً بعد ذلك فى سفر أعمال الرسل ... ويقال إنه أنهى حياته بسفك دمه على اسم المسيح فى مكدونيا .

---

(٧٥) انظر ٢ كو ١ : ١٩ .

(74) Smith, Dictionary of the Bible. Vol. 3, p. 1310.



ويقصد بهم تلاميذ الرسل الذين تتلمذوا على أيديهم ... ونذكر منهم :

القديس اكليمندس الرومانى [٧٦]

من أشهر الآباء الرسوليين . وهو الأسقف الثالث لكنيسة روما فى أواخر القرن الأول (٩٢ـ ١٠١) . ويأتى فى ترتيبه الزمنى بعد الأسقف لينوس Linus ، والأسقف أناكليتوس Anacletus ... لا نعرف الكثير عنه ، **وهناك آراء متضاربة بخصوص شخصيته ...**

رأى يقول إنه أحد معاونى القديس بولس فى الخدمة ، وهو نفسه الذى ذكره الرسول فى الرسالة إلى فيلبى (فى ٤ : ٣) . ويكاد يكون هذا الرأى هو القاطع ، فهو رأى قديم ، ذكره أوريجينوس وإيريناوس والمؤرخ يوسابيوس وجيروم فى كتابه « مشاهير الرجال » [٧٧] ويحتمل أن يكون يونانى أو رومانى وعمل بعض الوقت فى فيلبى ثم بعد ذلك فى روما . أما الآراء الأخرى فتربطه بقرابة بعيدة للإمبراطور تيبيريوس Tiberius ، وهذا الرأى وارد فى بعض الكتب الأبوكريفا . وتوحد بينه وبين القنصل فلافيوس كليمنس Flavius Clemens أحد أقرباء الإمبراطور دومتيان الذى أعدمه بسبب مسيحيته ونفى زوجته دوميتلا Domitilla إلى

---

(76) Smith, Dictionary of Christian Biography, Vol. 1, pp. 554-559; Wace, Piersy, Dictionary of Christian Biography. pp. 171-176; Schaff Vol. 2, pp. 637-647.

(٧٧) انظر الحاشية فى : Jerome. Lives of Illustrious Men (N.P.N.F. Vol. 4. p. 366)

إحدى الجزر. وقالوا أنه قريب القنصل المذكور (ابن أخيه أو ابن أخته) ، وقيل (٧٨) إنه كان عبداً يهودياً ، أو ابن عبد يهودى للقنصل المذكور ثم أعتقه وحرره وأنه حمل اسم سيده Clemens .

ولعل شهرة هذا الرجل ترجع إلى رسالته التى كتبها إلى كنيسة كورنثوس ينصحهم فيها بالمحبة ، بعد أن شاعت الفرقة بينهم ، تلك الرسالة التى أحتلت مكانة عالية فى الأوساط الدينية فى القرون المسيحية الأولى . وكانت تتلى فى إجتماعات يوم الأحد بالكنائس من وقت إلى آخر . وقد شهد بذلك ديونيسيوس الكورنثى من القرن الثانى وكذلك المؤرخ يوسابيوس (٧٩) ... وإن كان اسم إكليمنضس لا يرد فى هذه الرسالة على الاطلاق ـــ بل إنها موجهة من كنيسة الله التى فى روما إلى كنيسة الله التى فى كورنثوس ـــ لكن الإجماع العام القديم يشهد بأنه هو كاتبها . وفضلاً عن ذلك فالإنسان يشتم منها كتابة الآباء الرسوليين وروحهم ... **وهذه الرسالة تظهره ملماً بالثقافة الكلاسيكية فى عصره والحكمة ، فضلاً عن الإلمام التام بكتاب العهد القديم فى ترجمته السبعينية . ومن هنا رجح العلماء أن يكون هيلينياً ثقافة ، ويهودياً مولداً .**

لا نعرف شيئاً عن حياته على الإطلاق ... أما عن خاتمة حياته فبعض الكتابات تجعل منه شهيداً سفك دمه على اسم المسيح فى بلاد القرم التى نفاه إليها الإمبراطور تراجان ... لكن الكتابات القديمة تذكر أنه مات ميتة طبيعية ... هكذا يذكره جيروم فى كتابه مشاهير الرجال . وأول مَنْ ذكر إستشهاده وقصته هو روفينوس فى القرن الرابع ولا يوجد كاتب واحد قبله ذكر أن إكليمنضس مات شهيداً ... وقصة إستشهاده محشوة بالخيال العجيب الذى لم نقرأ نظيراً له فى كل سير القديسين والشهداء !!

والكنيسة الرومانية تجل هذا القديس وتذكره فى خدمة ليتورجيتها ثالثاً بعد الرسل .

---

(٧٨) كان بعض العبيد على جانب كبير من الثقافة والذكاء ، ومن أمثلتهم هرماس صاحب كتاب الراعى ، وكلستوس Callistus أسقف روما ، وكان كلاهما من العبيد المحررين .

(79) H.E. 3. 16.

القديس أغناطيوس الأنطاكى (٨٠)

هو أسقف أنطاكية الشهيد الشهير بين الآباء الرسوليين . يلقب « بالثاؤفوروس » ومعناها (حامل الإله) (٨١) ... وهذا اللقب لم تخلعه الكنيسة على هذا القديس ، بل هو الذى أطلقه على ذاته أثناء محاكمته التى سبقت إستشهاده (٨٢) وتدعوه الكنيسة السريانية أيضاً « بالنورانى » لأنه رأى الملائكة النورانيين يسبحون الله فى فرقتين ، فأدخل هذا النظام فى الكنيسة ، وكان أول مَنْ فعل ذلك.

لا نعرف شيئاً عن حياته الأولى ، لكن يبدو أنه كان وثنياً ، ثم آمن بالمسيح على يد أحد المبشرين الأوائل الذين وفدوا إلى أنطاكية .

أما عن أسقفيته فهناك مَنْ يحاول أن يجعل منه تلميذاً لبطرس وبولس ويوحنا ... قال البعض إنه أول أسقف على أنطاكية خلفاً لبطرس الرسول أسقفها الأول !! وقيل بل هو الخليفة الثانى لمار بطرس بعد أفوديوس . وقيل أن أوفوديوس رسمه بطرس بينما أغناطيوس رسمه بولس ... وقالوا إن أفوديوس وأغناطيوس كانا معاصرين لبعضهما ، الأول على اليهود المتنصرين ، والثانى على الأمم المتنصرين ... وهكذا من الإدعاءات التى حاولت بها بعض الكنائس أن تخلع على ذاتها أهمية نتيجة نسبتها لبعض كبار الرسل ...

(٨٠) تاريخ الكنيسة السريانية جـ ١ ، أسد رستم ، آباء الكنيسة فى القرون الثلاثة الأولى ، Schaff Vol. 2, pp. 633-660.

(٨١) الكلمة اليونانية ثاؤفوروس Theophorus بالنبرة على المقطع الثانى معناها (حامل الإله) أما إذا وضعت النبرة على المقطع الأول من الكلمة المذكورة فيصبح معناها (مَنْ حمله الله) ... لجأ إلى هذا المعنى الثانى بعض المتأخرين للتدليل على أن أغناطيوس هو الطفل الذى أقامه المسيح وسط التلاميذ ليلقنهم درساً فى الإتضاع (مت١٨ : ٢، ٣) . نادى بهذا الرأى بعض مؤرخى الكنيسة فى العصور الوسطى من أمثال ميتافرستس Metaphrastes وأناستاسيوس الكتبى . لكن القديس يوحنا ذهبى الفم ــ الأنطاكى المولد ــ أكد أن أغناطيوس لم ير المسيح .

(٨٢) عن محاكمته ، ومقتطفات من رسالته إلى كنيسة رومية ، انظر : الاستشهاد فى المسيحية ص٩٦، ٩٧ ، ١٤١ ، ١٤٢ .

كان أغناطيوس شخصية عظيمة وسط معاصريه ، لكن شهرته بالأكثر هى بسبب إستشهاده الرائع وثباته العجيب فى محاكمته ، وأشواقه المتأججة لسفك دمه على اسم المسيح ... قبض عليه إبان الاضطهاد الذى أثاره الإمبراطور تراجان . وحوكم أمام والى سوريا سنة ١٠٧ ـــ وليس أمام الإمبرطور ذاته كما تروى بعض القصص ـــ وإذ أظهر ثباتاً عجيباً فى محاكمته (٨٢) ، صدر الحكم بإعدامه بالقائه للوحوش فى روما أمام جماهير الشعب . سُرَّ أغناطيوس بهذا الحكم ، فقد كان قلبه يتحرق شوقاً لللإستشهاد الأمر الذى يتضح بكل جلاء من رسالته التى كتبها إلى كنيسة روما (٨٢) ، يرجوهم ألاَّ يعوقونه عن الإستشهاد ... فلما قدموا إليه السلاسل التى سيقيد بها ، إنحنى عليها وقبلها شاكراً الرب الذى أهله لهذه النعمة .

ودع رعيته وسافر إلى روما يخفره عشرة جنود أفظاظ . وفى سفره بحراً عرج على بعض مدن آسيا الصغرى حيث هرع إليه كثير من أساقفة وكهنة وشعب تلك الكنائس للتبرك منه ولتزود من تعاليمه ، ومنهم بوليكاربوس أسقف أزمير ... وفى روما ، وفى الكوليسيوم Coliseum اجتمعت جموع الرومان ليشهدوا الإحتفالات بانتصارات الإمبراطور تراجان ، وليشاهدوا المصارعات الدموية بين الوحوش وبعض المعتبرين مجرمين ... عرى أغناطيوس من ثيابه ، وألقى فى الحلبة ، فوثب عليه أسدان مزقا جسده الطاهر والتهماه ، ولم يبقيا منه سوى بعض عظام خشنة ، جمعها المؤمنون بكل وقار ، وعادوا بها إلى أنطاكية ككنز نفيس ، ودفنت خارج باب المدينة ، المعروف يومئذ بباب « دفنه » . ثم نقلت على عهد الملك ثيؤدوسيوس الصغير ـــ فى القرن الخامس ـــ إلى هيكل الشهداء ، الذى سمى منذ ذلك الوقت « كنيسة مار أغناطيوس » .

وإلى جانب زخائره المقدسة ، خلف لنا أغناطيوس رسائله السبع التى أنفذها إلى بعض الكنائس وهو فى طريقه إلى الإستشهاد ومازالت موجودة بين أيدينا ... وفيها يحض الكنائس على الثبات فى الايمان والتقليد الرسولى والألفة والمحبة ، والطاعة للكنيسة والابتعاد عن الهراطقة .

القديس بوليكاربوس

ولد حوالى سنة ٦٩ أو قبل ذلك بقليل ... لا نعرف شيئاً عن حياته المبكرة. **كل ما نعرفه عنه أنه كان تلميذاً ليوحنا الرسول، وصديقاً ــ أصغر فى السن ــ لأغناطيوس الأنطاكى الشهيد، ومعلماً لإيريناوس الذى صار أسقفاً لمدينة ليون ... أقامه يوحنا الرسول أسقفاً على مدينة أزمير بآسيا الصغرى ...** ويقال إنه هو الذى عناه القديس يوحنا فى رؤياه بقوله: «أكتب إلى ملاك كنيسة سميرنا (أزمير) هذا يقوله الأول والآخر ... أنا أعرف أعمالك وضيقتك وفقرك، مع أنك غنى ... لا تقف البتة مما أنت عتيد أن تتألم به ... كن أميناً إلى الموت فسأعطيك إكليل الحياة ...» (رؤ٢: ٨-١١).

يجمع التاريخ على أن بوليكاربوس كان ذا هيبة ووقار، وتمتع بنفوذ واسع على كل كنائس آسيا الصغرى، لما كان يتحلى به من الفضائل، ولما كان عليه من الفصاحة، وخاصة لأنه كان تلميذاً ليوحنا الحبيب، وعنه أخذ تعاليمه ... سافر إلى روما والتقى بأسقفها إنيكتس Anicetos **بين سنتى ١٥٠، ١٥٤ للتفاهم على موضوع موعد عيد الفصح بعد أن إحتدم الخلاف بين كنائس آسيا الصغرى وكنيسة روما** (٨٣) ... وكان موضع تقدير واحترام فى روما. وإن كانت هذه المشكلة لم تحسم بصورة نهائية إلاَّ فى مجمع نيقية المسكونى.

ومن المعروف عنه أنه كان يمقت الهراطقة مقتاً شديداً، ولا غرابة فى ذلك، **فهو** تلميذ يوحنا الرسول الذى حذر من مجرد السلام عليهم، وأوصى بعدم قبولهم فى البيوت ... ومن بين الرسائل التى كتبها بوليكاربوس لم تصلنا إلاَّ رسالة واحدة أنفذها إلى كنيسة فيلبى.

---

(٨٣) كانت كنائس آسيا الصغرى تتبع التقويم اليهودى إعتماداً على ما تسلموه من الرسولين يوحنا وفيلبس ... وكانت تحتفل بتذكار صلب المسيح وقيامته فى ١٤، ١٦ نيسان فى أى يومين من أيام الأسبوع دون التقيد بيومى الجمعة والأحد. أما كنيستى الاسكندرية وروما وبعض كنائس أخرى، فقد إلتزمت بضرورة مراعاة هذين اليومين.

أنهى حياته شهيداً سنة ١٥٥ ــ على أرجح الآراء ــ فى عهد الامبراطور أنطونينوس بيوس Antoninus Piüs وهو فى شيخوخة وقورة بارة بعد أن بلغ من العمر ٨٦ عاماً ...

وقصة إستشهاده رائعة ومؤثرة (٨٤) . **فعندما طلب منه الحاكم ــ أثناء المحاكمة ــ أن يحلف ويلعن المسيح ليطلقه ، أجاب [لقد خدمت المسيح ستة وثمانين عاماً ، ولم يصنع بى شراً ، فكيف أجدف على ملكى الذى خلصنى ؟!]** ... وانتهى أمره بالحكم عليه أن يحرق حياً ... كان الوثنيون واليهود يتميزون غيظاً ، وأخذوا يجمعون أخشاباً كثيرة ليضرموا ناراً شديدة . ولما حاولوا تسميره على خشبة حتى لا يتحرك أثناء إشتعال النار ، قال لهم : [اتركونى هكذا ، فالذى وهبنى قوة إحتمال شدة حريق النار ، سيمنحنى قوة البقاء هادئاً بلا حركة بدون مسامير] .

صلى أمام الجميع قبيل إشعال النار ... أما النار فقد أحاطت به وكأنها هالة من نور حول جسده ، دون أن تمسه أو تفنيه ... **وقف بوليكاربوس ــ كما تقول سيرة إستشهاده ــ وسط النار [لا كجسم يحترق ، بل كخبز ينضج ، أو فضة تنقى فى فرن ... وفاح عبير طيب كأنه بخور ثمين]** ... ولما أصاب المكلفين بإحراق القديس ، القلق لبطء إلتهام النار لجسده ، أمروا جندياً أن يغمد خنجراً فى جسده ... فتفجر الدم غزيراً وأطفأ النار ، ولكنه أشعل الرغبة فى الاستشهاد فى جموع المشاهدين ، وفى جهات أخرى كثيرة (٨٥) ...



---

(٨٤) انظر هذه السيرة التى كتبتها كنيسة أزمير إلى كنيسة فيلوميليوم Philomelium وهى مدينة فى مقاطعة فريجيا بآسيا الصغرى . (A.N.F., Vol. 1, pp. 39-44)

(٨٥) عن إستشهاد بوليكاربوس : انظر الاستشهاد فى المسيحية ص ١٤٢ ــ ١٤٤ .



لم يكن رسل المسيح وحدهم هم الذين اضطلعوا بتأسيس ملكوت الله على الأرض ، بل لقد أسهم معهم كثيرون فى هذا العمل ... هناك جنود مجهولون كثيرون لا نعرف مجرد أسماءهم ، وهناك مَنْ نعرف أسماءهم لكن لا نعرف عن أتعابهم شيئاً ... ومن أمثلة ذلك ، الخادمات الثلاث اللائى سنعرض لهن الآن ...

القديسة فيبى

تكاد تكون فيبى أشهر أنثى ورد أسمها فى رسائل الرسل ... لا نعرف عنها شيئاً غير ما دوّنه القديس بولس فى أول الأصحاح الأخير من رسالته إلى كنيسة رومية ... والعجيب أيضاً أن التاريخ الكنسى لا يسجل عنها أى شىء ... يكاد الأصحاح الأخير من الرسالة إلى رومية يقتصر على أسماء بعض الأشخاص الذين يبعث بولس تحياته إليهم ... ويذكر على رأس هذه القائمة الطويلة كلها ــ قبل الرجال ــ « **فيبى خادمة الكنيسة التى فى كنخريا** » يقول معلمنا بولس « أوصى إليكم بأختنا فيبى التى هى خادمة الكنيسة التى فى كنخريا ، كى تقبلوها فى الرب كما يحق للقديسين ، وتقوموا لها فى أى شىء إحتجته منكم ، لأنها صارت مساعدة للكثيرين ولى أنا أيضاً » (رو١٦ : ١ ، ٢) .

ويبدو أن فيبى كانت متبتلة وكانت تقوم بخدمة فعالة فى الكنيسة فى منطقة كورنثوس فهى بحسب تعبير بولس « صار مساعدة للكثيرين ولى أنا أيضاً » ... ويبدو أنها كانت تخدم كشماسة فى كنيسة كنخريا إحدى موانى كورنثوس فى بلاد اليونان . فالرسول بولس يذكرها على أنها Diakanos هذه الكلمة التى تطلق على مَنْ يقوم بخدمة الشماسية سواء كان ذكراً أم أنثى (٨٦) ... وقد أشرنا سابقاً إلى الخدمات التى كانت تضطلع بها الشماسة فى الكنيسة الأولى ... ولابد وأن فيبى

(86) Wuest, Romans in the Greek N.T., p. 257.

كانت تمارس عمل الشماسية النسوية ... وفضلاً عن ذلك ، فقد كانت هى كاتبة الرسالة إلى رومية ، بناء عن إملاء الرسول بولس ... وليس هذا فحسب ، بل لقد حملت هى نفسها هذه الرسالة إلى رومية .

وإذ نفكر فى وضع المرأة الإجتماعى فى ذلك العصر المبكر ، وكيف كانت تحيا فى عزلة عن المجتمع ، لا يسعنا إلاّ الاعتقاد أن فيبى لم تكن شخصية نسائية عادية ... فقد جمعت فى شخصها ، إلى جانب الثقافة ، الشخصية والثراء ، اللذين مكناها من السفر عبر البحار إلى روما ، من أجل الإيمان بيسوع المسيح .

وليس من السهل أن نسلم بأن مهمة فيبى كانت مجرد توصيل الرسالة التى كتبها القديس بولس إلى كنيسة رومية ، بل لابد أن يكون الرسول قد كلفها بمهمة خاصة ، وجد أن من الحكمة عدم الإفصاح عنها ... وكل ما فعله أنه أوصى الكنيسة بتسهيل مهمتها ... لا شك أن تلك المهمة كانت شىء يتعلق بخدمة الكرازة ...



إن كانت فيبى مثال للمرأة المتبتلة الخادمة فى الكنيسة الأولى ، فإن بريسكلا هى المرأة المتزوجة الخادمة الكارزة ، حتى أن القديس يوحنا ذهبى الفم يقول : [سيبقى أكيلا وبريسكلا المثل الأعلى للكمال فى الزواج المسيحى] ...

تدعى بريسكلا أو بريسكا وهو اسم لاتينى ، وكان زوجها أكيلا يهودياً ... ولا نعرف عنهما شيئاً سوى الإشارات العابرة التى يشير بهـا القديس بولس إليهما فى بعض رسائله ، فضلاً عن ذكر اسمهما فى سفر أعمال الرسل ... كانت تقيم مع زوجها أولاً فى روما ، لكنهما تركاها مع كل اليهود الذين طردهم كلوديوس

قيصر[٨٧] ، وأتيا إلى مدينة كورنثوس ، حيث إلتقى بهما معلمنا بولس فى رحلته التبشيرية الثانية حينما وفد إلى هذه المدينة (أع١٨ : ٢) ... أمضى بولس فى هذه المدينة سنة ونصف كان خلالها ضيفاً على هذين الزوجين ... وقد وطد من أواصر الصلة أنهما كانا ــ نظير بولس ــ يعملان فى صناعة الخيام ... ولا نستطيع أن نؤكد ما إذا كانت هذه وسيلة كسب عيشهما فى روما أيضاً ، أم أنهما إضطرا إليها ــ نظير بولس أيضاً ــ إزاء الظروف التى ألمت بهما بعد طردهما من روما ... وقد إشتركا مع القديس بولس فى خدمة كلمة الله ...

ولما غادر بولس كورنثوس عائداً إلى أنطاكية ماراً بأفسس وأورشليم ، رافقاه حتى مدينة أفسس ... أقاما فى مدينة أفسس ، وأخذا يبشران بكلمة الله ، وكان بيتهما هو مكان إجتماع المؤمنين ... والرسول بولس فى رحلته التبشيرية الثالثة حينما أتى إلى مدينة أفسس ومكث بها ثلاث سنوات ، ومنها كتب رسالته الأولى إلى كورنثوس ، كانا مايزالان بها ، فنجد القديس بولس يكتب للكورنثيين « تسلم عليكم كنائس آسيا ، يسلم عليكم فى الرب كثيراً أكيلا وبريسكلا مع الكنيسة التى فى بيتهما » (١كو١٦ : ١٩) .

وبعد أن تغيرت الأوضاع وسمح لليهود بالعودة إلى روما ، عادت بريسكلا مع زوجها إليها . وهناك أخذا يمارسان نشاطهما الكرازى ... فحينما أنفذ بولس رسالته إلى كنيسة رومية ، بعث بتحياته إليهما فى تقدير كبير ... « سلموا على بريسكلا وأكيلا **العاملين معى فى المسيح يسوع ، اللذين وضعا عنقيهما من أجل حياتى . اللذين لست أنا وحدى أشكرهما بل أيضاً جميع كنائس الأمم** ، وعلى الكنيسة التى فى بيتهما » (رو١٦ : ٣-٥) ... ولا يوجد كلام تقدير أكثر من هذه الكلمات : فهما عملا معه ، ووضعا عنقيهما من أجل حياته ، ولهما جهود فى خدمة الأمم . ويبدو من هذا الكلام أنهما خاطرا بحياتهما فى سبيل إنقاذ بولس من المؤامرات التى كثيراً ما تعرض لها من اليهود والأمم على السواء ...

---

(٨٧) لم يكن الزوجان يهوديين وقت طرد اليهود من روما ، لكن المسيحيين طردوا مع اليهود ، لأن الرومان كانوا ينظرون إلى المسيحية حتى ذلك الوقت على أنها شيعة يهودية .

ومرة أخرى يترك الزوجان روما ويعودا إلى آسيا ، وإلى أفسس بالذات كبرى مدنها ، ليتابعا عملهما فيها لأجل الرب ... فالرسول بولس فى آخر رسالة له من سجنه فى روما ـ قبيل إستشهاده مباشرة بينما كان يُسكب سكيباً ، لا ينسى تعب محبتهما فيكتب إلى تيموثاوس تلميذه وأسقف مدينة أفسس يقول : « سلم على بريسكا وأكيلا » (٢ تى ٤ : ١٩) ...

ويلاحظ العلماء ـ ومنهم يوحنا الذهبى فمه ـ أن اسمها فى العهد الجديد يلازم اسم زوجها ، بل أن اسمها فى أكثر الحالات يذكر متقدماً على اسم رجلها ، مما يدل على شخصتها الفذة واقتدارها فى عمل الرب ... ويبدو أنها كانت أيضاً مقتدرة فى الكتب المقدسة « حتى أنها صارت شريكة لرجلها فى شرح الإيمان الحقيقى السليم لأبولس الاسكندرى الذى كان خبيراً فى طريق الرب ، عارفاً معمودية يوحنا فقط » (أع ١٨ : ٢٤-٢٦) .

هذا كل ما نعلمه عن هذه السيدة البارة المضحية ، مثال الزوجة المسيحية الخادمة ... وللأسف لا يمدنا تاريخ الكنيسة بأية معلومات أخرى عنها أو عن زوجها .



Thecla (٨٨) :

هى تلميذة بولس الرسول ، ومثال البتولية والطهارة بين العذارى ، ونموذج الجهاد ، وإحتمال الشدائد ... وعلى الرغم من أنها لم تسفك دمها لأجل المسيح فقد خلعت الكنيسة عليها لقب « أولى الشهيدات » تقديراً لأتعابها ، والميتات التى قابلتها وأنقذها منها الرب .

كانت تكلا من أيقونية (٨٩) ، ومن أشراف تلك المدينة ، بارعة الجمال ، كريمة

(88) Smith, Dictionary of Christian Biography, Vol. 4, pp. 882-895; Wace, Piercy, Dictionary of Christian Biography, pp. 953-956.

٨٩) مدينة بإقليم غلاطية بآسيا الصغرى (انظر أع ١٤ : ١) .

الخلق ... كانت مخطوبة لأحد أشراف المدينة ، عندما وصل القديس بولس إلى مدينة أيقونية (أع١٣ : ٥١) فى رحلته التبشيرية الأولى ... استمعت إلى كرازة بولس وآمنت على يديه ... وما لبثت أن أعتمدت ونذرت بتوليتها الرب ... وكان ذلك سبباً فى هجرها لخطيبها . وحالما كشفت تكلا نواياها لأمها ، طار عقلها ، وحاولت ــ ما وسعتها الحيلة ــ أن تثنيها عن عزمها فلم تتمكن ، فشكتها إلى حاكم المدينة أنها مسيحية ...

منذ ذلك الوقت إجتازت تكلا سلسلة من المحاكمات والعذابات والإماتات . أضرم حاكم أيقونيه ناراً وألقاها فيها ، لكن الله أرسل أمطاراً غزيرة أطفأت النار وشتتت المجتمعين حولها ... أما هى فتركت مدينتها هاربة إلى حيث القديس بولس ، الذى صحبها إلى أنطاكية ، وهناك تركها لتخدم بين النساء الوثنيات ...

وفى أنطاكية فتن بجمالها أحد وجهائها الطائشين ... وإذ رآها معرضة عنه ، أراد أن يوقع بها فوشى بها إلى الوالى ، الذى حكم بإلقائها للوحوش ... فألقيت عارية للوحوش ثلاث مرات على ثلاثة أيام متوالية . لكن الوحوش لم تقربها ... ألقاها فى جب ملىء بالأفاعى فلم تمسسها ... وإذ حار الوالى فى أمرها أطلق سراحها .

اتصلت بالقديس بولس . وبعد أن شجعها وتعزت بإيمانه ، ذهبت إلى أيقونية مسقط رأسها تبشر مواطنيها بالإيمان الحى . ومن أيقونية انطلقت عائدة إلى سوريا وأخذت تبشر فى بعض جهاتها ... **وفى أواخر حياتها عكفت على حياة الخلوة والنسك والتأمل ، ووهبها الرب موهبة الشفاء ، فكان الكثيرون يتقاطرون إليها طالبين البرء من أمراضهم** ... وكم من مرة حاول بعض الأشرار الإساءة إلى طهارتها ، فأنقذها الرب من أيديهم بمعجزة ... وأخيراً رقدت فى الرب وهى فى سن التسعين ، ودفنت فى سلوقية .

وقد أفاض آباء الكنيسة الأوائل فى مديح هذه القديسة ، ومنهم باسيليوس الكبير ، وغريغوريوس الثاؤلوغوس ، ويوحنا الذهبى فمه ، وامبروسيوس ، وأيرونيموس ، وإيسيذوروس الفرمى ، وساويرس الأنطاكى .

هذه الكنيسة العجيبة

هذه الكنيسة العجيبة ، الكائنة من أقاصى المسكونة إلى أقاصيها ، متسامية فوق الحواجز الطبيعية والسياسية والبشرية ... حبة الخردل الصغيرة التى نبتت ونمت ، وصارت شجرة كبيرة جداً تآوت فى أغصانها شعوب وشعوب ، من كل جنس ولون وأمة ولسان ...

هذه الكنيسة التى عمرت حتى الآن ما يقرب من ألفى عام دون أن تشيخ ، بل يتجدد كل يوم شبابها ، و ينضم إليها كثيرون مِمَّنْ تعمل فيهم النعمة ، و يقبلون الرب يسوع فادياً ومخلصاً ...

هذه الكنيسة التى جاءت إلى العالم بمعجزة ، واستمرت عبر التاريخ بمعجزة ... الكنيسة التى لا تنمو بطريقة التوالد الطبيعى ، بل بالميلاد الجديد الفائق للطبيعة ... ولا تستند إلى ذراع بشرية تحميها وتذود عنها ، بل إلى ذراع مؤسسها وراعيها ، الذى وعد أن أبواب الجحيم لن تقوى عليها ...

هذه الكنيسة ، كيف نشأت وترعرعت ، وكيف صمدت وامتدت إلى أقاصى المسكونة وشملت الخليقة كلها ... ماذا عن كيانها الأول وأنظمتها الأولى فى العبادة ... ماذا عن كتابها المقدس وعقائدها وأسرارها . وهل هى بعينها التى بين أيدينا ونمارسها حتى الآن .. ماذا عن كارزيها وأبطالها وتضحياتهم ... ماذا عن روحانياتها التى إنتزعت أعجاب الملوك ، وأسرتهم بشباك حبها ووداعتها ...

هذا وغيره ما يحدثك عنه هذا الكتاب ... إنه يتناول مدة السبعين سنة الأولى من تاريخها ، بين تأسيسها ونهاية القرن الأول الميلادى الذى يوافق نياحة يوحنا الرسول ــ أكثر مَنْ عمّر من رسل السيد المسيح ... وبين دفتيه تجد كل ما يهمك أن تعرفه عن الكنيسة الأولى ــ كنيسة الرسل ، فى أسلوب يجمع بين البحث العلمى الخالص ومنطق الروح .

الثمن ٣٢٥ قرشاً